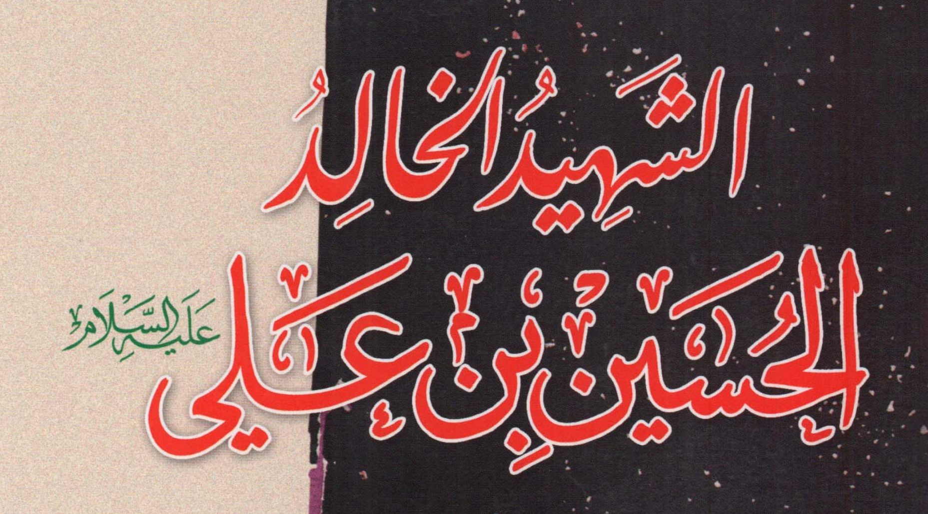


الشهيد الخالد
الحسين بن علي عليه السلام

آية الله الشيخ نعمت الله صالحي نجف آبادي

ترجمة
د. سعد رستم



مؤسسة الانتشار العربي

الشهيد الخالد

الحسين بن علي عليه السلام




مكتبة
الفكر الجديد

الشهيد الخالد

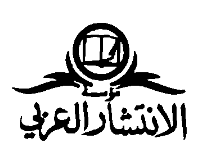
الحسين بن علي عليه السلام

ألفه (بالفارسية)

آية الله الشيخ نعمت الله صالحي نجف آبادي

ترجمه إلى العربية وقدم له وعلق حواشيه

د. سعد رستم



الانتشار العربي




مكتبة
الفكر الجديد

المحتويات




مكتبة
الفكر الجديد


مكتبة
الفكر الجديد



مكتبة
الفكر الجديد


مكتبة
الفكر الجديد


مكتبة
الفكر الجديد

مقدِّمة المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدُ لِلَّه ربِّ العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيِّين وأفضل المرسلين المبعوث رحمةً للعالمين سيِّدنا أبي القاسم محمّد الصادق الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الأخيار المنتجبين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وبعد،

يسرُّني أن أقدِّم إلى أبناء العربية ترجمتي عن اللغة الفارسية لكتاب **«شهيد جاويد»** أي **«الشهيد الخالد الحسين بن عليّ عليه السلام»** الذي صدرت أول طبعة له في إيران عام 1951م، ثم أعيدت طباعته ثماني عشرة مرَّة، واعْتُبِرَ من أهم الكتب التي تناولت حركة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام وواقعة كربلاء بصورة علميّة وتحليل استدلاليّ ناقش فيه مؤلّفه آية الله الشيخ نعمة الله صالحي نجف آبادي ـ من علماء الشيعة الإمامية المجتهدين في إيران والمدرِّسين البارزين في الحوزة الدينية في قم ـ أسباب الحركة الحسينيّة ودوافعها وماهيّتها ومراحلها وأهدافها ونتائجها وآثارها، مقدِّماً قراءةً جديدةً تتعارض كلِّيّاً مع القراءة التي تقدِّمها الرواية الشيعية المغالية والعاطفية الرائجة منذ قرون.

وقد اعتبر أغلب الباحثين الإيرانيين كتاب **«شهيد جاويد»** من أهم الكتب التي ناقشت قضية الحسين عليه السلام بِبُعْدَيْهَا السياسيّ والاجتماعيّ، ومن أكثر الكتب المثيرة للجدل في تاريخ إيران المعاصر، فمنذ أن عرضه المؤلِّف قبل نشـره على مرجعَي التقليد في حينه آية الله الگلپايگاني وآية الله النجفي المرعشي قابلا الكتاب بالرفض وطلبا منه عدم نشره، ولكنه نشره فيما بعد فأثار بنشره ردود أفعال مختلفة ومعركةً من الآراء بين مخالف وموافق، وبدأت الكتابات في الردّ عليه حتى وصل مجموع ما كتب في نقده أو الردِّ عليه إلى ثلاثة عشر كتاباً، وكان أبرز من أَلَّف في نقده: المرجع آية الله صافي الگلپايگاني وآية الله رفيعي قزويني وآية الله سيد أحمد الزنجاني الفهري والعلامة



الطباطبائي (صاحب تفسير الميزان) وآية الله الشيخ مرتضى المطهري، والشيخ محمد فاضل مع الشيخ شهاب الدين الإشراقي القمّي، والسيد محمد مهدي مرتضوي، ورضا أستادي، وغيرهم من العلماء الكبار.

أسباب معارضة كثير من المشايخ التقليديين لكتاب الشهيد الخالد

ما السبب في كل تلك الضجَّة التي أثيرت ضدّ الكتاب والردود العديدة عليه؟

من تتبُّع الردود يظهر أن هناك 3 نقاط رئيسية أثارت حفيظة الرادِّين على المؤلِّف وهي:

1 ـ **النقطة الأولى**: إثباته أن الإمام الحسين لم يكن يعلم الغيب وأن علمه بشهادته التي بشَّره جدُّه رسول الله صلى الله عليه وآله بها ـ كما رُوِيَ ـ كان علماً إجمالياً، فلم يكن يعلم موقع وزمن شهادته على وجه التحديد، بل خرج نحو الكوفة **وهو يتوقَّع النصر ويؤمِّله وأعدَّ له كل العدة اللازمة مبتغياً التمكّن من إنشاء حكومة إسلامية قويمة**، ولم يكن يعلم أنَّ الذين دَعَوْهُ إلى القدوم سيخذلونه ويغدرون به، ولا أن حركته ستنتهي بشهادته وشهادة أصحابه ووقوع أهل بيته في الأسر، وأنه لو علم ذلك لما خرج نحو العراق من الأصل، بدليل أنه لما تيقَّن في آخر مراحل ثورته أن الأوضاع انقلبت ضدَّه وأن النصر أصبح محالاً قرَّر الانسحاب من الموضوع برمَّته وعدم الاصطدام العسكري بجيش الدولة الأموية وحاول جاهداً إقناع أعدائه أن يُخْلُوا سبيله ليعود من حيث أتى، فلم يكن يرغب في القتال ولا في إراقة الدماء، ومِنْ ثَمَّ فلم يكن الحسين عليه السلام هو الذي أوجد كربلاء بل أوجدها أعداؤه ظلماً وعدواناً، ولم يكن في قَتْلِهِ إحياءٌ للدِّين بل كان قَتْلُهُ ثلمةً عظيمةً أصيب بها الإسلام وأهله.

هذه الرؤية التي أثبتها المؤلف بكلِّ جدارة من المصادر التاريخية المعتبرة، وذكر أن ثلاثة من كبار علماء الإمامية القدامى: الشيخ المفيد والشيخ الطوسي والسيد المرتضى كانوا قد قالوا بها قبل ألف عام ـ تُعَدُّ انقلاباً نوعياً يتعارض كُلِّيّاً مع ما يتم تناوله منذ قرون (ولا يزال) على المنابر وفي الحسينيات وفي الكتب الشيعية من أن الإمام الحسين عليه السلام يعلم الغيب ـ كسائر الأئمة الاثني عشر ـ وأن هذا من ضروريات المذهب الإمامي، وَمِنْ ثَمَّ فإنه كان يعلم مكان استشهاده وزمانه على وجه التحديد، وبناء عليه فالإمام ـ حسب الرؤية العاطفية الغيبية الشائعة لثورته ـ لم يخرج لينشئ



حكومةً بل خرج إلى العراق لأجل أن يُقْتَلَ في كربلاء ويؤسَرَ أهلُ بيته، ليكون دمه المُراق وسيلةً لفضح حقيقة حكومة بني أمية الظالمة وكشف زيف ادعاء القائمين عليها أنهم خلفاء نبيّ الإسلام ﷺ! فالرؤية التقليدية ترى ـ خلافاً لما طرحه صالحي نجف آبادي في هذا الكتاب ـ **أن الإمام هو الذي اختار قَتْلَتَهُ تلك وسار إليها عالماً عامداً** باعتبارها الوسيلة الوحيدة المتبقية أمامه لإحياء الإسلام الحقيقي، الأمر الذي نفاه المؤلف جملةً وتفصيلاً.

2 ـ **النقطة الثانية**: إن ما أثار ضدّه تلك الانتقادات الحادّة هو تعارض الرؤية التي قدمها مع بعض الأحاديث الشيعية المنسوبة إلى الإمام الحسين وبعض الأئمة الآخرين التي شاعت في القرن الثالث الهجري فما بعد والتي تذكر أن الإمام الحسين تحرَّك بأمر خاصٍّ له من الله في هذا المجال، وأن الله أراد أن يراه قتيلاً ويرى أهله أسرى!! تنفيذاً لمشيئة ربانية وخطة إلهية قدَّرها الله عليه، وأن الملائكة عرضت عليه النصر لكنه أبى واختار الاستسلام لما أحبه الله من أن يراه قتيلاً!! (فخروجه وذهابه إلى مقتله في كربلاء، من خصائص الإمامة والعصمة وليست محلاً لتأسّي عامة المؤمنين وتقليدهم له في مثل هذا العمل). وقد فنَّدَ الشيخ صالحي نجف آبادي في خاتمة الباب الخامس من كتابه الحاضر كل تلك الروايات والأحاديث ـ بما في ذلك بعض أحاديث **الكافي** للكُلَيْني، والروايات التي أوردها ابن أعثم الكوفي في تاريخه، والسيد ابن طاووس الحِلّي في كتابه **«اللهوف على قتلى الطفوف»**، والتي أوردها صاحب كتاب **«إثبات الوصية»**، وغيرها من الروايات، معتبراً أنها روايات تفتقر إلى الصحّة إما لأن رواتها كذّابون أو غلاة، وإما لأنها لا سند لها أصلاً، إضافةً إلى معارضة متنها للقرآن الكريم أو لروايات صحيحة أخرى، بل بيَّن الشيخ صالحي نجف آبادي زيف كُتُبٍ بِرُمَّتِهَا كالتفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري أو كتاب إثبات الوصية المنسوب إلى المسعودي، وأنها كُتُبٌ مُخْتَلَقَةٌ وموضوعةٌ من أساسها.

ومن البديهي أن لا يقبل علماء الدين التقليديون المحافظون مثل هذا النقد الحرّ لأحاديث مشهورة ولكتب الرواية والتراث التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من التراث الشيعي، ومن الواضح أنهم يخشون أن يؤدي فتح هذا الباب إلى الإتيان على قسم كبير من التراث الروائيّ الإماميّ الذي يدركون أنه يفتقر في مجمله إلى الثقة العلمية بصدوره



كونه في مجمله أخبار آحاد معظمها يفتقر إلى الأسانيد الصحيحة المتصلة القويمة، مما يقدِّم دعماً للناقدين العصريين الذين يرون أن التراث الروائي والأخباري ـ سواء لدى الإمامية أم غيرهم ـ يحتاج إلى غربلة شاملة وإعادة نظر كونه امتلأ عبر القرون بالوضع والدسّ والخرافات والقصص الأسطورية والرومانسية والأحاديث التي أملتها الصراعات السياسية والأهواء المذهبية في قرون الإسلام الأولى.

3 ـ **النقطة الثالثة**: قول مؤلّفه إن الإمام الحسين عليه السلام خرج إلى الكوفة لينشئ ـ بمساعدة المتطوِّعين الجاهزين لنصرته ـ حكومةً إسلاميةً عادلةً يقضـي بواسطتها على فساد الحكم الأموي القائم واستبداده الغاشم ويطوي بواسطتها بساط الجَور والظلم ويقيم بين الناس القسط والعدل والمساواة، مما يعني أن الإمام قام بعمل سياسيٍّ محض وأعلن ثورةً ضدّ حكومة قائمة وسعى لأخذ زمام السلطة بيديه، وهي رؤية تخالف ما درج عليه العلماء التقليديون المحافظون منذ قرون من القعود والابتعاد عن ميادين العمل السياسي واعتبارهم السعي لإقامة الحكم الإسلامي وتسلم زمام السلطة من أمور الدنيا التي لا تليق بأئمّة الدِّين، وطرحهم حركة الإمام الحسين عليه السلام طرحاً دينياً غيبياً وكأنها عملٌ استثنائيٌّ ومهمَّة خاصَّة أمره الله تعالى بها لا مجال لتحليلها سياسياً وطرحها بأبعادها السياسية ـ الاجتماعية وإسقاطها على الواقع في كل زمن.

وهذه النقطة هي التي جعلت بعض علماء الشيعة السياسيين ـ المعاصرين للمؤلف ـ الذين يؤمنون بأن من واجبات علماء الدين خوض ميادين النضال السياسي ضد حكومات الجور والفساد ـ مثل حكومة شاه إيران زمن نشر الكتاب ـ يرحِّبون بكتابه ويؤيِّدونه (حتى ولو كان بعضهم يتحفَّظ عن بعض ما جاء فيه)، مثل المرحوم آية الله حسين علي المنتظري والمرحوم آية الله علي المشكيني وغيرهما، في حين عارضه التقليديون القاعدون الذين لم يكن لهم في الجهاد السياسي ضدّ نظام الشاه حينذاك ناقة ولا جمل.



نبذة عن حياة المؤلِّف وافكاره

وُلِدَ الشيخ[1] نعمت الله صالحي نجف آبادي حوالى سنة 1302 هجرية شمسية (الموافق لـ 1925ميلادية) في مدينة «نجف آباد» من توابع مدينة «أصفهان» في وسط إيران، وبعد إنهائه دراسة المرحلة الابتدائية انتقل إلى مدينة «أصفهان» في سن الخامسة عشرة ليبدأ فيها دراسة العلوم الإسلامية الشرعية حيث قرأ النحو والصرف والبلاغة والمنطق ثم درس شرح اللمعة ثم المكاسب والرسائل في الفقه وأصوله على أيدي علمائها أمثال السيد رحيم أرباب وخالِهِ الشيخ محمد حسن عالم نجف آبادي، والشيخ فيَّاض، ثم انتقل إلى مدينة قم في أول عهد مرجعية آية الله البروجردي عام 1947م وتتلمذ عليه في أول دورة من أبحاث الاجتهاد في الفقه والأصول (بحث الخارج)، وبقي ملازماً له حتى آخر حياته، كما كان يحضر دروس أبحاث الخارج لدى آية الله الخميني قبل نفيه خارج إيران، ويشارك في دروس آية الله السيد محمد داماد، وبموازاة ذلك بدأ بالتدريس في الحوزة العلميّة (أي جامعة الدراسات الدينية) في قم لمواد اللغة العربية وشرح اللمعة في الفقه وللرسائل والمكاسب والكفاية في أصول الفقه. . . وكان من تلامذته حجج الإسلام مهدوي كني وهاشمي رفسنجاني ومحمَّدي جيلاني ومحفوظي وحسن صانعي ولاهوتي إشْكَوَرِيّ وربَّاني أمْلَشِي وآخرون، وكلهم ممن تسلّم مناصب رفيعة بعد الثورة الإسلامية في إيران.

بعد أن بلغ درجة الأستاذيَّة والاجتهاد بدأ صالحي نجف آبادي منذ ثمانينيات القرن الماضي بتدريس مرحلة «الخارج» أي الأبحاث الاستدلالية والاجتهادية حيث اختار «الجهاد» موضوعاً لدروسه نظراً إلى مرور إيران في تلك الفترة بالحرب المفروضة عليها من العراق، ثم درَّس على امتداد 11 عاماً أبحاث الخارج في الموضوعات الفقهية التالية: ولاية الفقيه والأنفال والخمس والمصادر المالية للدولة

(1) مصدر هذه الترجمة لحياة المؤلف ما جاء في مقدمة كتابه «عصا موسى أو علاج مرض الغلوّ» الذي ذكر ناشرُه فيها شرحاً وافياً لحياة المؤلف. («عصايِ موسى يا درمان بيماريِ غلوّ»، طبع طهران، انتشارات اميد فردا، 1380هـ ش/ 2000م)، ص11 ـ 13.



الإسلامية بشكل عام، وقدَّم خلال تدريسه أبحاثاً بديعةً ونظريات جريئةً، من جملة ذلك أنه اعتبر جميع أقسام الجهاد التي شُرِعَت في عصر الرسول الأكرم ﷺ واجبةً في عصر الغيبة ولا يُشترط إذن المعصوم أو أمره في أيِّ نوع من أنواع الجهاد. كما ألّف في موضوع ولاية الفقيه كتاباً مستقلاً عنوانه **«ولايت فقيه حكومت صالحان»** (أي **ولاية الفقه حكومة الصالحين**) طرح فيه رؤيةً تعتمد على مبدأ الشورى في الحكم، على عكس ما كان يُطرح في عهده من مفهوم أقرب إلى الثيوقراطية حول ولاية الفقيه المطلقة على الناس. وكان كتابه هذا أيضاً مثاراً للجدل ولم يلق الترحاب من الأوساط المتعصّبة لفكرة ولاية الفقيه المطلقة التي تروّجها الدولة.

صالحي نجف آبادي يخوض معركةً مع إسلام العوامّ[1]

بعد وفاة آية الله **صالحي نجف آبادي** عُقدت لتكريمه ندوةٌ في جامعة طهران عنوانها **محاربة التحجُّر والغلوّ في الدين**، ألقى خلالها الدكتور محسن كديور[2] محاضرةً تحت عنوان **«دور صالحي نجف آبادي في نقد الغلو»**. رأيت من المفيد ـ في مقام التعريف بمؤلف الكتاب الحاضر الشيخ صالحي نجف آبادي ـ أن أنقل خلاصتها بوصفها أفضل تلخيص للأفكار التحقيقية والتجديدية التي تميَّز بها.

قال الدكتور محسن كديور إنه كانت لدى صالحي نجف آبادي ثلاث خصال متميِّزة ميَّزته من سائر أقرانه من علماء الدين المعاصرين له وهي: **«عمق مطالعاته العلمية»**، و**«روح النقد»**، و**«التفكير الحرّ مع الشجاعة العلمية»**. فكان يتمتَّع بتفكير

(1) هذه الفقرة ترجمة للمقال المنشور على الموقع الرسمي للدكتور محسن كديور تحت عنوان: (صالحي نجف آبادي با اسلام عوامانه وارد چالش شد) أي: **«صالحي نجف آبادي خاض معركةً مع إسلام العوامّ»**، وفيه خلاصة المحاضرة التي ألقاها د. كديور في حفلة تأبين المرحوم صالحي نجف آبادي. وقد نشرت عدة مواقع إيرانية أخرى المقال ذاته: انظر: http://kadivar.com/?p=2237 و http://fka.blogfa.com/post-143.aspx.

(2) الدكتور الشيخ محسن كَدِيوَر عالمُ دينٍ إيراني مجتهدٍ ومتجدِّدٍ، يُعَدُّ اليوم أحد أبرز المفكّرين الإسلاميّين الإصلاحيين الإيرانيين، وهو ناشطٌ سياسيٌّ اشتهر بدعوته للإصلاح والتصحيح الدينيّ والسياسي في إيران، وقد تعرض للسجن مدة سنة ونصف سنة خلال العامين 1999 ـ 2000 بسبب أفكاره الإصلاحية لاسيما نقده مبدأ ولاية الفقيه، وهو يعيش الآن خارج إيران، ويعمل أستاذاً زائراً في الجامعات الأمريكية. (المُتَرْجِمُ)



مستقل ونقديٌّ حرّ مما يندر أن نجده لدى غيره من العلماء، إذْ كان ناقداً فذّاً قوي الحجَّة تعرَّض بالنقد العلمي لشخصيات تُعتبر من أقوى الشخصيات العلمية في عصره، فانتقاداته لبعض آراء العلامة محمد حسين الطباطبائي [صاحب تفسير الميزان] كانت انتقادات قيِّمَة جداً، وتستحق الانتباه، إذ إن النقاط والأفكار الدقيقة التي كتبها في نقد تفسير الميزان تدل على سعة علمه وعمقه، مما حيَّر العلماء، وكذلك انتقاداته لبعض ما كتبه الأستاذ الشيخ مرتضى مطهري. كان صالحي نجف آبادي عملياً في عداد المراجع الحقيقيين. وكان يعبِّر عن آرائه بشجاعة منقطعة النظير، في الوقت الذي كان كثير من العلماء ذوي الفكر الحرّ لا يجرؤون على بيان نقطة واحدة من آرائهم.

وفي سياق بيانه لدخول الشيخ صالحي نجف آبادي في صراع مع إسلام العوام التقليدي قال الدكتور كَدِيوَر: ينبغي أن لا نتوقع من الإذاعة والتلفاز الرسميين أن يؤبنا المرحوم صالحي نجف آبادي لأنه كان من أشد المنتقدين للمداحين الأميين وقراء المراثي الجهلاء في مآتم الأئمة، الذين ملأت مراثيهم وخطبهم المنابر والقنوات التلفزيونية، إذْ لو قام التلفاز والإذاعة بنشر أفكار صالحي نجف آبادي لوجها بذلك ضربة قاصمة إلى أولئك المداحين والخطباء العوام.

وقسّم د. كَدِيوَر في محاضرته مؤلفات آية الله صالحي نجف آبادي إلى أربعة أصناف فقال: إن الصنف الأول من مؤلفاته هو تفسيراته للقرآن أو لبعض آيات الكتاب المجيد، وقال إن تفاسير آيات القرآن التي دونها صالحي نجف آبادي لا تقل في مستواها عن تفسير الميزان.

واعتبر الدكتور الشيخ كَدِيوَر أن إحدى نقاط ضعف تفسير الميزان عدم عناية مؤلفه الطباطبائي بآيات الأحكام الفقهية، وأضاف أن صالحي نجف آبادي طرح مباحث قيمة حول تفسير آية حدّ الحِرابَة، أي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ [المائدة: 33]، وحول تفسير آية المودَّة، أي قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى/ 23]، حيث بين في تفسيره لآية المودَّة، بأحسن وجه، أن الذهنية الحالية السائدة لدى المسلمين الشيعة حول فهم هذه الآية خاطئة. فالتفسير



المشهور اليوم لهذه الآية يقول: إن النبي ﷺ يقول في هذه الآية: لا أريد منكم أي أجر على رسالتي، وكل ما أريده منكم هو أن تحفظوا حرمة قرابتي وتودُّوا أهل بيتي. في حين يبين صالحي نجف آبادي أن الآية مكية لا مدنيَّة وأن الخطاب فيها موجه إلى كفار قريش وليس إلى المسلمين في المدينة، وبناء على ذلك فإن النبي ﷺ لم يكن يستجدي محبة المشركين لأقربائه أو مودتهم لأهل بيته، بل أصل الكلام هو قوله ﷺ: يا معشر قريش إني قريبكم ومع ذلك فلا أسألكم أي أجر على رسالتي وكل ما أطلبه منكم هو أن تحفظوا حق القرابة بيني وبينكم وحرمتها، فتدعوني أبلِّغ رسالة ربي وأنجز مهمتي.

وكان الشيخ صالحي يرى أن القرآن الكريم هو الذي ينبغي أن يكون المعيار والمحكّ الذي نعرف به صحة الأحاديث من سقمها، وليس العكس أي لا ينبغي أن نجعل فهمنا للقرآن مستنداً إلى الأخبار والروايات، وكان يقول في هذا الصدد: إن القرآن الكريم هو أساس الإسلام وملاكه، والأحاديث إنما تكون معتبرة إذا لم تعارض القرآن. ولقد قام صالحي نجف آبادي عملياً بنقد الروايات مستخدماً آلة القرآن والعقل.

وأضاف د. كَدِيوَر أن الشيخ صالحي نجف آبادي نقد أيضاً التفسير الشيعي السائد لآية التطهير، أي قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب/ 33] التي تُعَدُّ أساس القول بالعصمة لدى الشيعة، ففسرها، ضمن بحث له باللغة العربية لما ينشر بعد، تفسيراً علمياً مخالفاً للمشهور لدى الشيعة.

أما الصنف الثاني من مؤلفات آية الله صالحي نجف آبادي فهو ـ كما قال الدكتور كَدِيوَر ـ آثاره في نقد الحديث ونقد بعض الآراء الفقهية السائدة، وذكر من جملة ذلك كشفه أن الشيخ الطوسي نقل في تفسيره أقوال الشيخ أبي جعفر الطبري محمد بن جرير، فجاء النُّسَّاخ بعده واعتبروا تلك الأقوال للإمام أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام!!.

ثم أشار الدكتور كَدِيوَر إلى مقال الاختلاف العلمي حول علم الإمام بوصفه إحدى المقالات القيمة جداً للمرحوم الشيخ صالحي نجف آبادي.

أما الصنف الثالث من مؤلفات صالحي نجف آبادي فهو كتبه الفقهية، واعتبر



الدكتور كديور أن أهم مؤلفات الشيخ صالحي الفقهية هو كتابه **«الجهاد»**[1] ورأى أن أهمية هذا الكتاب وقيمته تفوقان أهمية كتابه الشهير **«شهيد جاويد»** (الشهيد الخالد).

وأوضح كَدِيوَر أن صالحي بيَّن في دراسته لموضوع ولاية الفقيه أن لدينا نوعين من ولاية الفقيه: ولاية الفقيه الإخبارية، وولاية الفقيه الإنشائية. وقال إنه كان أول من أظهر الرأي بأن الولي الفقيه يجب أن ينتخبه الناس ويصوتوا له بآرائهم أي يجب أن تكون ولايته إنشائية.

وأضاف الدكتور كَدِيوَر أن من الآراء الفقهية الجريئة للشيخ صالحي تأكيده على عدم وجود أي دليل قرآني على عدم أهلية المرأة للقضاء، وبالتالي فيمكن للمرأة أن تتولى القضاء بلا إشكال، وله في ذلك مقال منشور. وتأكيده أيضاً على أنه لا توجد في القرآن الكريم أية آية تفيد جواز إجبار أحد على الإسلام، كما لا يوجد أي دليل قرآني على ما سُمِّيَ «حدّ الردَّة» الذي يقضي بأن من غيَّر عقيدته وارتدَّ عن الإسلام فعلينا أن نعدمه ونقطع رقبته، وقال إن نسبة مثل هذا الحكم إلى الإسلام غير صحيحة، وقال إن تبدّل الاعتقاد أو زواله أمر غير اختياري، فلا يمكن أن يكون هناك عقاب عليه، وأكّد صالحي نجف آبادي أن الأصل في الإسلام هو السلام لا الحرب، وأن الإسلام ليس دين الدم والشهادة بل كلمة الإسلام مشتقة من السلم والسلام فالإسلام دين السلام والأمان والمسالمة، أما الجهاد فقد شُرِعَ لصد العدوان وإزالة الظلم ودفعه فحسب.

ومن الآراء الفقهية الأخرى للشيخ صالحي قوله بطهارة الإنسان سواء أكان مسلماً أم كتابياً أم مشركاً وقال إن موضوع الطهارة والنجاسة المادية موضوع مرتبط بالمسائل الصحية ونظافة الشخص، لا باعتقاده الديني!

(1) تتجلى في كتاب **«الجهاد»** صفة التحقيق العلمي والتبحُّر الفقهيّ والتفكير الحر الجريء والروح العلمية القرآنية الناقدة لآراء الفقهاء القُدامى، التي تميَّز بها الشيخ صالحي نجف آبادي، بأبرز صورها. ومن أهم النتائج التي توصل إليها في هذا الكتاب أن جميع المعارك التي خاضها نبي الإسلام ﷺ كانت دفاعاً ومدافعةً، وأنه ليس في الإسلام شيء اسمه جهاد ابتدائي (أو ما يُسَمَّى جهاد الفتح أو جهاد الطلب) بل الجهاد القتالي لم يُشْرَع في الإسلام إلا لصدّ الاعتداء ودفع الظلم والعدوان فهو في جوهره دفاعي محض. كما لا يجيز الإسلام استخدام أسلحة الدمار الشامل، ولا قتل الأسرى ولا استرقاقهم، وغير ذلك من الأبحاث الاستدلالية الممتازة المتعلقة بقانون الحرب في الإسلام. (المُتَرْجِمُ)



وفي بيانه لجانب آخر من الآراء الفقهية للشيخ صالحي نجف آبادي أكد الدكتور كَدِيوَر أن الشيخ كان يعتبر **أن كل مسلم يعمل بمذهبه فهو مأجور، وكان يقول: كما أجاز الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر في حينه التعبد بالمذهب الجعفري فإنني أيضاً أقول بأن التعبُّد بجميع المذاهب الفقهية الصحيحة مقبول وأن الله تعالى وحده هو الذي له القضاء في ذلك.**

ثم ذكر الدكتور كَدِيوَر أن الصنف الرابع من كتب المرحوم صالحي نجف آبادي هو مؤلفاته المتعلقة بتاريخ الإسلام.

وقال إن المحور الرئيسي لمؤلفات صالحي نجف آبادي هو نقده للموروث الحديثي الروائي، فحتى تفسيره للقرآن وكذلك مؤلفاته الفقهية والتاريخية كلها كانت ترتكز على ذلك النقد العلمي للموروث الروائي.

وفي هذا الصدد قال الدكتور كَدِيوَر: إن علومنا الحوزوية (أي العلوم المدرَّسة في مدارسنا وجامعاتنا الدينية) تدور كلها حول الحديث والأخبار، حتى أن محور التفكير الإسلامي لدى الشيعة مرتكز على الأخبار والروايات، هذا مع أنه ينبغي التنبُّه إلى أن هناك أفراداً كثيرين نسبوا ـ بدوافع مختلفة ـ أحاديث كثيرة مكذوبة إلى أئمة الشيعة.

مقام صالحي نجف آبادي في نقد الغلو

أضاف الدكتور كَدِيوَر أن الشيخ صالحي قسَّم وضَّاعي الحديث إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول أعداء الإسلام والتشيع الذين كانوا يهدفون من خلال رفعهم للأئمة عن حد البشرية وغلوهم في حقهم وما ينسبونه إليهم في هذا الصدد من روايات إلى تقبيح شيعتهم والحط من شأنهم في نظر الناس. القسم الثاني كانوا من أهل الإباحة فكانوا يرفعون الأئمة عن مقاماتهم وينسبون إليهم بعض روايات الغلو كي يتوصلوا من خلال ذلك إلى إسقاط التكاليف وترويج الإباحية. القسم الثالث كانوا من المحبّين المفرطين والمغالين في حبّهم، وكان إبداع الشيخ صالحي نجف آبادي أن كشف الروايات التي لا مشكلة فيها من ناحية السند ولكنه أثبت أن متنها مكذوب ومن وضع أعداء الإسلام والتشيع إذْ وضعها هذا الفريق الثالث من وضاعي الحديث.



وفي معرض بيان الدكتور كَدِيوَر لكون الشيخ صالحي نجف آبادي يرى أن للإمام في العقيدة الشيعية جانبين، جانب بشري وجانب إلهي أو ربَّاني، قال: لم يكن صالحي منكراً للجانب الربَّاني للإمام لكنه كان يقول يجب أن نحدِّد بأيٍّ جانب من الجانبين يتعلق العمل السياسي للإمام؟ وهنا كان صالحي نجف آبادي يعتقد أن نهضة الحسين عليه السلام كانت من الجانب البشري للإمام الحسين عليه السلام وبالتالي كانت قابلة للبحث والتحليل التاريخي، فقد أخذ الحسين كأي إنسان عاقل ومفكر قراره بالتحرك، وكان كتاب الشهيد الخالد أول تفكير عقلاني بشأن نهضة الحسين في تاريخ التشيُّع.

وفي إشارة إلى قيام الشيخ صالحيٍ نجف آبادي بدراسة جميع الروايات المختلفة المتعلقة بعلم الإمام قال الدكتور كَدِيوَر إن الشيخ صالحي لم يقل إن الإمام لا يعلم شيئاً من الغيب، بل قال إن الإمام لا يعلم إلا ما أراد الله تعالى أن يعلمه إياه، ولا يعلم كل ما أراد علمه. فعلم الإمام محدود، وقال إن كل من يعتقد أن علم الإمام غير محدود فهو قطعاً من الغلاة.

وأشار كَدِيوَر في هذا الصدد إلى أن هناك عدداً من الرسائل التي كتبها بعض كبار علماء الشيعة ذكروا فيها أن الإمام يعلم حتى ميعاد يوم القيامة، وقال إن هذا مخالف بشكل صريح لعديد من آيات القرآن الكريم، التي صرَّحت أن الله تعالى لم يُطْلِع أحداً على موعد الساعة.

وأشار الدكتور كَدِيوَر إلى الحديث الذي يزعم أن الله تعالى كان قد أوحى إلى النبي بصحف مختومة لكل إمام من الأئمة وختمها بخاتم من ذهب، وأن كل إمام كان يفتح صحيفته ويعمل بما فيها، ومن جملة ذلك أن سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام عرف من صحيفته مكان استشهاده وزمانه، فقال: إن الشيخ صالحي نجف آبادي حقَّق في هذه الرواية وتوصل بعد دراسة مستفيضة إلى أن هذه الرواية مكذوبة من أساسها وأنها من وضع أحد الكذابين الكبار في ذلك الزمن. وأكَّد صالحي أنه لم يكن لأي إمام من الأئمة أي مهام خاصة من الله، بل كان واجبهم الديني ومهمتهم هي الواجب الديني ذاته لكل عالم دين.

وأشار كَدِيوَر أخيراً إلى ما يُروى اليوم بشأن ليلة القدر من أن أعمال العباد تعرض



على الإمام في كل ليلة قدر، وأنه في زماننا أيضاً تعرض أعمالنا على الإمام في تلك الليلة، وقال: لقد حقَّق الشيخ صالحي نجف آبادي في هذه المسألة وبين أنه لا يوجد لها أي مستند أو أساس صحيح، بل توجد نصوص ومستندات موثوقة تعارض هذه الفكرة تماماً.

وفي الختام أكد الدكتور كَدِيوَر أن المستوى العلمي للمرحوم الشيخ صالحي نجف آبادي كان على مستوى مطهري وشريعتي ومنتظري.

موقف صالحي نجف آبادي حول ضرورة غربلة التراث الروائي الشيعي[1]

في السنوات الأخيرة من حياته، نشر الشيخ صالحي نجف آبادي عام 2003م كتاباً عنوانه **«حديث هاى خيالى در مجمع البيان»** (أي الأحاديث الموهومة في مجمع البيان) وضمَّ إلى كتابه هذا أربع مقالات في تفسير القرآن تناول فيها أحياناً أبحاثاً مهمَّة تتعلّق بنقد الحديث، وقد طُبع الكتابُ مرَّتين في عام واحد، وانْتُقِدَ على نطاق ضيِّق دون أن يُحدثَ ضجَّةً كبيرةً كالتي أحدثها كتابه **«الشهيد الخالد»**، هذا رغم ما لتفسير **«مجمع البيان»** للطبرسي من أهمية بالغة في الوسط الثقافي الشيعي.

كشف صالحي نجف آبادي في كتابه الأخير أن الطبرسي وقع في التباس حقيقي في تفسيره **«مجمع البيان»** أدَّى به إلى نسبته عدداً كبيراً من النصوص إلى الإمام أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام والحال أنها لا ترجع إليه أصلاً بل هي لأبي جعفر الطبري (السُنِّيّ) صاحب تفسير الطبري المعروف. وساق على ذلك أدلّة قوية وبراهين محكمة.

ولم يكن نقد بعض النصوص الحديثية في تفسير **«مجمع البيان»** سوى مقدِّمة لتساؤل أكبر طال عند «نجف آبادي» مجموع المصادر الحديثية الشيعية، وقد بدأ هذا التساؤل كالتالي: إذا كان بحّاثةٌ وعالمٌ موسوعيٌّ كالشيخ الطبرسي قد اشتبه عليه الحال في عدد كبير من الروايات فإننا نستفهم: أليس من المعقول أن تكون اشتباهات أخرى قد وقعت أيضاً من جانبه أو من جانب آخرين؟ أوليس من الممكن أن يطال التساؤل

(1) هذه الفقرة مُقتبسة بتصرُّف مما جاء في الكتاب القيِّم للأستاذ حيدر حب الله: **«نظرية السنّة في الفكر الإمامي الشيعي»**، (بيروت، مؤسّسة الانتشار العربي، 2006م)، الصفحات 589 إلى 596.



حتى الرواة الأوائل الذين عاصروا الأئمة عليهم السلام؟ كيف يمكننا تحصيل ضمانات معقولة تحافظ على وثوقنا بالأحاديث؟[1]

ويبدو في مواضع مما كتبه «نجف آبادي» أنه يطالب العلماء والباحثين المسلمين بالسعي الجدّيّ لتحديد صحيح الحديث من غيره، ذلك أنه يراهم مقصّرين في القيام بخطّةٍ من هذا النوع، وأن وجه الضرورة يكمن في أن هذه النصوص قد غدت مرجعاً ثقافياً وخطابياً عاماً، كما هي الحال مع كتاب بحار الأنوار[2]، لكن حلّ هذه المشكلة ليس أمراً هيّناً من وجهة نظره، ذلك أن بعض النصوص والشواهد التاريخية تؤكّد على حقائق يستعصي أن نتجاوزها أو نتخطّاها، منها:

1 ـ إن تيّار الوضع والدسّ قد استخدم كتب أصحاب الأئمة عليهم السلام ليدسَّ فيها، حتى وجدنا شواهد على أن بعض كبار علماء الشيعة في عصر الحضور (ق1 ـ 3هـ) قد عجز عن تمييز النصوص المدسوسة من غيرها، ولهذا فضّل سلوك طريق الاحتياط في التعامل مع هذه النصوص، مثل يونس بن عبد الرحمن، ممّا يدلّ على عمق المشكلة لشخص معاصر تقريباً لظاهرة تحريف المصادر القديمة، فكيف بأمثالنا؟!

2 ـ تؤكّد بعض الشواهد على أنّ عمليّة الدسّ كانت تتمّ بطريقةٍ عصيّةٍ عن الحلّ تقريباً، فدسّ الروايات كان باختلاق سند صحيح، ولولا ذلك لما عجز أمثال يونس بن عبد الرحمن عن كشف اسم الراوي الكاذب، والطريقة التي كان يتمّ تطبيقها أنّ النسخة الصحيحة من الكتاب كانت تُؤخذ وتُستنسخ، وأثناء الاستنساخ كان يُضاف إليها بعض الروايات الكاذبة، ثم تُحال إلى الورّاقين الذين كانوا يستنسخون الكتب ويوزّعونها في أسواقها، فتظهر الكتب في نسخها الجديدة المحرّفة، ويتمّ ـ عبر ذلك ـ ضياع النسخ الصحيحة، بل ربما أرجع الوضّاعون إلى من استعاروا منه النسخة الأصليّة نسخةً كاذبةً دون أن يدري هو نفسه.

(1) «حديث هاى خيالي در مجمع البيان» (أحاديث موهومة في مجمع البيان)، صالحي نجف آبادي، ص81.

(2) المصدر السابق، ص83، وتُراجع فيه أيضاً الصفحات: 87، 102، 112 ـ 113.



3 ـ تشير قصّة يونس بن عبد الرحمن إلى أنّه عرض الكتب على الإمام الرضا عليه السلام، وهي كتب تعود إلى عصر والده الكاظم عليه السلام، ومعنى ذلك أنّ يونس كان قد اكتشف حقيقة حال هذه الكتب في عصر الرضا عليه السلام، ولم يتمكّن من معرفة حالها طوال 35 سنة من إمامة الكاظم عليه السلام !![1].

ونتيجة ذلك كلّه عند «نجف آبادي» حصول علم بوجود الصحيح والضعيف والصادق والمكذوب في المصادر الحديثيّة، ومعنى ذلك تكوّن علم إجمالي مفاده وجود أحاديث كاذبة في مجموع الأحاديث، وتقتضي القاعدة العقلية في حالات العلم الإجمالي ـ كما بُرهِن عليه في علم أصول الفقه ـ أنّه يجب اجتناب تمام الأطراف المحتملة ما دامت الشبهة محصورة ومحدَّدة الأطراف، ومعنى ذلك ضرورة التخلّي عن تمام الأحاديث إلا ما عُلِم خروجه من تحت هذا العلم الإجمالي، وليس سوى الحديث الذي قامت الشواهد القطعيّة المؤكّدة على صدوره، **والعدد الذي يتمتّع بهذه الصفة من الروايات قليلٌ جداً عند «نجف آبادي»، ذلك أنّه ربما لا يوجد من بين كلّ ألف رواية عشر روايات قامت شواهد على صحتها حقيقةً**[2].

وهذه النتيجة الحسّاسة في كلام «صالحي نجف آبادي» لا يسعفها ـ عنده ـ ما فعله علماء الأصول من التمسّك بأصالة عدم كذب الراوي، وأصالة عدم وقوع الخطأ والاشتباه منه، إذ يرى أنّ مثل هذه الأصول لا ترقى إلى مواجهة القاعدة العقلية المستندة إلى مقولة العلم الإجمالي، لاسيما والروايات الموضوعة كثيرة، بل ربما يكون كتابٌ كاملٌ موضوعاً كما هو شأن التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، حيث يذهب «نجف آبادي» إلى أن الكتاب موضوعٌ برمَّته بدليل ركاكة بنيته اللغوية والبيانية، وأن من تتبّع فقراته يدرك أنّ واضعه رجل شيعيٌّ ساذجٌ معوجّ السليقة، هدف من رواء فعلته هذه إلى رفع مقام الأئمة عليهم السلام، وقد كان الواضع جاهلاً بقواعد اللغة العربية، كما كان جاهلاً بالتاريخ، كما يذكر «نجف آبادي» أنّ كتاب «المحكم والمتشابه» منسوبٌ خطأً إلى السيد المرتضى، إذْ يحتوي على العديد من الروايات الموضوعة، وهو من تأليف محمد بن إبراهيم النعماني، الذي عُرف كتابه فيما بعد

(1) المصدر السابق، ص: 85 ـ 86.

(2) المصدر السابق، ص: 112.



بتفسير النعماني، وهو يشتمل على تفسيرات مزاجية للقرآن، كما ينصّ في رواياته على تحريف القرآن الكريم، والأنكى من ذلك أنّ الكتاب برمّته صيغ على شكل حديث طويل نُسب إلى الإمام علي عليه السلام، وقد ذكره صاحب البحار في المجلد الواحد والتسعين من بحاره، وقد احتوى سند الكتاب على راويتين كذّابين هما: البطائني علي بن أبي حمزة وولده الحسن[1]، ويعزّز «نجف آبادي» قناعته بوضع هذا الكتاب على لسان أمير المؤمنين عليه السلام بأنّ فيه أبحاثاً حول الاجتهاد، والقياس، والعمل بالرأي، وهي ملفّات لم تظهر في الثقافة الإسلامية إلاّ في القرن الثاني الهجري، فكيف صدرت من عليّ عليه السلام؟! ويتّهم «نجف آبادي» مؤلّف الكتاب ـ النعماني ـ بالسذاجة، ويذكر عيّنات موضوعة من هذا الكتاب، ويراها محاولةً لخدمة الأئمة عليهم السلام ورفع مقامهم عبر طريق خاطئ[2].

وكمثال على نقد المؤلِّف لبعض الأحاديث وكشف زيفها نذكر مثالين مما أورده في كتابه «**أحاديث موهومة في مجمع البيان**»:

أ ـ الحديث الذي يرويه الكليني في الكافي أنّ: «**أيُّ إمام لا يعلم ما يصيبه وإلى ما يصير فليس ذلك بحجّة لله على خلقه!**»[3]، إذْ يرى «نجف آبادي» أن هذا الحديث ضعيف السند بعبد الله بنِ قاسم الحضرمي الكاذب، كما أنّه مخالفٌ للقرآن الذي ينصّ على: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف/ 9].

ويعتقد «نجف آبادي» أنّ هذا النوع من الروايات قد انطلى حتى على بعض كبار العلماء، ويسمّي منهم: محمد حسن المظفر، وأحمد الفهري، وعبد الصاحب المرتضوي، وعلي أكبر الغفاري، ومحمد تقي مصباح يزدي و.... و...، مبدياً تأسّفاً على نفوذ أفكار الغلاة في الوسط الشيعي[4].

ب ـ حديث الكساء، الذي يراه «نجف آبادي» من المستفيضات، غير أنّه يرى أنّ إحدى صيغه موضوعة، ويراها الصيغة التي راجت أخيراً في الأوساط الشيعية،

(1) المصدر السابق، ص: 97.
(2) المصدر السابق، ص: 98 ـ 99، و 102 ـ 111.
(3) الكافي، الكليني، ج1، ص 258.
(4) «أحاديث موهومة في مجمع البيان»، صالحي نجف آبادي، ص90 ـ 91.



وأدرجت في كتاب الأدعية الشهير «مفاتيح الجنان» للمحدّث القمّيّ، ورغم أنّ القمّيّ لا يصحّح هذه الرواية إلاّ أن غيره أدرجها في كتابه على أنّها رواية صحيحة، رغم ركاكتها البلاغية، وغلوّها المضموني[1]. وهكذا، يركّز «صالحي نجف آبادي» على نقد المتن، ومعارضته للقرآن، مقدّماً إيّاه على صحّة السند، ملاحظاً اختلافات النقل في روايةٍ واحدةٍ[2].

وأعتقد أن هذا الاتجاهَ الجريءَ والجذريَّ في نقد التراث الروائي الشيعي والدعوة إلى غربلة كاملة له الذي توصّل إليه المؤلف في آخر سنوات عمره نتيجةٌ طبيعيّةٌ لما بدأه قديماً من طرح بعض الآراء الإصلاحيّة وما أعقب ذلك من زوابع وأعاصير واتّهامات قامت ضدَّه مما دفعه إلى المزيد من البحث والتحقيق في هذا المجال فوصل إلى ما وصل إليه، وأعتقد أنه لو امتدَّ به العمر أكثر لخرج بآراءٍ إصلاحيَّةٍ أكثر جذريَّةً.

قائمة بمؤلَّفات آية الله الشيخ صالحي نجف آبادي المطبوعة:

1 ـ شهد جاود حسين بن علي عليه السلام **(الشهيد الخالد الحسين بن علي عليه السلام)**. وهو الكتاب الحاضر الذي نقدِّم له.

2 ـ نگاهى به حماسة حسيني **(نظرة إلى كتاب الملحمة الحسينية)**. وهو مناقشة ورد لكتاب الملحمة الحسينية تأليف المرحوم الأستاذ الشيخ مرتضى مطهري.

3 ـ حديث هاى خيالى در تفسر مجمع البيان به همراه چهار مقاله تفسيرى **(الأحاديث الموهومة في تفسير مجمع البيان، مع أربعة مقالات أخرى في التفسير)**.

4 ـ ولات فقه، حكومت صالحان **(ولاية الفقيه حكومة الصالحين)**.

5 ـ غلو، درآمدى بر افكار وعقايد غاليان در دين **(الغلو، نقدٌ لأفكار الغلاة وعقائدهم الدينية)**.

---

(1) المصدر السابق، ص: 94 ـ 96.

(2) إلى هنا انتهى ما اقتبستُهُ <u>بتصرُّف</u> في هذه الفقرة من كتاب الأستاذ الفاضل حيدر حب الله: **«نظرية السنّة في الفكر الإمامي الشيعي التكوُّن والصيرورة»**، الصفحات 589 إلى 596.



6 ـ جمال انسانيت، يا، تفسير سورة يوسف (**جمال الإنسانية أو تفسير سورة يوسف**).
7 ـ قضاوت زن در فقه اسلامي همراه چند مقاله دگر (**قضاء المرأة في الفقه الإسلامي، مع عدة مقالات أخرى**).
8 ـ جهاد در اسلام (**الجهاد في الإسلام**).
9 ـ مجموعه مقالات سياسي، تاريخي، اجتماعي (**مجموعة مقالات سياسية وتاريخية واجتماعية**).
10 ـ پژوهشى جديد در چند مبحث فقهي (**تحقيق جديد في بعض المباحث الفقيهة**).
11 ـ عصاى موسى عليه السلام، يا، درمان بيمارى غلو (**عصا موسى عليه السلام أو علاج مرض الغلو**).

وفاته

تُوفِّي آية الله الشيخ «صالحي نجف آبادي» عام (1427هـ / 2006م) بعد تضييق عليه وعلى فكره مِنْ قِبَلِ الحكومة دام أكثر من عشرين عاماً بسبب أفكاره الإصلاحية الدينيّة الناقدة، إضافةً إلى كونه من المحسوبين على خط المرجع الفقيه الشيخ حسين علي المنتظري الذي كان قد عُزِلَ من منصب خليفة قائد الثورة وفرضت عليه الإقامة الجبرية، وهذا يفسِّر لماذا تجاهل الإعلام الرسمي الإيراني خبر وفاته ـ رغم كونه من آيات الله ـ خلافاً لعادته في تأبين العلماء الكبار من هذا المستوى حين وفاتهم والإشادة بمناقبهم وجهودهم العلمية.

وفي الختام أجدني في غنىً عن التوضيح بأن ترجمتي لهذا الكتاب لا تعني بالضرورة أنني أتفق مع مؤلّفه في كل جزئيّة ومورد، رغم اتفاقي مع فكرة الكتاب العامّة وخطّه الأساسي.

أسأل الله تعالى أن يتقبل منّي هذا العمل، وهو وَلِيُّ التوفيق، والحمدُ لِلَّهِ أوّلاً وَآخِراً.

د. سعد رستم

حلب: 18 / شباط (فبراير)/ 2012م

الموافق لـ: 26/ ربيع الأول/ 1433هـ



بعض نماذج رسائل التقدير والتقريظ التي وصلت إلى مؤلِّف كتاب «الشهيد الخالد» مِنْ قِبَلِ آيات الله العِظَام وحجج الإسلام والعلماء(1)

(1) أورد المؤلِّف عدداً من رسائل التقريظ (ملأت عشر صفحات من بداية كتابه) التي وصلته من العلماء والمراجع الذين قرؤوا كتابه وأيَّدوا ما فيه من أفكار وأثنوا عليه، وهي تقاريظ: آية الله أبو الفضل الموسوي الزنجاني، وآية الله العلامة الشيخ محمد شريعت أصفهاني، والعالم الفاضل الأستاذ محمد تقي جعفري، والأستاذ العلامة الطباطبائي، والأستاذ الفاضل والكاتب المعروف أحمد آرام، و رسالة مِنْ قِبَلِ اتحاد الطلبة المسلمين في جامعة آريامهر الصناعية في طهران، وتقريظ مع شعر مِنْ قِبَلِ الأستاذ محسن خياطان (خاتم) من طهران، واختتم التقاريظ بصورتين لتقريظين مكتوبين بخط اليد لكلٍّ من آية الله المرجع الفقيه الشيخ حسين علي المنتظري وآية الله المرجع الفقيه الشيخ علي المشكيني، وقد رأيتُ الاكتفاء بذكر التقريظين، الأخيرين لأهميَّتهما. (المُتَرْجِمُ)



بسم الله الرحمن الرحیم وبه نستعین

کتابی که در موضوع قیام مقدس حضرت سید الشهداء سلام الله علیه بقلم جناب مستطاب حجة الاسلام آقای آقا شیخ نعمت الله صالحی نجف آبادی دامت افاضاته نگاشته شده یکی از با ارزش ترین تألیفات عصر حاضر است. من آن را با دقت خوانده‌ام و چنین یافتم که علاوه بر اطلاعات عمیق تاریخی فوائد مهمه زیر را در بر دارد:

۱ ـ اعتراضاتی که بر قیام امام علیه السلام شده به بهترین وجه پاسخ داده شده است.

۲ ـ اشتباهات بعضی از مستشرقین که در افکار غرب زدگان اثر گذاشته روشن و تبیین گشته است.

۳ ـ قیام آن حضرت بطرز بی سابقه‌ای با موازین عقلی و اجتماعی تطبیق شده بطوری که بسیاری از اشکالاتی که در ذهن مردم هست خود بخود حل می‌شود.

۴ ـ مؤلف در این بررسی دقیق تاریخی، روش کاملاً جدیدی را انتخاب کرده، و با استفاده از اسلوب علمی خالص و تتبع وسیع راه تجزیه و تحلیل صحیح را در اینگونه مباحث نشان داده است.

موفقیت مؤلف محترم را در راه خدمت باسلام و مسلمین از خداوند متعال خواستارم. والسلام علی جمیع اخواننا المؤمنین ورحمة الله وبرکاته

۱۵ صفر ۱۳۹۰ ـ حسینعلی منتظری نجف آبادی

۱۵

صورة لتقريظ آية الله الشيخ حسين علي منتظري



ترجمة نص تقريظ آية الله الشيخ حسين علي المنتظري:

بسم الله الرحمن الرحيم و به نستعين،

الكتاب الذي يتحدث عن النهوض المقدَّس لحضرة سيد الشهداء سلام الله عليه المسطور بقلم الجناب المستطاب سماحة حجة الإسلام الشيخ نعمت الله صالحي نجف آبادي دامت إفاضاته، أحد أبرز المؤلّفات في العصر الحاضر. لقد قرأت الكتاب بدقَّة وتمعُّن ووجدتُ أنه يشتمل ـ مضافاً إلى المعلومات التاريخية العميقة ـ على الفوائد المهمَّة التالية:

1 ـ أجاب بأفضل وجه عن الاعتراضات التي وُجِّهت إلى ثورة الإمام عليه السلام.

2 ـ بين و وضَّح أخطاء بعض المستشرقين التي أثَّرت في أفكار المتأثِّرين بالغرب.

3 ـ طابق ثورة الإمام على الموازين العقلية والاجتماعية بشكل لم يسبقه إليه أحد، وعلى نحوٍ جعل كثيراً من الإشكالات التي تنقدح في ذهن الناس تُحَلُّ من ذاتها تلقائياً.

4 ـ باعتماده الأسلوب العلميّ الخالص وتتبُّعه الواسع، اختار المؤلِّف في هذه الدراسة التاريخية الدقيقة، منهجاً جديداً تماماً، وبيَّن طريقة التحليل العلميّ الصحيح في مثل هذا النوع من المسائل. أسأل الله المتعال للمؤلِّف المحترم التوفيق في خدمة الإسلام والمسلمين. والسلام على جميع إخواننا المسلمين ورحمة الله وبركاته.

15 صفر 1390، حسين علي منتظري نجف آبادي



بسم الله الرحمن الرحیم

کتاب حاضر که دربارهٔ قیام مقدس حسین بن علی صلوات الله علیه بقلم دانشمند معظم حجة الاسلام آقای حاج شیخ نعمت الله صالحی نجف آبادی نوشته شده بدون مبالغه در نوع خود بی‌نظیر است. اینجانب از اول تا آخر با دقت خواندم و لذت بردم و استفاده کردم. از امتیازات این کتاب: تتبع وسیع و تحقیق و ابتکار و بررسی مسائل تاریخی بر اساس تجزیه و تحلیل دقیق علمی با اسلوبی کاملاً تازه و جالب و با عقل پسند می‌باشد. و این اثر ارزنده منشأ یک تحول جالبی در نگرش به مسائل مربوط به نهضت بزرگ حضرت سید الشهداء روحی فداه خواهد بود، و اشکالات و عقده‌هایی را که مخصوصاً طبقهٔ روشنفکر و تحصیل کرده دربارهٔ قیام امام علیه السلام در دل دارند و گاهی بزبان می‌آورند حل خواهد کرد، موفقیت بیش از بیش مؤلف محترم را در راه خدمت مسلمانان از خداوند خواستارم ۳ ربیع الثانی ۱۳۹۰

۱۶ ع مشکینی اردبیلی

صورة لتقريظ آية الله الشيخ علي المشكيني



ترجمة نص تقريظ آية الله الشيخ علي المشكيني:

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب الحاضر حول النهوض المقدَّس للحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليه الذي كُتِبَ بقلم العالم المعظَّم حجّة الإسلام الحاج الشيخ نعمت الله صالحي نجف آبادي كتابٌ فريدٌ لا سابق له في نوعه. وقد قرأته بدقَّة مرَّةً و تمتَّعتُ بقراءته واستفدت منه، ومن مزايا هذا الكتاب: التتبُّع الواسع والتحقيق والابتكار ودراسة المسائل التاريخية باعتماد التحليل المنطقي والتحقيق العلمي الدقيق، بأسلوب جديد تماماً لا سابق له ويُعْجِبُ العقلَ. هذا الكتاب القيِّم سَيُحْدِثُ تحوُّلاً إصلاحيّاً مُثْمِراً في المسائل المتعلّقة بالنهضة العظيمة لحضرة سيد الشهداء روحي فداه، وسيحلّ الإشكالات والعقد التي تدور في أذهان طبقة المثقّفين والمتعلِّمين حول ثورة الإمام عليه السلام التي يُعْرِبون عنها أحياناً بألسنتهم. أسأل اللهَ مزيداً من التوفيق للمؤلِّف المحترم في خدمة أهل بيت النُبُوَّة.

4 ربيع الثاني 1390

علي المشكيني



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾

[سورة التوبة : الآية 20]




مكتبة
الفكر الجديد

الإهداء

لما كان هذا الكتاب شُعاعاً من تجليّات الروح العظيمة والحُرَّة للحسين بن علي عليه السلام، رأيته أجدر من أقدِّم إليه كتابي وأهديه هذه البضاعة المزجاة:

* فإليك يا سيّد المجاهدين! يا من مضيت حتى التضحية بروحك عاشقاً لِـلّه في سبيل مقاومة الدكتاتورية والاستبداد الغاشم.
* إليك يا سيّد الشهداء! يا من تمرَّغْتَ بدمائك بسيف حكومة يزيد بن معاوية ضدّ الإسلامية المتعطّشة إلى الحرب والدماء بجرم نصرة الإسلام والدفاع عن الإنسانية.
* إليك يا ملاك الحريّة والعدالة! يا من لم تستسلم أمام عدوان القوات المسلحة الشيطانية المنتهكة للقانون ووقعت صريعاً مضرَّجاً بدمائك أمام أهل بيتك لأنك رفضت أن توقِّع على حكومة الجبَّارين المضادَّة للقرآن.

أهدي هذا الكتاب.




مكتبة
الفكر الجديد

مقدِّمات تمهيديّة

1 ـ اقتراحٌ لا بدّ من العمل به

تُعَدُّ مسألة ثورة الإمام الحسين عليه السلام من أعقد المسائل في تاريخ الإسلام. وعلَّةُ هذا التعقيد وجود اختلافات وتعارض فيما ذكرته المصادر والوثائق التي تحدَّثت عن هذه الواقعة، الأمر الذي أدّى إلى بروز آراء و وجهات نظر مختلفة حول طبيعة تلك الثورة وحقيقة أهدافها.

ومن جهةٍ أخرى لما كان عمل الإمام حُجَّةً كان لا بدَّ من معرفة حقيقة نهضته كي يتمكّن الناس من اتّباعها والتأسّي بها، وَ عَلَيْهِ فإنَّ حركة الإمام هذه موضوعٌ لمسألةٍ فقهيَّةٍ وعَمَلِيَّةٍ هامَّةٍ.

لهذا السبب فإني أقترح أن تُدْرَسَ مسألةُ ثورة سبط النبي صلى الله عليه وآله في الحوزات العلميَّة بالطريقة ذاتها التي تتم فيها دراسة المسائل في المباحث الاجتهادية العليا (بحث الخارج) مِنْ قِبَلِ العلماء ذوي المرتبة العلميّة العُليا، وأن تُنشر نتيجة هذه الدراسة والأبحاث بين الناس، كي ننتهي من التشويش والفوضى والاختلافات التي نجدها في كتابات المؤلِّفين أو بيانات الخطباء والمتكلِّمين الذين يتحدّثون عن تلك الحركة، ويخرج الناس من هذه البلبلة والحيرة من جهة ويتمكنوا من الجهة الأخرى من الاستفادة من ثورة الإمام العظيمة واتِّباعِها والاقتداء بها.

2 ـ ما كتبه تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام في هذا الموضوع

يوجد من بين الكتب التي كتبها علماء الشيعة حول ثورة الإمام الحسين عليه السلام كتابان يحملان اسم «مَقْتَل الحُسَيْن» ألفهما تلميذان بارزان من تلاميذ الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ويعتبران من أكثر كتب الشيعة علميةً وقيمةً. مؤلفا هذين الكتابين هما:



«لوط بن يحيى» المعروف بـ **«أبي مخنف»** و**«هشام بن محمد»** المعروف بـ **«الكلبيّ»** وكلاهما من علماء القرن الهجري الثاني، وقد بيَّن النجاشي في رجاله (ص 245 وص 339) أحوالهما بالتفصيل وذكر أسماء مؤلَّفَاتِهِمَا.

تاريخ الطبري

كلُّ ما ذكره الطبريُّ في تاريخه في موضوع ثورة الإمام الحسين عليه السلام **نَقَلَهُ** من الكتابين المذكورين، وعندما ينقل الطبري مطالب تاريخية من كتب أخرى فإن **نَقْلَهُ مُعْتَمَدٌ مِنْ قِبَلِ** علماء الشيعة أيضاً، لذا نجد المرحوم الشريف الرضيّ **قُدِّسَ سِرُّهُ** ينقل بعض مطالب كتابه **«نهج البلاغة»** مثل الكلمة 373 من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام القِصار من تاريخ الطبري، كما نجد المرحوم الشيخ الطوسي **قُدِّسَ سِرُّهُ** يعتمد على تاريخ الطبري وينقل منه في كتابه **«تلخيص الشافي»** (ج4، ص40 و 41 و 43 و 44).

وكتابنا **«شهيد جاويد» (الشهيد الخالد)** إنما اعتمد على تاريخ الطبري لأن الطبري نقل ما أورده حول ثورة سيد الشهداء عليه السلام من كتابَيْ الشيعة القيِّمَيْن أي مقتل **«لوط بن يحيى** (أبي مخنف)» ومقتل **«هشام بن محمد»**. فكلُّ ما اقتبسناه من تاريخ الطبري في كتابنا هذا هو مطالب دوَّنَها شخصان من تلامذة حضرة الإمام الصادق عليه السلام حول موضوع ثورة الإمام الحسين عليه السلام.

3 ـ الجانب الروحانيّ للإمام

للنبيِّ والإمام جانبان: 1 ـ جانبٌ روحانيّ. و2 ـ جانبٌ بشريٌّ.

من ناحية الجانب الروحانيّ يتمتَّع النبي والإمام بمقامات يستحيل على الناس العادِيِّين أن يدركوها **«وصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بالمحَلِّ الأَعْلَى»**[1].

أما من ناحية الجانب البشريّ فهم بشر كسائر البشر يأكلون و يشربون و يمرضون ويموتون. وهم ـ في هذا المستوى البشرى ـ يقودون الناس. وقد بحثنا في هذا الكتاب ثورةَ الإمام الحسين عليه السلام على أساس الجانب البشري ومستوى الحياة الاجتماعية للإمام حتى يمكن لحركته أن تكون أسوةً و قدوةً يقتدي بها الناس. ومن

---

(1) **نهج البلاغة**، الكلمة 147 من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام القصار، والشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 108.



البديهي أنه عندما تُدْرَس ثورة الإمام من وجهة النظر البشرية لا ينبغي أن نتصور أن هذا يُنْقِصُ شيئاً من الجانب الروحاني له، لأنه من الواضح للجميع أن أهل بيت الرسالة ينالون الفيض من الله بواسطة جانبهم الروحانيّ، و يأنسون بالناس و يفيضون عليهم بواسطة جانبهم البشري، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«إنا صنايع ربّنا والناس بعدُ صنايع[1] لنا»**[2]، أي إن الله تعالى في الدرجة الأولى أنعم علينا نحن معشر أهل بيت الرسالة بالوحي والدين، ثم نحن بعد ذلك علّمناه للناس الذين استفادوا من فيضنا. وما مقام العصمة والشفاعة والتصرُّف في الكائنات بإذن الله التي يتمتّع بها النبيُّ والإمام إلا من تجلّيات ذلك الجانب الإلـهي، كما شق الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله القمرَ فلقتين بإذن الله، وهذا المقام هو الذي يُطْلَقُ عليه اسم «الولاية التكوينية».

4 ـ علم الإمام بالغيب

ينبغي أن نعلم أن ربَّ العالمين أوحى إلى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله من أنباء الغيب وأطلعه على كثير من المغيَّبات، وأن النبيَّ الأكرم صلى الله عليه وآله وضع تلك المعلومات تحت تصرُّف الأئمة المعصومين؛ وعليه فعلم غيب النبيِّ والإمام واسعٌ سِعَةً يستحيل على الناس العاديين أن يحصوها.

وَرَدَ في رواياتنا أن الإمامَ يَعْلَمُ عِلْمَ مَا كَانَ ومَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ[3]، و وَرَدَ أن رسول الله صلى الله عليه وآله علَّمَ عليّاً عليه السلام ألف ألف باب (مليون باب) من أبواب العلم (خصال الصدوق، ص 642 إلى 652)، ووَرَدَ أنَّ الأئِمَّةَ عليهم السلام عندهم جَمِيع الْعُلُومِ الَّتِي علَّمها اللهُ للْمَلائِكَةِ وَالأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ[4].

بناءً على ذلك، فإضافةً إلى علوم أئمَّة أهل البيت عليهم السلام الإلهامية، فإنهم وارثو علوم الأنبياء والملائكة وعلوم خاتم المرسلين صلى الله عليه وآله.

---

(1) ليس الصُّنعُ هنا بمعنى الخَلْق بل هو بمعنى التربية والتنشئة الإلهية الكريمة كالصنع الذي جاء في قوله تعالى بحق نبيه موسى عليه السلام: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه/ 39]، أو قوله سبحانه: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه/ 41]. (المُتَرْجِمُ).

(2) نهج البلاغة، الرسالة رقم 28.

(3) الكافي، ج 1، ص 261، وبالطبع فإن العلوم التي استأثر بها الله واختصّها بنفسه خارجةٌ عن هذه الكُلّيّة.

(4) الكافي، ج 1، ص 255.



كان أمير المؤمنين عليه السلام منذ طفولته ومنذ ابتداء رسالة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يرى نُورَ الْوَحْيِ والرِّسَالَةِ ويشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ. . ـ وكما قال عن نفسه ـ : **«ولَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ صلى الله عليه وآله فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله! مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وتَرَى مَا أَرَى إِلا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ»**[1].

كما أنه أخبر قبل ستة قرون من زمن المغول عنهم وعن سفكهم للدماء ومذابحهم وعن أشكال صورهم و لباسهم وخيولهم[2].

فالإمام الحسين وسائر الأئمّة المعصومين عليهم السلام يتمتّعون بتلك القوّة القدسيّة نفسها ولهم تلك الإحاطة العلميّة ذاتها التي كانت لعليٍّ عليه السلام.

وأساساً لا يملك فكرنا ولا عقلنا القدرة على إدراك سعة علم غيب الإمام. وإذا أمكن للشَّوْك أن يدرك ما في قاع البحر فإنّ فكرنا الضعيف وعقلنا المحدود يمكنه أن يحيط بمقدار سعة علم المعصوم.

5 ـ علم الإمام الحسين عليه السلام بشهادته

طبقاً للروايات القطعية، أنبأ رسول الله صلى الله عليه وآله مسبقاً بشهادة حضرة سيد الشهداء عليه السلام، وكان الإمام الحسين عليه السلام ذاته يعلم منذ طفولته بأن عاقبته ستكون الشهادة.

هذا يُعَدُّ من المسلَّمات. ولكن هل كان زمن الشهادة معلوماً للإمام بدقّة أم لا؟

لعلماء الشيعة رأيان في هذه المسألة:

---

(1) نهج البلاغة، أواخر الخطبة رقم 190.

(2) نهج البلاغة، الخطبة 126. (المؤلّف). قلتُ: ومن المفيد أن أنقل عين عبارة النهج التي أشار إليها لما فيها من فائدة في هذا المقام: قال: «ومنها في وصف الأتراك: كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْماً كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ المَجَانُّ المُطَرَّقَةُ يَلْبَسُونَ السَّرَقَ والدِّيبَاجَ ويَعْتَقِبُونَ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ ويَكُونُ هُنَاكَ اسْتِحْرَارُ قَتْلٍ حَتَّى يَمْشِيَ المَجْرُوحُ عَلَى المَقْتُولِ ويَكُونَ المُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ المَأْسُورِ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: لَقَدْ أُعْطِيتَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عِلْمَ الْغَيْبِ! فَضَحِكَ (عليه السلام) وقَالَ لِلرَّجُلِ ـ وكَانَ كَلْبِيّاً ـ : يَا أَخَا كَلْبٍ! **لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ وإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ وإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ ومَا عَدَّدَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ويُنَزِّلُ الْغَيْثَ ويَعْلَمُ ما فِي الأرحام وما تَدْرِي نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً وما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ. . الآيَةَ**، فَيَعْلَمُ اللهُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ وسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ وشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ ومَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَباً أَوْ فِي الْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً **فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلا اللهُ** ومَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللهُ نَبِيَّهُ (صلى الله عليه وآله) فَعَلَّمَنِيهِ ودَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي وتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي». انتهى. (المُتَرْجِمُ)



1 ـ الرأي الأول هو أن الإمام كان يعلم على نحو الإجمال بأن عاقبته ستكون الشهادة ولكن لم يكن واضحاً بالنسبة إليه أن الشهادة هل ستقع في هذا السفر أم لا[1]؟

2 ـ والرأي الآخر أن الإمام كان مطلعاً على جميع تفاصيل الحوادث الآتية وكان يعلم بالضبط مكان استشهاده وزمانه ولم تكن تخفى عليه جميعُ الحوادث الصغيرة المتعلّقة بشهادته. كلّ ما في الأمر أنّ هذا العلم الغيبيّ لم يكن يحدِّدُ تكليفاً للإمام بل كان واجبه أن يعمل طبقاً لمجاري الأمور الطبيعية والعادية، كأن يرسل «مسلم بن عقيل» إلى الكوفة ليأخذ له البيعة من أهلها ويهيئ له القوات اللازمة، وأن يتحرّك نحو الكوفة استناداً إلى رسالته المطمئنة، ويكتب إلى أهل الكوفة وهو في وسط الطريق رسالةً يخبرهم فيها بوصوله الوشيك إليهم. فكل تلك الأمور كانت حسب التكليف الظاهري للإمام الذي كان مكلَّفاً أن يعمل به، رغم علمه بأنّه لن يصل إلى الكوفة وأنه سيُستشهد في كربلاء.

قال أحد العلماء المعاصرين الكبار ممّن يحمل هذا الرأي:

«طبقاً لعديد من الروايات، للإمام عليه السلام منزلةٌ ومقامٌ من القُرْب يتيح له أن يعلم أيَّ شيء يريده بإذن الله، بما في ذلك العلم بتفاصيل موته وشهادته بكل ما يتعلق بذلك من جزئيات، وليس في هذه المسألة أي محظور من ناحية العقل، ومن ناحية الشرع وردت روايات تفيد أن لكل واحد من الأئمة صحيفة خاصة من جانب الله كُتبت فيها واجباته الخاصة، وفي الوقت ذاته كانوا مأمورين بحفظ الظاهر وأن يعملوا حسب طرق الحياة المتعارف عليها»[2].

ويقول في موضع آخر: «إن هذا العلم اللدنّي للإمام لا يرتِّب أي أثر على أعماله ولا علاقة له بتكاليفه الخاصة» (رسالة «بحثي كوتاه در بارهِي علم امام» (بالفارسية) أي: «بحثٌ مختصرٌ حولَ عِلْمِ الإمام»، ص9. وقال أيضاً حول تغيير الإمام لطريقة

(1) هذا هو رأي الشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي رضوان الله عليهم الذين أوردنا نصَّ عباراتهم في هذا الموضوع في آخر كتابنا هذا، كما أن جماعة من العلماء المعاصرين يرون هذا الرأي أيضاً.

(2) هذا هو رأي الأستاذ العلامة محمد حسين الطباطبائي مُدَّ ظله الذي استنسخته مما كتبه بخط يده.



عَمَلِهِ واتّخاذه في كلّ مرحلةٍ قراراً جديداً: «اختلفت طريقة الإمام خلال فترة ثورته حسب اختلاف الأوضاع والأحوال» (الرسالة المذكورة، ص29)، ويقول في ص30 كلاماً مؤداه أن تقرير «مسلم بن عقيل» أثبت أن الأوضاع السياسية في الكوفة مساعدة وأن أهالي الكوفة جاهزون لاستقبال الإمام ونصرته، ولما انطلق سيد الشهداء عليه السلام نحو الكوفة كانت الظروف مواتية لنهضته وكان العراق مستعدّاً لقيام الإمام بثورته[1].

ويقول أيضاً بشأن انصراف سيد الشهداء سلام الله عليه عن فكرة تسخير العراق بعد انقلاب أوضاع الكوفة، واتخاذه حالة دفاعية: «تبدُّل منهج النهوض من الثورة الهجومية إلى ثورة دفاعية»[2] (الرسالة المذكورة، ص31). بديهيٌّ أن تغيير الإمام لبرنامج عمله بسبب تغيُّر الأوضاع والأحوال يدلُّ على أن الإمام إنما كان يعمل طبقاً للمجاري الطبيعية للأمور وَلِعِلْمِهِ العاديّ، لأنه لو عمل حَسْبَ عِلْمِهِ بالغيب لما كان هناك معنى لتغييره لبرنامج عمله.

6 ـ انتباهٌ

تبيَّن إذن أن أصحاب الرأي الأول والثاني متفقان على أن الإمام الحسين عليه السلام كان مكلَّفاً العمل طبقاً للموازين العاديَّة للأمور، فبناء عليه يجب أن ندرس ثورته أيضاً على أساس الموازين العادية للأمور، وهذا هو السبب في قيامنا - في كتابنا الحالي - بدراسة النهضة العظيمة للحسين بن علي عليه السلام من زاوية المجاري العادية للأمور وبصرف النظر عن علم الإمام بالغيب، كي نكون بذلك قد اتبعنا ما اتفق عليه أصحاب الرأيين من العلماء من جهة، وكي يكون عمل سبط النبي صلى الله عليه وآله أسوة يمكن للناس أن يقتدوا به.

---

(1) شرحنا هذا الموضوع بالتفصيل في الصفحات الآتية من كتابنا هذا.

(2) شرحنا هذا الموضوع بالتفصيل في الباب الثالث من هذا الكتاب.



مقدِّمة

اختلف الناس بشأن الثورة المقدسة للإمام الحسين عليه السلام وبرنامج عمله فيها إلى عدة آراء:

1 ـ ذهب بعضهم إلى أن برنامج عمل الإمام كان أن يذهب هو وأهل بيته وبضعة من أنصاره المنتخبين إلى كربلاء كي يُقتل فيها هو وأنصاره ويُؤسَرَ أهلُ بيته كي يكون هذا القتل والأسر وسيلة لفضح حكومة بني أمية وإحياء الإسلام من خلال ذلك[1].

2 ـ ويقول آخرون إن الإمام أراد أن يقدِّم نفسه للقَتْل لينال أعظم الأجر عند الله ويصل إلى أعلى درجات السعادة[2].

3 ـ وقال فريقٌ ثالثٌ إن ثورة الإمام كان لها وجهان: وجهٌ ظاهرٌ ووجهٌ باطنٌ. فمن زاوية الوجه الظاهر كان الإمام يُظْهِرُ أنه يريد الكوفةَ لأجل إقامة الحكم الإسلامي فيها وإحياء الإسلام بقوة الحكومة، ولكن من زاوية الوجه الباطن كان يعلم أنه لن يصل إلى الكوفة وأنه سيُستشهد في كربلاء.

4 ـ ذهب جماعةٌ منصفون من أهل السنَّة إلى أن ثورة الإمام كانت ثورةً إصلاحيّةً لا بدَّ منها تهدف إلى إقامة الحكم الإسلامي، وقد أثنوا على حركة سبط النبي صلى الله عليه وآله ثناءً بالغاً إلى حد الإعجاب والتقديس[3].

5 ـ ونظر فريق آخر من أهل السنة إلى حركة الإمام بعين الانتقاد وقالوا: إن حركة الحسين بن علي عليه السلام كانت ثورة ابتدائية غير محسوبة العواقب وكان من

---

(1) مقدمة تحليل تاريخ عاشوراء ص33، وكلام عاشوراء ص29 و154 طبع 1346هجري شمسي.

(2) **اللهوف على قتلى الطفوف**، للسيد رضي الدين بن طاووس (ـ ، ص23، وقد استند صاحب اللهوف إلى قوله تعالى: ﴿. . . فَاقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة/ 54] لتأييد رأيه في هذا المجال.

(3) من هؤلاء عباس محمود العقاد وعبد الله العلايلي.



واجب حكومة الوقت أن تقمعها حفاظاً على نظم المجتمع وأمنه! ويستند هذا الفريق إلى حديث يروونه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ»[1]، حيث يطبّق هذا الفريق هذا الحديث على الإمام الحسين عليه السلام في ثورته[2].

رأيٌ آخر منسيٌّ

6 ـ هناك رأيٌ آخر قال به ـ قبل عشرة قرون ـ علماءُ كبارٌ من الشيعة، ونُسي تقريباً في الأزمنة الأخيرة فلم يَعُدْ يَنْتَبِهُ إليه أحد، وهو الرأي المستفاد من كلام العلماء الكبار: الشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي رضوان الله عليهم.

هؤلاء العلماء الشيعة الكبار الذين كانوا من مؤسسي المنهج العلميّ والاجتهاديّ في الفقه والأصول والتفسير والكلام، كانوا أكثر قدرةً على دراسة وتحليل الثورة المقدّسة لسيد الشهداء صلوات الله عليه وأقدر على فهم وشرح برنامج عمل الإمام بصورة أكثر نقاءً وأصالةً، بسبب قرب زمانهم من عهد الأئمة المعصومين سلام الله عليهم وامتلاكهم لمنهج تحقيقي واجتهادي في العلوم الإسلامية.

لذا فقد رَكَّزَ كِتَابُنَا هذا على رأي هؤلاء العلماء الكبار، بل يمكننا أن نقول إن

---

(1) **العواصم من القواصم**، لأبي بكر بن العربي، ص232.

(2) هذا الحديث إن لم يكن حديثاً موضوعاً، فإنه ينطبق على طغيان متمرّدين عاتين وعصاة أمثال «معاوية» و«يزيد» لا على ثائرين محققين مثل الحسين بن علي عليه السلام. (المؤلف). قلتُ: هذا الحديث يصحّحُهُ أهل السنة فقد أخرجه عندهم «مسلمٌ» في صحيحه بسنده عن عَرْفَجَةَ (كتاب الإمارة/ بَاب حُكْمِ مَنْ فَرَّقَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ مُجْتَمِعٌ)، كما أخرجه أبو داود والنسائي في سننهما وأحمد في مسنده كلُّهم عن عَرْفَجَةَ الأَشْجَعِيِّ. ومن المفيد أن ننقل ما ذكره الإمام الشوكاني بعد ذكره لهذا الحديث ونحوه من الأحاديث التي تنهى عن الخروج على أئمة الجور ما لم يتركوا الصلاة أو يرَ الناس منهم كفراً بواحاً قال: «وَلَكِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ أَنْ يَحُطَّ عَلَى مَنْ خَرَجَ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنَ الْعِتْرَةِ وَغَيْرِهِمْ عَلَى أَئِمَّةِ الْجَوْرِ فَإِنَّهُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ بِاجْتِهَادٍ مِنْهُمْ، وَهُمْ أَتْقَى لِلَّهِ وَأَطْوَعُ لِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ مِنْ جَمَاعَةٍ مِمَّنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَلَقَدْ أَفْرَطَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ كَالْكَرَّامِيَّةِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ فِي الْجُمُودِ عَلَى أَحَادِيثِ الْبَابِ حَتَّى حَكَمُوا بِأَنَّ الْحُسَيْنَ السِّبْطَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ بَاغٍ عَلَى الْخِمِّيرِ السِّكِّيرِ الْهَاتِكِ لِحُرَمِ الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ لَعَنَهُمْ اللهُ، فَيَا لِلَّهِ الْعَجَبُ مِنْ مَقَالاَتٍ تَقْشَعِرُّ مِنْهَا الْجُلُودُ وَيَتَصَدَّعُ مِنْ سَمَاعِهَا كُلُّ جُلْمُودٍ». انتهى من نيل الأوطار: كتاب الحدود/ باب الصبر على جور الأئمّة وترك قتالهم. (المُتَرْجِمُ)



الجزء الأعظم من هذا الكتاب ما هو إلا شرحٌ لهذا الرأي بالذات وتوضيح تفصيليٌ له (وقد أوردنا نص عبارات أولئك العلماء في آخر الكتاب).

نتيجة التحليل والدراسة

لقد خرجنا من مجموع الدراسة والتحليلات التي قمنا بها في هذا الكتاب بنتيجة تقول إن حركة سيد الشهداء سلام الله عليه، إضافةً إلى جانبها الإلـهي والسماوي، كانت حركةً عقلانيةً وضروريةً لا يمكن اجتنابها من ناحية السنن العُقَلائية والقوانين الاجتماعية، بحيث أننا حتى لو صرفنا النظر عن جانب إمامة الإمام، فإن نهضته تُعْتَبَرُ من وجهة نظر رجل سياسي مجرّب ومحنَّك أكثر النهضات عقلانيةً وواقعيةً في رؤيتها.

كما أن المبادئ الكلّيّة لهذه الحركة شأنها شأن قواعد الرياضيات مبادئ حيَّة ومتجدِّدة على الدوام وقابلة للاقتداء بها واتِّباعها، ومن هذه الناحية فإن تاريخ ثورة الحسين بن علي عليه السلام من أكثر المباحث قيمةً واستحقاقاً للدراسة والبحث كي نأخذ الدروس منه. فهذا هو السرُّ في دراستنا لثورة الإمام في هذا الكتاب استناداً إلى المجاري الطبيعية والعقلانية للأمور، كي تكون مدرسةُ الإمام الحيَّةُ والقيِّمةُ نبراساً منيراً يسير الآخرون على هديه، وكي يتمكَّن الشرفاء الأحرار من أخذ الدروس من حركة قائد المجاهدين التعليمية، ويعملوا طبقاً لها، لأنه كما أن عملَ رسولِ الله بحكم قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب/ 21]، قُدْوةٌ يهتدي بها الناس، كذلك عملُ الإمام أسوةٌ يتأسَّى الناس بها كما قال الإمام الحسين عليه السلام نفسه: «وَلَكُمْ فِيَّ أُسْوَةٌ»[1]. لذا لا بد على كل مسلم أن يفهم البرنامج العملي للإمام بشكل صحيح ليقتدي به في حياته.

كما أنه من المناسب أن نذكِّر هنا أيضاً بأنه لما كان أحد أهداف هذا الكتاب الإجابة عن مقولات بعض كتّاب أهل السنة والمستشرقين، فقد تمَّ بيان مطالبه على نحو يراعي هذا الغرض ويفي به.

---

(1) تاريخ الطبري، ج4، ص 304، ومقتل الخوارزمي، ج1، ص235.



ولا يفوتنا أن نقول إن الأدلَّة التاريخية الواضحة ساقت مؤلف هذا الكتاب إلى موقف اتَّبع فيه الشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي رضوان الله عليهم خلافاً لبعض الأفكار التي راجت بين الناس (الشيعة) منذ القرن الهجري السابع فما بعد.

ونتوقَّع من المفكرين ذوي النظر الذين يقرؤون في هذا الكتاب أفكاراً تخالف ما عهدوه أن يتدبّروا بمزيد من الدقَّة الموضوعات والأدلة التي طُرِحَت فيه، فإن وجدوا فيها أي نقطة ضعف فلا يبخلوا على كاتب هذه السطور ببيانها، كي نستفيد من آرائهم الصائبة في رفع نواقص هذا الكتاب.

كما أنه من الجدير بالذكر أن موضوعات هذا الكتاب تمَّ تجميعها وتحريرها في كل فرصة مناسبة على مدى سبع سنوات، وتم تنظيمها بشكل تدريجيّ. كما تمَّ التباحث في بعض موضوعات الكتاب الحسّاسة مع أصحاب النظر ثم قُدِّمَ الكتابُ إلى عددٍ من علماء قم وطهران وتبريز ليطالعوه ويبدوا ملاحظاتهم عليه وقد ساعد هذا التلاقح الفكري وطرح الأفكار المختلفة على توضيح موضوعات الكتاب بنحو أفضل.

لذا أغتنم الفرصة هنا لأعبر عن صادق شكري وامتناني للعلماء الأفاضل الذين لم يبخلوا في بذل أوقاتهم وفكرهم في هذا السبيل.

هذا ولما كان الوجود العظيم والعالميّ لشخصية الحسين بن علي عليه السلام، والمشعل المنير الذي أضاءه في طريق البشرية، أبديًّا وخالداً رأيت من المناسب أن أسمي كتابي: **«الشهيد الخالد»**. فالسلام الأبديّ على روحك الشامخة أيها **«الشهيد الخالد»**!.

نعمت الله صالحي نجف آبادي

إيران قم: 5 / شهريور/ 1350 هـ. ش.

الموافق لـ: 5/ رجب/ 1391 هـ. ق.



تمهيد

ارتبط اسم الإمام الحسين بن علي عليه السلام بفاجعة دموية وبسلسلة من الحوادث المؤلمة التي يزلزل منظرُها المترائي من بعيد القلبَ ويجرح الوجدانَ ويحرِّك في الإنسان الدافعَ نحو بحث تلك الحادثة الأليمة ويحفِّزه إلى دراستها والتحقيق فيها وبحث عللها والعوامل التي لعبت دوراً فيها وسائر الوجوه المتعلِّقة بها.

لو نظرنا إلى هذه الحادثة بعين فردٍ شيعيٍّ بسيطٍ لكان من الممكن أن ننهي البحث بجملة قصيرة تقول:

«كان الحسين بن علي عليه السلام إماماً مكلَّفاً من الله تعالى واجباً خاصاً أدَّاه كما أُمِرَ فلا مجال للبحث والقيل والقال والسؤال عما فعل».

ولكن إذا أردنا أن نقوم ببحث ودراسة تاريخيّة لتلك الحادثة ونحلِّلَها تحليلاً تاريخيّاً علميّاً كما نحلِّل أيَّ حادثة تاريخيّة أخرى، فلا بدّ أن نستند في مثل هذه الدراسة التحليليّة إلى نصوص التاريخ الأصليّة وأن نستعين بالعقل والمنطق.

لقد تمّ البحث في هذا الكتاب طبقاً للطريقة الثانية، إذْ قمنا بدراسة النهوض التاريخي للإمام الحسين عليه السلام ـ على أساس المنطق والاستدلال ـ . واخترنا هذا المنهج لأننا بدراستنا للجوانب التاريخية لتلك الواقعة وقيامنا بتحليلٍ علميٍّ تاريخيٍّ لتلك الحركة العظيمة، نكون قد قدَّمْنا بحثاً ذا فائدة أعمّ يرغب في مطالعته حتى غير الشيعة أيضاً.

إن بحث تلك الواقعة بحثاً علمياً كاملاً يستلزم أن نبسط الكلام حول خمسة موضوعات هي التالية:

1 ـ علل وعوامل نهوض [1] الإمام الحسين عليه السلام وثورته؛

---

(1) الكلمة التي استخدمها المؤلف في كل كتابه للتعبير عن حركة الإمام الحسين هي كلمة «قيام» =



2 ـ ماهية ثورة الإمام؛

3 ـ مراحل الثورة؛

4 ـ أهداف الثورة؛

5 ـ نتائج الثورة وآثارها.

= ولفظة «قيام» بالفارسية تعني بالعربية «الثورة» وتترجم أيضاً بـ «النهوض». وقد فضَّلتُ ترجمتها في غالب الكتاب بكلمة «نهوض» و«ثورة» كليهما وأحياناً على نحو تبادلي أي مرة بهذه اللفظة ومرة بتلك، وأحياناً بكلمة «قيام» ذاتها، لأنها تستخدم في العربية أيضاً بمعنى الثورة والنهوض. (المُتَرْجِمُ)



الباب الأوَّل

أسباب ثورة الإمام ودوافعها




مكتبة
الفكر الجديد

الإمام الحسين عليه السلام
وأوضاع الإسلام السياسية المحيطة

انتهى حكم معاوية بن أبي سفيان الظالم بموته، ولم يكن يزيد بن معاوية قد أحكم بعدُ سيطرته على الحُكم، فكانت الفرصة مؤاتية لطلاب العدالة كي يسارعوا إلى تشكيل قواهم وتنظيمها ليعيدوا الخلافة الإسلامية إلى أهلها وينقذوا ـ لما للخلافة الإسلامية من قوّة وتأثير ـ ذلك المجتمعَ المريض والمتألم من سياط حكم معاوية المعادي للإسلام ومن براثن ذلك الظُلم الشيطاني الذي حلَّ بالمسلمين.

من البديهي أن إعادة الخلافة إلى أهلها تحتاج قبل كلّ شيء إلى وجود القائد الكُفْء الذي يُقْدِمُ على هذا الأمر بما يتمتّع به من أهلية وجدارة وشعبيّة في قلوب الناس، وكانت أكثرُ الشخصيات أهليةً لهذا الأمر، الشخصيةُ التي كان يحترمها الصديق والعدو و ينبغي حقاً أن تُنقذ عالم الإسلام بأخذها لزمام أمور الخلافة في تلك المرحلة الحساسة وذلك الوضع المضطرب: الإمامُ الحسين بن علي عليه السلام.

لقد كانت الأجواء والأوضاع السياسية للإسلام متعطّشة إلى نهوضه وقيامه وكانت روح الإمام الكبيرة وهمّته الإصلاحية العالية تنتظران منذ زمن الفرصة المناسبة للقيام بذلك الإصلاح[1]، إذْ كان الإمام يترقَّبُ أن تتهيّأ الظروف، بعد موت معاوية،

(1) ذكر «الشيخ المفيد» (413 هـ) نقلاً عما رواه الكلبي و المدائني وغيرهما من أصحاب السيرة قالوا: «**لما مات الحسن بن علي عليه السلام تحركت الشيعة بالعراق وكتبوا إلى الحسين عليه السلام في خلع معاوية والبيعة له فامتنع عليهم وذكر أن بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه حتى تمضي المدة، فإن مات معاوية نظر في ذلك**». «الإرشاد» للشيخ المفيد، ص179. (أو ج2، ص32 من ط2، بيروت، تحقيق مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، نشر دار المفيد للطباعة والنشر، 1441هـ/ 1993م)، وسأشير إلى موضع الاقتباسات من هذه الطبعة الثانية، إضافة إلى طبعة المؤلف القديمة، نظراً إلى توافرها لدي وأنها الأكثر تداولاً. (المُتَرْجِمُ)



وتصبح مساعِدَةً للبدء بإصلاحات واسعة في مجال تشكيل الحكومة وسائر الشؤون الحياتية للمسلمين، وتحرير بلاد الإسلام المقهورة والجريحة من أسر الظلم والاستبداد، وجعلها بلاداً حرَّةً عامرةً، ولقيادة عالم الإسلام ـ كما هي أمنية جميع طلاب العدالة ـ نحو التكامل المادي والمعنوي.

تلك كانت أوضاع الإسلام السياسية، وذلك كان موقع الإمام الحسين بن علي عليه السلام فيها، وهكذا كان أمل الناس وأمنيتهم.

ولكن قبل أن يقوم الإمامُ الحسين عليه السلام وسائرُ الناس بالنهوض والتحرّك في اتجاه إعادة الخلافة إلى أهلها، استبقت حكومة «يزيد» الأمور وبادرت ـ لأجل الحيلولة دون أيَّة حركة إصلاحيّة ـ إلى الضغط على الحسين بن علي عليه السلام وبعض الشخصيات الأخرى كي يُعْطُوا البيعة ليزيد ويعترفوا بحكمه(1).

طلبت حكومة «يزيد» ـ معتمدةً القوَّة والتهديد ـ من الإمام، قبل أي شخص آخر، أن يبايع يزيد بن معاوية بالخلافة ويسلِّم له بلا قيد ولا شرط، وتشدَّدت جداً في هذا الطلب حتى أصبح الحسين بن علي عليه السلام بسببه مُهَدَّداً بالاعتقال بل حتى بالقتل (الإعدام)، وهنا كانت نقطة البداية لنهوض الإمام الحسين.

بدأ نهوض الإمام الحسين إِذَنْ باعتداءٍ وقع عليه مِنْ قِبَلِ حكومة «يزيد».

وبما أننا نريد في هذا الباب الأول أن نوضِّح عللَ وعواملَ نهوض الإمام بشكل كامل؛ وبما أن نهوض الإمام إنما بدأ باعتداءِ الحكم القائم عليه، وقد قاوم الإمام بشدة الإقرار بخلافة «يزيد» والاعتراف بها، ثم خطا نحو إقامة حكومة إسلامية؛ فمن الضروريّ إذن أن نبحث في هذا الباب المسائلَ الثلاثَ التاليةَ:

1 ـ لماذا أصرّت حكومة «يزيد» كل ذلك الإصرار وضغطت كل تلك الضغوط لأخذ البيعة من الإمام الحسين عليه السلام ليزيد؟

2 ـ لماذا قاوم الإمام كلّ تلك المقاومة قبولَ خلافة «يزيد»؟

3 ـ لماذا اتجه نحو إقامة الحُكُومة الإسلاميّة؟

---

(1) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص179 ـ 180. (أو ج2، ص 32 ـ 34) (المُتَرْجِمُ)



علينا إذَنْ أن ندرس عوامل نهوض الإمام من ناحيتين: الأولى من ناحية جهاز الحُكْم، والثانية من ناحية الحسين بن علي عليه السلام.

دواعي وأسباب الثورة المتعلِّقَة بوضع الحُكْم

لما كانت حكومة «يزيد» قائمةً على حكم فرديٍّ استبداديٍّ، إرادتُهُ فيه هي المحرِّك الأساس لحكومته، بينما سائر الحاشية والأعوان ليسوا سوى عبيد مطيعين لا إرادة لهم سوى إرادة سيدهم «يزيد»، كان من الطبيعيّ و نحن نتحدَّث عن دواعي وأسباب ثورة الإمام المتعلّقة بالحكم القائم، أن نتحدَّث عن شخصية «يزيد» ذاتها.

بالتأمل والتدقيق في هذا الموضوع يظهر لنا أن اعتداء «يزيد بن معاوية» على الإمام الحسين عليه السلام والضغط الشديد الذي مارسه عليه إنّما يعود إلى ثلاث علل:

1 ـ سَعْيُ «يزيد» إلى تثبيت حكمه؛

2 ـ عُقْدَةُ النقص لدى «يزيد»؛

3 ـ رَغْبَةُ الانتقام في نفس «يزيد».

1 ـ سعي يزيد إلى تثبيت حكمه

حول هذه العلّة الأولى رُبَّ سائل يقول: أيُّ حاجةٍ كانت ليزيد أن يُصِرَّ كلَّ ذلك الإصرار على أخذ الإمام الحسين عليه السلام بالبيعة له لتثبيت حكمه؟ ألم تستقرّ ولاية العهد ليزيد بقوة الحراب وقوة المال الوفير لبيت المال؟[1] ألم يكن من الطبيعي ـ بعد موت «معاوية» ـ أن يجلس ابنُه ووَلِيُّ عهده على مسند الخلافة الإسلامية ويتسلم زمام الأمور؟ فأي ضرورة كانت أن يستعين يزيد بقوة السيف لأخذ موافقة الحسين بن علي عليه السلام ويجرّ على نفسه كلَّ تلك الفضائح والمصائب وسوء السمعة؟!

للإجابة عن هذا السؤال وتوضيح المسألة نقول:

لما كانت ولاية العهد قد أُخِذَتْ ليزيد تحت بريق السيف ولمعان الدينار والدرهم وفُرضت بذلك على المسلمين فرضاً ولم يكن الناسُ راضين عنها في قلوبهم؛ كانت أنظار

---

(1) انظر ابن الأثير الجزري (ـ 630هـ)، **الكامل في التاريخ**، ذكر البيعة ليزيد بولاية العهد، بيروت، دار صادر، 1386هـ/ 1966م. ج3، ص503 ـ 511.



الناس وأفكارهم قد اتجهت بعد موت معاوية ـ لا ريب ـ نحو الشخصيات الكبرى التي تتمتع بأهلية الخلافة، وكان جميع الناس يتمنّون أن يقوم شخصٌ لائقٌ كُفْءٌ بتسلم زمام السلطة وتغيير وجه الحكم وتبديل الملك الاستبدادي العضوض إلى حكومة عادلة.

ومن المعلوم أنَّ أوّلَ الشخصيات التي كانت تتداولُ الألسنُ اسمَه بعد موت «معاوية» شخصيةُ «الحسين بن علي عليه السلام».

كان الإمام الحسين عليه السلام في نظر المسلمين عظيماً ومُقَدَّساً إلى درجة أنهم لو كانوا أحراراً لانتخبوه للخلافة دون أي تردّد. وحتى لو لم يقبل الإمام الخلافة لنفسه وَارْتَأَى لها أيَّ شخصٍ آخر، لقبلت به أكثريتهم الساحقة، لأن الحسين بن علي عليه السلام علاوةً على كونه أهم شخصية موجودة في حينه من آل النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ)، كان يتمتَّع بأعلى درجة من الكفاية والدراية والشهامة وسعة النظر وعلو الهمة وسائر الصفات المطلوبة للحاكم اللائق، يعترف الصديق والعدو بعظمته وشخصيته المميَّزة.

ومما لا شك فيه أن مثل تلك الشخصية المميَّزة المقدَّسة لدى المسلمين لو قبلت خلافة «يزيد» وأقرَّت حُكْمَهُ لَتَبِعها معظم المسلمين في ذلك وبايعوا «يزيد» بالخلافة ومُهِّد الطريقُ لحُكْمه.

من هذا المنطلق أراد «يزيد»، أن يأخذ موافقة الإمام و لو جبراً وبالإكراه كي يتبعه سائر الناس في ذلك.

وهناك شواهد كثيرة تثبت عظمة الإمام الحسين عليه السلام حتى لدى أعدائه و عمَّال حكومة بني أميَّة القائمة نشير فيما يلي إلى بعض الأدلّة التاريخية على ذلك:

الإمام الحسين في نظر معاوية

في عهد ملك «معاوية» كتب عامله على المدينة «مروانُ بنُ الحَكَم» إليه كتاباً يحذِّره فيه من تحرُّكات مشتبه فيها - في نظره - للإمام الحسين عليه السلام وقال فيه: أما بعد، فإن «عمرو بن عثمان» ذكر أن رجالاً من أهل العراق و وجوه أهل الحجاز يَخْتَلِفُونَ[1] إلى «الحسين بن عليّ»، و ذكر أنه لا يأمن وُثُوبَهُ[2]... الخ

(1) أي يتردَّدون إليه ويلتقونه.

(2) أي قيامه بثورة ضدّ حكم معاوية.



فكتب «معاويةُ» إلى الإمام الحسين رسالةً يحذّره فيها من التفكير في الخروج وشقّ عصا الأمة وإيجاد الفتنة بين الناس . . . الخ،

فأجابه الإمام برسالة شديدةٍ مقرّعة نصحه فيها وذكّره بجرائمه العديدة فقال:

«أَمَّا بَعْدُ ـ فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ، تَذْكُرُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَكَ عَنِّي أُمُورٌ أَنْتَ لِي عَنْهَا رَاغِبٌ وَأَنَا بِغَيْرِهَا عِنْدَكَ جَدِيرٌ: فَإِنَّ الْحَسَنَاتِ لاَ يَهْدِي لَهَا وَلاَ يُسَدِّدُ إِلَيْهَا إِلاَّ اللهُ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ أَنَّهُ انْتَهَى إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّهُ إِنَّمَا رَقَاهُ إِلَيْكَ الْمُلاَقُونَ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمِ، وَمَا أُرِيدُ لَكَ حَرْباً وَلاَ عَلَيْكَ خِلاَفاً، وَأَيْمُ اللهِ إِنِّي لَخَائِفٌ لِـلَّهِ فِي تَرْكِ ذَلِكَ وَمَا أَظُنُّ اللهَ رَاضِياً بِتَرْكِ ذَلِكَ وَلاَ عَاذِراً بِدُونِ الإِعْذَارِ فِيهِ إِلَيْكَ وَفِي أَوْلِيَائِكَ الْقَاسِطِينَ الْمُلْحِدِينَ حِزْبِ الظَّلَمَةِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيَاطِينِ.

أَلَسْتَ الْقَاتِلَ «حُجْرِ بْنِ عَدِيٍّ» أَخَا كِنْدَةَ وَالْمُصَلِّينَ الْعَابِدِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُنْكِرُونَ الظُّلْمَ وَيَسْتَعْظِمُونَ الْبِدَعَ وَلاَ يَخَافُونَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ؟ ثُمَّ قَتَلْتَهُمْ ظُلْماً وَعُدْوَاناً مِنْ بَعْدِ مَا كُنْتَ أَعْطَيْتَهُمُ الأَيْمَانَ الْمُغَلَّظَةَ وَالْمَوَاثِيقَ الْمُؤَكَّدَةَ لاَ تَأْخُذُهُمْ بِحَدَثٍ كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ وَلاَ بِإِحْنَةٍ تَجِدُهَا فِي نَفْسِكَ!

أَوَلَسْتَ قَاتِلَ «عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ» صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْعَبْدِ الصَّالِحِ الَّذِي أَبْلَتْهُ الْعِبَادَةُ فَنَحِلَ جِسْمُهُ وَاصْفَرَّتْ لَوْنُهُ بَعْدَ مَا آمَنْتَهُ وَأَعْطَيْتَهُ مِنْ عُهُودِ اللهِ وَمَوَاثِيقِهِ مَا لَوْ أَعْطَيْتَهُ طَائِراً لَنَزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ، ثُمَّ قَتَلْتَهُ جُرْأَةً عَلَى رَبِّكَ وَاسْتِخْفَافاً بِذَلِكَ الْعَهْدِ!

أَوَلَسْتَ الْمُدَّعِيَ «زِيَادِ ابْنِ سُمَيَّةَ» الْمَوْلُودِ عَلَى فِرَاشِ عُبَيْدِ ثَقِيفٍ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ ابْنُ أَبِيكَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ»، فَتَرَكْتَ سُنَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَعَمُّداً وَتَبِعْتَ هَوَاكَ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ، ثُمَّ سَلَّطْتَهُ عَلَى الْعِرَاقَيْنِ يَقْطَعُ أَيْدِيَ الْمُسْلِمِينَ وَأَرْجُلَهُمْ وَيَسْمُلُ أَعْيُنَهُمْ وَيُصَلِّبُهُمْ عَلَى جُذُوعِ النَّخْلِ كَأَنَّكَ لَسْتَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ وَلَيْسُوا مِنْكَ؟!

أَوَلَسْتَ صَاحِبَ الْحَضْرَمِيِّينَ الَّذِينَ كَتَبَ فِيهِمْ ابْنُ سُمَيَّةَ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى دِينِ عَلِيٍّ عليه السلام فَكَتَبْتَ إِلَيْهِ أَنِ اقْتُلْ كُلَّ مَنْ كَانَ عَلَى دِينِ عَلِيٍّ! فَقَتَلَهُمْ وَمَثَّلَ بِهِمْ بِأَمْرِكَ، وَدِينُ عَلِيٍّ عليه السلام وَاللهِ الَّذِي كَانَ يَضْرِبُ عَلَيْهِ أَبَاكَ وَيَضْرِبُكَ، وَبِهِ جَلَسْتَ مَجْلِسَكَ الَّذِي جَلَسْتَ، وَلَوْ لاَ ذَلِكَ لَكَانَ شَرَفُكَ وَشَرَفُ أَبِيكَ الرَّحْلَتَيْنِ.



وَقُلْتَ فِيمَا قُلْتَ: انْظُرْ لِنَفْسِكَ وَلِدِينِكَ وَلِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ وَاتَّقِ شَقَّ عَصَا هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَنْ تَرُدَّهُمْ إِلَى فِتْنَةٍ: وَإِنِّي لاَ أَعْلَمُ فِتْنَةً أَعْظَمَ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ وَلاَيَتِكَ عَلَيْهَا وَلاَ أَعْظَمَ نَظَراً لِنَفْسِي وَلِدِينِي وَلِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَلَيْنَا أَفْضَلَ مِنْ أَنْ أُجَاهِدَكَ، فَإِنْ فَعَلْتُ فَإِنَّهُ قُرْبَةٌ إِلَى اللهِ وَإِنْ تَرَكْتُهُ فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِدِينِي وَأَسْأَلُهُ تَوْفِيقَهُ لِإِرْشَادِ أَمْرِي.

. . . .

. . . . . فَأَبْشِرْ يَا مُعَاوِيَةُ بِالْقِصَاصِ وَاسْتَيْقِنْ بِالْحِسَابِ وَاعْلَمْ أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى كِتَاباً لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصاها، وَلَيْسَ اللهُ بِنَاسٍ لِأَخْذِكَ بِالظِّنَّةِ وَقَتْلِكَ أَوْلِيَائَهُ عَلَى التُّهَمِ وَنَفْيِكَ أَوْلِيَائَهُ مِنْ دُورِهِمْ إِلَى دَارِ الْغُرْبَةِ، وَأَخْذِكَ لِلنَّاسِ بِبَيْعَةِ ابْنِكَ غُلاَمٍ حَدَثٍ يَشْرَبُ الْخَمْرَ وَيَلْعَبُ بِالْكِلاَبِ، لاَ أَعْلَمُكَ إِلاَّ وَقَدْ خَسِرْتَ نَفْسَكَ وَتَبَّرْتَ دِينَكَ وَغَشَشْتَ رَعِيَّتَكَ وَأَخْرَبْتَ أَمَانَتَكَ وَسَمِعْتَ مَقَالَةَ السَّفِيهِ الْجَاهِلِ وَأَخَفْتَ الْوَرِعَ التَّقِيَّ لِأَجْلِهِمْ ـ وَالسَّلاَمُ.».

فَلَمَّا قَرَأَ مُعَاوِيَةُ الْكِتَابَ، قَالَ: لَقَدْ كَانَ فِي نَفْسِهِ ضَبٌّ مَا أَشْعُرُ بِهِ.

فقال «يزيد» لأبيه: «يا أمير المؤمنين! أَجِبْهُ جواباً تُصغِّر إليه نفسَه وتذكِّر فيه أباه بِشَرٍّ فعله!!»؛ فرفض «معاوية» ذلك وأجاب ابنه قائلاً: «. . . ما عسيتُ أن أعيب حسيناً، و والله ما أرى للعيب فيه موضعاً!!»(1).

فشهد «معاوية» في خَلْوة قصره ومجلسه الخاص مع «يزيد» بعظمة الحسين عليه السلام.

الحسين في نظر والي المدينة

لما مات «معاويةُ» وكتب «يزيدُ» إلى واليه على المدينة «الوليدِ بن عتبة بن أبي سفيان» أن يأخذ الحسين عليه السلام بالبيعة له ولا يرخِّص له في التأخُّر عن ذلك، أَنْفَذَ الوليدُ إلى الحسين عليه السلام في الليل فاستدعاه . . . و قرأ عليه كتابَ «يزيد» وما أَمَرَهُ فيه من أخذ البيعة منه له، فقال له الحسين: إني لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سرّاً حتى أبايعه

(1) انظر تفصيل ذلك في رجال الكشي، ص 48 ـ 52. ورويت الرسالة بألفاظ قريبة في كتاب **الإمامة والسياسة**، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق د. طه محمد الزيني، القاهرة، د.ت.، ج1، ص 155 ـ 157.



جهراً فيعرفُ الناس ذلك. فقال الوليد له: أجل! فقال الحسين عليه السلام: فتصبح و ترى رأيك في ذلك. فقال له الوليد انصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس. فقال له مروان بن الحكم: و الله لئن فارقك الحسين الساعة و لم يبايع لا قَدِرْتَ منه على مثلها أبداً حتى يكثر القتلى بينكم وبينه، احبِس الرجل فلا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه. . . .

فقال الوليد لمروان: «**الويح لغيرك يا مروان إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني! والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس و غربت عنه من مال الدنيا وملكها وأني قتلت حسيناً. سبحان الله! أقتل حسينا أن قال لا أبايع؟! والله إني لأظن أن امرأ يُحاسَبُ بدم الحسين خفيف الميزان عند الله يوم القيامة.**»[1].

الحسين في نظر شَبَث بن رِبْعِيّ

كان شَبَث بن رِبْعِيّ ممن دعا الإمام الحسين عليه السلام في البداية إلى النهوض، ولكن ابن زياد أرسله بعد ذلك إلى حرب الإمام وجعله من قادة جيش ابن زياد!.

ويتذكر شَبَث بن رِبْعِيّ زمن إمارة مصعب بن الزبير ـ بعد عدة سنوات من واقعة كربلاء ـ تلك الفاجعة فاجعة عاشوراء فيقول بكلِّ حسرة وندم: «**لا يعطي اللهُ أهلَ هذا المصر خيراً أبداً ولا يسدِّدهم لرشدٍ. ألا تعجبون أنّا قاتلنا مع عليِّ بن أبي طالب ومع ابنه من بعده آل أبي سفيان خمس سنين، ثم عَدَوْنا على ابنه وهو خير أهل الأرض نقاتله مع آل معاوية وابن سمية الزانية!! ضلالٌ يالك مِنْ ضلال**»[2]

الحسين في نظر عمر بن سعد

كان عمر بن سعد يقول بعد واقعة كربلاء بكل ألم وحسرة: «**ويح نفسي أطعتُ الفاسق ابن زياد الظالم ابن الفاجر وعصيت الحاكم العدل!**»[3].

---

(1) الشيخ المفيد، الإرشاد، ج 2، ص 32 ـ 33.

(2) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ـ 311هـ)، تاريخ الأمم والملوك (القاهرة، مطبعة الاستقامة، راجعه وصحَّحه نخبة من العلماء الأجلاء، 1358هـ/ 1939م) قوبلت على النسخة المطبوعة بمطبعة «بريل» في مدينة «ليدن» 1879م، ج 4، ص332.

(3) انظر: سبط ابن الجوزي (ـ 654هـ)، تذكرة الخواص، ص259.



تأمُّل

عندما يُطرح كلامٌ عن شخصية الحسين بن علي عليه السلام في قصر معاوية الخاص ولا يجد معاوية في الإمام الحسين أي موضع للعيب، أي لا يجد فيه أي نقطة ضعف يأخذها عليه،

وعندما لا يكون في نظر والي المدينة لِكلِّ مالِ الدنيا وملكها وكل ما طلعت عليه الشمس وغربت قيمةٌ بقدر شخصية الحسين بن علي عليه السلام،

وعندما يكون الحسين بن علي عليه السلام في نظر شَبَث بن رِبْعي (القائد العسكري ذي الرتبة العالية في جيش عمر بن سعد) «خير أهل الأرض»،

وعندما يكون الإمام الحسين في نظر عمر بن سعد حاكماً عادلاً طاعته واجبة توجب السعادة؛

فإنّه لمن المسلّم به وللحسين هذه الصورة في نظر المسلمين وطلاب الحرية المتعطّشين إلى الحقّ والعدالة، أن يأخذ بيده زمام أمور الحكم ـ عندما تتوافر له الظروف المساعدة ـ لتتمتع سائر طبقات الناس بعدل الإسلام وبحقوقها الكاملة في ظل حكمه، إذْ إنَّه الرجلُ الوحيدُ الذي يستطيع، بفضل قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وأهليته الشخصية وشعبيَّته والحب العميق الذي له في صدور الناس، أن ينهض بهذا العبء.

من هذه المقدمات أصبح معلوماً أن اسم الحسين بن علي عليه السلام كان على رأس ألسن الأصدقاء والأعداء في جميع أنحاء بلدان العالم الإسلامي الواسع، بوصفه أعظم شخصية في عالم الإسلام وأكثر زعماء آل بيت رسول الله أهليةً للقيادة، وكان حديثُ الناس يدور عن جلالة قدره ومكانته وأهليته لمنصب الخلافة وما له من شعبية، وكلُّ مؤمن بالإسلام ونبيِّ الإسلام كان يُكِنُّ للحسين كلَّ حبٍّ وإجلال.

بهذا يبدو واضحاً لماذا لم يكن يزيد بن معاوية يتحمل وجود مثل تلك الشخصية الكبيرة والقوية بعد وفاة أبيه، ولماذا سارع فور وفاة أبيه، وقبل أن ينتشر خبر موت معاوية في كل مكان، إلى توجيه رسالة إلى عامله على المدينة يأمره فيها بأخذ البيعة له من الإمام الحسين عليه السلام [1].

---

(1) الطبري، **تاريخ الطبري**، ج4، ص250، والشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص179.



أراد ابنُ معاوية الغطريس من خلال فرض خلافته على الإمام الحسين عليه السلام أن يضرب عصفورين بحجر واحد: أن يُبعد عن الساحة منافساً قوياً جداً، وأن يحول دون طوفان أفكار عامة الناس ومشاعرهم تجاه الحسين بن علي عليه السلام، وأراد بكل ذلك، وفي بداية خلافته، أن يُمَكِّنَ أساس حكمه اللاإسلاميّ، ويُثبّت سلطانه.

2 ـ عقدة النقص لدى يزيد

الكلُّ يعلم أن الوصول إلى المناصب السياسيّة لا يكون دوماً مستنداً إلى الأهلية والكفاءة، بل كثيراً ما يتبوَّأُ أفرادٌ غير أكفاء مقاماً سياسياً باستخدام طرائق ملتوية كالتنكُّر للحق والمؤامرات والرشوة وسفك دماء الأبرياء، يصلون بها إلى السلطة ويصبحون من الشخصيات المهيبة.

ولكن بما أن تلك المكانة والاقتدار لا يستندان إلى أساس واقعيٍّ ولا أهلية حقيقية وليسا سوى مكانَة مزوَّرة وقوَّة زائفة فسرعان ما يزولان بزوال عوامل الجَبْر والإكراه.

ولا بدَّ أن صاحب مثل هذه المكانة الكاذبة والشخصية الزائفة يدرك جيّداً في قرارة نفسه أن لا مكان له في قلوب الناس وأنه لا يستطيع بممارسة الضغط والإكراه أن يستجلب محبَّتهم، وهذا الأمر يؤرّقه و يعذّبُه، خصوصاً وهو يرى أمامه شخصيةً علميةً وسياسيةً كبيرةً كالحسين بن علي لها مكانة عظيمة في أعماق قلوب الناس؛ فلنا أن نتصوَّر إلى أي درجة تتعاظم عقدة النقص لديه وتعذّبه.

كان أبو جعفر المنصور الدوانيقي الخليفة العباسي السفاح يقول عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: **«هذا الشجى المعترض في الحلق»**[1].

منذ أن فتح يزيد بن معاوية عينيه على الدنيا وعرف شماله من يمينه، كان يسمع اسم الإمام الحسين عليه السلام مترافقاً دوماً بالكثير من الفضائل والمناقب.

بل قبل أن تنعقد نطفة يزيد كان الحسين بن علي عليه السلام صاحب مكانة كبيرة وشخصية بارزة ومقام شامخ لدى جميع المسلمين ويكفي أن الناس يعرفونه وأخاه

(1) المجلسي، بحار الأنوار، ج11، ص154، الطبعة الحجرية القديمة.



الحسن المجتبى بوصفهما ـ كما جاء على لسان نبيهما صلى الله عليه وآله ـ **سيّدا شباب أهل الجنة**[1].

لقد أدرك يزيد بن معاوية جيداً منذ سنوات عديدة أن الإمام الحسين عليه السلام يتمتّع بشعبيةٍ وحبٍّ عميق الجذور لدى طبقات الناس المختلفة. كما كان يدرك جيداً عظمة مقام والد الإمام الحسين عليه السلام والمقام الكريم لأمه فاطمة الزهراء.

والأهم من كل ذلك أنه كان يعلم أن تلك النهضة العظيمة لدين الإسلام التي منحت المسلمين كل تلك المواهب إنما تمت على يدي جدِّ الإمام الحسين خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وأثمرت ثمارها بفضله وفضل تضحيات (عليٍّ) أبي الحسين.

وكان «يزيد» يعلم أن أسرة بني أمية حاربت الإسلام أكثر من عشرين عاماً ثم استسلمت يوم فتح مكة لقوة جيش الإسلام، وعندها أطلق نبيُّ الإسلام بعفوه ورأفته سراحَ جدِّه وأبيه وغيرهما من بني أمية الذين أصبحوا يوم فتح مكة أسرى تحت رحمة الإسلام فعفا عنهم النبيُّ صلى الله عليه وآله وَعُرِفوا منذ ذلك اليوم باسم «**الطُّلَقَاء**».

وكان يعلم أيضاً أن ذلك الاقتدار وتلك المكانة الكاذبة التي نالها أبوه ونالها هو من بعده لم تتحقق إلا تحت لواء الإسلام وباسم الإسلام.

كان «يزيد» الشاب الذي جلس حديثاً على كرسي الحكم بعد أبيه يدرك جيداً طوال سنوات عمره ما لدى الحسين من محبَّة ومعزَّة في أعماق قلوب المسلمين، محبَّة تستند إلى فضائله وجلال قدره لا يمكنه انتزاعها فهي لم تأتِ رغبةً في مال أو طمعاً في جاه بل دِيْنٌ مستقرٌّ في نفوسهم فهو علاوة على عظمته، حفيد نبيِّهم الكريم وحبيبه... فأيُّ أمل تبقَّى ليزيد في محبَّتهم وتعاطفهم وهما لا يشتريان بمال و لا بعزٍّ... كلُّ ما لديه ومَنْ حولَه عبيد مالٍ و طمع لا محبَّة له في قلوبهم إلا بقدر ما يبذل لهم من مال ويمنح من عطاء... فلا عجب أن يشعر هذا الشابّ الغِرّ ذو الثلاثة والثلاثين عاماً من

(1) انظر الخوارزمي، **مقتل الحسين**، ج1، ص92. (المؤلف). قلتُ (المُتَرْجِمُ): حديث **الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة** رواه الترمذي في سننه (رقم 3768، وقال حسن صحيح) وأحمد بن حنبل في مسنده (3، 64 و5، 361)، وأورده السيوطي ضمن الأحاديث المتواترة في كتابه «**الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة**»، وكذلك حكم بتواتره المحدث محمد بن جعفر الكتاني في كتابه «**نظم المتناثر من الحديث المتواتر**»، ص 207 ـ 208. (المُتَرْجِمُ)



العمر بالحقد والغيرة وانعدام الحيلة والضغينة أمام الحسين أكبر شخصية علميَّة وروحيَّة وسياسيَّة من آل بيت الرسالة. . .

شب پره گر وصل آفتاب نخواهد رونق بازار آفتاب نكاهد

(إنْ لم يرغب خُفَّاش الليل في وصال الشمس لم ينقص هذا من رونق الشمس)

إنها عقدة النقص والحقارة التي أدمت قلب ابن معاوية وأزعجت فكره وعذّبت نفسه كغدّة سرطانية. كان الحسين ـ كما قال المنصور بحقّ الإمام الصادق ـ **شوكةً في حلق يزيد.**

بعض الذين يعانون عقدة النقص والحقارة يُسَكِّنُون عقدتهم بالبكاء والعذاب النفسيّ وبعضهم يسكِّنُها بالانتحار. والذين يمتلكون السلطة والقدرة يسعون من خلال قوة السلاح أن يفكُّوا هذه العقدة المؤلمة. وقد اختار يزيد بن معاوية هذا الطريق الثالث الذي هو أسفه الطرق الثلاث!.

الدليل على ما قلناه

يمكننا أن نقف على عقدة النقص لدى يزيد مما قاله بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام عندما وُضع الرأس الشريف أمامه فنظر إليه وقال ـ محاولاً أن يقلِّلَ من قدر الإمام ـ :

«يفلّقن هاماً من رجالٍ أعزَّةٍ علينا وهم كانوا أعقَّ وأظْلَمَا

ثم قال: أتدرون من أين أُتِيَ هذا؟ قال: أبي عليٌّ خيرٌ من أبيه وأمي فاطمةُ خيرٌ من أمه وجدّي رسولُ الله خيرٌ من جدّه وأنا خيرٌ منه وأحقُّ بهذا الأمر منه. فأمَّا قوله: أبوه خيرٌ من أبي فقد حاجَّ أبي أباه وعلِم الناس أيُهما حُكِمَ له[1]! وأمَّا قوله: أمّي خيرٌ من أمه فلعمري فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله خير من أمّي. وأما قوله: جدّي خير جدِّه فلعمري ما أحدٌ يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله فينا عدلاً ولا ندّاً، ولكنّه إنّما أُتِيَ مِنْ قِبَلِ فقهه ولم يقرأ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ

(1) لما أعطى أبو موسى الأشعري في قضية التحكيم رأيه ضد أمير المؤمنين عليه السلام في حين أعطى عمرو بن العاص رأيه لمصلحة معاوية اعتبر «يزيد» هذا دليلاً على تفوق معاوية على علي عليه السلام، هذا ولما كان أهالي الشام قد عاشوا عشرين عاماً سالفةً تحت وطأة الدعاية المتواصلة المعادية لعليّ عليه السلام، كان كافياً لإضلال الناس أن يذكّرهم «يزيد» بقضية التحكيم ويجعلها دليلاً على عُلُوِّ معاويةَ على أمير المؤمنين عليه السلام!.



ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران/ 26][1].

لم يكن أمام يزيد بن معاوية تجاه شخصيةٍ بعظمة جدّ الحسين وأمام عظمة ومحبوبية أمه سوى التسليم والاعتراف، ولا غرو فهو يُكَلِّم المسلمين، وكلُّ مسلم مؤمن برسول الله لا يملك إلا أن يحب ابنته فاطمة سلام الله عليها. وتلك هي بالذات عقدة النقص التي كان يُحِسُّ بها ابن معاوية أمام نبيِّ الإسلام العظيم وبيت النبوة الكريم وتجاه شخصية الحسين بن علي عليه السلام.

كان ابن معاوية يعلم أن الإمام الحسين عليه السلام إضافة إلى فضائله النفسية إنما هو ثمرة من ثمار شجرة الرسالة، لذا لم يكن أمامه من مندوحة سوى أن يَذْكُرَ جدَّ الحسين وأمَّه بالعظمة وأن يُجري هذا الاعتراف المرّ على لسانه رغم أنه أشدّ مرارةً على قلبه من العلقم. فكانت عقدة النقص المؤلمة هذه في صدر ابن معاوية تنعكس بمثل ذلك الإقرار والاعتراف الذليل.

ولكنه كي يسكّن عذابه النفسي إلى حدّ ما وَيَـحْرِفَ أفكار الناس عن شخص الإمام الحسين ج تَشبّث بآيةٍ من القرآن فقال إن الحسين أُتِيَ من عدم فقهه لقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾، مرحى! يزيد بن معاوية أيضاً أصبح مفسّراً للقرآن ومدركاً لمعاني كتاب الله بشكلٍ ممتاز! أما سبط النبي صلى الله عليه وآله الذي تربَّى في بيت الوحي والتنزيل فلا علم له بمعانيه!!!

منطق يزيد بن معاوية أن كل من امتلك السيف وتمكّن من التسلُّط على الناس وحَكَمَهُم بسلب حرياتهم وسفك دماء أبريائهم، فإنّ اللهَ عونُه ومددُه وإن الله هو الذي منحه هذا الملك، والقرآن شاهد على ما يقول!!.

تأمّلوا جيّداً وبدقّة: بعد إقرار «يزيد بن معاوية» بعظمة رسول الله وفاطمة الزهراء عليهما السلام، لم يستطِع أن يقول عن شخص الحسين بن علي عليه السلام: إنه شخصية غير محبوبة، ولا أن يقول إنه ليس ابن النبيّ وفاطمة، ولا أن ينكر سوابق الإمام

(1) تاريخ الطبري، ج 4، ص 355.



المشرقة ومناقبه المتألّقة وشمائله الأخلاقية، وهذا الأمر بالذات هو الذي كان يخلق في نفسه عقدة النقص، فَلِكَيْ يَـحْرِفَ أفكار الناس ويضلّلها يعمد إلى قولٍ مؤدَّاه ما يلي: «بما أنني أستطيع باستخدام أموال بيت مال المملكة وقواتها العسكريّة المؤلّفة من عامّة الناس أن أقتل ابن النبيّ وأهل بيته وأصحابه فهذا دليل على أن الله أراد أن يعطيني الملك والحكم، أما الحسين بن علي عليه السلام فلم يستطع أن يفهم هذا الأمر! لأنه كان يقول إنه أفضل من يزيد بن معاوية ولم يفقه أن الله يؤتي الحكم من يشاء لذا قُتِل وأُتِـيَ برأسه مع أسرته أمامي «فهذا هو الذي قتله»!!»[1].

نتيجة كلام يزيد بن معاوية أنه: يجب التضحية بجميع الشخصيات العظيمة وصاحبة الجدارة والكفاءة وبجميع رجال العلم والفضيلة وبجميع الفضائل المعنوية والأخلاقية وبجميع الحريات الفردية والاجتماعية وبجميع الأفكار الحيّة والقيّمة في مذبح شهوات حفيد هند آكلة الأكباد. لأن الله أراد أن يؤتيه الملك!!![2]

أراد «يزيد» بهذا المنطق السخيف والمبتذل أن يغطي على عقدة النقص لديه وفي الوقت ذاته أن يحرف أفكار الناس عن الحسين بن عليّ عليه السلام.

إن ابن معاوية يقول: أنا أفهم القرآن و الحسين بن عليّ عليه السلام لا يفهمه، وما يدعم هذا المنطق الصحيح جداً هو قوة سيفي وجُندي!

3 ـ الرغبة في الانتقام لدى يزيد

يُظهر التاريخ أنه كانت هناك منافسةٌ ومخاصمةٌ منذ ما قبل الإسلام بين بني أمية وبني هاشم ـ وكلاهما من أسرة بني عبد مناف ـ، وقد اشتدّت هذه المنافسة مع طلوع فجر الإسلام، فلما كان نبيّ الإسلام من بني هاشم، بذل بنو أميّة كلَّ ما في وسعهم لإطفاء نور دعوته، التي ارتفع بها ـ بالطبع ـ شأن بني هاشم.

كان أبو سفيان صخر بن حرب هو الذي تولى قيادة منازعة بني هاشم ومحاربتهم

(1) الخوارزمي، مقتل الخوارزمي، ج2، ص57.

(2) تنتهي سلسلة العلل إلى الله تعالى وتعمل عملها وتؤثّر أثرها بإذنه ولكن هذا لا يتنافى مع حقيقة أن يزيد وأباه استوليا على الحكم بسوء اختيارهما وبإراقتهما للدماء وجلسا على كرسي الحُكم ظلماً و زوراً وتنكُّراً للحق.



عقب ظهور الإسلام وقد تحوَّل هذا النزاع شيئاً فشيئاً إلى حربٍ ضروسٍ ضدّ الإسلام قادها أبو سفيان بالتحالف مع سائر قبائل مشركي العرب بغية القضاء على ذلك الدين الجديد، مع فرق أن أبا سفيان وسائر بني أمية كان لهم دافعان لمحاربة الإسلام:

1 ـ الدفاع عن الشرك.

2 ـ منافسة بني هاشم، الذين برز نبيُّ الإسلام بينهم سياسيّاً.

لذلك كان عداءُ أبي سفيان وأسرته لنبيِّ الإسلام أشدَّ من عداء بقية المشركين.

لقد بذلت أسرة بني أمية جهوداً حثيثة لإطفاء نور الإسلام وتعرَّضت في هذا السبيل إلى خسائر في الأموال والأرواح، إلى حدّ أنه في معركة بدر قُتل ابنُ أبي سفيان كما قُتِلَ أبو زوجته وأخوها وعمُّها، وبذلك تلقّى أبو سفيان وزوجتُه هند آكلة الأكباد صفعةً قويّةَ من الإسلام أثار ألمها مزيداً من العداء في صدرهما تجاه نبيّ الإسلام، وأوجد لدى أسرة أبي سفيان رغبةً دفينةً في الانتقام إضافةً إلى المنافسة السياسيّة.

وما التصرُّف الوحشي الذي قامت به «هند» زوجة أبي سفيان في معركة أحد عندما بقرت بطن عم النبيّ حمزة بن عبد المطلب وأخرجت كبده ولاكته، إلا دليلٌ واضحٌ على مدى الحقد والتعطُّش إلى الانتقام من قائد الإسلام وصاحب دعوته في صدر تلك الأسرة.

ولكن التقدم العظيم الذي حققه الإسلام لم يعط لأسرة أبي سفيان مجالاً للانتقام من نبيِّه، وفي النهاية وعندما فُتِحت مكة، استسلمت أسرة أبي سفيان، كسائر المشركين، للإسلام.

ومنذ ذلك الزمن بقيت الرغبة في الانتقام كامنةً كالنار تحت الرماد في صدور تلك الأسرة، لكن أفرادها لم يكونوا يجرؤون على محاربة الإسلام علناً وكانوا مضطرين إلى التظاهر بالإسلام.

وبقي الأمر كذلك إلى أن وصل عثمان الذي ينتمي إلى الأسرة الأموية السفيانية، إلى سدّة الخلافة بعد ثلاثة عشر عاماً من رحلة رسول الله صلى الله عليه وآله، وتحقق بذلك الأمل الذي انتظرته تلك الأسرة طويلاً.



ومنذ ذلك العهد بدأ معاوية بن أبي سفيان الذي كان قد عُيِّنَ والياً على الشام زمن خلافة عُمَر ببذل كل ما أوتي من وُسْع لترسيخ سلطته والتأسيس لحكمه المستقبلي.

وبعد معركة الجمل زمنَ حكومة أمير المؤمنين علي عليه السلام، أوقدَ معاويةُ نار حربِ صفين بدعوى المطالبة بدم عثمان مما أودى بحياة آلاف المسلمين، وانتهت المعركة بالتحكيم الذي جعل معاويةَ الخليفةَ الذي انتخبه عمرو بن العاص!.

وبعد استشهاد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ومصالحة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام لمعاوية خلا الجو كاملاً لابن أبي سفيان الذي تسلم حكم بلاد الإسلام دون معارض.

من البديهي أنه كانت تدور داخل قصر معاوية أحاديث عن الحوادث التاريخية الماضية والصفعات التي تلقاها بنو أمية من الإسلام. وكان يزيد بن معاوية يسمع من أبيه قصص تلك الحوادث الماضية ويشتعل قلبه حقداً على الإسلام.

كانت واقعة بدر أكثر الحوادث التي مرّت على أسرة بني أمية مرارةً بعد ظهور الإسلام، إذ قُتل فيها ـ كما ذكرنا ـ أخو معاوية وخاله وجدُّه لأمّه، وكان لأمير المؤمنين عليه السلام يدٌ بارزةٌ في قتلهم.

وقعت معركة بدر قبل حوالى 23 عاماً من ولادة يزيد بن معاوية وقد سمع يزيد، منذ أن فتح عينيه على الدنيا وحتى وصوله إلى سدّة الحكم، قصتها مراراً، وكلما سمعها كان الحقد يزداد قوّةً في صدره تجاه نبيِّ الإسلام وآل بيته.

وبديهي أن وصول يزيد إلى السلطة وتسلمه زمام الحكم منحه أفضل فرصة لينتقم من أسرة النبي صلى الله عليه وآله، وكان الحقد الكامن في صدره تجاه نبي الإسلام يدفعه إلى هذا الانتقام أكثر فأكثر.

لقد انعكس ذلك الحقد وتلك الرغبة في الانتقام، بشكل واضح، في الأشعار الشهيرة التي تمثَّلَ بها يزيد بن معاوية بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام. فعندما وُضع الرأس الشريف للحسين أمامه جعل يتمثَّل بأبيات ابن الزِّبَعْري ويقول:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا   جزع الخزرج من وقع الأسل

قد قتلنا القوم من ساداتهم   وعدلناه ببدر فاعتدل

ثم أضاف «يزيد» من عنده ثلاثة أبيات أخرى فقال:



لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء و لا وحي نزل

قد أخذنا من علي ثأرنا وقتلنا الفارس الليث البطل[1]

بهذا أماط ابن معاوية اللثام عن تلك الرغبة الكامنة لديه في الانتقام وعن حقده الدفين الذي كان يأكل صدره تجاه نبيّ الإسلام.

أصبح معلوماً مما ذكرناه من البداية حتى الآن أن العلل والعوامل المتعلقة بيزيد التي أدّت إلى هجومه وعدوانه على الحسين بن علي عليه السلام ثلاثةُ أمور:

1 - سعيُ يزيد إلى تثبيت حكمه.

2 - عقدةُ النقص لدى يزيد.

3 - الرغبةُ في الانتقام لدى يزيد.

دوافع وأسباب الثورة المتعلّقة بالإمام

ينبغي الآن أن ندرس دوافع الثورة من ناحية الحسين بن علي عليه السلام؛ فمن البديهي أن الإمام الحسين عليه السلام تعرّض للهجوم واعتداء النظام الحاكم لأنه رفض الاعتراف بخلافة يزيد، وتلا ذلك اتجاهه نحو تشكيل الحكومة وإعادة الخلافة الإسلامية إلى أهلها ومركزها. لذا يجب أن نعلم هنا لماذا لم يبايع الإمام يزيد؟ ولماذا اتجه نحو تشكيل الحكومة؟

لماذا رفض الإمام مبايعة يزيد؟

يجب أن نعلم في البداية أن إيمان الحسين بن علي عليه السلام بالإسلام إيمانٌ راسخ تمتدُّ جذوره إلى أعماق قلبه وتلامس أعمق نقطة في روحه، فلقد رضع الإمام محبة الإسلام مع حليب أمه فاختلطت تلك المحبة بلحمه وعظمه، ولا سبيل لنزعها منه إلا أن تُنْزَعَ رُوحُهُ.

(1) مقتل الخوارزمي، ج2، ص59، قال بعض المحققين إن البيتين الأول والثالث من هذه الأبيات الثلاثة الإضافية لم يقلهما يزيد وإنما نُسبا إليه بوصفهما يمثلان لسان حاله.



لقد تربّى في حجر الإسلام ونشأ في مهد الرِّسالة ونهل في بيت النُّبُوَّة من حقائق الإسلام وارتوى من أحكامه وتشريعاته حتى اختلطت بدمه وروحه.

يؤمن الحسين بن علي عليه السلام أن عالم الإنسانية لا غنى له عن الإسلام وأن دين الإسلام يجب أن يعمّ الدنيا ويقود البشرية إلى حياة كاملة وإنسانية، وبالتالي فكلُّ عمل يسيء إلى الإسلام على نحو مباشر أو غير مباشر ويحول دون تقدّمه، كبيرةٌ من الكبائر التي لا تُغتفر.

كان الحكم القائم يريد من الإمام ـ تحت ضغط القوة والسيف ـ أن يبايع يزيد بالخلافة لكي تغْدُوَ خلافَته شرعيّةً وإسلاميّةً فَيَتْبَعُهُ في ذلك سائرُ الناس.

كانت هناك عدة أسباب تمنع الإمام الحسين عليه السلام من أن يعطي الشرعية لخلافة «يزيد»:

1 ـ كان ذلك كذباً صريحاً والإمام لا يكذب.

2 ـ كان ذلك العمل مخالفاً لضمير الإمام ووجدانه والإمام لا يستطيع أن يقوم بعمل ضدَّ ضميره و وجدانه.

3 ـ كان ذلك العمل معاونة على الإثم والعدوان، لأن فَرْضَ خلافة يزيد بالقوة عدوانٌ على حقوق الناس وحقهم في انتخاب الخليفة الذي يريدونه وقد نهى القرآن الكريم صراحةً عن المساعدة على الإثم والعدوان فقال: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة/ 2]

4 ـ كان تصويب الإمام لخلافة «يزيد» مع قدرته على الامتناع عن ذلك إضلال للناس لأن الناس عندئذٍ سيقولون: بما أن الإمام الحسين عليه السلام كان بإمكانه أن لا يصادق على خلافة «يزيد» ولكنه لم يفعل بل صادق عليها وحكم بصحَّتها فهذا دليل على أن خلافته شرعيّةٌ وإسلاميَّة صحيحةٌ.

5 ـ كان تصويبُ خلافة «يزيد» ضربةً غير مباشرة للإسلام، لأن حكومة «يزيد» ـ كما تبيَّن ذلك عملاً فيما بعد ـ ضحَّت بالإسلام فداءً لنزوات الخليفة، ولم يكن بوسع الإمام أن يكون شريكاً في توجيه ضربة إلى الإسلام بشكل غير مباشر بقبوله خلافة «يزيد» التي يُراد فرضها بالجبر و الإكراه.

6 ـ قبول خلافة «يزيد» سيسلب الإمام إمكانيةَ أي حركة إصلاحية لأن الإمام



سيضطر عندئذٍ إلى الوفاء بعهده وبيعته وفي هذه الحالة سيتحتّم عليه أن يجلس ويشاهد بأم عينيه كيف تُنتهكُ أحكام الإسلام في الوقت الذي كان يمكنه القيام بثورة إصلاحية تحول دون ذلك.

لهذه الأسباب مجتمعةً لم يكن في وسع الإمام الحسين عليه السلام أن يقبل خلافة «يزيد» المعادية للإسلام ويعلن شرعيتها.

لماذا اتّجه الإمام الحسين عليه السلام إلى إقامة الحكومة الإسلامية؟

كان فساد الحكم الأموي السفياني مِثل المرض المزمن المهلك الذي يهدد بالسقوط المادي والمعنوي لدولة الإسلام الكبيرة، وكانت حكومة معاوية المفروضة على المسلمين تنتهك أحكام الإسلام واحداً تلو الآخر وقد أوجدت بسلبها للحريات الفردية اختناقاً شديداً في المجتمع لا يمكن تحمّله، كما استغلّت أسوأ استغلال القوى البشرية والمالية للناس.

لم يكن هناك خبر عن العدل ولا عن الحرية ولا عن برامج الإسلام الإصلاحية. ومن الناحية الأخرى كانت سلطة حكم معاوية قوية إلى درجة لا تسمح بثورة ضدّها.

كانت مثل تلك الأوضاع المؤسفة التي تخبِّئ وراءها مستقبلاً أشد ظلماً توجب ظهور حركة تحرير بعد موت معاوية تقوم بإقامة حكم إسلاميٍّ قويٍّ يعيد الخلافة الإسلامية إلى أهلها ويحقِّق تحوُّلاً عميقاً وشاملاً في دولة الإسلام المتعطِّشة إلى الإصلاحات الفوريّة كَي يتمّ بذلك إحياء أحكام القرآن الكريم وتحقيق أمنية نبيِّ الإسلام صلى الله عليه وآله بالتطبيق العملي لتشريعات الإسلام وتعاليمه في المجتمع وحياة الناس.

ومن البديهيّ أن مثل حركة التحرير هذه يجب أن تتم في الدرجة الأولى على يدي رأس آل بيت الرسالة الحسين بن علي عليه السلام الذي يعترف الصديقُ والعدوّ بأهليّته وجدارته وشعبيته.

لكن الإمام كان ينتظر وفاة معاوية كي تُتَاح الفرصة المناسبة للقيام بذلك التغيير الإصلاحي الذي طال انتظاره، واليوم رحلَ معاوية بن أبي سفيان عن الدنيا وانتهى وقت الانتظار.



مات معاوية ولكن قبل أن يقوم الحسين بن علي عليه السلام بالنهوض والتحرك نحو إقامة حكومة جديدة وُضع الإمام تحت الضغط والملاحقة لتؤخذ منه البيعة ليزيد قَسْراً، وكان الأمر شديداً وجدّيّاً إلى درجة أنه سلب الأمن على النفس وحصانة الدم عن الإمام.

قبل أن يُؤخَذَ الإمام وتُنْزَعَ منه أيّة إمكانية للقيام بثورة إصلاحية، انطلق مهاجراً ليلاً إلى مركز عالم الإسلام: مكّة المكرّمة.

وقد أدّى تَشدُّد حكومة «يزيد» ذاك، وحركةُ الإمام في مواجهته، إلى إثارة الرأيَ العامّ أكثر، مِمَّا هيّأ أرضيّة النهوض والثورة على نحو أفضل.

استغاثة الناس

كما أصرّ المتعطّشون إلى العدالة على أمير المؤمنين علي عليه السلام أن يدخل ميدان السياسة، بعد مقتل عثمان، وطلبوا منه بشدّة ومراراً أن يأخذ زمام أمور دولة الإسلام بيديه[1]، كذلك قام المسلمون المتعطشون إلى العدالة، الذين عانوا عشرين عاماً من وطأة استبداد معاوية حتى بلغ منهم الضيق والسأم مبلغهما، بالاتجاه نحو الحسين بن علي عليه السلام بعد موت معاوية وحركة الإمام الحسين عليه السلام إلى مكة، طالبين منه أن يقبل قيادة أمورهم وينقذ المسلمين من براثن الظلم والاستبداد.

كان صوت استغاثة المشتاقين إلى العدالة من أهل الكوفة يخرج من أعماق أرواحهم المظلومة وقد أثار موجةً من الهيجان الممتزج بالأمل في العراق امتدَّت اهتزازاتها بعد ذلك إلى الحجاز.

أوصل أهل الكوفة صوت استغاثتهم إلى مسامع الإمام الحسين عليه السلام عبر رُسُلِهم ورَسَائِلهم، وطلبوا من الإمام بكل إصرار أن يقبل تسلم زمام الأمور بيديه.

(1) يصف عليٌّ عليه السلام ذلك بعبارات بليغة ـ كما جاء في **نهج البلاغة** (ص 6) ـ فيقول: «مَا رَاعَنِي إلا والنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ وشُقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ». ويقول في موضع آخر (ص112): «وبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا ومَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَّ الإبِلِ الْهِيمِ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وِرْدِهَا حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ وسَقَطَ الرِّدَاءُ ووُطِئَ الضَّعِيفُ وبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنِ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ وهَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ وتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ وحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكِعَابُ». (الْمُتَرْجِمُ)



ولكي تكون حركة الإمام مدروسة جيّداً ومستندة إلى أساس متين أرسل الحسينُ ابنَ عمِّه «مُسْلِمَ بن عَقِيل» ممثلاً عنه إلى الكوفة ليسبر له أوضاعها السياسية بنحو دقيق ويرسل إليه تقريره الذي يبين فيه: هل هناك قوى كافية للنهوض وتشكيل الحكومة وإعادة الخلافة إلى أهلها أم لا؟ وإذا كانت الظروف مساعدة فعلاً فليأخذ من الناس البيعة له بالجهاد.

بعد قرابة أربعين يوماً من الدراسة الدقيقة كتب «مُسْلِمُ بن عَقِيل» تقريره الذي قال فيه: **«إن أهل الكوفة رأيُهم مع الإمام وملؤهم مجتمعٌ على نصرته والطلب بحقِّه»**، بل أكَّد «مُسْلِمُ بن عَقِيل» على الإمام ضرورة الإسراع في القدوم إلى الكوفة وقال له: **«أما بعدُ، فإنَّ الرائد لا يكذب أهله إنَّ جمع أهل الكوفة معك فَأَقْبِلْ حين تقرأ كتابي والسلام عليك»**[1]

عندئذ شعر الإمام بالمسؤولية أكثر ورأى لزاماً عليه أن يتحرك لإحياء الإسلام ويسعى إلى تغيير الأوضاع من خلال إقامة حكومة قوية تنقِذ الإسلام والمسلمين من براثن الاستبداد الغاشم.

توافر عوامل النَّصر

بعد التقرير الـمُطَمْئِن لمسلم بن عقيل حول استعداد الكوفة وجاهزيَّتها للتحرّك توافرت عوامل النصر العسكريّ للإمام الحسين عليه السلام وفي تلك الظروف أصبح قادراً بالاستفادة من قوة جيشه أن يَهُبَّ إلى إنقاذ الإسلام والمسلمين الذين طالما عانوا الظلم، وفيما يلي بيان عوامل انتصار الإمام:

1 ـ ضعف الحكم الحالي واهتزازه

كان أول عامل من عوامل انتصار الإمام الحسين عليه السلام ضعف الحكم الحالي واهتزازه، إذْ إنَّ حكومة يزيد كانت أضعف من حكومة معاوية لعدة أسباب:

---

(1) الطبري، تاريخ الطبري، ج4، ص297. والشيخ المفيد، الإرشاد، ص184. دعا الحسين بن علي عليه السلام مسلمَ بن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه فسرحه مع قيس بن مسهر الصيداوي و... وأمره بتقوى الله وكتمان أمره واللطف فإن رأى الناس مجتمعين مستوثقين عجِّل إليه بذلك. (الشيخ المفيد، الإرشاد، ص183، أو ج2، ص39) وبالتالي فإن ما كتبه مسلم بن عقيل من تأكيده على الإمام بضرورة التحرك فوراً إنما كان مستنداً إلى رأي عموم أكابر وعقلاء أهل الكوفة وأصحاب النظر البعيد منهم. فلم يُرِد مسلم بن عقيل قط أن يُطلع الإمام على مجرَّد عواطف أهل الكوفة الفارغة فحسب.



1 ـ تعاني كلُّ حكومة تسعى إلى خلافة حكومة سابقة، في بداية أمرها، الضعف والاهتزاز، إذْ ينظر الناس إليها في بداية الأمر بعين التردُّد وينتظرون ليروا هل سيتمكّن الحاكم الجديد من السيطرة على الأوضاع أم لا؟

2 ـ كانت سوابقُ «يزيد» السيِّئة وعدمُ نضجه وقلَّةُ كفاءته علَّةً أخرى لضعف حكمه واهتزازه، وكان كثيرٌ من السياسيِّين المجرِّبين غير مطمئنِّين إلى قدرة «يزيد» على السيطرة على الأوضاع، وكانوا محقِّين في ذلك لأنه في بداية حكم «يزيد» وعندما كان الإمام الحسين عليه السلام متوقِّفاً في مكة، قاد «عبد الله بن الزبير» فيها حركة عصيان وتمرّد تمكَّن من خلالها من السيطرة على مكَّة وتجهيز قوَّة عسكريَّة لمواجهة قوّة الحكومة، ورغم أن «يزيد» أمر واليه على مكة «عمرو بن سعيد بن العاص» بإرسال جيش لقمع ذلك التمرُّد، وأن الأخير أرسل جيشاً قوامه نحو ألفي رجل بقيادة «أنيس بن عَمْرو» و«عمرو بن الزبير» للقضاء على حركة «عبد الله بن الزبير» إلا أن ذلك الجيش هزم وقُتِلَ قائده «أنيس» في المعركة في حين قبض «عبدُ الله بن الزبير» على القائد الثاني وضربه بالسياط حتى مات![1].

ولم يلبث أن اتّسع نفوذ «عبد الله بن الزبير» إلى سائر أنحاء الحجاز. ثم وقعت ثورة أخرى بزعامة «نجدة بن عامر الحنفي» في اليمامة[2]، ولم يستطع يزيد بن معاوية طوال مدة حكمه أن يُخمد الثورتين، وهذا أكبر دليل على ضعف حكمه وعجزه.

3 ـ لما خرج الحسين بن علي عليه السلام من مكة قاصداً العراق اعترضه يحيى بن سعيد ابن العاص و معه جماعة (من الجُنْد) أرسلهم عمرو بن سعيد بن العاص (والي مكة) إليه فقالوا له انصرف إلى أين تذهب؟ (أي أرادوا صدَّهُ عن المسير وإرجاعه إلى مكة) فأبى عليهم ومضى، وتدافع الفريقان واضطربوا بالسياط وامتنع الحسين وأصحابه منهم امتناعاً قويّاً ولم يتمكَّن الجُنْد من إرجاعه إلى مكة[3].

(1) انظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت: دار صادر، 1386هـ/ 1966م، ج 4، ص 18 ـ 19.
(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4، ص102.
(3) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 199 (أو ج 2، ص68).



ومن المعروف أن والي مكة كان يتعقَّب الإمام ويبحث عنه بشدّة و كانت لديه أوامر من «يزيد» باعتقال الإمام وإرساله إليه[1]، بل ربّما كان مأموراً بقتله إذا امتنع من الانصياع، وبالتالي فمن الطبيعي في مثل هذه الحالة أن يرسل والي مكة كتيبةً قويّةً من الجند للقبض على الحسين وإعادة قافلة ابن رسول الله صلى الله عليه وآله السائرة إلى العراق، ولكن تلك الكتيبة فشلت في القبض على الإمام وعجزت عن إجباره على العودة إلى مكة، وهذا دليلٌ على ضعف الحكم القائم وعجزه.

4 ـ الدليل الآخر على ضعف حكومة «يزيد» أن والي الكوفة «النعمان بن بشير» لم يستطع أن يحول دون تحرُّك أهل الكوفة والنشاطات السياسية التي قام بها «مُسْلِمُ بن عَقِيل»، بل عجز حتى عن اكتشاف مخبأ «مُسْلِم»، ثم لجأ «عُبَيْدُ الله ابن زياد» بعد ذلك إلى القتل والحبس والصلب ليتسنَّى له السيطرة على الأوضاع وهذا يدلُّ على الضعف الداخلي للحكومة التي تضطرُّ إلى اللجوء إلى كلِّ هذا العنف والبطش خوفاً من السقوط.

2 ـ استياء الناس وشكواهم

العامل الثاني من العوامل المساعدة على انتصار الحسين بن علي عليه السلام سأم الناس من حكومة الوقت واستياؤهم البالغ منها، فقد بلغ السيل الزُّبَى من مظالم معاوية التي لا حصر لها خلال عشرين سنة من حكمه التي أرهقت الناس و أوصلتهم إلى أسوأ حال، فكانوا شديدي الكراهية والمقت لتلك الحكومة الظالمة التي لا ترقب في خصومها إلاً ولا ذمَّةً. هذا من ناحية المشاعر السلبيّة للناس.

وقد أشار «معاوية بن يزيد بن معاوية» إلى هذه الكراهية، في خطبته الأولى لما وَلِيَ الخلافة حين قال: **«أما بعد حمد الله والثناء عليه، أيها الناس فإنا بُلينا بكم وبُليتم بنا فما نجهل كراهَتَكم لنا وطعنكم علينا»**[2]

في مثل هذه الأحوال، يغلب على الظنّ، استناداً إلى المجريات الطبيعية للأمور، أنه لو استقرَّ الإمام الحسين عليه السلام في مركز العراق، فإن المتطوّعين من أهل

(1) المصدر السابق.

(2) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ـ 292هـ)، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص240.



الكوفة، وطلاب العدالة من أهالي الحجاز واليمن وخراسان وأذربيجان وسائر أهالي الولايات المستاءة من الحكم الأمويّ، الذين ذاقوا من قبل حلاوة طعم حكم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام سيبادرون بلا تردُّد إلى تأييد الإمام والنهوض معه وعدم توفير أي جهد في دعم الحكومة الحسينية.

3 ـ الرأيُ العامُّ المؤيِّد

العامل الثالث من عوامل انتصار الإمام تأييد الرأي العام له، إذ لا شكَّ أنَّ الرأيَ العامَّ السائد في جميع أنحاء بلاد الإسلام الواسعة ـ باستثناء أهالي الشام ـ كان مؤيِّداً لخلافة الحسين بن علي عليه السلام. وكان هذا هو الجانب الإيجابيّ من مشاعر الناس وعواطفهم. فلو دخل الإمام إلى الكوفة في مثل تلك الظروف المساعدة، فإن جميع أنحاء بلاد الإسلام ـ ما عدا الشام ـ كانت ستنهض لحمايته، وعندئذٍ سيستطيع تشكيل حكومة قويّة في مواجهة حكومة «يزيد»، مثل حكومة عليٍّ عليه السلام في مواجهة حكومة «معاوية»، مع فرق أن الذي كان في مواجهة أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام هو «معاوية» بكل ما يملكه من دهاء وحيلة، في حين أن الذي كان في مواجهة الإمام الحسين عليه السلام هو «يزيد» بكل ما يملكه من قلّة نضج وجهل وضعف وعجز!.

دليلٌ واضحٌ آخر

كان «**شريك بن الأعور الحارثي**» ابن الحارث الهمداني من رجال السياسة والحكم المعروفين ومن الشيعة الخُلَّص شديدي التشيُّع لعليٍّ وآله وللإمام الحسين عليه السلام وقد قَدِمَ من البصرة إلى الكوفة برفقة «عُبَيْد الله بن زياد»، فاعتلَّ عند قدومه إلى الكوفة فلزم الفراش حتى يتعافى في بيت «**هانئ بن عروة**» وهو البيت ذاته الذي كان «مُسْلِمُ بن عَقِيل» مختفياً فيه، فلمّا علم «عُبَيْد الله بن زياد» بمرض «شريك بن الأعور» أرسل إليه: إني رائحٌ إليك العشيّة فقال (شريك بن الأعور) لمسلم بن عقيل: «**إن هذا الفاجر عائدي العشيّة، فإذا جلس فاخرج إليه فاقتله، ثم اقْعُدْ في القصر ليس أحدٌ يحول بينك وبينه، فإن برئتُ من وجعي هذا أيامي هذه سرتُ إلى البصرة وكفيتُك أمرها**»[1].

---

(1) تاريخ الطبري، ج 4، ص 271.



إن «شريك بن الأعور» السياسي المحنّك والصادق في نصحه للحسين عليه السلام والمطّلع على نحو جيّد على الرأي العام لدى عامّة أهل العراق يقول لمسلم بن عقيل أنه إذا قُتِلَ عُبَيْدُ الله بن زياد «**اقعد في القصر ليس أحدٌ يحول بينك وبينه**» **أي إن جميع أهل الكوفة عندئذ سيسلّمون لمسلم بن عقيل بالإمارة و لن يخالفه في ذلك أحد.**

لم تكن تلك الكلمات التي قالها «شريك بن الأعور» مجاملة أو كلمات مُبَالَغاً فيها قيلت من باب الترحيب بمسلم في الكوفة، بل كانت إنباءً بواقعٍ محسوسٍ وحقيقةٍ ملموسةٍ، وهي أن الرأي العام لأهالي الكوفة والبصرة مؤيِّدٌ للإمام الحسين وراغبٌ في حكمه، فلو قُتِلَ ابنُ زياد فإن الكوفة والبصرة ومن بعدهما سائر بلدات العراق ستخضع لحكم «مسلم» بلا تردُّد وسيدخل الحسين بن علي عليه السلام الكوفة منتصراً.

4 ـ أهليّة القائد وكفاءته

العامل الرابع من عوامل انتصار الإمام الحسين عليه السلام كفاءة الإمام، فقد كان الحسين بن علي عليه السلام بشهادة الصديق والعدوّ رأس آل النبي صلى الله عليه وآله وأكثر الناس كفاءةً وأهليّةً وجدارةً في جميع أنحاء بلاد الإسلام، ولم تكن هناك، من شرق عالم الإسلام إلى غربه، شخصيةٌ بعظمة وجدارة سبط النبي صلى الله عليه وآله.

كان معاوية يقول لابنه يزيد: «**حسينٌ أحبُّ الناس إلى الناس**»[1].

تلك كانت حقيقة صدرت عن لسان ألدّ أعداء الإمام الحسين عليه السلام.

5 ـ قوّات الأنصار المتطوّعين

العامل الخامس من العوامل المساعدة على انتصار الإمام الحسين عليه السلام قُوَّات المتطوّعين لنصرته[2].

(1) تهذيب تاريخ ابن عساكر، ج 4، ص327.

(2) المقصود من الجنود المتطوعين هنا القوى الشعبية التي كانت تتمتع بخبرة حربية وعسكرية، والتي كانت ستتشكل عند ورود الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة وتعيينه أشخاصاً لقيادتهم، وهؤلاء هم الذين أشار إليهم بعض رؤوس الكوفة في رسائلهم إلى الإمام باسم «الجند» حيث جاء في رسائلهم: «**فَأَقْدِمْ على جندٍ لك مجنَّدٍ**» **تاريخ الطبري**، ج4، ص262.



هناك فرقٌ كبيرٌ بين الجنود المتطوِّعين والجنود المسخَّرين. إنَّه الفرق ذاته الذي كان بين جيش الإسلام وجيش يزدجرد الساساني[1].

فالمقاتلون المتطوِّعون يُقاتلون إلى آخر رمق وإلى حدِّ التضحية بالروح أما الجيش المسخَّر فإنه يستسلم للعدوّ بمجرّد أن يحمى وطيس المعركة وتلوح تباشير الهزيمة.

إن القوة العسكرية التي تشكّلت نواتها المركزيّة تحت إشراف ممثّل الإمام «مُسْلِم ابن عَقِيل» إنما تشكَّلت على نحوٍ تطوّعيٍّ، إذْ كان أفراد تلك الجماعات المتشوّقة إلى القتال تحت راية الحسين الذين قيل إن عددهم يصل إلى 18 ألفاً[2] وقيل 40 ألفاً[3]، يشدّون على أيدي «مُسْلِم» وأعينهم تفيض من الدمع شوقاً إلى نصرة الإمام. وقد ظهرت نماذج لأولـئك الفدائيِّين المتطوِّعين البواسل في ساحة كربلاء مثل «مسلم بن عوسجة» و«حبيب بن مظاهر» و«عابس بن أبي شبيب الشاكري» رضوان الله عليهم الذين سطروا ملاحم افتخار سيبقى نورها مشرقاً في جبين تاريخ الإنسانية إلى الأبد.

لا شكَّ أن القوى المناصرة للإمام لم تكن منحصرة بجماعات المتطوِّعين الذين بايعوا «مسلماً»، كلّ ما في الأمر أن تلك الجماعات الرائدة كانت تشكِّل المحور الأصليَّ والنواة المركزية للقوى الشعبية المناصرة للحسين بن علي عليه السلام وإلا فإن عدد جميع المقاتلين المتطوِّعين الذين كانوا مستعدِّين لدعم الإمام كان يصل في الكوفة فقط (فضلاً عن البصرة وسائر البلدات) إلى حوالى 100 ألف شخص.

ولقد ذكر كبارُ المؤرخين من الشيعة والسنة أن أهل الكوفة أبلغوا الإمام الحسين عليه السلام أن 100 ألف من أهالي الكوفة جاهزون لنصرته[4].

وهذا النقلُ صحيحٌ تماماً ويبدو طبيعياً بدليل أنه على الرغم من أن البيعة لمسلم

(1) آخر ملوك إمبراطورية الفرس الساسانية التي انقرضت بفتح المسلمين لبلاد فارس. (المُتَرْجِمُ)

(2) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص184.

(3) ابن كثير الدمشقي (ـ 774هـ)، البداية والنهاية، ج 8، ص141.

(4) الإرشاد، ص201، ومثير الأحزان، ص11، وتاريخ الطبري، ج4، ص294، والبداية والنهاية، ج 8، ص170.



كانت تتم خفيةً وبالسر خوفاً من اكتشاف رجال السلطة للأمر بلغ عدد المبايعين 18 ألفاً (على رواية) أو 40 ألف متطوِّع (على الرواية الأخرى)، فكيف لو كان أهل الكوفة أحراراً، إذن لربما وصل عدد المبايعين إلى 100 ألف.

من هنا يقول المرحوم الشيخ الطوسي قُدِّس سره: **«أَخَذَ مُسْلِمُ بن عقيل البيعةَ للإمام من أغلب أهل الكوفة»**[1].

ويقول العلامة الرجالي المعروف «شمس الدين الذهبي»: **«ذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ بِأَسَانِيْدَ لَهُ، قَالُوا: قَدَّمَ الحُسَيْنُ «مُسْلِماً»، وَأَمَرَهُ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى هَانِئ بنِ عُرْوَةَ، وَيَكْتُبَ إِلَيْهِ بِخَبَرِ النَّاسِ، فَقَدِمَ الكُوْفَةَ مُسْتَخْفِياً، وَأَتَتْهُ الشِّيعَةُ، فَأَخَذَ بَيْعَتَهُم، وَكَتَبَ إِلَى الحُسَيْنِ: بَايَعَنِي إِلَى الآنَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفاً، فَعَجِّلْ، فَلَيسَ دُوْنَ الكُوْفَةِ مَانِعٌ. فَأَغَذَّ السَّيْرَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى زبَالَةَ، فَجَاءتْ رُسُلُ أَهْلِ الكُوْفَةِ إِلَيْهِ بِدِيوَانٍ فِيهِ أَسْمَاءُ مائَةِ أَلْفٍ..»**[2].

دليلٌ حيٌّ آخر

من الأدلة التي توضّح إمكانية الانتصار العسكري للإمام ما يلي:

بعد حركة الكوفة قام بعض السياسيين المحنّكين مثل **«شَبَث بن رِبْعي»** و**«عمرو ابن الحجّاج»** بدعوة الإمام أيضاً للقدوم إلى الكوفة وتشكيل الحكومة، لأنهم أدركوا، ـ بما لديهم من اطّلاع دقيقٍ وعن كَثَب على أوضاع الكوفة ـ أنَّه لو تمكَّنَ الحسينُ بن عليٍّ عليه السلام من دخول الكوفة بحريّة فإنه سينتصر بالاعتماد على تلك القوَّات المتطوِّعة والمتراصّة، لذا أرادوا بكتابتهم تلك الرسالة إلى الإمام أن يحفظوا لأنفسهم موقعاً لديه، ولو لم تكن أرضيَّة الانتصار العسكريِّ مهيَّأةً فعلاً للحسين بن علي عليه السلام لما كان هناك معنىً أن يقوم رجال السياسة وعبيد الدنيا، الذين من أخلاقهم المعروفة انتهاز الفرص المناسبة، بالكتابة إلى الإمام لدعوته.

فاتّضح أن السياسيين الذين يجيدون فنّ اقتناص الفرص لما اطمأنُّوا إلى انتصار الإمام الحسين عليه السلام كتبوا له رسائل يدعونه فيها إلى القدوم إلى الكوفة، وبناءً على ما

---

(1) الشيخ الطوسي، تلخيص الشافي، (طبع قم، صورة بالأوفست عن طبعة النجف القديمة، دون تاريخ، حققه وعلق عليه السيد حسين بحر العلوم)، ج 4، ص183.

(2) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 3، ص201. (المؤلِّف). أو ج3، ص299 من الطبعة الحديثة. (المُتَرْجِمُ)



تقدَّم فما كتبه «شَبَث بن رِبْعي» و«عمرو بن الحجّاج» وأضرابهما إلى الحسين من قولهم: «**فاقْدِمْ على جُنْدٍ لَكَ مُجَنَّدٍ**»[1] كان يعبّر عن حقيقة واقعة.

ولهذا أيَّد «مسلم بن عقيل» ـ بعد حوالى أربعين يوماً من دراسة الأوضاع في الكوفة وسَبْرِها بدقّة ـ ما كتبه أولئك حين كتب للإمام كتاباً قال له فيه: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الرَّائِدَ لاَ يَكْذِبُ أَهْلَهُ، وَإِنَّ جَمِيعَ أَهْلِ الْكُوفَةِ مَعَكَ، . . . فَعَجِّلِ الْإِقْبَالَ حِينَ تَقْرَأُ كِتَابِي وَالسَّلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ**»[2].

هل من المعقول أن يخون «مُسْلِمُ بن عَقِيل» الإمامَ وَيَغُرَّه بكتابة أمرٍ مخالفٍ للحقيقة والواقع ويقدِّم له تقريراً دون دراسة وسبر دقيقين للأمور؟! بالطبع لا.

وإضافةً إلى قوى الكوفة التي أخبر «مُسْلِمُ بن عَقِيل» باستعدادها، كان هناك أيضاً جيشٌ من البصرة مستعدٌّ للقدوم لنصرة الإمام، إذ إن الإمام كان قد دعا أهل البصرة وطلب منهم المساعدة العسكرية[3].

كانت قوّات الإمام كافية

اتّضح مما قلناه أن عدد القوّات المسلحة المستعدة لنصرة الإمام كان حوالى 100 ألف مقاتل في الكوفة وحدها، في حين كانت البصرة ـ المعروفة بحبها وولائها لسبط النبي ﷺ ـ مستعدةً أيضاً لإرسال جيش داعم.

لذلك كتب الإمام رسالةً إلى أهل الكوفة يعبّر فيها بكل سرور عن تقديره وثنائه على قواتهم الداعمة ودعا لهم بذلك الدعاء: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ كِتَابَ مُسْلِم بْنِ عَقِيلٍ جَاءَنِي يُخْبِرُ فِيهِ بِحُسْنِ رَأْيِكُمْ وَ اجْتِمَاعِ مَلَئِكُمْ عَلَى نَصْرِنَا وَالطَّلَبِ بِحَقِّنَا؛ فَسَأَلْتُ اللهَ أَنْ يُحْسِنَ لَنَا الصَّنِيعَ وَأَنْ يُثِيبَكُمْ عَلَى ذَلِكَ أَعْظَمَ الأَجْرِ. . .**»[4].

أضف إلى ذلك أنه لو استطاع الإمام الحسين عليه السلام في تلك الظروف المساعِدَة أن يدخل الكوفة بحرية لـهُرِعَ إلى نصرته ـ بلا ريب ـ أهالي اليمن والحجاز وخراسان

---

(1) **تاريخ الطبري**، ج 4، ص262، والمفيد، **الإرشاد**، ص183.

(2) **تاريخ الطبري**، ج 4، ص297. وابن نما الحلي، **مثير الأحزان**، ص 32.

(3) **اللهوف على قتلى الطفوف**، للسيد رضي الدين علي بن موسى بن طاووس (ـ 664هـ)، ص34 ـ 37.

(4) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص200.



وأذربيجان وسائر الأقاليم التي كانت قد رأت عدل أمير المؤمنين علي عليه السلام، وعندئذ لما كان هناك أيّة قوّة تستطيع أن تقف في وجه الإمام.

نقطةٌ هامَّةٌ

من الجدير الانتباه هنا إلى نقطة هامَّة وهي أنه في ذلك الزمن كان شراء الأسلحة أمراً متاحاً بحريّة لكل من أراد وكان مؤيدو الحسين بن علي عليه السلام قادرين على أن يحصلوا على أسلحة حربية كثيرة مشابهة لأسلحة حكومة «يزيد» كما فعلوا ذلك فعلاً تحت إشراف «مسلم»[1].

كما أن أكثر المسلمين كان لهم إلمام بفنون القتال البسيطة في ذلك الزمن نظراً إلى تشجيع الإسلام على تعلّم الفروسية وفنون القتال.

بناء على ذلك كانت القوى المؤيدة للإمام تمتلك القدرة على كل نوع من أنواع المواجهة لقوى الحكومة من ناحية الخبرة العسكرية والأسلحة الحربية.

فعُلم مما سبق أن الحسين بن علي عليه السلام لما قرَّر الذهاب إلى الكوفة وتشكيل الحكومة كانت قواته العسكرية المستعدة لنصرته في الكوفة والبصرة (التي يزيد عددها على 100 ألف) كافية وجيّدة عَدَدَاً وعُدَّةً، إضافةً إلى أن كفاءة الإمام وجدارته الشخصية وما كان يتمتع به من شعبية ومحبّة في قلوب الناس، كانت أكثر بما لا يُقاس مما كان يمتلكه ابن معاوية من تلك الأمور.

ملاحظة

وبّخ الإمام عليه السلام أهل الكوفة قائلاً: «... **سَلَلْتُمْ عَلَيْنَا سَيفاً لَنَا فِي أَيْمَانِكُمْ، وَحَشَشْتُمْ عَلَيْنَا نَاراً اقْتَدَحْنَاهَا عَلَى عَدُوِّنَا وَعَدُوِّكُم**»[2].

فهل كان السيف ـ أي القوة العسكرية ـ التي أشار إليها الإمام والنار التي أعدّها لتُقدَح على العدوّ المشترك، سوى القوات المسلحة التي أخبر «مسلم» عنها الإمام؟

(1) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص187.

(2) ابن شعبة الحرّاني، **تحف العقول**، ص 240، والسيد ابن طاووس، **اللهوف على قتلى الطفوف**، ص85.



هل القوّة التي تحرّكَ سبط النبيِّ إلى الكوفة لدعمها وقال: «اسْتَصْرَخْتُمُونَا وَلِهِينَ، **فَأَصْرَخْنَاكُمْ مُوجِفِينَ**[1]»[2] **هي شيء آخر غير تلك القوات المسلحة؟**

كيف أصرخ الإمام الناسَ (أي هبّ إلى نصرتهم)؟ هل معنى إصراخ الإمام سوى أنه أراد أن يدعم القوات التي تجمّعت لتعيد الحق إلى نصابه ويقودها ويستجيب إلى نداء المظلومين المتعطّشين إلى العدل؟ أليس كلام الإمام ذاك دليلاً على أن القوّات التي كان يمتلكها كانت كافيةً وأن لديه الأمل بنسبةٍ تزيد على الخمسين بالمئة بأنه سيتمكّن بها من إيقاد نارٍ تحرق عدوّه وعدوّ الناس وتقتلع حكومة الظلم من جذورها؟

كلام الطوسيّ

يردُّ شيخ الطائفة ورئيس علماء الشيعة المرحوم الشيخ الطوسي قُدِّسَ سِرُّهُ على الذين قالوا: إن تَمَكُّنَ الحَسَن عليه السلام كان أكثر من تمكُّن الحُسَيْن، ومع ذلك سلَّم الحسَنُ الأمرَ (أي صَالَحَ معاوية) بقوله: «**. . ومن أين لهم أنَّ تَمَكُّنَ الحَسَن كان أكثر من تمكُّن الحُسَين؟ بل المعلوم خلاف ذلك، والقصَّة مشهورة، من قرأَ الأخبارَ عرفها**»[3].

الإحساس بالمسؤوليّة

في مثل ذلك الزمن والظروف التالية:

1 ـ انتهاك حكومة يزيد ـ التي فُرِضَت على المسلمين جبراً ـ لأحكام الإسلام واحداً تلو الآخر.

2 ـ وصول صوت استغاثة طلاب العدالة وصراخ التظلّم الصادر من حناجر المسلمين المعذّبين من أهل العراق إلى مسامع الإمام الحسين عليه السلام يطلبون منه أن يأتي لينقذ الإسلام والمسلمين من الظلم والفساد.

---

(1) أصرخناكم: من أصرخه إصراخاً: إذا هبَّ لنجدته وأسرع إلى نصرته وإغاثته. و في التنزيل: ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾. و موجفين: أي مُسْرِعين. (المُتَرْجِمُ)

(2) ابن شعبة الحرّاني، **تحف العقول**، ص 240، والسيد ابن طاووس، **اللهوف**، ص85.

(3) الطوسي، **تلخيص الشافي**، ج 4، ص28. حاصل مطالعات الشيخ الطوسي رضوان الله عليه هو أن قوات الإمام الحسين عليه السلام لم تكن أقل من قوات الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، وهذا الأمر جدير بالانتباه الكامل للقائلين بأن عوامل النصر لم تكن متوافرة للإمام الحسين عليه السلام.



3 ـ ومن الجهة الأخرى توافر عدد كاف من القوّات الشعبية المتطوِّعة و تهيُّؤ العوامل المساعدة لانتصار الإمام أي: (1) ضعف الحكم القائم، (2) استياء الناس وشكواهم، (3) رأي عام مؤيد، (4) أهليَّة القائد وكفاءته، (5) قوّات الأنصار المتطوّعين، مما يضمن نسبة انتصار تزيد على الخمسين بالمئة.

أقول: هل كان من الجائز والجدير في تلك الظروف وفي تلك المرحلة الحساسة أن يتخلَّى ابن رسول الله صلى الله عليه وآله عن مسؤوليته ويدع بلاد المسلمين العظيمة والكبيرة ضائعةً مهملةً تتقاذفها أمواج الأحوال المضطربة والهياج العام والسخط الشعبيّ؟

هل كان جديراً بالإمام في مثل تلك الأوضاع غير العادية التي لم يكن طلّاب العدالة المظلومون يقبلون فيها إلا زعامة الحسين بن علي عليه السلام وقيادته أن يمتنع عن الاضطلاع بتلك المسؤولية؟

في الوقت الذي ارتفع صراخ المستعبدين الأسرى في سجن معاوية الكبير المشتاقين إلى الحريّة، وفي الزمن الذي كانت بلاد الإسلام المضطربة تحتاج قبل أي شيء آخر إلى عقل شخصيةٍ كالحسين بن علي عليه السلام ودرايته وتضحيته، هل كان من المعقول أن يحرم الإمام مثل تلك البلاد ومثل أولئك الناس من قيادته السياسية؟

بعد عشرين عاماً من حكومة معاوية بن أبي سفيان السوداء، هل يتَّفق مع العقل والمنطق أن يحرم الإمامُ المملكةَ التي أبرحها العطش إلى عدل الإسلام، والتي وجدت حديثاً الأمل بالخلاص من براثن الظلم والفساد، أن يحرمها من حكومة العدل الحسينية؟

هنا أحسّ الإمام أكثر بالمسؤولية الواقعة على عاتقه أمام الرأي العام وأمام وجود القوَّات الكافية وأمام القرآن الكريم والإسلام العزيز فقرَّر أن يستجيب لمطالبة الناس وأن ينجّي الإسلام والمسلمين من ذلك الوضع القلق المضطرب بتشكيله لحكومة قوية ترسي أساس العدل وتحيي ما أماته الظالمون من نهج النبيّ صلى الله عليه وآله وسننه.

التاريخ يكرِّر نفسَه

مثلما قال أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام: **«أَمَا والَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْلا حُضُورُ الحَاضِرِ وقِيَامُ الحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، ومَا أَخَذَ اللهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ إلا يُقَارُّوا عَلَى**



كِظَّةِ ظَالِمٍ ولا سَغَبِ مَظْلُومٍ لأَلْقَيتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا ولَسَقَيتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا. . .»[1].

كذلك عندما رأى ابنه الحسين عليه السلام أن القوّات المتوافرة والمستعدّة لنصرته في الكوفة والبصرة تربو على مئة ألف، وأن هناك قوّات أخرى أيضاً على وشك التكوُّن في سائر الأقطار الإسلامية، فإنه يقرِّرُ مثل أبيه أمير المؤمنين عليه السلام ـ بحكم المسؤولية الإلهية ـ أن يقتلع بواسطة تلك القوّات الشعبية جذورَ الظلم وأن يستجيب إلى صراخ المظلومين. فلم يكن هناك من طريق لاقتلاع جذور حكومة بني أمية الفاسدة سوى استخدام القوة في مواجهة القوّة إذْ لا يفلّ الحديد إلا الحديد.

أراد الإمام الحسين عليه السلام إذن في مثل تلك الظروف المساعدة أن يفتح ـ بالقوّة التي لديه ـ الكوفةَ ثم العراقَ كما فتح جدُّه رسولُ الله صلى الله عليه وآله مكّةَ بقوّة جيش الإسلام.

نعم، كان هناك فرق من ناحيتين:

1 ـ لم يزد عدد أفراد جيش نبيِّ الله صلى الله عليه وآله في فتح مكة على أكثر من عشرة آلاف جندي، أما القوَّة التي كانت مستعدَّة لنصرة ابنه الحسين عليه السلام فكانت تزيد على مئة ألف.

2 ـ أتى رسول الله صلى الله عليه وآله لأجل فتح مكة بقوّات من خارجها، ولكن قوَّات الإمام الحسين عليه السلام الكبيرة كانت مشكَّلة من أهل الكوفة ذاتهم، ولا شك أن فتح مدينة بواسطة قوات مُشَكَّلَة من داخلها تطيع أمر الفاتح أسهل بكثير من فتح مدينة غير مستعدَّة بل تريد قوىً خارجيةٌ أن تسطير عليها وتسخّرها، لذا لو شُكّلت الحكومة الحسينية في مثل تلك الظروف المساعدة لاستطاعت القضاء على حكومة «يزيد» الضعيفة والمهتزّة ـ التي زاد اهتزازها عصيان «عبد الله بن الزبير» وتمرّده ـ في مدّة وجيزة[2].

اتَّضح مما ذكرناه أن اتجاه الحسين بن علي عليه السلام إلى فتح العراق وتشكيل الحكومة كان شبيهاً بقبول أبيه أمير المؤمنين عليه السلام التصدِّي للخلافة وتشكيل الحكومة،

(1) **نهج البلاغة**، الخطبة رقم (٣) (الشقشقية).

(2) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج4، ص19.



كما أشبه إقدام جدّه رسول الله ﷺ على فتح مكّة وتسخير جزيرة العرب، فلا ينبغي الفصل بين إقدام الإمام الحسين عليه السلام وإقدام جدّه النبي ﷺ وأبيه علي عليه السلام واعتبار عمل الحسين عملاً استثنائياً.

توافر إمكانية النصر

طبقاً لرأي عددٍ من كبار علماء الشيعة، منذ أن قرّر الإمام الحسين عليه السلام الذهاب إلى الكوفة وحتى لقائه الحرّ بن يزيد كانت هناك من ناحية المجريات الطبيعية للأمور **إمكانيةٌ للانتصار في ذلك النزاع وفرصةٌ ممكنةٌ لاقتلاع جذور حكومة الجَوْر والظُلْم.**

وقد عبَّر عن هذا الرأي كلٌّ من المرحوم «**السيد المرتضى علم الهدى**» رضوان الله عليه ـ وهو صاحب العقل الفريد والنابغة بين الشيعة ـ في كتابه «**تنزيه الأنبياء**» (ص179 إلى ص182)، وكذلك رئيس فقهاء الشيعة في عصره العلامة الكبير المرحوم «**الشيخ الطوسي**» قُدِّس سِرُّه في كتابه «**تلخيص الشافي**» (ج4، ص182 ـ 188).

ولكن لما كان هذان العالمان، خلال إبدائهما لهذا الرأي، في مقام التلخيص والاختصار، لم يشيرا إلى الشواهد التاريخية كافة التي تدعمه، لذا سنشير فيما يلي إلى عدد من الأدلة التاريخية الأخرى التي تؤيّد وجهة النظر هذه:

الدليل الأول

أثناء توقّفه في مكّة ومراسلاته التي تبادلها مع أهل العراق كتب الإمام الحسين عليه السلام رسالةً إلى أشراف البصرة يشير فيها إلى خروج الخلافة عن أهل بيت الرسالة بعد وفاة رسول الله ﷺ ويدعوهم فيها إلى المساعدة على إعادة الخلافة الإسلامية إلى آل بيت الرسول لإحياء ما أماته بنو أمية من سنن النبي ﷺ ويقول في هذا الصدد:

«**أما بعد فإنَّ الله اصطفى محمداً** ﷺ عَلَى خَلْقِهِ وأكرمَهُ بِنُبُوَّتِهِ واختارَهُ لرسالَتِهِ ثمَّ قَبَضَهُ اللهُ إليه وَقَدْ نَصَحَ لِعِبَادِهِ وبلّغ ما أُرْسِلَ بِهِ ﷺ وَكنّا أهلَه وأولياءَهُ وأوصياءَهُ وورثَتَهُ وأحقَّ الناسِ بمَقَامِهِ في الناس، فاستأثَرَ علينا قومُنا بذلك فرضينا وكرهنا الفُرقَةَ وأحببنا العافيةَ، ونحن نعلم أنّا أحقُّ بذلك الحقِّ المستحقّ علينا ممن تولاّه، وقد أحسنوا وأصلحوا وتحرَّوا الحقَّ فرحمهم الله وغفر لنا ولهم. وقد بعثتُ رسولي إليكم



بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ فإنَّ السنّة قد أمِيتَتْ وإنَّ البِدْعَةَ قد أحْيِيَتْ وإنْ تَسمَعُوا قولي وتُطِيعُوا أمْرِي أهْدِكُمْ سَبِيلَ الرشاد!»[1].

هذه الدعوة الصريحة التي يدعو فيها الإمام أشراف البصرة إلى التعاون معه لأجل إعادة الخلافة الإسلامية إلى أهل بيت النبيّ وإحياء سنة رسول الله توضّح بجلاء أن انتصار الإمام في هذا الصراع كان ممكناً في تصوُّره وأنه كان يرجو أن يتمكّن من خلال إقامة حكم إسلامي قوي أن ينقذ الإسلام الذي انتُهكت أحكامه ويحيي سنّة النبيِّ ﷺ التي أُميتَتْ.

شاهدٌ

مما يشهد لما ذكرناه أنّ أشرافَ البصرة أيضاً فهموا من رسالة الإمام أنَّ هدفَهُ دعوتُهم إلى إعداد قوّة عسكريّة من أهالي البصرة لترفد جيش الإمام في الكوفة وتعينه في أمر إقامة الحكومة، ومن هذا المنطلق قام «يزيد بن مسعود النهشلي» بتشكيل قوّة في البصرة وأَطْلَعَ الإمام من خلال كتابٍ وجَّهَهُ إليه على استعداده وجاهزيَّة الجيش الذي شكّله لتقوية جيش أهل الكوفة وقال له فيه:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ وَصَلَ إِلَيَّ كِتَابُكَ وَفَهِمْتُ مَا نَدَبْتَنِي إِلَيْهِ وَدَعَوْتَنِي لَهُ مِنَ الأَخْذِ بِحَظِّي مِنْ طَاعَتِكَ وَالْفَوْزِ بِنَصِيبِي مِنْ نُصْرَتِكَ وَإِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِي الأَرْضَ قَطُّ مِنْ عَامِلٍ عَلَيْهَا بِخَيْرٍ أَوْ دَلِيلٍ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ وَأَنْتُمْ حُجَّةُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ وَوَدِيعَتُهُ فِي أَرْضِهِ تَفَرَّعْتُمْ مِنْ زَيْتُونَةٍ أَحْمَدِيَّةٍ هُوَ أَصْلُهَا وَأَنْتُمْ فَرْعُهَا، فَاقْدَمْ سَعِدْتَ بِأَسْعَدِ طَائِرٍ، فَقَدْ ذَلَّلْتُ لَكَ أَعْنَاقَ بَنِي تَمِيمٍ وَتَرَكْتُهُمْ أَشَدَّ تَتَابُعاً فِي طَاعَتِكَ مِنَ الإِبِلِ الظِّمَاءِ لِوُرُودِ الْمَاءِ يَوْمَ خِمْسِهَا وَكَظِّهَا، وَقَدْ ذَلَّلْتُ لَكَ بَنِي سَعْدٍ وَغَسَلْتُ دَرَنَ صُدُورِهَا بِمَاءِ سَحَابَةٍ مُزْنٍ حِينَ اسْتَهَلَّ بَرْقُهَا فَلَمَعَ.

فَلَمَّا قَرَأَ الْحُسَيْنُ عليه السلام الْكِتَابَ قَالَ: «مَا لَكَ آمَنَكَ اللهُ يَوْمَ الْخَوْفِ، وَأَعَزَّكَ وَأَرْوَاكَ يَوْمَ الْعَطَشِ الأَكْبَرِ»[2].

---

(1) تاريخ الطبري، ج 4، ص266.

(2) السيد ابن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، ص32 ـ 37.



فهل من الممكن أن نتصوّر أن يدعو الإمام أهالي البصرة لإعانته عسكرياً ومساعدته على إعادة الخلافة إلى أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله دون أن يكون هناك في تصوّره أي إمكانية للانتصار على العدوّ؟

وهل من الممكن أن يجهّز أشرافُ البصرة جيشاً عسكرياً يُعِدُّونه لنصرة الإمام دون أن يكونوا قد أدركوا من رسالة الإمام إمكانية تحقيق النصر؟

الدليل الثاني

لمَّا أراد الحسين عليه السلام التوجُّه إلى العراق وانطلق خارجاً من مكة لقيَ «الفَرَزْدَقَ» الشاعر داخل الحرم فقال له: أخبرني عن الناس خَلْفَكَ؟ (وكان «الفَرَزْدَقُ» قد وصل إلى مكّة قادماً من الكوفة) فقال له «الفَرَزْدَقُ»: **الخبيرَ سألتَ! قلوبُ النَّاس معك وأسيافهم عليك! والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء! فقال الحسين له: «صدقتَ، لِـلَّهِ الأمرُ! وكلَّ يوم ربُّنا هو في شأن. إنْ نَزَلَ القَضَاء بِمَا نُحِبُّ فَنَحْمَدُ اللهَ عَلَى نَعْمَائِهِ وَ هُوَ المسْتَعَانُ علَى أَدَاءِ الشُّكْرِ، وَإِنْ حَالَ القَضَاءُ دُوْنَ الرَّجَاء فَلَمْ يُبْعِدْ مَنْ كانَ الحقُّ نِيَّتَهُ والتقْوَى سَرِيرَتَهُ»**[1].

يتّضح جليّاً من جملة الإمام: «**إِنْ نَزَلَ القَضَاء بِمَا نُحِبُّ فَنَحْمَدُ اللهَ عَلَى نَعْمَائِهِ**» أن مطلوب الإمام في الدرجة الأولى هو النجاح في إقامة الحكم الإسلامي وإنقاذ الإسلام، وأنه كان يأمل أن يتمكّن من الاستقرار في الكوفة بدعم القوات المستعدة لنصرته من أهلها، ويعيد عندئذٍ الخلافة الإسلامية إلى نصابها ويحيي سنة النبي صلى الله عليه وآله، وأن إقامة الحكم الإسلامي وإنقاذ الإسلام هما في نظر الحسين بن علي عليه السلام نعمة يمنُّ اللهُ بها عليه، ويحمدُ اللهَ عليها.

فهل من الممكن أن يقول الإمام الحسين عليه السلام مثل هذا الكلام للفرزدق دون أن يكون هناك في حسابه أيّ إمكانية للنصر؟!

الدليل الثالث

لما أقبل الحسين عليه السلام نحو الكوفة وبلغ «الحاجر» من بطن الرمّة بعث «قيس بن

(1) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص99. وتاريخ الطبري، ج4، ص290.



مسهر الصيداوي» إلى أهل الكوفة وكتب معه إليهم: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، من الحسين بن عليّ إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين: سلامٌ عليكم! فإني أحمدُ إليكم اللهَ الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإنّ كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بِحُسْنِ رأيكم واجتماع ملئكم على نصرنا والطلب بحقنا، فسألتُ اللهَ أنْ يُحسِنَ لنا الصُنْعَ وأن يُثِيبَكُم على ذلك أعظمَ الأجر**»[1].

إن روح النشاط والسرور تنضح من ثنايا هذه الرسالة، سرورٌ من اجتماع ملأ رؤساء الكوفة على تشكيل حكم مستقل بزعامة الإمام وإعادة الخلافة إلى أهل بيت النبي عليهم السلام.

ثم يقول معقباً في تلك الرسالة: «**وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية فإذا قَدِمَ عليكم رسولي فاكمشوا أمركم وجِدُّوا فإني قادمٌ عليكم في أيامي هذه إن شاء الله**»[2].

يتّضح جليّاً من هذه الرسالة أن الإمام يُجَهِّزُ أهل الكوفة أكثر من قبل، وهدفه أن تصبح القوى الشعبية فيها جاهزةً على نحوٍ أكثر جِدِّيَّةً وأن تكون مستعدةً لاتّباع أمره حتى إذا ورد الكوفة أسرعوا إلى نصرته وقاموا معه كرجل واحد للكفاح والقتال لإقامة الحكومة المرجوّة.

ومن البديهيّ أن كتابة مثل هذا الكتاب لا تكون تصرفاً عقلانياً ما لم يكن الإمام يحتمل النصر فعلاً.

هل يمكن لأحد أن يتصوَّر إمكانيةَ أن يكتبَ الإمام الحسين (ع)، الذي كان عقله عصارةً من عقل النبيِّ ﷺ، كتاباً إلى أهل الكوفة يقول لهم فيه: «**فإذا قدم عليكم رسولي فاكمشوا أمركم وجِدُّوا فإني قادمٌ عليكم في أيامي هذه**» دون أن يكون هناك أي إمكانية محتملة للنصر في نظره؟!

هل يمكن أن ننسب مثل هذا الأمر إلى الإمام الذي كان أكبر وأعقل شخصيّة في عالم الإسلام حينذاك؟!

(1) **تاريخ الطبري**، ج 4، ص297، الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص200.

(2) **تاريخ الطبري**، ج 4، ص297، الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص201.



الدليل الرابع

خاطب الإمام الحسين عليه السلام أهلَ الكوفة يوم عاشوراء موبِّخاً إيّاهم بشدَّة لأنهم دَعَوْهُ في البداية إلى القدوم إليهم لنصرتهم واجتمعوا جميعاً على القيام لإقامة الحكومة الحسينية ولكنه لما هرع إليهم ملبّياً صراخهم إذا بهم ينكثون عهدهم وينقلبون على أعقابهم، فكان مما جاء في خطبته تلك:

«تبّاً لكُم أيّتها الجماعة وتَرَحاً! أحينَ استَصْرَخْتُمُونا والهين فأصرخناكم موجفين[1]، سَلَلْتُم علينا سيفاً لنَا في أيمانكم وحَشَشْتُمْ علينا ناراً اقْتَدَحْنَاها على عَدُوّنا وَعَدُوّكُم فأصبحتم إلْبَاً[2] لِأَعْدَائِكُم عَلَى أوْلِيَائكم بِغَيرِ عَدْلٍ أفْشَوْهُ فِيكُمْ وَلاَ أَمَلٍ أَصْبَحَ لَكُمْ فِيهِم . . .»[3].

يتَّضح من كلام الإمام هذا أن حركته نحو الكوفة كانت استجابةً لنداء الناس المظلومين، ولكي يُشْعِل، بالقوى التي أعدّها مُمَثِّلُهُ «مسلم بن عقيل»، ناراً تُحرق جذور الاستبداد وتهدم قصر الظلم على أهله، ليقيم على أنقاضه حكومة إسلامية عادلة مئة بالمئة.

كما يتَّضح من كلمات الحسين بن علي عليه السلام الناريَّة تلك، أن الظروف كانت مساعدة لانتصار الإمام على العدوّ، وأن هدف حركته إنما كان إسقاط حكومة الظلم وإقامة برنامجه الإصلاحي الواسع.

مقارنة بين رأي المعارضين والمؤيّدين لحركة الإمام نحو الكوفة

هناك سؤالٌ أثار انتباه كلِّ مؤرِّخ وهو: لماذا خالف رأيُ الإمام الحسين عليه السلام بشأن السفر إلى الكوفة رأيَ أشخاصٍ محنكين في السياسة وناصحين مخلصين مثل «ابن عباس»؟ و ما حلُّ هذا الإشكال؟

---

(1) موجفين: من الوجيف: ضَرْبٌ من السَّيْرِ السريع للإبل والخَيْلِ، وقد أوْجَفَ دَابَّتَه يُوجِفُها إيجافاً إذا حَثَّها عَلى السَّيْرِ السَّريع، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾. (المُتَرْجِمُ)

(2) الإلْبُ بالفتح والكسر: القوم يجتمعون على عداوة إنسان. وقد تألّبوا: أي تَجَمَّعُوا ضدّه. (المُتَرْجِمُ)

(3) اللهوف على قتلى الطفوف، ص85، ومقتل الخوارزمي، ج2، ص6، ومثير الأحزان، ص 54، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر، ج 4، ص333، والاحتجاج على أهل اللجاج، ج2، ص24.



بدايةً يجب أن نعلم أنه في مقابل الذين عارضوا سفر الإمام إلى الكوفة كان هناك عددٌ كثيرٌ من العقلاء المجرّبين أمثال «الحبيب بن مَظَاهر» و«مُسْلِم بن عَوْسَجَة» و«سليمان بن صُرَد» و«مُسْلِم بن عَقِيل»، ومئات العقلاء الآخرين الذين يتمتعون ببُعْد النظر وحصافة الرأي، أيّدوا سفر الإمام، بل بذلوا جهوداً حثيثةً وجدّيّةً لتهيئة أرضيّة هذا السفر.

ولكي نبيّن أيَّ الرأيين هو الأرجح علينا أن ندرس معنويات كلٍّ من فريق المعارضين والمؤيّدين لسفر الإمام ونحلّل طريقة تفكيره وعقليّته. ويكفي في هذا المجال أن ننتخب رأي ابن عباس كنموذج لرأي الفريق المعارض لحركة الإمام نحو الكوفة لأنه كان أكثرهم حنكةً ودرايةً، ونقارنه برأي «مسلم بن عقيل» لنرى أيّ الرأيين كان أصوبَ وأكثرَ صلاحاً.

ولا بدَّ من الانتباه هنا إلى نقطة مهمّة وهي أنّ «عبد الله بن عباس» كان قد غادر العراق وذهب إلى الحجاز بعد صلح الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ولم يَعُدْ إلى العراق منذ ذلك الزمن وحتى سنة 60 هـ أي السنة التي قام فيها الإمام الحسين عليه السلام بثورته، لذلك لم يكن ابن عبَّاس قادراً على الاطلاع عن كثب على أوضاع العراق بشكل عام ووضع الكوفة بشكل خاصّ. وقد انقضت عشرون عاماً منذ مغادرة ابنِ عباس للعراق واستقراره في الحجاز وحتى سنة 60هـ، تغيَّرت خلالها الأوضاع الاجتماعية في العراق تغيراً كبيراً ونشأ جيلٌ جديد شكّل غالبية الناس في ذلك الوقت.

فمن البديهي أن لا يتمكَّن ابنُ عباس ـ الذي ابتعد عن العراق مدة 20 سنة ـ من الاطلاع بشكلٍ دقيقٍ على المتغيّرات في الأوضاع الاجتماعية والسياسية في العراق التي وقعت خلال هذه المدة الطويلة، بل كان كل ما يعرفه عن العراق لا يعدو رؤية من بعيد ناقصةً وضبابيَّةً.

أما «مسلم بن عقيل» الذي كان رجلاً بصيراً ومُعْتَمَداً مِنْ قِبَلِ الإمام الحسين عليه السلام فقد قام على امتداد أربعين يوماً بدراسةٍ عن كَثَب لأوضاع الكوفة، ولا شك أن أربعين يوماً تكفي لتمنح شخصاً لبيباً اطلاعاً جيداً على الأوضاع السياسية والاجتماعية في مدينةٍ مثل الكوفة.



لقد كُلِّفَ «مسلم» مهمَّة التحقُّق من وجود إرادة وعزم لدى عامّة وجهاء وعقلاء الكوفة لتغيير الحكم واستعدادٍ لنُصرة الإمام الحسين عليه السلام وتأييده[1]. وبعد أربعين يوماً من التحقيق وسبر الأوضاع خَلُصَ إلى نتيجة مفادها أن عامة وجهاء الكوفة وعقلائها وأصحاب النظرة البعيدة من أشرافها وأهلها راغبون في تغيير الحكم ومستعدُّون لنصرة الإمام، لذا كتب كتاباً للإمام يقول فيه:

«إن الرائد لا يكذب أهْلَه، إنَّ جَمْعَ أهلِ الكوفة معك فَأَقْبِل حين تقرأ كتابي والسلام»[2].

هل يمكن أن ندَّعي أن ذلك التقرير والرأي الذي أعطاه «مسلم» كان نتيجة غلبة العاطفة عليه؟

هل يمكن أن نزعم أن «مسلم بن عقيل» لم يستطع بعد حوالى أربعين يوماً من الدراسة والتحقيق أن يعرف حقيقة الأوضاع السياسية والاجتماعية في الكوفة وأن ما كتبه كان رأياً سطحياً لا قيمة له؟

هل «مسلم بن عقيل» الذي أمضى تلك المدّة الطويلة مع فئات الناس المختلفة من أهل الكوفة وعاشر عقلاءها وشاورهم وتباحث عن كثب مع أصحاب الرأي الحصيف منهم، كان أعلم بأوضاع الكوفة أم «ابن عباس» الذي كان يعيش على مسافة مئات الكيلومترات من الكوفة ولم يرها منذ عشرين عاماً ولم يكن يملك اطلاعاً دقيقاً على أحوال الجيل الجديد من أهلها؟

يجب أن نقول بعيداً عن كلِّ تعصّب: لمّا كانت معلومات «مسلم» أدقّ وأكثر واقعيّةً فلا شكَّ أنَّ رأيَهُ كان أكثر قيمةً وأقرب إلى الصلاح.

ولم يكن هذا رأي «مسلم بن عقيل» فقط بل كان لكثير من عقلاء الكوفة وذوي بعد النظر منهم الرأي ذاته. وكان عدد هؤلاء أكثر بكثير من عدد المعارضين لحركة الإمام نحو الكوفة.

من هذا المنطلق رجّح الإمام الحسين عليه السلام رأي «مسلم» ورأي «حبيب بن

---

(1) **تاريخ الطبري**، ج4، ص262، والشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 183.

(2) **تاريخ الطبري**، ج4، ص297.



مظاهر» و«مسلم بن عوسجة» وعشرات آخرين من أكابر أهل الكوفة وعقلائها، على رأي ابن عباس والآخرين.

نقطةٌ هامّةٌ

يبدو أن ابن عباس لم يكن مطلعاً على نحو دقيق على الاتصالات التي تمت بين ممثلي أهل الكوفة والإمام، وعلى الرسائل التي تُبُودِلَت بين الطرفين، كما لم يكن له علم صحيحٌ بالدراسة التي قام بها «مسلم بن عقيل» حول أوضاع الكوفة السياسية والتقرير المُطَمْئِن الذي أرسله إلى الإمام في هذا الصدد، لأن مثل هذه الأمور تُعتبر من الأسرار العسكرية التي يجب أن تبقى مكتومة وأن لا يبوح بها قادة الثورة حتى لأقرب المقربين إليهم.

ورغم أنَّ «ابنَ عباس» كان قريباً من الإمام الحسين عليه السلام إلى حدٍّ ما، إلا أنَّه لما لم يشارك في تلك الثورة ولم يكن مخزناً لأسرارها، فمن الطبيعي أن لا يُطْلِعهُ الإمامُ عَلَى جزئيات تحركاته ولا على التحقيقات الدقيقة التي قام بها «مُسْلِم» والتقرير الذي أرسله. وإذا كان «ابنُ عباس» ذاتُه غير مطّلعٍ على أسرار الإمام العسكرية فحال الآخرين أولى بعدم الاطلاع.

وعلى هذا الأساس ينبغي القول إن جميع الذين حذّروا الحسين بن علي عليه السلام من المسير إلى الكوفة شَفَقَةً عليه إنما انطلقوا في ذلك من عدم امتلاكهم معلومات دقيقة عن أسرار الإمام الحربيّة وعدم معرفتهم بوجود قوات متطوعة جاهزة لنصرته.

لذا يغلب على الظن أن ابن عباس والآخرين لو اطلعوا على جميع جزئيات حركة الإمام والأرضية المساعدة التي توافرت له لتشكيل الحكومة، لأيّدوا مسير الإمام إليها بسرعة، كما فعل «مسلم بن عقيل» وسائر وجهاء الكوفة.

تصوُّرٌ باطلٌ

قد يتخيل البعض أن تقويم الإمام الحسين عليه السلام للأوضاع السياسية للعراق لم يكن دقيقاً وأن تقويم ابن عباس كان أكثر دقَّةً بدليل أن الأخير قال للإمام: «**إنّي أتخوَّف**



عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال، إنَّ أهل العراق قوم غُدُرٌ. . .»[1] وكانت عاقبة الأمور مطابقة لما قاله.

وهنا ينبغي أن نعلم أنَّ التنبُّؤ بالأوضاع السياسية وتقويمها بشكل صحيح أمرٌ، وما يقع فعلاً من الحوادث من وراء ظهر الغيب أمرٌ آخر.

ففي معركة أُحُد عارض زعيم المنافقين «عبد الله بن أُبَيّ بن سلول» الخروج خارج المدينة لمواجهة جيش المشركين وقال عن النبي ﷺ: **«أَطَاعَهُمْ (أي النبيّ) وَعَصَانِي، مَا نَدْرِي عَلَامَ نَقْتُل أَنْفُسَنَا هَاهُنَا أَيهَا النَاسُ؟! وَرَجَعَ بِمَنْ اتَبَعَهُ مِنْ قَوْمِه»**[2].

أمّا رسولُ الله ﷺ فقد تنبَّأ بخلاف ذلك وقال: **«فانظروا ما أمرتكم به فافعلوه وامضوا على اسم الله فلكم النصر ما صبرتم»**[3].

وفعلاً تحققت نبوءة الرسول ﷺ في بداية الأمر وانتصر المسلمون على عدوهم في بداية المعركة وقُتل أكثر من عشرين رجلاً من المشركين الذين كان عددهم قرابة ثلاثة آلاف مقاتل، ولما قُتِلَ أصحاب اللواء منهم انكشف المشركون منهزمين لا يلوون على شيء، ونساؤهم يدعين بالويل، وتبعهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث شاؤوا، حتى أجهضوهم عن العسكر، ووقعوا ينتهبون العسكر ويأخذون ما فيه من الغنائم، وتكلَّم الرُّماة الذين على (هضبة) «عينين» واختلفوا بينهم، وثبت أميرهم عبد الله بن جبير، في نفر يسير دون العشرة، مكانَهم، في حين انطلق الآخرون يتبعون العسكر ينتهبون معهم وخلُّوا الجبل، ونظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل وقلَّة أهله فَكَرَّ بالخيل وتَبِعَهُ عكرمة بن أبي جهل فحملا على من بقي من الرماة فقتلاهم، وقُتِلَ أميرُهم عبدُ الله بن جبير، رحمه الله، وانتقضت صفوف المسلمين واستدارت رحاهم . . . وأوجعوا في المسلمين قتلاً ذريعاً، وولّى من ولّى منهم يومئذٍ وثبت رسول الله ﷺ، ما يزول يرمي عن قوسه . . . حتى تحاجزوا ونالوا من رسول الله ﷺ في وَجْهِهِ ما نالوا، فأصيبت رباعيّته وكُلِمَ في وَجْنَتَيْه وجبهته وعلاه ابن قميئة بالسيف فضربه على

---

(1) **تاريخ الطبري**، ج4، ص 288.

(2) ابن هشام، عبد الملك بن هشام الحميري المعافري(ـ 213هـ)، **السيرة النبوية**، ج 2، ص 64.

(3) ابن سعد، محمد بن سعد كاتب الواقدي (ـ 230هـ)، **الطبقات الكبرى**، ج 2، ص 38.



شقه الأيمن، واتقاه طلحة بن عبيد الله بيده فشُلَّت إصبعه، وادّعى بن قميئة أنه قد قتله، وكان ذلك مما أرعب المسلمين وكسرهم[1].

فهل يمكن لأحد أن يقول إن تنبُّؤَ رسولَ الله ﷺ بالنَّصر على العدوّ لم يكن دقيقاً وأن تنبّؤ زعيم المنافقين «عبد الله بن أُبيّ بن سلول» كان أصحّ وأدقّ؟! بالطبع لا، بل إن تنبّؤ وتقويم رسول الله ﷺ كان دقيقاً وصحيحاً تماماً، وأكبرُ دليلٍ على ذلك هو النصر والنجاح الذي كان حليف المسلمين في بدء المعركة، ولكن الحادثة التي حدثت وراء ظهر الغيب وقلبت النتيجة رأساً على عقب كانت مخالفةُ الرُّماة لتعليمات النبيّ وتركهم لمواضعهم طمعاً في الغنيمة، الأمر الذي أدّى إلى انكسار المسلمين وما وقع على رسول الله ﷺ حتى كاد يُقتَل، ومثل هذه الحادثة التي وقعت من الرماة حادثة غيبية ليست بالأمر الذي يمكن التنبُّؤ به حسب المجاري العادية والطبيعية للأمور، ولم يكن رسول الله ﷺ يمتلك القدرة على منع وقوعها.

كذلك دَرَسَ الإمام الحسين عليه السلام أوضاع العراق بل الحجاز وسائر الأقطار الإسلامية بدقَّة، وقوم الأمور وأمضى أربعة أشهر (من الثالث من شعبان حتى الثامن من ذي الحجة) يدرس الأوضاع السياسيَّة ويقوم الأحوال، وأخذ في تحرّكاته بجميع الاحتياطات اللازمة، وخرج بنتيجة تفيد إمكانية تحقق الانتصار العسكري حسب الجريان العادي والطبيعي للأمور، أما ابن عباس فلما لم يكن قد دخل إلى عمق المجريات السياسية التي كان الإمام يمرّ بها عارض سَفَرَهُ، ولم يأخذ الحسين بن عليّ عليه السلام بمشورته وقرَّر المضيّ فيما أراد وكان قراره ذاك دقيقاً وصحيحاً تماماً لأنه استند فيه إلى الأمور الخمسة الضامنة لانتصار الإمام ـ التي مضى شرحها ـ وهي:

1 ـ ضعف الحكم الحالي واهتزازه؛

2 ـ استياء الناس وشكواهم؛

3 ـ الرأي العامّ المؤيّد؛

4 ـ أهليَّة القائد وكفاءته.

5 ـ قوَّات الأنصار المتطوّعين.

---

(1) طبقات ابن سعد، ج 2، ص 41 ـ 42.



نعم، وقعت حوادث غير مُتَوَقَّعة وغير قابلة للتنبّؤ بها حسب المجريات الطبيعية للأمور غيّرت أوضاع العراق؛ فبعد أن فَرَّ «عُبَيْدُ الله بن زياد» إلى قصر الإمارة بالكوفة خوفاً من جيش المتطوعين من أنصار الإمام وحُوصر في القصر[1]، استطاع بعد ذلك أن يسيطر على القوى الشعبية ويقلب الأمور إلى صالحه.

فكما كانت مخالفة الرُماة لتعاليم النبيّ ولوصِيَّته الأكيدة بعدم مبارحة مكانهم أمراً غيبياً لا يمكن توقّعه، وبالتالي لا يمكن إدخاله في حريم تقويم رسول الله وتوقّعه لانتصار جيش الإسلام، كذلك لا يجوز إدخال ما جرى من حوادث غيبية في الكوفة أدت إلى سيطرة «عُبَيْد الله بن زياد» على الوضع، ضمن حريم تقويم الإمام الحسين عليه السلام للأوضاع السياسية في العراق، لأن مثل هذه الحوادث الغيبية لا يمكن لأحدٍ التنبّؤ بها من ناحية المجريات العادية للأمور.

بماذا تتميّز ثورة الحسين بن علي عن ثورة «عبد الله بن الزبير»

سؤال آخر قد يتبادر إلى ذهن البعض يقول: إذا كان قصد الإمام الحسين عليه السلام من نهوضه هو تشكيل الحكومة الإسلامية، فبماذا يمتاز نهوضه وثورته عن ثورة عبد الله ابن الزبير الذي كان يجاهد أيضاً لإقامة الحكومة؟

أقول: إنَّ مثل هذا السؤال يمكن طرحه أيضاً بشأن قتال رسول الله صلى الله عليه وآله في معركة أحد، حيث كان يسعى للانتصار على أعدائه من المشركين، فما الذي يميِّز قتاله عن قتال أبي سفيان الذي كان يسعى للانتصار على عدوّه أيضاً؟

والإجابة هي أن نضال رجال الله يمتاز عن نضال أهل الهوى والدنيا من ثلاث نواحٍ:

1 ـ التميُّز في الهدف

هدف أهل الدنيا من نضالهم تحقيق مصالح دنيوية والتمتّع بملذّات الدنيا. أمّا هدف رجال الله فهو انتصار الحق، وهدفهم من تشكيل الحكومة ليس إلا إحياء الحق والعدل ونصرة المظلوم.

(1) **تاريخ الطبري**، ج4، ص275 ـ 276. و الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص190.



2 ـ التميّز في الوسيلة

لا يمتنع أهل الدنيا من استخدام أي وسيلة مهما كانت بعيدة عن الأخلاق وغير إنسانية للوصول إلى هدفهم. أما رجال الله فلا يلجؤون أبداً إلى أي أعمال مخالفة للإيمان ومعادية للأخلاق للوصول إلى الهدف المطلوب.

3 ـ التميّز في النتيجة

إذا انتصر أهل الدنيا في كفاحهم فإنهم لا يتمتّعون سوى بملذّات هذا العالم التي لا قيمة لها، ولو هُزموا لفقدوا كلَّ شيء. أما رجال الله فإنّهم إذا انتصروا فإنما يحيون الحقّ والعدل وإذا هُزموا فإنهم فلن يُغْبَنوا أجرهم بل سينالون أجر الشهادة والجهاد لأن هدفهم كان رفع راية الحق.

يقول القرآن الكريم في بيان الفرق بين ألم أهل الحق وألم أهل الباطل:

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ..﴾ [النساء/ 104].

من هذا المنطلق قال الإمام الحسين عليه السلام للفرزدق عند خروجه نحو الكوفة لأجل المقاومة وتشكيل الحكومة الإسلامية: «**إِنْ نَزَلَ الْقَضَاءُ بِمَا نُحِبُّ فَنَحْمَدُ اللهَ عَلَى نَعْمَائِهِ وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ عَلَى أَدَاءِ الشُّكْرِ، وَإِنْ حَالَ الْقَضَاءُ دُونَ الرَّجَاءِ فَلَمْ يَبْعُدْ مَنْ كَانَ الْحَقُّ نِيَّتَهُ وَالتَّقْوَى سَرِيرَتَهُ**»[1].

الحكومة في خدمة الدِّين

قد يتبادر إلى ذهن بعض الناس سؤالٌ آخرٌ يقول: إن الإمام الذي كان من أهل الله، ورجلاً سماوياً وروحانياً همّه الآخرة، وكان من أئمّة الدِّين وَزعيماً روحياً للناس، ما له وللحكومة والسياسة؟

طَلَبِ مَنْصَب فَانِى نَكُنَد صَاحِبِ عَقْل   عَاقِل آنَسْت كه انْدِيشِه كُنَد پَايَان

(لا يطلب صاحب العقل منصباً فانياً   العاقل هو الذي يفكِّر في العاقبة)

(1) تاريخ الطبري، ج4، ص 290، و الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 199.



ونقول في الإجابة: ينبغي أن نعلم أن الإمام علاوةَ على كونه زعيماً روحياً عظيم القَدْر للمسلمين، هو في الوقت ذاته زعيمٌ سياسيٌّ، كما نقرأ في «**الزيارة الجامعة**» بشأن أئمّة أهل البيت عليهم السلام: «**وساسة العباد**».

ويقول علماء الإسلام في وصف منصب الإمامة: «**الإمامة رئاسة عامّة في أمور الدين نيابةً عن النبي صلى الله عليه وآله**»[1].

من هذا المنطلق فإنَّ الإمامَ خليفةُ النبيِّ، وعندما تسنح له الظروف المساعدة، يجب عليه أن يأخذ زمامَ أمور الناس بيديه ليُطبِّق شرعَ الله ودِينَه مستفيداً من قوَّة الحكم.

إن للإسلام تشريعاتٍ خاصّةً تتعلّق بالثقافة والاقتصاد والأنظمة الاجتماعية وبالسياسة الداخلية والخارجية والحرب والسلم وسائر شؤون الحياة الاجتماعية، بل هو مدرسة (في الحكم) ونظامٌ كاملٌ متميّزٌ عن سائر المدارس والأنظمة.

ولا شكَّ أن الإمام لا يمكنه أن يطبّق أحكام الإسلام وقوانينه الحياتية بكل حذافيرها إلا إذا امتلك زمام السلطة بيديه لأنه بامتلاكه للقدرة على الحلِّ والربط وإمساكه بزمام أمور الحكم يستطيع مكافأة المحسنين ومعاقبة المجرمين وجباية الضرائب الإسلامية (الزكاة والخمس) بالشكل الصحيح وإيصالها إلى مستحقيها وإنفاقها في مصارفها الشرعية، ونشر العلم والثقافة الإسلامية والقيام بالدعوة الدينية بالأسلوب المنظّم والمؤثّر وعقد المعاهدات الثقافية والاقتصادية وغيرها مع الدول الأخرى بما ينفع الإسلام والمسلمين، واختصاراً لا يستطيع عالَمُ الإسلام أن يخطو بسرعة في طريق الرقيّ والتكامل المادي والمعنوي إلا في ظل حكومة إسلامية مقتدرة.

دعا رسول الله صلى الله عليه وآله أهل مكة ثلاثة عشر عاماً إلى الإسلام ولكن بما أن حكومته لم تكن قد تشكَّلت بعد لم يتحقّق للإسلام تقدُّمٌ كبيرٌ، ولكن بعد أن هاجر النبيُّ إلى المدينة وشكّل الحكومة الإسلامية استطاع أن يبسط نفوذ الإسلام في أقل من عشر سنوات على جميع أنحاء الجزيرة العربية، واستطاع الوقوف في وجه الحكومات

(1) شرح الباب الحادي عشر، مبحث الإمام، ص43.



الكبرى في ذلك الزمن وأن يواصل تقدُّمه، وما كان لهذا النجاح الكبير أن يتحقَّق إلا في ظلّ سلطة الحكومة التي كان يمتلكها.

والإمام أيضاً مثل رسول الله ﷺ لا يستطيع تطبيق تشريعات الإسلام وقوانينه، التي فيها سعادة الناس، في المجتمع إلا إذا امتلك زمام الحكم، لذلك عندما تتوافر ظروف تشكيل الحكومة أو تتهيّأ الأرضية التي يمكن من خلالها توفير الظروف اللازمة لتشكيل الحكومة، يجب على الإمام أن يهيِّئ تلك الظروف المساعدة ويقيم تلك الحكومة[1]، لأن تطبيقَ شرائعَ الإسلام وقوانينَه واجبٌ، وهذا الواجب لا يمكن القيام به إلا من خلال حكومة إسلامية وبالتالي فإقامة الحكم الإسلامي واجبٌ لأن ما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب، وبتعبير الفقهاء «مقدّمة الواجب واجبةٌ».

نعم، الحكومة من ناحية كونها منصباً دنيويّاً ليس لها في نظر الإمام أيّ قيمة، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام لابن عَبَّاسٍ وقد دخل على الإمام **بِذِي قَارٍ وَهُوَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ فَقَالَ لع: «مَا قِيمَةُ هَذَا النَّعْلِ؟ فقال ابنُ عبَّاس: لاَ قِيمَةَ لَهَا! فَقَالَ الإمامُ: وَاللهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلاَّ أَنْ أُقِيمَ حَقاً أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلاً»**[2].

والإمام الحسين عليه السلام هو ابن عليٍّ ذاك، والحكومة ـ من ناحية كونها منصباً دنيوياً ـ لا قيمة لها في نظره أيضاً، ولكنه عندما يجد الإسلام في خطر ويشخّص أن إحياء الإسلام وتطبيق قوانينه وتشريعاته التي فيها سعادة الناس تطبيقاً كاملاً لا يتيسّر إلا في ظلّ قوّةِ الحُكم، يسعَى إلى التحرك نحو الكوفة لأجل تشكيل الحكومة ويقول: «نحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر»[3].

وبناءً على ما تقدّم ليست الحكومة في نظر الإمام سوى وسيلة لتطبيق شرائع الإسلام، وعندما تتوافر الظروف المساعدة، يجب تأمين تلك الوسيلة، وهذا حق واجب يجب على الإمام القيام به لأنه حقُّ الإسلام وحقُّ نبيِّ الإسلام، وحقُّ المجتمع الإسلاميّ، ولا يستطيع الإمام أن يصرف النظر عنه لأنه ليس حقَّه الشخصيَّ حتى يتنازل عنه.

---

(1) الشيخ الطوسي، **تلخيص الشافي**، ج 4، ص 182.
(2) **نهج البلاغة**، خطبة 33، ص 76.
(3) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 205.



المطالبة بالحق

يعلم كل مَن له معرفة بروح الفقه الإسلامي أن أخذ الحق (إلا في بعض الموارد الاستثنائية الخاصة) واجبٌ، خصوصاً الحقُّ الذي له جانب اجتماعيّ وعامّ، ويرتبط بسعادة الأمّة وشقائها. والخلافة الإسلامية التي هي حقّ الإمام المعصوم أمرٌ ذو جانبٍ عامٍّ واجتماعيٍّ قبل أن يكون حقّاً شخصيّاً له، لأنّه عندما تكون الخلافة بيد الإمام المعصوم فإن عالَمَ الإسلام والأمَّةَ الإسلاميَّةَ يستطيعان السير خطوات كبيرة ـ تحت قيادته وزعامته ـ على طريق التكامل والرقيّ.

ومن هذا المنطلق سعى أمير المؤمنين عليه السلام لإثبات حقِّه في الخلافة بعد قصّة «السقيفة» وفي حادثة «الشورى»، لأنه كان يعلم أنه عندما تكون الخلافة بيد الإمام فإن الأمّة الإسلامية ستسير نحو التكامل وسينتشر الإسلام وتتَّسع رقعته أكثر بكثير، وقد عبّر عليٌّ عليه السلام بصراحة وبشكل قاطع عن ذلك في معرض ردّه على من قال له إنك حريص على الخلافة، فقال: «.. **وإنَّمَا طَلَبْتُ حَقاً** [1] **لِي وأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وبَيْنَهُ وتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ**»[2].

ولاشكَّ أنّ عليّاً عليه السلام لو لم يطالب بالخلافة لكان مسؤولاً أمام الله ولا يملك عذراً أمام ساحة الحق تعالى يوم القيامة، هذا رغم أن مطالبته بحقِّه لم توصله إلى مقصوده.

وكذلك عندما رأى الإمام الحسين عليه السلام الظروف مساعدةً رأى لزاماً عليه أن يتحرّك نحو إعادة الخلافة الإسلامية إلى أهلها ومركزها الأصلي لِيُنقذ بواسطتها الإسلام الذي هُجِرَتْ أحكامه وتشريعاته، ويُنَجِّيَ الأمَّةَ التي أوجعها الظلم من براثن حكومة يزبد المعادية للإسلام.

فاتَّضح إذن أن أخذ الحق، بمعنى التصدِّي لمنصب الخلافة الإسلامية، في مثل

(1) هذا هو حق الحاكمية والإمامة ذاته الذي أُنِيْطَ بأمير المؤمنين عليه السلام طبقاً لحديث **«مَن كنتُ مولاه فهذا علي مولاه»** وهو الذي يُعرف باسم **«الولاية التشريعية»** في مقابل **«الولاية التكوينية»** التي تعني تصرّف النبي والإمام في الكائنات بإذن الله، كما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله شجرةً أن تنقلع بعروقها من مكانها وتقف بين يديه ففعلت (**نهج البلاغة**، أواخر الخطبة رقم 190).

(2) **نهج البلاغة**، الخطبة رقم 170.



تلك الظروف، كان واجباً على الإمام الحسين لأنَّ حجَّةَ اللهِ قد قامت عليه عندما توافرَت له القوَّة اللازمة، ولو لم يسع إلى تشكيل الحكومة الإسلامية وإحياء معالم الإسلام لما كان له عذرٌ أمام الله تعالى يوم القيامة.

الاستيلاء على القافلة

في طريقه منطلقاً من مكة إلى الكوفة «أقبل الإمام الحسين عليه السلام حتى مرَّ بـ«التنعيم» فَلَقِيَ بها عِيراً آتيةً من اليمن بَعَثَ بها **«بُحَير بنُ رَيْسَان الحِمْيَرِيّ»** إلى **«يزيد ابن معاوية»** وكان عامله على اليمن، وعلى العير الورس والحُلَل ينطلق بها إلى يزيد، فأخذها الحسين فانطلق بهم وقال لأصحاب الإبل: لا أُكْرِهُكُم! مَنْ أحبَّ أن يمضي معنا إلى العراق أوْفَيْنَا كِرَاءَه وأحسنَّا صحبته، ومنْ أحبَّ أنْ يُفارِقَنَا مِنْ مكاننا هذا أعطيناه من الكراء على قدر ما قطع من الأرض. قال فمن فارقه منهم حوسب فَأُوفِيَ حقَّهُ، ومن مضى منهم معه أعطاه كراءه وكساه»[1].

قد يسأل البعض: هل مصادرة أموال القافلة جبراً وبالإكراه أمرٌ يتناسب مع شأن الإمام؟

والجواب: أجل يجب أن نعلم أنه في مثل تلك الظروف كان واجباً على الإمام أن يصادر أموال القافلة ويستولي عليها وذلك لسببين:

1 ـ لأن تلك الثروة الكبيرة كانت من بيت مال المسلمين وكانت تذهب إلى يزيد ليصرفها ـ كما كان يفعل في بقية أموال الخزانة العامة للبلاد ـ في طريق أهوائه، لذا كان واجباً على الإمام الذي هو وليّ الله ورئيس المسلمين أن يستولي على تلك الأموال المغصوبة وينتزعها من أيدي غاصبيها ليصرفها في مصالح المسلمين[2]، وقد أشرنا فيما سبق إلى أن أخذ الحقّ واجب على الإمام خصوصاً الحقّ المتعلّق بالأمَّة الإسلاميّة.

2 ـ بما أنَّ الإمامَ قام لمواجهة حكومة «يزيد» المتمرّدة على الإسلام وقرَّر إعادة الخلافة الإسلامية إلى أهلها، وبما أنَّ هذا العمل يحتاج ـ إضافةً إلى القوَّة

---

(1) انظر تاريخ الطبري، ج 4، ص 289 ـ 290.

(2) الشيخ الطوسي، تلخيص الشافي، ج 4، ص 179.



العسكريّة ـ إلى قوّة اقتصاديّة، لذا كان واجباً على الإمام أن يُعِدَّ القدرةَ الاقتصاديّةَ لتحقيق هذا الهدف، وبالتالي كان من الضروريِّ أن يستولي على أموال القافلة التي كانت أموالاً طائلة إلى حدّ ما ليقوّي قدرَتَهُ الماليّةَ الضروريّةَ لمواصلة صراعه مع حكومة «يزيد» على نحو أكثر فاعلية واطمئناناً.

فتبيَّن أن الاستيلاء على أموال القافلة لم يكن متنافياً مع مقام الإمام بل لو لم يفعل ذلك لكان مسؤولاً أمام الله والإسلام: لماذا لم يحرِّر أموالَ المسلمين المغصوبة من أيدي الغاصبين رغم قدرته على ذلك ولماذا لم يستعن بها في صراعه ضدّ حكومة «يزيد»؟

وعلى كل حال فأفضل دليل على أن الاستيلاء على القافلة كان واجباً على الإمام هو عمل الإمام ذاته لأنّ الإمام لا يتصرف خلافاً لما هو واجب، ولهذا السبب كان عملُه حجَّةً للآخرين.

مسألة البيعة

عرفنا أن الإمام الحسين عليه السلام أرسل «مسلماً» إلى الكوفة ليأخذ له «البَيْعَة» من أهلها إذا كانت الظروف مساعدة على ذلك. هنا ينبغي أن نبحث باختصار عن معنى «البَيْعَة» وأقسامها لكي تتضح ماهية تلك «البَيْعَة» التي أخذها «مسلم بن عقيل» للإمام الحسين عليه السلام من أهل الكوفة.

حقيقة «البَيْعَة» هي أن يضع شخصٌ يده في يد شخص آخر ويعاهده على العمل بأمر أو يلتزم أمامه بالعمل به. وللبيعة أقسام نشير فيما يلي إلى أهمها:

1 ـ بيعة الاتّباع

وهي أن يلتزم المبايع بالأمور التي تُطلب منه أثناء البيعة كبيعة النساء اللواتي أسلمنَ وبايعنَ رسولَ اللهِ عَلَى أَنْ لاَ يُشْرِكْنَ باللهِ شَيْئًا وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ[1]، وهي في الحقيقة بيعةٌ على اتّباع الإسلام.

(1) انظر سورة الممتحنة، الآية 12.



2 ـ البيعة بالخلافة

وهي أن يُظهر المبايع تأييدَه ويعبّرَ عن دعمه ونصرته للخليفة الجديد، كما فعل جمهور الناس في بيعتهم لعليّ عليه السلام بعد قَتْلِ عثمان حيث أعلنوا بهذه الوسيلة تأييدهم ونصرتهم للإمام ومنحِهِم الثقةَ له.

3 ـ البيعة على الجهاد

وهي أن يعلن المبايِعُ استعدادَه لقتال العدوّ تحت إمرة وقيادة المبايَع، كما فعل المسلمون في بيعة «الحديبية» ـ وهي بيعة الرضوان ـ حين بايعوا رسول الله على الموت[1]، أي على قتال العدوّ معه حتى الموت.

وكما أخذ أمير المؤمنين عليه السلام في «ذي قار» البيعةَ من المستعدين للجهاد معه، قبل معركة الجمل[2].

و«البَيْعَةُ» التي أخذها «مسلم بن عقيل» من أهل الكوفة كانت بيعةً على الجهاد ضدّ العدوّ والتزم المبايعون فيها منازعة حكومة يزيد وقتالها تحت قيادة الإمام الحسين.

يقول المرحوم الشيخ المفيد قُدِّسَ سِرُّهُ في هذا الصدد: «... **إِلَى أَنِ اجْتَمَعَ لَهُ فِي الظَّاهِرِ الأَنْصَارُ فَدَعَا عليه السلام إِلَى الْجِهَادِ وَشَمَّرَ لِلْقِتَالِ وَتَوَجَّهَ بِوُلْدِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مِنْ حَرَمِ اللهِ وَحَرَمِ رَسُولِهِ نَحْوَ الْعِرَاقِ لِلاسْتِنْصَارِ بِمَنْ دَعَاهُ مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الأَعْدَاءِ، وَقَدَّمَ أَمَامَهُ ابْنَ عَمِّهِ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ لِلدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ وَالْبَيْعَةِ لَهُ عَلَى الْجِهَادِ، فَبَايَعَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ عَلَى ذَلِكَ وَعَاهَدُوهُ وَضَمِنُوا لَهُ النُّصْرَةَ وَالنَّصِيحَةَ وَوَثِقُوا لَهُ فِي ذَلِكَ وَعَاقَدُوهُ**..»[3]. وهنا نسأل: هل يمكن أن يكون للبيعة عَلَى الجهاد هدفٌ سوى النهوض لأجل إعادة الخلافة الإسلامية إلى مسارها الصحيح وأهلها؟

الحُكْمُ بالعَدْل

لما اعتُقِل «مسلم بن عقيل» وأُتِيَ به إلى محضر «ابن زياد» قال له: «إيه يا ابن

---

(1) الطَّبْرَسِيّ، تفسير مجمع البيان، ج9، ص113. (المؤلف). وفي الطبعة التي لديّ: ج9، ص188. (المُتَرْجِمُ)

(2) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 117.

(3) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 179.



عقيل! أتيتَ الناسَ وهم جميعٌ فشتَّتَّ بينهم وفرّقْتَ كلمتَهم وحملتَ بعضَهُم على بعض!. قال: كلا لستُ لذلك أتيتُ، ولكنَّ أهل المِصْرِ زعموا أنَّ أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر؛ فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب.»[1].

ونسأل: بأيِّ وسيلةٍ يمكن أن يُؤمرَ الناسُ بالعدل ويُدعَوْنَ إلى حكم الكتاب أي إلى تطبيق أحكام القرآن فيما بينهم؟ وهل يمكن أن يتمَّ ذلك إلا إذا أُمر جهاز القضاء الإسلاميّ بالحكم على أساس شريعة القرآن وقانون العدل وهو أمر لا يتأتّى بداهةً إلا إذا عادت الخلافة إلى أهلها وأخذ الإمام الحسين عليه السلام زمام الأمور بيديه وانصاع جهاز القضاء والمحاكم في بلاد الإسلام إلى مراسيمه وتعليماته.

وبناءً على ذلك يتَّضح من قول «مسلم بن عقيل»: «فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب» أن مهمّته كانت إعداد القوة اللازمة ـ في حال التمكّن من ذلك ـ لإعادة الخلافة الإسلامية إلى الإمام الحسين عليه السلام ليحكم الناس بواسطتها على أساس العدل ويُحيي في الناس أحكام القرآن الكريم.

وهذا هو تماماً ما أشار إليه ابن زياد في كلامه مع «مسلم بن عقيل» حين قال: «يا فاسق! إنَّ نَفْسَكَ تُمَنِّيكَ مَا حَالَ اللهُ دُونَهُ وَلَمْ يَرَكَ اللهُ لَهُ أَهْلاً. فقال مسلمٌ: فمن أَهْلُهُ إذا لم نكن نحن أَهْلَهُ؟. فقال ابنُ زياد: أميرُ المؤمنين يزيد!»[2].

إذن الموضوع المطروح هو موضوع الخلافة والحكم وليس شيئاً آخر[3].

تذكير

إن الذين يقولون إن الإمام الحسين عليه السلام عندما قرَّر الذهاب إلى الكوفة لم يكن

(1) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 196.

(2) المصدر السابق.

(3) كيف يفسّر القائلون بأن الإمام الحسين عليه السلام تحرّك إلى الكوفة لكي يُقتل هذا الحوارَ بين «مسلم» وابن زياد؟ هل يقولون: إن مسلماً قال: نحن مستعدون لنأمر الناس بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب بواسطة موتنا وقتلنا!، فقال ابن زياد لمسلم: إن نفسك تمنّيك الموت الذي حال الله بينك وبينه لأنك لست أهلاً للموت، بل يزيد بن معاوية هو أهله؟!!.



يمتلك قوة كافية ولم يكن هناك إمكانية لانتصاره، يلزم عن قولهم نسبة الخطأ والاشتباه إلى «مسلم بن عقيل» لأنه كتب إلى الإمام يقول: «**إنَّ جَمْعَ أهلِ الكوفة معك فَأَقْبِل حين تقرأ كتابي والسلام**»[1]، وهذا مفاده أن أكثرية أهل الكوفة كانوا أنصاراً مستعدين للنهوض مع الإمام.

من البديهي أنه عندما يشخّص «مسلم بن عقيل» أن أكثر أهل الكوفة أنصارٌ لابن رسول الله ﷺ فإنّ هذا معناه أن إمكانية النصر كانت متوافرة في نظره وإلا لما طلب من الإمام القدوم إليه.

فهل يمكن لمن يخالف رأي «مسلم بن عقيل» ويقول إنه لم تكن هناك أيّة إمكانية لانتصار الإمام ـ أن ينسب الخطأ إلى تشخيص «مسلم»؟!

ومن الجهة الأخرى بما أن «مسلم بن عقيل» كان ثقةً مُعْتَمَداً لدى الإمام الحسين عليه السلام الأمر الذي جعل الإمام يختارُه لهذه المهمّة الخطيرة؛ فإن نسبة الخطأ والاشتباه إلى «مسلم» ستعني التشكيك في حسن انتخاب الإمام وهذا أمر يتنافى مع عصمته عليه السلام.

بناءً على ما ذُكر فإنّ الذين يقولون إنه عندما قرَّر الإمامُ الحسين عليه السلام الذهابَ إلى الكوفة لم يكن هناك إمكانيةٌ للنصر والغلبة على العدوّ، ينسبون ـ في الواقع ـ الخطأ إلى تشخيص «مسلم» ويوجِّهون ـ دون أن ينتبهوا ـ طعنةً غيرَ مباشرةٍ إلى عصمة الإمام.

إتمامٌ للحجَّة ذو جانبين

عندما أعلن جماعات من الناس استعدادَهم للنهوض لإعادة الخلافة الإسلامية إلى أهلها وأظهروا على نحو مُطَمْئِنٍ وفاءَهم لهذه القضية، تمّت الحُجّة على الإمام ووجب عليه أن يستخدم قوّة هؤلاء الأنصار لإعادة الخلافة إلى أهلها وتسلم زمام الأمور ليُحيي بذلك ما أُميت من سنن الإسلام ومعالم الدين.

ولكن النقطة الجديرة بالملاحظة هي أن إقدام الإمام على تشكيل الحكومة

(1) تاريخ الطبري، ج4، ص297.



الإسلامية وإسقاط حكومة الظلم له جانب إتمام للحُجَّة مِنْ قِبَلِ الإمام أيضاً، وبعبارة أخرى إن ذلك الإقدام كان أداءً للواجب وفي الوقت ذاته كان إتماماً للحُجَّة.

كان أداءً للواجب وعملاً بالمسؤولية لأن واجب الإمام إحياء الدين.

وكان إتماماً للحُجَّة لأنه عندما تصدّى الإمام ـ عند توافر الظروف المساعدة ـ لمسؤوليّة إعادة الخلافة إلى أهلها ومجراها الصحيح، ولكنّ الحوادثَ الطارئةَ أفْشَلَتْ حركَتَه ونُهوضَهُ، فإنَّه بذلك يكون قد أتمَّ الحجَّة على الناس بتصدِّيه لذلك الأمر ولم يُبْقِ أيَّ مجالٍ لاعتراض مُعْتَرِضٍ.

بناءً على ذلك فإن إتمامَ الحجَّة في نهوض الإمام الحسين عليه السلام وثورته ذو جانبين، فعند توافر الظروف المساعدة لإعادة الخلافة الإسلامية إلى أهلها ونهجها الصحيح، تتمُّ حجَّةُ الله على الإمام، وعندما ينهض الإمامُ لتحقيق هذا الهدف يُتِمُّ هو الحجَّة على الناس بهذا الإقدام البطوليّ.

ولكن يجب أن ننتبه إلى أن تحرُّك سيد الشهداء سلام الله عليه للاستيلاء على العراق لم يكن من أجل إتمام الحجَّة فقط، بل كان له جانبان، فكان يهدف إلى إحياء الإسلام عن طريق إعادة الخلافة إلى أهلها من جانب، وإلى إتمام الحجَّة في الوقت ذاته.

ماذا حلّ بقوات الأنصار المتطوّعين؟

سؤال من الطبيعي أن يَرِدَ على ذهن كل ذي لبّ: أين ذهبت إذن تلك القوات المتطوّعة الجاهزة لنصرة الإمام الحسين عليه السلام التي أشرنا إليها فيما سبق، ولماذا لم تهرع إلى نصرة الإمام وتقضي على حكومة «يزيد»؟

لقد طُرِح مثل هذا السؤال بشأن أمير المؤمنين عليه السلام: ماذا حلّ بجيش الإمام القويّ في معركة صفين ولماذا لم يتمكّن من إعانة الإمام على القضاء على «معاوية» وجيشه؟

الجواب

كلُّنا يعلم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام وصل في معركة صفِّين إلى أعتاب النصر



القاطع، لكنَّ الفتنة والاختلاف اللذين وقعا في صفوف جُنْد الإمام في إثر حيلة «عمرو ابن العاص» في رفع المصاحف على رؤوس الرِّمَاح حالا دون الانتصار العسكري للإمام، ورغم أن جيشاً قوياً كان تحت تصرف عليّ عليه السلام ويعمل بقيادته المباشرة إلاّ أنّ ذلك الاختلاف الداخلي كان بمثابة جدارٍ فولاذيٍّ حال بين الإمام وجيشه بحيث لم يعد الجند يطيعون أمره على النحو الكامل والمطلوب، وسُلبت قيادة الجيش، عملياً، من أمير المؤمنين، كما عبّر عن ذلك بذاته حين قال: **«لا رأيَ لمن لا يُطاع»**[1]. وفي مثل تلك الظروف لم يَعُدْ الانتصار العسكري ممكناً للإمام.

كذلك لم تستطع القوات المتطوعة لنصرة الإمام الحسين عليه السلام، عقب انقلاب الأوضاع في العراق وانسداد الطرق أمامها، أن تتصل بالإمام، وبعد أن جاء جنود «عُبَيْد الله بن زياد» المسلّحين بقيادة «الحرّ بن يزيد» لإحضار الإمام، وأحاطوا به، سُلبت من الإمام قيادة تلك القوى الشعبية المتطوعة، وفي مثل تلك الظروف لم يعد الانتصار العسكري ممكناً للإمام.

بناءً على ما ذُكر فإنَّ العلّة الأصليّة لعدم تيسير النصر العسكري لأمير المؤمنين عليه السلام في صفين وللإمام الحسين عليه السلام في ثورته هو انقطاع الصلة بين منصب القيادة والجيش، مع فرق أن حجاباً حديديّاً من الاختلاف والنزاع هو الذي قطع الصلة بين القيادة والجيش في صفين، في حين أن انقلاب الأوضاع في الكوفة وسيطرة «عُبَيْد الله ابن زياد» عليها وقطعه الطرق إليها هو الذي قطع الصلة بين الإمام الحسين عليه السلام وقوّات أنصاره المتطوعين.

هل كان «مسلم بن عقيل» هو المسؤول؟!

من الطبيعي أن يتساءل كلُّ باحثٍ: مَن المسؤول عن انقطاع الصلة بين الإمام وقوّاته؟ هل يمكن القول بأن «مسلم بن عقيل» هو المسؤول باعتبار أنه لم يستطع قيادة القوات المتطوعة للحسين بن علي عليه السلام بشكل صحيح والاستفادة منها في القضاء على «عُبَيْد الله بن زياد» ؟!

---

(1) نهج البلاغة، خطبة 27.



هنا ينبغي أن نقول: إنه من المسلّم به أن «مسلمَ بن عقيل» كان رجلاً مجاهداً مخلصاً أدّى مهمَّته الخطرة على أفضل نحوٍ، وَدَرَسَ أوضاعَ الكوفة السياسيّة بدقّة وهيّأ خلال ذلك قوّةً عسكريةً جاهزةً لنصرة الإمام ومهّد بذلك الطريق ـ من كل ناحية ـ لقدوم الحسين بن علي عليه السلام إلى الكوفة وكتب إليه يطلب منه التعجيل بالقدوم وجلس ينتظر وصوله.

ولكن الذي حدث أن «عُبَيْد الله بن زياد»، حاكم الكوفة الجديد، تمكّن بواسطة جاسوسه الخاص من اكتشاف مكان «مسلم» فاعتقل مضيفَه «هانئ بن عروة» وأحضره وطلب منه أن يسلّمه «مسلماً» فرفض «هانئ» ذلك أشدَّ الرفض وقال: لا والله لا آتيك به أبداً، أجيئك بضيفي تقتله؟!! . . . والله إن عَلَيَّ في ذلك للخزي والعار، أأنا أدفع جاري وضيفي وأنا حيٌّ صحيح أسمع وأرى شديد الساعد كثيرَ الأعوان؟!! والله لو لم أكن إلا واحداً ليس لي ناصر لم أدفعه حتى أموت دونه، فلمَّا سمع «عُبَيْد الله بن زياد» ذلك منه قال له: والله لتأتِيَنِّي به أو لأضربنَّ عنقك، فلم يأبه «هانئ بن عروة» لذلك وأصرَّ على رفضه، فقال «عبيدُ الله بنُ زياد» أدنوه منّي وأخذ يضرب وجهَ «هانئ بن عروة» بالقضيب ولم يزل يضرب وجهه وأنفه وجبينه وخدّه حتى كسر أنفه وسيّل الدماء على ثيابه ونثر لحم خدّه وجبينه على لحيته. . . ثم ألقاه في بيت من بيوت الدار وأغلق عليه وحَبَسَهُ فيه وجَعَلَ عَلَيْهِ حُرَّاساً(1).

عندما رأى «مسلم» هذا الوضع و عَلِمَ أنَّ العدوَّ اكتشف مكانه وأنه لو لم يحافظ على نفسه بالقوَّة العسكرية فإن العدوّ سيفاجئه بمحاصرته و سيقطع الارتباط بينه وبين قواته المسلحة وعندئذ ستكون هزيمتُه قطعيَّةً، أَمَرَ أن يُنادى بقوات الاحتياط من أصحابه لتكون على أهبّة الاستعداد للقتال وسرعان ما اجتمع أربعة آلاف رجل مسلح منهم. . . فتنادى أهل الكوفة واجتمعوا عليه فعقد «مسلمٌ» لرؤوس الأرباع على القبائل كندة ومذحج وأسد وتميم وهمدان وتداعى الناس واجتمعوا فما لبثوا إلا قليلاً حتى امتلأ المسجد من الناس والسوق وما زالوا يتوثّبون حتى المساء. . ثم لما بلغ «مسلم ابن عقيل» قتلَ «هانئ بن عروة» نادى فيمن كان بايعه، فاجتمعوا، فعقد لعبد الرحمن

(1) انظر الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 189. (أو ج2، ص 49 ـ 50).



بن كريز الكندي على كندة وربيعة، وعقد لمسلم بن عوسجة على مِذحج وأسد، وعقد لأبي ثمامة الصيداوي على تميم وهمدان، وعقد للعباس بن جعدة بن هبيرة على قريش والأنصار، فتقدموا جميعاً حتى أحاطوا بالقصر، واتبعهم هو في بقية الناس[1].

وهكذا أصبح «عُبَيْد الله بن زياد» محاصراً في قصره وعلى وشك الهلاك.

وكان الهدف من محاصرة القصر القبض على «عُبَيْد الله بن زياد» أو قتله.

إلى هنا تصرف «مسلم بن عقيل» ـ كما نرى ـ بكل مهارة و دقّة و كان يتقدَّم نحو هدفه بشكل مُرْضٍ.

التحرُّكات المُضادَّة

هنا سارع «عُبَيْد الله بن زياد» الذي أصبح محاصراً في قصره ومعه ما بين خمسون[2] إلى مائتي رجل[3] من أشراف الكوفة و الأعوان والشُّرَط إلى القيام بعدة تحرُّكات مُضَادَّة لكسر الحصار و التغلب على عدوّه و إنقاذ نفسه من الهلاك، ويمكن تلخيص تحركاته بالنقاط التالية:

1 ـ قام أعوان «ابن زياد» على سور القصر يرمون القوم بالمدر[4] والنشاب، ويمنعونهم من الدنوّ من القصر، فلم يزالوا بذلك حتى أمسوا[5].

2 ـ دعا «ابنُ زياد» «كثيرَ بن شهاب» وأَمَرَهُ أن يَخْرُجَ فيما أطاعه من «مذحج» فيسير في الكوفة ويخذِّل الناس عن «ابن عقيل» ويخوِّفُهُم الحربَ ويُحَذِّرُهُم عقوبةَ السلطان[6].

2 ـ أَمَرَ خمسةَ أشخاص من الشخصيات المعروفة في الكوفة مثل «محمد بن الأشعث» و«شِمْر بن ذي الجوشَن» أن يخرجوا من القصر ويجتمع كل واحد

---

(1) انظر تاريخ الطبري، ج4، ص 275، والشيخ المفيد، الإرشاد، ص190 (أو ج2، ص 50 فما بعد).
(2) تاريخ الطبري، ج4، ص 276، و الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 190.
(3) أبو حنيفة الدينوري (ـ 281 هـ)، الأخبار الطوال، ص 217. (وفي نسختي: ص 238).
(4) المدر: رماح كانت تركب فيها القرون المحددة مكان الأسنة.
(5) أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص 217. (وفي نسختي: ص 238).
(6) تاريخ الطبري، ج4، ص 276، و الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 190.



منهم بمن أطاعه من الناس ويتمركزوا في مكان ما من الكوفة ويرفعوا راية أمان معتمدين على قوة الناس المتجمّعين حولهم ويُنادوا في الناس أن كل من أراد أن يكون في مأمن من عقاب الحكومة فلينضوِ تحت واحدة من رايات الأمان الخمس تلك، وبذلك تم نصب خمس رايات أمان في خمس نقاط من مدينة الكوفة و دُعِيَ الناسُ إلى الالتحاق بها لينجوا من انتقام الحكومة[1].

3 ـ تمكن «كثير بن شهاب» و «محمد بن الأشعث» من القبض على رجلين من أنصار «مسلم بن عقيل» كانا قد قدما ليلتحقا بقوات «مسلم» وكان أحدهما قد جاء مع جماعةٍ من «بني فتيان»، فقبضا عليهما وساقاهما إلى «ابن زياد» الذي أمر بحبسهما، فكان لاعتقال وحبس هذين الرجلين وتفرُّق جماعة «بني فتيان» أثرٌ واضح في إرعاب أنصار «مسلم».

4 ـ بعد أن ألقى «كثير بن شهاب» والأشخاص الخمسة الذين رفعوا رايات الأمان داخل الكوفة كلماتهم ضد «مسلم» ولمصلحة «ابن زياد»، عاد ثلاثة منهم أي: «كثير بن شهاب» و«محمد بن الأشعث» و«القعقاع بن شور» إلى قصر الإمارة وبرفقتهم جماعة كبيرة من أتباعهم، وقوَّوْا بذلك «عُبَيْد الله بن زياد» الذي كان يشكو قلّة عدد من معه.

5 ـ إضافة إلى الدعايات المعادية التي تمّ بثها في الأحياء المختلفة لمدينة الكوفة ضدّ «مسلم بن عقيل»، أمر «ابن زياد» بالبدء ببثّ تلك الدعايات المعادية ثانيةً من فوق قصر الإمارة، فشرع «كثيرُ بن شهاب» وأعوانُه بإلقاء كلماتٍ يتوعَّدون فيها أنصار «مسلم». وكان مما قاله «كثيرُ بن شهاب» لقوات «مسلم» مهدِّداً مُرعِباً:

«أَيُّهَا النَّاسُ! الْحَقُوا بِأَهَالِيكُمْ وَلاَ تَعْجَلُوا الشَّرَّ وَلاَ تُعَرِّضُوا أَنْفُسَكُمْ لِلْقَتْلِ، فَإِنَّ هَذِهِ جُنُودُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدَ قَدْ أَقْبَلَتْ [أي من الشام][2] وَقَدْ أَعْطَى اللهَ الأَمِيرُ عَهْداً لَئِنْ تَمَمْتُمْ عَلَى حَرْبِهِ وَلَمْ تَنْصَرِفُوا مِنْ عَشِيَّتِكُمْ أَنْ يَحْرِمَ ذُرِّيَّتَكُمُ الْعَطَاءَ وَيُفَرِّقَ مُقَاتِلَتَكُمْ

(1) تاريخ الطبري، ج4، ص 276، و الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 191.

(2) كانت تلك كذبة قيلت لتخويف الناس وإرعابهم، وإلا فلم يكن هناك في الواقع أي جيش قادم من الشام!.



فِي مَغَازِي الشَّامِ، وَأَنْ يَأْخُذَ الْبَرِيءَ بِالسَّقِيمِ وَالشَّاهِدَ بِالْغَائِبِ حَتَّى لا تَبْقَى لَهُ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ إِلاَّ أَذَاقَهَا وَبَالَ مَا جَنَتْ أَيْدِيهَا!»[1].

وتكلّم سائر أعوان «كثير بن شهاب» من أشراف الكوفة بنحوٍ من ذلك، فلمّا سمع الناس كلمات الوعد والوعيد التي كانت تُلقَى من فوق سطح قصر الإمارة أُلْقِيَ في قلوبهم الرّعب وأثّر ذلك في معنويات أنصار «مسلم بن عقيل» تأثيراً كبيراً[2].

انقلاب الأوضاع

أثّرت التحرُّكات المضادّة التي قام بها «عُبَيْد الله بن زياد» وأعوانه ضد «مسلم بن عقيل» تأثيراً عميقاً في أفكار قواته، وكانت خلاصة تلك التحركات:

1 ـ دعايات معادية ووعيد يُلقى في أزقة الكوفة وشوارعها ضد «مسلم».

2 ـ رفع رايات للأمان لمن يتخلّى عن دعم «مسلم» في خمس نقاط من الكوفة.

3 ـ اعتقال شخصين من أنصار «مسلم» الأوفياء.

4 ـ الخطب التهديدية التي ألقاها أعوان «ابن زياد» من فوق قصر الإمارة أمام قوات «مسلم».

كل تلك التحركات التي تمّت بغضب وعنف ضدّ «مسلم»، في وقت وصل تأزّم الأوضاع في الكوفة إلى أوجه، قلبت الأوضاع لمصلحة «عُبَيْد الله بن زياد» وساعد على ذلك يأس الناس من وصول الإمام الحسين عليه السلام السريع إلى الكوفة وحلول الليل، وألقى انصراف عدد من مؤيدي «مسلم» التردُّد في قلوب مَن لم ينصَرف منهم بعد، واختلّ نظام القوات الشعبية، وسُلبت قيادة قوات الإمام الحسين عليه السلام من «مسلم ابن عقيل» وتفرّقت القوات المتردّدة في أمرها، وبعد صلاة المغرب التي أُدّيت في المسجد الجامع الواقع إلى جوار قصر الإمارة لم تمض مدّة إلا ورأى «مسلم» نفسَه وحيداً في ظلام الليل في أزقّة الكوفة فاتّجه إلى منزل امرأةٍ يُقال لها «طوعة» ولجأ إليه[3].

---

(1) تاريخ الطبري، ج4، ص 277، و الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 191. (أو ج2، ص53 ـ 54).
(2) انظر تاريخ الطبري، ج4، ص 277، و الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 191.
(3) تاريخ الطبري، ج4، ص277، و الشيخ المفيد، الإرشاد، ص192.



كما حدث في صفين عندما وصلت الحرب إلى أوجها وأصبح أمير المؤمنين عليه السلام قاب قوسين أو أدنى من النصر القاطع حدث ما قلب الأوضاع رأساً على عقب لمصلحة «معاوية» وخُدعت قوات الإمام بحيلة «عمرو بن العاص» وسُلبت قيادة جيش عليّ عليه السلام عملياً منه، هنا أيضاً نجحت تحركات «عُبَيْد الله بن زياد» السياسية في قطع الارتباط بين «مسلم بن عقيل» وقواته وسُلبت منه عملياً قيادة جيشه.

هل يمكن تحميل «مسلم» أية مسؤولية عما جرى؟!

هل يمكن اعتبار مثل هذا الرجل المجاهد، الذي استطاع ـ رغم كل ما كان يواجهُ مهمَّتَهُ من مصاعب ومخاطر ـ تشكيل جيش قويٍّ وتمهيد الطريق من جميع النواحي لقدوم الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة، إلا أنَّ المراحل الأخيرة من أوضاع الكوفة المتأزّمة لم تسمح له بإمكانية السيطرة على العدو، هل يمكن اعتباره مسؤولاً عما حدث بعد ذلك رغم كل ذلك الإخلاص الذي أبداه والتضحية التي قام بها؟!

إذا كان أمير المؤمنين عليه السلام مسؤولاً عن انقلاب الأوضاع في واقعة صفين لمصلحة معاوية!!! فإن «مسلم بن عقيل» كذلك مسؤول في حوادث الكوفة عن انقلاب الأمور لمصلحة «عُبَيْد الله بن زياد».

مُشْكِلتَان

ثمّة مشكلتان في حوادث الكوفة الحرجة التي انتهت في عاقبة الأمر لمصلحة «عُبَيْد الله بن زياد» تمثّلان لغزين يواجهان الإنسان على نحو يخلق في نفسه الحيرة والتردُّد في الفهم الصحيح للحوادث المتعلّقة بحركة «مسلم بن عقيل».

المشكلة الأولى

المشكلة الأولى هي أننا لاحظنا أنه رغم محاصرة قوات «مسلم» لقصر الإمارة لم ينقطع ارتباط القصر بالخارج تماماً بل استطاع بعض أشراف الكوفة أن يتصلوا بِعُبَيْد الله ابن زياد بعد الحصار ويأتوه من قبل الباب الذي يلي دار الروميين، ورأينا أن «عُبَيْد الله ابن زياد» استطاع إرسال أفراد مثل «كثير بن شهاب» وأعوانه إلى داخل الكوفة حيث قاموا بتشكيل جماعات حولهم وبرفع ألوية أمان في عدة نقاط من المدينة وقاموا



بدعايات حكومية ضد «مسلم بن عقيل» واستطاعوا أن يأتوا من ذلك الباب ذاته بجماعة إلى داخل القصر لدعم «ابن زياد»[1].

لماذا لم ينقطع ارتباط «عُبَيْد الله بن زياد» بخارج القصر بشكل كامل؟

هل كان وضع الأبنية والمنازل المحيطة بالقصر من ناحية دار الروميين والطريق المؤدّية إلى القصر على نحو لا يعطي حتى لأربعة آلاف رجل مسلّح ومنظّم إمكانية الإحاطة بالقصر من تلك الناحية وقطع ارتباط القصر بشكل كامل مع الخارج؟!

لا شك أننا ونحن اليوم في القرن الرابع عشر الهجري لا نستطيع امتلاك معلومات دقيقة عن أوضاع الأبنية والأزقّة والشوارع التي تتّصل بقصر الإمارة كي نعلم لماذا لم يقع قصر الإمارة من ناحية دار الروميين وباب القصر الموجود في تلك الجهة تحت محاصرة قوّات «مسلم»؟!.

ربما أمكننا القول: إنَّه رغم تجهيز «مسلم بن عقيل» عدَّةَ آلاف من القوات كقوّات احتياط إلا أنه لما لم يشكّل الحكومة بعد ولم يسيطر على بيت المال فإنه لم يستطع تنظيم قواته بشكل كامل ومنتظم وجاهز، إذ كان ينتظر قدوم الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة لتتم جميع هذه الأمور تحت إشراف الإمام المباشر، كما أن محاصرة القصر تمّت على نحو مفاجئ دون تخطيطٍ واستعدادٍ مسبق بهدف الحيلولة دون مباغته جماعة «عُبَيْد الله بن زياد» لهم، لذا لم تستطع قوات «مسلم بن عقيل» أن تحاصر القصر بشكل كامل وأن تقطع ارتباط «ابن زياد» بخارج القصر[2].

المشكلة الثانية

كتب جميع المؤرخين أن «مسلم بن عقيل» بقي وحده في أزقة الكوفة بعد أن

---

(1) تاريخ الطبري، ج4، ص 276، و الشيخ المفيد، الإرشاد، ص191.

(2) قال أحد العلماء المعاصرين الكبار في هذا الصدد ربما كانت علة الشرخ في خط الحصار خروج «مسلم» بسرعة وباضطراب باتجاه القصر مما سلب منه فرصة وضع خطّة حربية دقيقة واتخاذ إجراءات تكتيكية، كما أنه من الممكن أن يكون باب القصر من ناحية دار الروميين مفتوحاً على زقاق فرعيٍّ ضيّق لا يمر منه الناس عادة في الأحوال العادية، ومجموع الأزقة والدور المجاورة ينتهي إلى باب آخر مرتبط بشارع رئيسي لا يقع تحت الأنظار، كما كان ذلك مُعْتاداً في المدن العسكرية القديمة.



تفرّق عنه جميع أنصاره، ولم يبقَ معه حتى شخص واحد من مؤيديه ليرشده إلى الطريق، هذا مع أننا نعلم أنه كان لمسلم أنصارٌ مخلصون مضحُّون بأرواحهم مثل: «حبيب بن مظاهر» و«مسلم بن عوسجة» و«أبو ثمامة الصائدي» وبعض هؤلاء مثل: «مسلم بن عوسجة» و«أبو ثمامة الصائدي» كان من القادة العسكريين لقوات «مسلم»[1].

وهؤلاء الأفراد المؤمنون والمضحُّون كانوا من شهداء كربلاء ولم ينصرفوا عن الإمام الحسين عليه السلام لحظةً بعد استشهاد «مسلم»، بل بذلوا كلَّ جهودهم ليصلوا إلى الإمام ويقاتلوا تحت رايته ويستشهدوا بين يديه، فكيف يمكننا أن نصدِّق أن يلوذ كلٌّ من «مسلم بن عوسجة» و«أبو ثمامة الصائدي» بمنزله، ويترك «مسلمَ بن عقيل» وحيداً؟!.

أيُّ أوضاع استثنائية سادت المراحل الأخيرة الحرجة في الكوفة أدَّت إلى حدوث ما حدث؟ ما هي الإجراءات التي اتّخذتها قوات «عُبَيْد الله بن زياد» حتى تمكّنت من قطع الارتباط بين «مسلم» وأنصاره المخلصين الباذلين أرواحَهم، فلم يكونوا مع «مسلم» في تلك الليلة ليرشدوه إلى بيتٍ من بيوت الكوفة؟!.

لا شك أنه لو لم ينقطع الارتباط بين «مسلم بن عقيل» وبين «حبيب بن مظاهر» و«مسلم بن عوسجة» وأمثالهما من الأشخاص المخلصين الباذلين أرواحَهم والذين كانوا قادة حركة الكوفة في تلك الليلة لأمكنهم أن يعقدوا معه اجتماعاً سرِّيّاً يُقومون فيه إمكاناتهم ومستجدَّات الأوضاع ويتّصلون من جديد برؤساء الكوفة إنْ كانت الإمكانات تسمح بذلك ويشكّلون قيادة أركان جديدة ويواصلون نضالهم بأسلوب آخر، وإن كانت الإمكانات لا تسمح بتشكيل قيادة أركان جديدة لكانوا قد انتخبوا عدداً من الفرسان البواسل ليخرجوا ليلاً من الكوفة برفقة «مسلم بن عقيل» ويلتحقوا بالإمام الحسين عليه السلام ليوضِّحُوا له مستجدَّات الأوضاع في الكوفة بشكل كامل.

إن من المسلّم به أن المؤرخين المسلمين الذين ابتدؤوا حديثاً في القرن الهجري

(1) تاريخ الطبري، ج 4، ص 275.



الثاني بكتابة تاريخ نهوض الحسين بن علي عليه السلام وثورته لم يستطيعوا الحصول على جميع التفاصيل المتعلّقة بحركة الحسين عليه السلام وتدوينها بشكل دقيق.

فلم يستطِع المؤرخون حلّ مشكلة انقطاع الارتباط بين «مسلم بن عوسجة» و«أبي ثمامة الصائدي» وعشرات من شيعة الإمام الحسين عليه السلام الأوفياء المخلصين وبين«مسلم بن عقيل»، ولا شرح الأوضاع الاستثنائية التي سادت المراحل الأخيرة من أزمة الكوفة وجعلت «مسلم بن عقيل» يبقى وحده ولا يكون معه أولئك الأعوان المخلصون الأوفياء لإرشاده[1].

هل يمكننا مع وجود هذا الوضع المظلم والمبهم أن نضع المسؤولية على عاتق «مسلم بن عقيل» ونتَّهمه بالضعف وفقدان الأهلية؟! بالطبع لا، لذلك من عدم الإنصاف على الإطلاق ما كتبه بعض الكتّاب حول هذا الرجل المجاهد المضحّي واتهمه بالضعف والعجز[2].

معرفة الناس

قد يتصوّر بعض الناس أنّ أحد الشروط الأساسية لتشكيل الحكومة معرفة الناس، بمعنى أنّ قائد الثورة يجب عليه قبل أيّ شيء آخر أن يدرس بدقّةٍ معنويّات الأشخاص الذين سيعتمد عليهم في تشكيل الحكومة وأخلاقَهم وروحيّاتَهم، وأن يعلم هل أكثريّتهم ثابتو الأقدام ومستعدُّون للتضحية أم ضعفاء مُزَعْزَعُون متردِّدون؟ فمن الواضح أنه عندما يكون أكثرهم مُتَردِّدين ومُزَعْزَعين لن يكون من الصائب إقدامه على تشكيل الحكومة بالاعتماد عليهم. هذا ويتصوَّر بعض الباحثين أن أكثر أهل الكوفة كانوا على تلك الشاكلة أي ضعفاء متردِّدين.

ولكن هذا التصّور حول أكثرية أهل الكوفة غير صحيح وفيما يلي بيان ذلك:

---

(1) قال أحد العلماء المعاصرين الكبار في هذا الصدد: لقد اختلّ انضباط جيش «مسلم بن عقيل» بسبب الاستعجال وضعف القيادة وإلا ما كان ينبغي إعطاء كل تلك المهلة للمحاصرين في قصر الإمارة ليقوموا بدعاياتهم العدائية، فيبدو أن القادة العسكريين فقدوا السيطرة على الأمور ولم تتح لهم الحيرة والذهول الذي حلّ بهم مجالاً لوضع خطّة لإنقاذ «مسلم» ولم يعُدْ يُفَكِّرُ كلُّ شخص إلا في نجاة نفسه!.

(2) انظر حاشية الكامل في التاريخ لابن الأثر، ج 3، ص 271.



روحية المجتمعات

إن الدراسةَ الدقيقةَ لِرُوحِيَّة المجتمعات الإنسانية وأخلاقها والمتغيِّرات التي تحدث للشعوب المتنوعة في الفترات التاريخية المختلفة تُظهر أن روحيَّة الشعوب لا تكون دائماً على حالةٍ واحدة رتيبةٍ ثابتةٍ غير قابلة للتغيير، بل طبيعة الناس طبيعة مرنة قابلة للتكيّف والتحوّل حسب الظروف، ويمكننا في حال توافر الظروف المساعدة أن نُحْدِثَ في المجتمعات تحوُّلاتٍ من جميع الأنواع: علمية وصناعية وأخلاقية وسياسية.

وللتحوُّلات السياسيّة التي تترافق عادةً مع تشكيل الحكومة ظروفٌ إذا ما توافرت كانت التحولاتُ ممكنةً و مثمرةً:

1 ـ استعداد أفكار الناس لفكرة وجوب تشكيل حكومة جديدة مكونة من أنفسهم.

2 ـ أهليّة القائد الذي ينبغي أن يُشكّل الحكومة.

3 ـ إيمان الناس بأهلية قائد الثورة إلى الحدّ الذي يجعلهم مطيعين لأوامره.

4 ـ تشكّل القوى الشعبية التي يجب أن تصبح بمثابة القاعدة الشعبية الداعمة للحكومة الجديدة.

إذا تحقَّقت هذه الشروط كان تشكيل الحكومة ممكناً ومثمراً، وفي مثل هذه الحالة يمكن إيجاد قوى متشكّلة حتى من الناس المتفرّقين الذين بينهم اختلافاتٌ محليّةٌ شديدةٌ وإزالةُ تلك الاختلافات والتشتُّت.

مثال

من النادر أن نجد في التاريخ العامّ للعالم فئاتٍ متعاديةً عداءً شديداً تعاني خلافاً ونزاعاً محلياً عميق الجذور كالذي كان بين قبيلتي الأوس و الخزرج في المدينة، ورغم ذلك فإن هاتين القبيلتين ذاتهما لما وجدتا قائداً مثل نبيِّ الإسلام العظيم صلى الله عليه وآله وسلم اجتمعتا تحت لوائه وأوجدتا قوةً تحت زعامته استطاعت بمساعدة قوى المهاجرين من مكّة أن تشكّل حكومةً مُتَّحدةَ الصفّ تتمتَّعُ بتلاحم واتّحاد يندر نظيرهما، واستطاعت تلك القبائل ـ بعد تشكيل تلك الحكومة ـ أن تتغلَّب على الأوضاع والأحوال العدائيّة عميقة



الجذور المحيطة بها، واستطاع رسول الله ﷺ بقوّة الحكومة المتشكّلة من قِوَى أولئك الناس، الذين كانوا إلى عهدٍ قريبٍ متفرّقين متنازعين، أن يبسط سيطرة الإسلام على جميع أنحاء جزيرة العرب خلال ثمان سنوات فقط.

كانت علّة ذلك الانتصار الباهر توافر الشروط الملائمة لتشكيل الحكومة أي:

1 ـ كان أبناء قبيلتي الأوس والخزرج قد سئموا الاقتتال فيما بينهم وأنْهَكَتْهُم حروبهم الأهليّة الطويلة فكانوا يبحثون عن طريقِ نجاةٍ ينقذهم من ذلك الوضع المهلك الذي كانوا يعيشون فيه.

2 ـ توافر قائدٍ مؤهَّل مثل نبيّ الإسلام العظيم ﷺ الذي ظهر في ميدان التحول السياسي وأخذ بيده زمام المبادرة إلى تشكيل الحكومة.

3 ـ إيمان الناس بأهلية زعيمهم وقائدهم.

4 ـ تشكّل قوات الناس المتناثرة تحت زعامة نبي الإسلام ﷺ الصحيحة.

في مثل هذا الجو المناسب والظروف المساعدة التي تشكلت فيها حكومة الإسلام بيد رسول الله ﷺ تبلور المجتمع الإسلامي وسيطر على جزيرة العرب.

روحيّة أهل الكوفة

لم يكن اختلاف أهل الكوفة وانحطاطهم وتنازعهم فيما بينهم بأكثر مما كان بين قبيلتي الأوس والخزرج في المدينة، وكان تشكيل الحكومة وتغيير الوضع السائد بواسطة قوة أهل الكوفة ممكناً بفضل تهيّؤ الظروف وتحقق الشروط التي أشرنا إليها.

لقد انتصر أمير المؤمنين عليه السلام بمساعدة أهل الكوفة هؤلاء على قوات عائشة وطلحة والزبير في معركة الجمل، ووصل بمساعدة أهل الكوفة أولئك إلى مشارف النصر النهائي القاطع في معركة صفين، وقضى بمساعدة أهل الكوفة أولئك على قُوَّات الخوارج المارقين المتعصّبين في معركة النهروان.

لما التقى أهل الكوفة أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار رحَّبوا به و قالوا الحمد لله الذي خصَّنا بجوارك و أكرمنا بنصرتك فقام أمير المؤمنين عليه السلام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: **«يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ! إِنَّكُمْ مِنْ أَكْرَمِ الْمُسْلِمِينَ وَأَقْصَدِهِمْ تَقْوِيماً وَأَعْدَلِهِمْ سُنَّةً وَأَفْضَلِهِمْ سَهْماً فِي الْإِسْلَامِ وَأَجْوَدِهِمْ فِي الْعَرَبِ مَرْكَباً وَنِصَاباً. أَنْتُمْ أَشَدُّ**



الْعَرَبِ وُدّاً لِلنَّبِيِّ ﷺ وَلأَهْلِ بَيْتِهِ، وَإِنَّمَا جِئْتُكُمْ ثِقَةً بَعْدَ اللهِ بِكُم..»[1]، كما مدح أهل الكوفة ذاتهم بعد انتصاره في معركة الجمل ـ بمعونتهم ـ بهذه العبارات المليئة بالرضا والسرور: «وَجَزَاكُمُ اللهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ والشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ فَقَدْ سَمِعْتُمْ وأَطَعْتُمْ ودُعِيتُم فَأَجَبْتُمْ»[2].

نقطةٌ هامَّةٌ

يتبادر إلى ذهن كل ذي رأيٍ التساؤل التالي: كيف يُثني أمير المؤمنين عليه السلام أحياناً على أهل الكوفة مثل ذلك الثناء، ويذمُّهم أحياناً أخرى ذماً شديداً إلى درجة أنه يدعو اللهَ أن يخلِّصه منهم ويقول: **«اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلِلْتُهُمْ ومَلُّونِي وسَئِمْتُهُمْ وسَئِمُونِي فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ وأَبْدِلْـهُمْ بِي شَرّاً مِنِّي»[3]**، فهل هذا إلا عين التناقض؟

وكذلك يثني الإمام الحسين عليه السلام أحياناً على أهل الكوفة ويوليهم عناية خاصة ويدعو لهم بالخير قائلاً: **«فَسَأَلْتُ اللهَ أَنْ يُحْسِنَ لَنَا الصَّنِيعَ وَأَنْ يُثِيبَكُمْ عَلَى ذَلِكَ أَعْظَمَ الأَجْر»[4]**. وأحياناً أخرى يذمُّهم ذماً شديداً ويقول: **«تباً لكم أيتها الجماعة»[5]**، أفليس هذا تناقضاً أيضاً؟

وأظن أن الإجابة عن هذا الاستشكال ليست صعبةً كثيراً. لأنه من الممكن جداً أن يكون الناس في ظروف خاصة مستعدِّين بكلِّ إخلاص وصدق للتضحية والبذل، وأن يكون أولئك الناس أنفسهم ـ أو بعضهم ـ في ظروف خاصّة أخرى ضعفاء يظهر منهم جُبْنٌ يؤدّي إلى إفشال حركة الإمام وعدم وصولها إلى ثمرها، فيستحقّون في مثل تلك الحالة التوبيخ واللوم.

بناء على ذلك عندما يثني أمير المؤمنين عليه السلام على أهل الكوفة يكون ذلك بسبب تضحياتهم وبذلهم، وعندما يشتكي منهم ويذمهم يكون ذلك بسبب تقاعسهم وتخاذلهم وانعدام وفائهم.

---

(1) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 118. (أو ج1، ص 249 ـ 250).
(2) **نهج البلاغة**، الرسالة رقم (2).
(3) **نهج البلاغة**، الخطبة رقم (25).
(4) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص200.
(5) **اللهوف**، ص85.



كذلك عندما أثنى الإمام الحسين عليه السلام على أهل الكوفة في رسالته ودعا لهم بالخير كان ذلك بسبب استعدادهم المخلص للتضحية والبذل في قتال حكومة يزيد، وعندما يذمّهم ويلعنهم فذلك بسبب تخاذل بعضهم وتقاعسه وانعدام وفائه.

تنويه

عندما يثني الإمام على أناس فإن ثناءه يتجه بالطبع إلى ذلك الفريق منهم الذي كان مستعداً بكل إخلاص وصدق للبذل والتضحية وليس للأفراد المنافقين والعناصر المتقاعسة الموجودة في كلّ أمة.

وكذلك عندما يوبّخ أولئك الناس أنفسهم فإن توبيخه يتّجه إلى المنافقين منهم أو المتقاعسين الجبناء وليس إلى الأفراد المخلصين الذين لم تتح لهم الظروف المجال للتضحية والعطاء.

وهذه طريقةٌ مألوفةٌ في الكلام حيث كثيراً ما يُنسب الأمر المتعلّق ببعض أفراد جماعةٍ إلى جميع أفراد تلك الجماعة. فمثلاً قال سيدنا موسى عليه السلام لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البقرة/ 54]، مع أنه من المعروف أنه ليس كل قوم موسى عبدوا العجل، ومع ذلك خاطب موسى كلَّ قومه بذلك الخطاب لوجود عبدة العجل في صفوفهم.

وكذلك عندما قال الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء في دعائه: «**فإنهم غرُّونا وخَدَعُونا وخَذَلُونا**»[1]، وكذلك ما قاله في خطبته صبيحة يوم عاشوراء: «**فإنهم غرُّونا وكذَّبُونا**»[2]، كان مقصوده بعض أهل الكوفة وليس جميعهم.

وكذلك لم يكن قصدُ الإمام السجّاد عليه السلام في خطبته لأهل الكوفة: «**إنَّكم كَتَبْتُمْ إلَى أَبِي وَخَدَعْتُمُوهُ**» جميعَ أهلِ الكوفة بل الأفراد المنافقين منهم فقط.

وليس نقصاً في الإمام أن يحمل ـ بعد التحقيق الكامل ـ ظاهرَ الناس المنمّق على حقيقته، كما أنه ليس مصلحة ربانية الاستفادة من العلم اللّدنيّ في هذا المجال.

---

(1) **مفاتيح الجنان**، ص165، طبع المطبعة الإسلامية، ضمن أعمال الثالث من شعبان.

(2) **مقتل الخوارزمي**، ج2، ص8.



عندما وصل خبر خيانة «المنذر بن جارود» إلى أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام كتب إليه يقول: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ صَلاحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ وظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ وتَسْلُكُ سَبِيلَهُ فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ لا تَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَاداً ولا تُبْقِي لِآخِرَتِكَ عَتَاداً تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ**. .»[1].

كما وَثِقَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله بالظاهر الحسن لبعض الأشخاص الذين قالوا كاذبين: «إن لدينا أعذاراً تمنعنا من الخروج معك في الجهاد» فأذِنَ لهم بعدم الخروج فنزل قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [التوبة/ 43].

خلاصة الكلام

اتَّضح مما ذكرناه أن تصوّر أن أكثرية أهل الكوفة كانوا دوماً منافقين عديمي الوفاء تصوُّرٌ سطحيٌّ عديم الأساس، وأنّ حال جميع الأمم في كلِّ الأزمنة والعصور ليست حالاً ثابتةً على منوالٍ واحدٍ بل إن روحياتهم تتغيّر وتتحوّل حسب الظروف، فعندما تكون الظروف مساعدةً يمكن تسلم زمام المبادرة وإيجاد قوى متشكّلة من الناس المتفرقين والبدء بإصلاحات شاملة لجميع نواحي الحياة الاجتماعية.

وانطلاقاً من هذه الحقيقة بالذات قرَّر الإمام الحسين عليه السلام، لما وجد أن شروط تشكيل الحكومة قد توافرت من جميع الجهات، أي:

1 ـ وصول استياء الناس من ظلم بني أمية إلى ذروته، وتوقهم الشديد إلى طريق خلاصٍ منه.

2 ـ ظهورُ قائدٍ مؤهَّلٍ وكفْءٍ مثل ابن بنت النبي صلى الله عليه وآله في ميدان التحوّل السياسي.

3 ـ إيمانُ الناس بأهلية هذا القائد.

4 ـ استعدادُ قوّات طلاب العدالة وتأهبها تحت قيادة «مسلم بن عقيل».

قرَّر، إضافةً إلى امتناعه عن البيعة ليزيد، أن ينهض إلى تشكيل الحكومة مستعيناً بحماية تلك القوات الطالبة للعدالة، ليبدأ، في ظلّ قوة الحكم، بإصلاحاته الشاملة،

(1) نهج البلاغة، رسالة رقم (71).



خصوصاً أن أكثرية أهل الكوفة كانوا في ذلك الزمن راغبين من أعماق قلوبهم وليس نفاقاً في الحكومة الحسينية.

شاهدان تاريخيان

1 ـ لم تمض بضع سنوات على حادثة كربلاء إلا وقام أهل الكوفة أولئك أنفسهم بقيادة «سليمان بن صُرَد» بثورةٍ شارك فيها آلافٌ منهم بكل إخلاص وصدق وقدّموا في ذلك السبيل تضحيات جسيمة وقُتل الكثير منهم.

2 ـ شكّل «المختار بن أبي عبيدة» بواسطة أهل الكوفة أولئك أنفسهم حكومةً سيطرت على جزء واسع من بلاد الإسلام.

لا شك أن محبّة أهل الكوفة للإمام الحسين عليه السلام وإخلاصهم له أقوى بمئات المرات من محبتهم لسليمان بن صرد والمختار بن أبي عبيدة وإخلاصهم لهما، بل إن طاعة أهل الكوفة لسليمان بن صرد وللمختار لم تكن إلا لأجل محبّتهم للإمام الحسين عليه السلام وإخلاصهم له.

لقد كان السببُ الرئيسيُّ لهزيمة أهل الكوفة في ثورتهم ضد «ابن زياد» مباغتَةَ «ابنِ زياد» لهم قبل أن يسيطروا على الأوضاع في الكوفة، كما بُوغت «مسلم بن عقيل» رضوان الله عليه كذلك. وعندما ينكسر شعبٌ وزعيمٌ شعبيٌّ بسبب المباغتة التي يتعرَّضان لها لا يلومهما أحدٌ على ذلك.

التصوّر الصحيح

إن التصوّر الصحيح بشأن أهل الكوفة هو أنهم كانوا على أربعة أقسام:

1 ـ روّادٌ مخلصون مثل «حبيب بن مظاهر» و«مسلم بن عوسجة» أوجدوا حركة الكوفة.

2 ـ أتباعٌ بُسَطاءُ التحقوا بمسلم بن عقيل انطلاقاً من محبتهم وإخلاصهم.

وهذان الفريقان شكّلا جماعةً كبيرةً من أنصار الإمام الحسين عليه السلام.

3 ـ عددٌ من المنافقين والمخادعين مثل: «عمرو بن الحجاج». ويوجد مثل هؤلاء



المنافقين في كلِّ ثورة، كما كان يوجد أمثالهم من المنافقين بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام.

4 ـ أشخاصٌ ضعفاء وجبناء يفرّون عند اللقاء.

وهذان الفريقان الأخيران لم يكونا أكثرَ عدداً من الفريقين الأوَّلَيْن بل يمكن القول إن الفريقَيْن المخلِصَيْن كانا يشكلان أكثرية أنصار الإمام.

وهنا من المناسب التذكير بأمر هامٍّ وهو أنه لو استطاع الإمام الدخول إلى الكوفة منتصراً لصار الأفراد المنافقون أو الجبناء من أنصاره أيضاً تبعاً للمتغيّرات الجديدة التي طرأت على أرض الواقع وكانوا سيشكّلون جزءاً من قواته.

هل كان النصر ممكناً في النهاية؟

يَرِدُ إلى الذهن أحياناً سؤالٌ يقول: لو سيطر الإمام الحسين عليه السلام على الكوفة في تلك الظروف المساعدة، هل كان سيستطيع بعد تسخير الكوفة مواجهةَ حكومة الشام المركزية والتصدِّي لها؟ وهل سيتمكن من مقاومة دولة «يزيد» حتى الانتصار عليها؟

هنا يجب القول: نعم، لو استطاع الإمام تسخير الكوفة في تلك الظروف المساعدة لكان في استطاعته أن يواجه حكومة «يزيد» ويقاومها وينتصر عليها في النهاية.

وفيما يلي الدليل على ذلك:

1 ـ من جهةٍ قامُ «عبد الله بن الزبير» في تلك الأيام ذاتها التي توقف فيها الإمام الحسين عليه السلام في مكّة بإيجاد قوة في الحجاز قام بواسطتها بتمرّد وثورة ضدّ يزيد[1].

ومن الجهة الأخرى وقَعَتْ في أطراف الدولة في «دستبي والديلم» انتفاضةٌ أخرى ضدّ حكومة يزيد[2]. ولاشك أنه كان على حكومة «يزيد» أن تصرف وقتاً كثيراً وأموالاً

(1) ابن الأثير الجزري، **الكامل في التاريخ**، ج 4، ص 19.

(2) أبو الشهداء، ص114. (المؤلف). قلت: لم أجد إشارة صريحة إلى هذا في كتاب العقّاد ولكن وجدت في كتاب «**الأخبار الطوال**» لأبي حنيفة الدينوري (ج 1، ص 253) ما قد يستنبط منه ذلك إذْ ذكر «أن «عبيد الله بن زياد» كان قد ولّى عمر بن سعد» الريّ وثغر دستبي والديلم.. لكنه طلب منه بعدها الذهاب للقاء الحسين فسار عمر بن سعد في أصحابه الذين نُدبوا معه إلى الريّ ودستبي حتى وافى =



طائلةً لإخماد تينك الثورتين. ففي مثل تلك الظروف لو فرضنا أن الإمام الحسين عليه السلام سخّر الكوفة وأن القوّات الشعبيّة للبصرة التحقت به كما التحقت به قوّات أخرى كانت على شُرُف التكوُّن في سائر مناطق العراق فصارت على أهبّة الاستعداد لدعمه ونصرته؛ في مثل تلك الظروف كان بإمكان الإمام الحسين عليه السلام أن يواجه حكومة «يزيد» المهتزَّة بكلِّ قوَّةٍ وأن يجتذب إليه القوَّات التي كانت على شُرف التكوّن وأن يشكّل جيشاً أقوى من جيش «يزيد».

2 ـ الكلُّ يعلم أن شخصية الإمام الحسين عليه السلام أعظم بكثير وأكثر شعبية ومحبوبيَّةً من «عبد الله بن الزبير»، ولذلك طالما كان الإمام في مكة كان الناس يجتمعون عنده حلقاً حلقاً، وتركوا عبد الله بن الزبير، وكانوا قبل ذلك يتردَّدُون إليه، فساء ذلك ابن الزبير، وعلم أن الناس لا يحفلون به والحسين مقيم بالبلد، فكان يختلف إلى مجلس الحسين ـ تحت ضغط الرأي العام ـ صباحاً ومساءً[1].

فإذا استطاع «عبد الله بن الزبير» الذي كان أقلَّ مكانةً من الإمام أن يقاوم حكومة يزيد ويقف في وجهها بكلِّ شدَّة فإنّه ممَّا لا شكّ فيه أنَّ الإمام الحسين عليه السلام، بشخصيَّته العظيمة وشعبيَّته التي لا نظير لها، كان بإمكانه بعد تسخير الكوفة أن يقاوم حكومة يزيد بأفضل مما فعل «عبد الله بن الزبير» ويقضي عليها في النهاية أو أقله يقف أمامها بكل قوّة واقتدار.

بعد يزيد

رغم أنه لم يكن في وسع أحد أن يتوقَّع موت «يزيد» بعد ثلاث سنوات ونيّف، لكن مقاومة الحكومة الحسينية ضدَّ حكومة «يزيد» مقاومةً بطوليةً كانت ستصل على أيِّ حال إلى ذلك المآل وهو أنه بعد موت «يزيد» عقب ثلاث سنوات تاركاً وراءه بلاداً مضطربةً غيرَ مستقرّةٍ، وبعد اعتزال «معاوية بن يزيد بن معاوية» الخلافةَ وانقراض حكومة آل أبي سفيان وتفكير «مروان بن الحكم» في السير إلى «عبد الله ابن الزبير»

= الحسين..»، و«دستبي» كورة كبيرة مشتركة بين الري وهمذان، فقسمت كورتين، وتشتمل على قرابة تسعين قرية. (المُتَرْجِمُ).

(1) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج 4، ص20. وأبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، ج1، ص 229.



ليبايعه بالخلافة[1]، كانت شخصية الحسين بن علي عليه السلام الكبيرة والقوية عندئذ ستستطيع بما لها من دراية وكفاءة وشعبية لا نظير لها بين الناس أن تأخذ بيديها زمام أمور بلاد الإسلام المضطربة وتنقذ البلاد من الهرج والمرج والانقسام والبلبلة.

من البديهي أنه في مثل تلك الظروف لن يكون باستطاعة أشخاص آخرين مثل «عبد الله بن الزبير» أن يقفوا أمام قوة الإمام العظيمة بل سيُسَلِّمون له أو يصمتون، وعندئذٍ سيصبح الحسينُ بن علي عليه السلام الحاكمَ الإسلاميَّ القويَّ الذي يقود بلاد الإسلام بانتصار نحو التكامل المادي والمعنوي ويوصل عالم الإسلام ـ كما كانت أمنية رسول الله صلى الله عليه وآله ـ إلى أوج عظمته.

الوحدة السياسية

بديهيٌّ أنه لو تمَّ تشكيل حكومةٍ إسلاميةٍ قويةٍ كما كان يرجو الإمام الحسين عليه السلام لاستقرَّت زعامة بلاد الإسلام في أيدي سبط النبي صلى الله عليه وآله ولكان أهل بيت الرسالة سيصبحون بالطبع قادة بلاد المسلمين العظيمة والكبيرة وَلَنَشَأَتْ فيها وحدةٌ سياسيةٌ قويةٌ ومثمرةٌ، وفي تلك الصورة كان من الطبيعي ـ بعد مضي نصف قرن ـ أن يتّبع جميع عالم الإسلام أهل بيت العصمة وهذه هي حقيقة التشيُّع.

وعندئذ كان سيزول ذلك الانشقاق والاختلاف الـمُضِرّ الذي كانت السقيفة منبعه الأصلي ولن يبقى هناك بعد ذلك فريقان متضادّان باسم الشيعة والسنة؛ وبهذا كان الإسلام سينجو من كل المشاكل التي واجهها (بسبب ذلك الانشقاق الكبير). وفي الحقيقة كان الإمام الحسين عليه السلام سيعوِّض كل ما أصاب الإسلام من أضرار على مدى خمسين سنة بسبب الحكومات السابقة خصوصاً حكومة معاوية بن أبي سفيان ضدّ الإسلاميّة.

إذن يجب القول إن تحقُّقَ الوحدة السياسيّة لأمّة الإسلام وزوال الاختلافات الطائفيّة والمذهبيّة التي تعود في نشأتها إلى الاختلاف السياسيّ حول الحكم والخلافة كان إحدى الثمار العظيمة والحميدة للحكومة الحسينيّة.

(1) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج4، ص145، وأبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، ج1، ص209.



ما كان الإمام ليذهب إلى الكوفة

اتّضح من مجموع التحليلات السابقة أن الإمام الحسين عليه السلام عندما انطلق نحو الكوفة إنّما تحرَّك في هذا الاتجاه عندما كانت عوامل انتصاره ـ من ناحية الأسباب الطبيعيّة للأمور ـ تزيد على نسبة خمسين بالمئة.

ومن هذا المنطلق، من الواضح أنه لو لم تتوافر للإمام عوامل النصر حسب المجاري الطبيعية للأمور لما تحرك نحو الكوفة. ورغم أن هذا الأمر لا يحتاج إلى دليلٍ لِشِدَّة وضوحه، إلا أنّنا سنُشير فيما يلي إلى عددٍ من الأدلّة التاريخية ليطمئنَّ قلبُ القرَّاء أكثر إلى هذه الحقيقة:

1 ـ عندما أرسل الإمامُ الحسينُ عليه السلام «مسلمَ بن عقيل» إلى الكوفة ليجري تحقيقاً ميدانياً ويأخذ له البيعة بالجهاد من أهلها إن وَجَدَهُم مستعدّين لذلك، أمره إذا وجد الأوضاع خلافاً لذلك أن يعجِّل بالانصراف والعودة إلى مكة [1]. وبناء على ذلك من الواضح أنه لو عاد «مسلم» إلى مكة وقال للإمام إن أهل الكوفة غير مستعدين، لما تحرّك نحوها.

2 ـ عندما أرسل الحسين بن علي عليه السلام «مسلماً» ممثلاً عنه إلى الكوفة، كَتَبَ إلى أهلها في الرسالة التي بعثها معه: «.. **فَإِنْ كتبَ إليَّ أَنَّهُ قد اجتمعَ رأيُ ملئكم وذوي الحِجَا والفَضْلِ مِنكُم على مِثْلِ ما قَدِمَتْ به رُسُلُكُم أَقْدُمُ عليكم وشيكاً إن شاء الله، فَلَعَمْرِي مَا الإمامُ إلا العاملُ بالكتابِ والقَائمُ بالقِسْطِ الدائنُ بِدِيْنِ الحَقِّ والسلام.**»[2].

مفهوم رسالة الإمام هذه أنه لو أرسل «مسلم» إليَّ تقريراً غير إيجابي عنكم وكان رأيُهُ مخالفاً لأقوالكم فإنني لن أَقْدِمَ عليكم. وعليه من البديهي أنه لو كتب «مسلم بن عقيل» إلى الإمام أن الكوفة غير جاهزة لتشكيل الحكومة لما تحرَّك نحوها.

---

(1) أبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص210.

(2) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 183 (المؤلف). أو ج2، ص 39، هذا واللفظ الموجود في النسخة التي لدي فيه اختلاف يسر و زيادة عما ذكره في المتن. (المُتَرْجِمُ).



3 ـ قال الحسين بن علي عليه السلام في إحدى خطبه يوم عاشوراء في معرض مذمّته ولومه الشديد لأهل الكوفة: «..فَهَلَّا لَكُمُ الْوَيْلَاتُ تَرَكْتُمُونَا وَالسَّيْفُ مَشِيمٌ وَالْجَأْشُ طَامِنٌ وَالرَّأْيُ لَـمَّا يُسْتَحْصَفْ؟!»[1]. ومعنى هذا الكلام: ويحاً لكم يا أهل الكوفة! لماذا لم تتركونا عندما كانت السيوف لا تزال في أغمادها والقلوب ساكنة هادئة والرأي لم يُتَّخَذ بعد بالحركة نحو الكوفة؟! ومفهوم الكلام أنكم لو تركتمونا قبل أن نعزم على المسير إلى الكوفة ولم تخبرونا بأنكم مستعدُّون جاهزون لنصرتنا لما تحرّكنا نحوكم.

الواضح من كلام الإمام المؤثّر هذا أنه لو لم تكن أسباب النصر مُهَيَّأة ـ من حيث المجارى العاديَّة للأمور والأسباب الطبيعيّة ـ ، لما تحرَّك الإمام نحو العراق.

سؤال

ثمَّة سؤالٌ يطرح نفسه هنا: هل من الممكن للإمام أن يأمل شيئاً ولا يصل إليه؟!

والجواب: أنّ النبيّ والإمام يصلان أحياناً في نشاطاتهما إلى ما يؤملانه وأحياناً لا يصلان.

فرسول الله صلى الله عليه وآله أَمِلَ النَّصْرَ في معركة أحد ولكن رغم أن المسلمين انتصروا في بداية الأمر إلا أن مجرى الأحداث في نهاية المعركة كان مخالفاً لأمله وانكسر المسلمون ولم يتحقق ما أَمِلَهُ النبيُّ صلى الله عليه وآله وتمنّاه.

وكذلك أَمِلَ أميرُ المؤمنين عليه السلام الانتصار على معاوية وانتزاع الشام منه، ولكن خلافاً لأمله لم يستطع إخراج الشام من سيطرة معاوية وليس هذا فحسب بل على العكس احتلّ عمّال معاوية مِصر عسكرياً وقتلوا «محمد بن أبي بكر» ممثل الإمام وأخرجوا مصر من سلطة حكومة الإمام. وقد عبّر عن ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بحزن

---

(1) ابن شعبة الحراني (ـ القرن 4 هجري)، **تحف العقول عن آل الرسول**، ص 240 ـ 242، وابن شهرآشوب المازندراني (ـ 588هـ)، **مناقب آل أبي طالب**، ج 4، ص 109 ـ 110، والشيخ الطبرسي، أحمد بن علي (ـ القرن 6 هـ)، **الاحتجاج على أهل اللجاج**، ج2، ص 24، وابن نما الحلي (ـ 569هـ)، **مثير الأحزان**، ص 28، والخوارزمي (ـ 568هـ)، **مقتل الحسين**، ج2، ص 6، وابن عساكر، **تهذيب تاريخ دمشق**، ج 4، ص 333.



قائلاً: **«سُبْحَانَ اللهِ! بَيْنَا نَحْنُ نَرْجُو أَنْ نَغْلِبَ الْقَوْمَ عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ إِذْ غَلَبُونَا عَلَى مَا فِي أَيْدِينَا»**(1).

وكذلك رغم أن عوامل الانتصار تهيأت للإمام الحسين عليه السلام بنسبة تزيد على الخمسين بالمئة، وكان يأمل أن يسيطر على الكوفة، إلا أن مجرى الأحداث تمَّ خلافاً لأمله ولم يتحقّق ما كان يرجوه.

ولكن ثمّة نقطة يجدر التذكير بها هاهنا وهي أنه سواء تحقَّق ما كان يأمله النبيُّ والإمام أم لم يتحقَّق فإن ما قاما به، والطريق الذي اختاراه، صحيحٌ مئة بالمئة، وحتى لو غُلبوا فإنهم لا يكونون قد انحرفوا عن حدّ الحق والحقيقة كما قال الإمام الحسين عليه السلام للفرزدق: «إن نزل القضاء بما نحبّ (أي إن انتصرنا على عدونا) فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر، **وإن حال القضاء دون الرجاء** (أي لم ننتصر على عدونا) **فلم يُبْعِد مَنْ كانَ الحقّ نيَّته والتقوى سَرِيرته»**(2).

من أين جاء التصوُّر بأن الإمام الحسين عليه السلام انطلق نحو الكوفة بغية أن يُقتَل؟

إلى هنا تبيّن أن عوامل وشروط انتصار الإمام الحسين عليه السلام ـ من ناحية المجرى الطبيعي للأمور ـ كانت قد توافرت له وهذا ما حَدَا به إلى التحرّك نحو الكوفة بغية الامتناع عن البيعة وتشكيل حكومة تنقذ الإسلام.

ولكن من الجهة الأخرى هناك تصوّر شائع بين الناس أن الإمام الحسين عليه السلام تحرّك من المدينة المنوّرة ذاتها ومنذ البداية بغية **أن يُقتَل** وكان يسعى نحو هذا الهدف حتى آخر لحظة من تحرّكه، لذا لا بدّ علينا أن نعرف مصدر هذا التصوّر ومنشأة؟

إن منشأ هذا التصور هو ظاهر بعض الروايات المنقولة في بعض كتب التاريخ والحديث، لذا يلزم علينا أن ندرس تلك النقول ونمحّصها. وهنا سندرس إحدى تلك

---

(1) السيد ابن طاووس، **كشف المحجة لثمرة المهجة**، ص 174، ومحمد بن محسن الفيض الكاشاني، **معادن الحكمة في مكاتيب الأئمة**، ج1، ص34.

(2) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 199.



الروايات ونحللها وَسَنَكِلُ دراسةَ وتحليلَ الروايات الأخرى إلى فصل منفصل في آخر هذا الكتاب[1].

خطبة الإمام

قال الإمام الحسين عليه السلام في خطبة له: «. . **وَإِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَتَنَكَّرَتْ وَأَدْبَرَ مَعْرُوفُهَا فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاَّ صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ وَخَسِيسُ عَيْشٍ كَالْمَرْعَى الْوَبِيلِ! أَلاَ تَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ لاَ يُعْمَلُ بِهِ وَأَنَّ الْبَاطِلَ لاَ يُتَنَاهَى عَنْهُ؟ لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ اللَّهِ مُحِقّاً؛ فَإِنِّي لاَ أَرَى الْمَوْتَ إِلاَّ سَعَادَةً[2] وَلاَ الْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلاَّ بَرَماً**. .»[3].

هذا واحدٌ من أحاديث الإمام المرويَّة التي اعتبرها بعضهم دليلاً على أن الإمام إنما تحرك نحو القتل والشهادة.

هذه الخطبة ألقاها الإمام ـ طبقاً لرواية الطبري ـ بعد أن وَقَعَ تحتَ سيطرة القوات المسلحة للحرّ بن يزيد، وطبقاً لرواية الذهبي في «**سير أعلام النبلاء**»، بعد مجيء «عمر ابن سعد» إلى كربلاء ومعرفة الإمام أنه جاء بقصد قتله.

وبناء على ذلك فقد ألقى الإمام هذه الخطبة عندما عرف أن حاكم العراق يريد إما استسلامه بلا قيد أو شرط وإما قَتْلَه.

هنا يمكننا القول إنَّ قصدَ الحسين بن علي عليه السلام من قوله: «**فَإِنِّي لاَ أَرَى الْمَوْتَ إِلاَّ سَعَادَةً**. .» أنه لو كان عمّال حكومة «يزيد» يريدون أن استسلم لهم بلا قيد ولا شرط ليفعلوا بي ما يحلو لهم فإنني لن أستسلم لهم حتى لو قُتِلْتُ في هذا السبيل فموتي هذا لن يكون إلا سعادة لي، لأنه لو فرضنا أنني استسلمت وبقيت حيّاً فإن تلك الحياة التي يكون الإنسان فيها محكوماً لأوامر الظالمين المتجبّرين ليست سوى عذاب وسآمة

(1) لما كان لدراسة تلك الروايات المنقولة وتحليلها جانب تخصصي، وكان وجود مثل هذه التحليلات في وسط الكتاب ـ بالنسبة إلى الأفراد الذين ليس لهم معرفة بالاصطلاحات العلمية ـ يشكّل عقبةً عسيرةً لذا أجّلنا دراسة وتمحيص تلك الروايات إلى آخر الكتاب.

(2) في رواية الطبري جاءت هنا كلمة «شهادةً» بدلاً من كلمة «سعادةً». (المُتَرْجِمُ)

(3) ابن شعبة الحراني، **تحف العقول**، ص174، و**تاريخ الطبري**، ج4، ص305. والذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج3، ص209.



ومرارة. وبناء عليه فالإمام يريد أن يقارن بين الشهادة والاستسلام الذليل للعدوّ وما يتبعه من حياة تحت سلطة الظالمين وقهرهم.

وهذه المقايسة تشبه مقايسة يوسف الصدّيق عليه السلام بين الذهاب إلى السجن والاستسلام لرغبات زوجة عزيز مصر التي وردت في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا﴾ [يوسف/ 33].

فهنا لا يريد يوسف الصدّيق عليه السلام أن يقول إن السجن هو هدفي الأصلي وأنا أسعى إليه، لأن السجن سيئ وعذاب لكل إنسان، بل يريد أن يقارن بين الذهاب إلى السجن بما يحمله من مصاعب وعذاب، وبين التلوّث بقذارة الفاحشة وفقدان العفّة ليصل عبر هذه المقارنة إلى بيان شدّة قبح الفاحشة والرذيلة. فما يريد يوسف قوله: إن السجن الذي هو غير مطلوب لي ولا لأي شخص آخر إذا قُورن بقبح وسوء الوقوع في معصية الفجور وانعدام الشرف، فالسجن أفضل. ولذلك لا يمكن القول إن الذهاب إلى السجن كان المطلوب الأساسي ليوسف الذي يسعى إليه.

لذا نرى أن يوسف ذاته كان يسعى للخلاص من السجن وطلب من صاحبه في السجن أن يذكره عند ربّه أي يشرح حاله عند ملكه وسيده عسى أن يطلق سراحه. وهنا لا يمكن لأحد أن يعترض على يوسف و يقول أنت أردت السجن بنفسك فلماذا تسعى للخلاص منه؟![1]. وكذلك عندما يقول الإمام الحسين عليه السلام: «**إِنّي لاَ أَرَى الْمَوْتَ إِلاَّ سَعَادَةً والْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلاَّ بَرَماً**» فإنه يريد أن يقارن بين الموت بكل مرارته والاستسلام للظلم والعيش تحت حكمه.

إذن معنى كلام الإمام الحسين عليه السلام: إن الموت الذي هو في نظر كلِّ إنسان أمرٌ عسيرٌ ومكروهٌ، إذا قُورن بتقبّل حكم الظلمة والعيش تحت إمرتهم لكان الموت أفضل، لذا اعلموا كم هي الحياة تحت راية الظلم مكربةٌ وصعبةٌ إلى درجة أن الموتَ يعتبر بالمقارنة بها، ورغم كل ما فيه من صعوبة وألم، سعادةً، فمقصود الإمام الأصليّ من كلامه هذا هو أن يجسّم لنا بصورةٍ جليّةٍ شدّةَ قبح التسليم لعُبَيْدِ الله بنِ زياد وشدَّة نفوره واشمئزازه من قبول حكومة الظلم، و ليس قصده أن يقول إن الموت مطلوبي الأساسي الذي أسعى للوصول إليه.

(1) لاحظوا المزيد من التوضيحات حول تفسير هذه الآية في كتاب «جمال انسانيت» تأليف راقم السطور.



فتبيّن أن جملة (لاَ أَرَى الْمَوْتَ إِلاَّ سَعَادَةً) لا تدل أبداً على أن الإمام نهض لأجل أَنْ يُقْتَلَ، وبالتالي لا يمكن اعتبار الخطبة المذكورة دليلاً على ذلك التصوّر.

دليل مؤيّد آخر

نقول أيضاً تأييداً لما ذكرناه: إذا كان هدفُ الإمام من حركته نحو الكوفة أَنْ يُقْتَلَ فلماذا أرسل «مسلم بن عقيل» إلى الكوفة[1]؟! هل كان يريد تسليم «مسلم» إلى القتل؟

ولماذا أرسل «قَيْس بن مُسْهِر الصيداوي» في وسط الطريق إلى الكوفة ليُبشّر أهلها بقدوم الإمام الوشيك[2]؟! هل كان يريد إرسال «قَيْس بن مُسْهِر» إلى القتل أيضاً؟!

ولماذا طلب «مسلمُ بنُ عقيل»، عندما قُبِضَ عليه، من «محمد بن الأشعث» و«عمر بن سعد» أن يُخبرا الإمام الحسين عليه السلام أن لا يأتي إلى الكوفة[3]؟ ألم يكن «مسلم» مخزن أسرار الإمام وبالتالي كان بالضرورة يعلم أنه ما تحرّك من مكّة إلى الكوفة إلا ليُقْتَلَ، فلماذا يريد أن يحول بينه و بين هدفه؟!

الحقيقة هي أن «مسلم» كان يعلم أن الإمام لم ينهض لأجل أَنْ يُقْتَلَ وأنه أرسله إلى الكوفة ليستوضح له ما إذا كانت الشروط اللازمة لتشكيل الحكومة متحقِّقَةً أم لا، ولذلك لما رأى أن الظروف مؤاتية كتب إلى الإمام يستعجله القدوم إلى الكوفة، ولكن لما انقلبت الأوضاع فيها واعتُقل «مسلم بن عقيل» ذاته رضوان الله عليه رجاهم أن يكتبوا إلى الإمام أن لا يأتي إليها.

إذن تبين أن:

1 - إرسال «مسلم بن عقيل» إلى الكوفة.

---

(1) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص183.

(2) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 201.

(3) كما جاء في الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 196. (أو ج 1، ص 59 ـ 60): «ثم أقبل «مسلم بن عقيل» على «محمد بن الأشعث» فقال: يا عبد الله! إني أراك والله ستعجز عن أماني، فهل عندك خيرٌ تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً على لساني أن يبلغ حسيناً ـ فإني لا أراه إلا قد خرج إليكم اليوم مقبلاً أو هو خارج غداً وأهل بيته ـ ويقول إن ابن عقيل بعثني إليك وهو أسير في أيدي القوم لا يرى أنه يمسي حتى يُقْتَلَ وهو يقول ارجع فداك أبي وأمي بأهل بيتك ولا يغرّك أهلُ الكوفة فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنّى فراقهم بالموت أو القتل، إن أهل الكوفة قد كذّبوك وليس لمكذوب رأيٌ» (المُتَرْجِمُ).



2 ـ إرسال «قَيس بن مُسْهِر الصيداوي» في وسط الطريق إلى الكوفة.

3 ـ طلب «مسلم» من «محمد بن الأشعث» و «عمر بن سعد» أن يكتبا إلى الإمام أن لا يأتي إلى الكوفة.

هذه الثلاثة دليلٌ على أن الإمام الحسين عليه السلام لم يتحرّك إلى الكوفة لأجل أنْ يُقتَلَ.

عدَّة شواهد أخرى

من المناسب أن نذكُر هنا عدّةَ شواهد أخرى تدلُّ على أنَّ هدف الإمام كان إعادة الخلافة الإسلامية إلى أهلها وليس الذهاب إلى القَتْل والموت:

1 ـ كتب «يزيد» إلى «ابن زياد»: «أما بعد فإنه كتب إليَّ شيعتي من أهل الكوفة يخبروني أن «ابن عقيل» بها **يجمع الجموع ويشقُّ عصا المسلمين**»[1].

فهل كان «مسلمٌ» **يجمع الجموع** (أي يُعَبِّئُ جيشاً شعبيّاً) لأجل النهوض المسلّح وإعادة الخلافة إلى أهلها أم لأجل أنْ يُقتَلَ الإمام؟

2 ـ دعا «ابن زياد» مولىً له يُقال له مَعْقِل فقال: «خذ ثلاثة آلاف درهم ثم اطلب «مسلم بن عقيل» والتمس أصحابه فإذا ظفرت بواحد منهم أو جماعة فأعطهم هذه الثلاثة آلاف درهم وقل لهم **استعينوا بها على حرب عدوّكم**......»[2].

هل يُفهم من هذه العبارة أن قصد «مسلم» كان تشكيل الحكومة الحسينية أم أن يُقْتَل؟.

3 ـ قال «مسلم بن عوسجة» لمولى «ابن زياد» الذي جاء ليعطيه المال: «.. أحمد الله على لقائك إياي فقد سرَّني ذلك لتنال الذي تحب **ولينصر الله بك أهل بيت نبيّه**....»[3].

هل كان «مسلم بن عوسجة» مسروراً من مجيء مولى «ابن زياد» لنصرة الإمام (ظاهراً) في إعادة الخلافة إلى أهل بيت النبيّ أم لنصرة الإمام وإعانته على أنْ يُقْتَلَ؟.

---

(1) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 185. (أو ج 2، ص 42 ـ 43).
(2) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 186. (أو ج 2، ص 45).
(3) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 187. (أو ج 2، ص46).



4 ـ أمر «مسلم بن عقيل» «أبا ثمامة الصائدي» أن يقبض ذلك المال من مولى «ابن زياد» لأن «أبا ثمامة» كان أمين صندوق التبرعات، أي مُكلَّفاً قبض الأموال وشراء السلاح[1].

فهل كان «أبو ثمامة الصائدي» يشتري الأسلحة ـ بأمر «مسلم»ـ لمحاربة العدو وإعادة الخلافة إلى ابن بنت النبي ﷺ أم يشتريها لأجل أن يُقْتَلَ الإمام؟

5 ـ قال «ابن زياد» لـ «هانئ بن عروة»: «**إيه يا هانئ بن عروة .. جئت بمسلم ابن عقيل فأدخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك..**»[2].

هل كان الغرضُ من إعداد السلاح والرجال، الذي يتمّ تحت إشراف «مسلم» وبمساعدة «هانئ بن عروة»، رفعَ راية الحكومة الحسينية أم الغرض أنْ يُقْتَلَ الإمام؟.

6 ـ قال «ابن زياد» لـ «عبد الله بن بقطر» لما قبض عليه: «**اصعد فوق القصر فالعن الكذّاب ابن الكذّاب** [يقصد الحسين بن علي عليه السلام] **ثم انزل حتى أرى فيك رأيي! فصعد فلما أشرف على الناس قال: أيها الناس! إني رسولُ الحسين ابن فاطمة ابن بنت رسول الله ﷺ لتنصروه وتؤازروه على ابن مرجانة ابن سميّة..**»[3].

هل دعا «عبد الله بن بقطر» الناس إل نصرة الحسين عليه السلام و مؤازرته ليتغلّب على «ابن زياد» و ينتصر عليه، أم لمساعدة الحسين عليه السلام على أن يُقْتَلَ؟

7 ـ قال «ابن زياد» لمسلم بن عقيل عندما قَبَضَ عليه: «**.. إن نَفْسَكَ تُمَنِّيكَ ما حال اللهُ دونَه، ولم يَرَكَ اللهُ لَهُ أهلاً! فقال «مسلم»: فمن أهله إذن إن لم نكن نحن أهله؟؟. فقال ابن زياد: أمير المؤمنين يزيد!**»[4].

هل الشيء الذي كان يتمنَّاه «مسلم»، واعتبر «ابن زياد» أن «يزيد» هو الأولى به هو الحُكْم أم القَتْل؟

(1) المصدر نفسه، ص 187. (أو ج 2، ص46).
(2) المصدر نفسه، ص 188. (أو ج 2، ص48).
(3) تاريخ الطبري، ج 4، ص 300.
(4) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 196. (أو ج2، ص72).



8 ـ قال «عبد الله بن مطيع» للإمام: «... **فو الله لئن طلبت ما في أيدي بني أميّةَ لَيَقْتُلُنَّكَ** .....»[1].

هل الشيء الذي كان بأيدي بني أميّة وكان الإمام يريد انتزاعه منهم هو الخلافة الإسلامية أم القَتْل؟.

9 ـ قال ابن عباس للإمام: «... أتسير إلى قوم قد قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم؟ فإن كانوا قد فعلوا ذلك فَسِرْ إليهم، وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهرٌ لهم، وعمّالُهُ تجبى بلادَهم فإنهم إنما دعوك إلى الحرب والقتال ولا آمن عليك أن يغرّوك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك ..»[2].

هل أراد ابن عباس أن يقول للإمام: إذا ضبط أهل الكوفة الوضع في مدينتهم وسيطروا عليها عندئذٍ يكون من الصائب أن تذهب إليهم لكي تتسلم زمام الخلافة، أم تذهب إليهم لكي تُقْتَلَ؟

10 ـ أضِف إلى كل ما ذُكِرَ أن الإمام الحسين عليه السلام ذاته قال: «... **وَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ وَأَوْلَى بِوَلاَيَةِ هَذَا الأَمْرِ عَلَيْكُمْ مِنْ هَؤُلاَءِ الْمُدَّعِينَ مَا لَيسَ لَهُمْ وَالسَّائِرِينَ فِيكُمْ بِالْجَوْرِ وَالْعُدْوَان** ..»[3].

11 ـ وقال علماءُ كبارٌ ومراجعُ تقليدٍ أيضاً: «أرسل الإمام الحسين عليه السلام «مسلماً» ليدعو الناس إلى البيعة ويشكّل الحكومة الإسلامية ويزيل الحكومة الفاسدة»[4].

فهل المطلب الذي يؤيده:

1 ـ الإمامُ الحسين عليه السلام.

2 ـ علماءُ كبارٌ ومراجعُ تقليد.

---

(1) المصدر نفسه، ص 201.

(2) **تاريخ الطبري**، ج 4، ص 287.

(3) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 205. (أو ج2، ص 79).

(4) هذا المطلَب قاله جماعةٌ من مراجع التقليد القدماء مثل «الشيخ المفيد» و«السيد المرتضى» و«الشيخ الطوسي» رضوان الله عليهم، وبعض مراجع التقليد الحاليين أيضاً، كما أيّده جماعة من العلماء المعاصرين في قم وطهران ومحافظة فارس وكرمان وأصفهان ومازندران وجيلان وأذربيجان وباكستان خلال رسائل التقريظ والتقدير التي أرسلوها إلى المؤلف.



3 ـ «مسلمُ بن عقيل».

4 ـ «أبو ثمامة الصائدي».

5 ـ «مسلمُ بن عوسجة».

6 ـ «هانئُ بن عروة».

7 ـ «عبدُ الله بن عباس».

8 ـ «عبدُ الله بن مطيع».

9 ـ «عبد الله بن يقطر».

(أن الإمام الحسين عليه السلام كان يريد إعادة الخلافة إلى أهلها) أدعى إلى القبول؟ أم الفكرة التي قيلت في القرن السابع الهجري، أي بعد تأليف كتاب «**اللُّهُوف**»[1]، وشاعت بشكل كامل بعده: (أن الإمام تحرّك لأجل أَنْ يُقْتَلَ).

أترك الحكم إليكم.

إلى هنا ينتهي الباب الأول من هذا الكتاب وخلاصة ما جاء فيه:

كان تحرّك حكومة «يزيد» يتلخَّص بشيءٍ واحدٍ محدَّدٍ هو: الهجوم على الإمام الحسين عليه السلام، وكانت علّة ذلك ثلاثة أمور:

1 ـ تثبيت حكومة يزيد.

2 ـ عقدة النقص لدى «يزيد».

3 ـ غريزة الانتقام لدى «يزيد»[2].

وكان تحرك الإمام الحسين عليه السلام يتلخَّص في أمرين:

1 ـ الامتناع عن بيعة «يزيد».

2 ـ والنهوض لأجل إعادة الخلافة الإسلامية إلى أهلها ونهجها الأصلي الصحيح.

وكانت علّة امتناع الإمام الحسين عليه السلام عن البيعة ستة أمور أوضحنها سابقاً

---

(1) يقصد كتاب «اللهوف على قتلى الطفوف» ويُعرف أحياناً بـ«مقتل الحسين للسيد ابن طاووس»، وابن طاووس هو: السيد رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني الحلّيّ المتوفى سنة 664هـ. وقد طبع الكتاب مراراً في النجف وقم. (المُتَرْجِمُ)

(2) العلة رقم (1) تعتبر علة غائية، والعلتان (2، 3) تعتبران علتين فاعلتين.



وأهمها مسؤولية الإمام الدينية الإسلامية، وكانت علّة نهوض الإمام لأجل إعادة الخلافة الإسلامية إلى مركزها ونهجها الأصلي عدة أمور:

1 - وجود انحرافات مدمّرة للإسلام في نظام الحكم الأموي.

2 - مسؤولية الإمام تجاه حق الناس الأسرى الذين كانوا يبحثون عن الخلاص من ظلم الحكومة.

3 - مسؤولية الإمام تجاه القرآن الذي هُجرت أحكامه وسنّة النبي ﷺ التي أُميتت، وكان من الواجب في تلك الظروف المؤاتية إحياؤها بواسطة قوة الحكومة الإسلامية.

4 - مسؤولية الإمام تجاه العهد الإلهي الذي أخذه الله على العلماء كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «.. ومَا أَخَذَ اللهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ ألاّ يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلا سَغَبِ مَظْلُومٍ»[1].

لهذه العلل المذكورة نهض الإمام الحسين عليه السلام لإقامة الحكم الإسلامي عندما وجد الظروفَ مؤاتيةً ومهيَّأةً لتحقيق ذلك.

(1) نهج البلاغة، الخطبة الشقشقية، خطبة رقم (3).




مكتبة
الفكر الجديد

الباب الثاني

ماهيّة ثورة الإمام



الثورة الابتدائية والثورة الدفاعية

قبل أن نُبَيِّنَ ماهيّة ثورة الإمام الحسين عليه السلام لابدَّ من التذكير بمقدّمةٍ تُسَهِّلُ تَصَوُّرَ تلك الماهيّة.

تنقسم الثورات المسلحة إلى قسمين:

1 ـ ابتدائية.

2 ـ ودفاعية.

الثورة الابتدائية

الثورة الابتدائية هي أن يستاء شخصٌ أو جماعةٌ من دولةٍ وحكومةٍ ويضيقوا بهما ذرعاً أو يخطِّطُوا لتشكيل حكومة جديدة، فيقوموا بثورة مسلّحة ضدّ النظام القائم ويبذلوا كل ما لديهم من قوّة لإسقاط ذلك الحكم واستبداله بحكم جديد، كل ذلك دون أن يكون الجهاز الحاكم قد ابتدأ من طرفه أيَّ هُجُومٍ مُسْبَقٍ على ذلك الشخص أو تلك الجماعة.

أما الثورة الدفاعية فهي أن يتعرّضَ شخصٌ أو جماعةٌ لملاحقةٍ وهجومٍ من طرف نظام حكم أو جهاز حكوميٍّ فيتحرّك للحفاظ على نفسه أو عقيدته ومسلكه أو للدفاع عن دينه أو للحفاظ على شرفه وكرامته ويجابِه ذلك الهجوم ويتصدّى له.

بالنسبة إلى الثورة الابتدائية يجب أن نقول: إذا كان قائد الثورة ضعيفاً من ناحية القوات القتالية ومن الناحية المالية ووسائل الاتّصال وشبكة المعلومات على نحو يجعل احتمالَ هزيمتِهِ أكبرَ من احتمال انتصاره، فإنَّ كلَّ عاقلٍ وحكيمٍ يحكم بعدم جواز مثل هذه الثورة الابتدائية. بل حتى لو كان الثوار يمتلكون القوَّة الكافية لا تجوز الثورة الابتدائية إلا إذا كان لها هدف مثل هدف الأنبياء والأولياء.



وإذا شُنَّت ثورةٌ دون امتلاك القدرة الكافية لنجاحها وتعرّض أصحابها للهزيمة ووقع الهرج والمرج وقُتل عدد من الناس وأُسرَ آخرون وتعرّضوا للتعذيب فلا يمكن القول إن الذين أقدموا على تلك الثورة دون امتلاك القوى الكافية ليسوا مسؤولين، بل لا بد من القول بأنهم يتحمَّلون جزءاً من المسؤولية في تلك الثورة وأن قائد مثل تلك الثورة يجب أن يُدَان قبل أي أحد آخر.

والسبب في ذلك أن مثل هذه الثورة التي تنتهي بالهزيمة، لن تفيد في منع تعدّيات حكومة مستبدّة متجبّرة مثل حكومة «يزيد» وإيقاف انحرافاتها، كما لن تُحقِّق أي إصلاح وخير، بل إنَّ الثورة العقيمة والفاشلة تعطي نتيجةً عكسيّةً، لأن ردّ فعل الحُكْمِ تجاه عناصر الثورة ومؤيِّدِيها يكون ردّاً عنيفاً إذْ يقوم بسحقهم وتصفيتهم بشكل كامل.

فلا يُجيز أيُّ قانون ولا يحكم أيُّ عاقل بجواز ثورةٍ لا تؤدّي إلى أيِّ إصلاحاتٍ بل تكون سبباً لمزيدٍ من الفساد.

وهذا الحكم حكمٌ عقليٌّ واضحٌ وحكم العقل لا استثناء فيه والآية الكريمة التي تقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ ٱلْحَرَامُ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ . . .﴾ [البقرة/ 195]، تشير إلى حكم العقل هذا وليس إلى حكم تعبديّ وقانوني (وفي الاصطلاح العلميّ إن هذا الحكم حكمٌ إرشاديٌّ وليس مَوْلَوِيّاً).

إن الآية الكريمة المذكورة تقول إن العقل يحكم بأنَّه حيثما يوجد هلاكٌ، دون تحقيق أي مصلحة ودفع أي مفسدة، فلا يجوز للإنسان أن يُلقي بنفسه فيه، وبالتالي لا يُجيز أيُّ عاقلٍ الثورةَ الابتدائيةَ في مثل تلك الصورة بل يدينُ جميع الحكماء زعيم مثل هذه الثورة لأنه بقيامه بها ـ دون امتلاكه للقوَّة الكافية ـ يتسبَّب بوقوع كل تلك الخسائر والأضرار؟!

وباختصار، إن جميع العقلاء والحكماء لا يجيزون الثورة الابتدائية إلا إذا كان احتمال النجاح فيها أكبر من احتمال الفشل[1].

(1) ما ذكرناه يتعلق بالثورة المسلّحة وإلا فعندما تظهر البدع وتَرُوج وتُنسى أحكام الدين فيجب على كل مسلم عالم بأحكام الدين أن يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع مراعاة آداب وشروط هذه الفريضة وأن يبلّغ حقائق الإسلام وهذا الواجب يقع قبل أي أحد آخر على عاتق علماء الدين.



الثورة الدفاعية

الثورة الدفاعية هي ـ كما أشرنا سابقاً ـ أن يتعرّض شخصٌ أو جماعةٌ لهجوم فيضطرُّون ـ كردّ فعل ـ إلى دفع هذا الهجوم ويُـجَمِّعون كل قواهم لمقاومة ذلك الاعتداء ويبذلون غاية وسعهم لدفعه.

والأفضل أن تُسمَّى مثل هذه الثورة بالمقاومة لأن النهوض فيها هو في الواقع صمودٌ في وجه الاعتداء ليس غير.

في مثل حالة الدفاع هذه، حتى لو كان احتمال الهزيمة تسعةً وتسعين بالمئة واحتمال الانتصار واحداً بالمئة فقط، يبقى الدفاع ـ بحكم العقل والقانون ـ جائزاً بل واجباً، لأنه إذا لم يقم المعتدَى عليهم بالدفاع فإن هزيمتهم حتمية ولكن إذا دافعوا فقد ينجحون وقد لا ينجحون.

في مثل هذه الحالة لو دافع المعتَدَى عليهم وانتصروا فإنهم يكونون بذلك قد حافظوا على أنفسهم وأدَّوْا في الوقت ذاته واجبهم الوجداني والشرعي، وإن لم ينتصروا يكونوا قد أدّوا واجبهم أيضاً ولا يقع عليهم أيُّ لوم. أمَّا لو لم يبذلوا أي جهد للدفاع فإنهم يُلامون ويُقال لهم لماذا استسلمتم للعدو مجَّاناً مع احتمال النصر عليه؟

إذن الدفاع، واجبٌ مقدّسٌ يحكم جميع العقلاء بحسنه بل بوجوبه، لأن الدفاعَ ابتعادٌ عن التهلكة وليس إلقاءً للنفس بالمهلكة.

و ينقسم الدفاعُ إلى عدة أقسام:

1 ـ دفاعٌ عن الحقوق الشخصية كالدم والمال والعرض.

2 ـ دفاعٌ عن حقوق المجتمع.

3 ـ دفاعٌ عن العقيدة والمبدأ.

ومن المسلَّم به أنه في جميع أقسام الدفاع (بل حتى في الثورة الابتدائية) لا بدّ من مراعاة قاعدتين عقليتين:

1 ـ التضحية بما هو أقل قيمةً فداءً لما هو أعلى قيمةً.

2 ـ يجب بذل كل جهد لكي يتم التحرّك على نحو لا يؤدي إلى فتنة وسفك



للدماء. فمثلاً يجب السعي إلى الحفاظ على الأرواح واللجوء إلى الخنادق وعدم الإقدام على سفك الدماء والقتل.

ومن البديهي أنه ليس من الضروري أن يكون شكل الدفاع دائماً الاقتتال والحرب، بل قد يكون الانتقالُ من محلّ الخطر إلى محلٍّ آمنٍ نوعاً من الدفاع.

فاتضح مما ذكرناه أنه حتى لو كان احتمالُ النصر واحداً بالمئة فقط في الثورة الدفاعية، يبقى الدفاع جائزاً بل واجباً[1].

بعد أن عرفنا أنواع الثورة، نأتي الآن إلى البحث في ماهية ثورة الحسين بن علي عليه السلام، ولكن قبل الدخول في صلب البحث، من الضروري أن نبيِّنَ التصوّر الخاطئ لثورة الإمام في أذهان بعض الناس، ثم نبيّن التصوّر الصحيح، وبعدئذٍ ندخل إلى صلب الموضوع:

التصوُّر الخاطئ

عندما يُقال: إن الإمام الحسين عليه السلام نهض وثار، تنطبع في أذهان كثير من الناس فوراً صورة حادثة كربلاء الدموية ويتصوَّرون أن ثورة الإمام هي تلك الحادثة التي أوجدها الإمام وكانت أساس برنامج عمله!

فثورة الإمام معناها ـ في ذهنهم ـ حربٌ ضروسٌ لعدَّة ساعات عاملها الأصلي الحسين بن علي عليه السلام!

ثورة الإمام تعني ـ في ذهنهم ـ اشتباكاً مسلحاً شنّه الإمام وأنصاره خلال نصف يوم ضد قوَّات الحكومة كانت نتيجته مقتل سيد آل بيت الرسالة وعدد من أرفع أبناء البشر ووقوع آل سبط النبيّ صلى الله عليه وآله في الأَسْر!

إن الذين يتصوَّرُون ثورةَ الحسين بن علي عليه السلام على هذا النحو يقولون: إن الإمام قرَّر منذ البداية أن يتحرَّك بعدد ضئيل من الأنصار ومن أهل بيته ليقوم معهم بثورة

(1) يمكن تصوّر نوع آخر من الثورة وهو أن يعرف قائد الثورة أنه سينكسر أو يُقتل ولكنه يكون متأكداً أن ثمرات هذه الهزيمة أو القتل ومنافعهما أكبر من مضارّهما ففي مثل هذه الحالة يُعتبر الإقدام على مثل هذه الثورة أمراً حكيماً وعقلانياً وأحياناً واجباً وضرورياً.



ابتدائية يدفع من خلالها الحكومة القائمة إلى قَتْله وقَتْل أنصاره وأهل بيته بأفجع صورة وأخذ نسائه وبناته وأهل بيته أسرى! وبعبارة أوضح لقد حاول الإمام ذاته بكل ما أوتي من قوّة أن يُوجد تلك الحادثة الدموية المؤلمة ويهيئ بذلك أسباب مقتله ومقتل أصحابه!

هؤلاء الأفراد يقولون: لقد أوجد الحسين بن علي عليه السلام هذه الفاجعة الفظيعة كي يفضح الحكومة الموجودة ويحيي الإسلام بهذه الطريقة!

إن هذا التصوير لثورة الإمام تصوير غيرُ معقول وفي الوقت ذاته غير واقعي أي لا يتطابق مع الوقائع التاريخية لأن الإمام لم يخلق تلك الحادثة الأليمة المفجعة بل كما سنوضح لاحقاً بذل جهوداً كبيرة للحيلولة دون وقوع الحرب وسفك الدماء واستخدم جميع إمكاناته في سبيل استقرار السلام.

التصوّر الصحيح

يتّضح من دراسة الوثائق التاريخيّة والتمعُّن فيها أن ثورة الإمام ابتدأت بعد هجوم ابتدأه الجهاز الحاكم عليه، وأن نهوض الإمام وثورته مرا بأربع مراحل مختلفة:

1 ـ المرحلة الأولى: منذ مغادرة الإمام المدينة مهاجراً إلى مكة وطوال بقائه في مكة قبل أن يُقرِّرَ مغادرتها.

2 ـ المرحلة الثانية: منذ أن قرّر الإمام ترك مكة والتوجُّه نحو الكوفة وإلى أن واجه «الحرّ بن يزيد الرياحي».

3 ـ المرحلة الثالثة: منذ مواجهته لـ«الحرّ بن يزيد» وحتى ابتداء المعركة.

4 ـ المرحلة الرابعة: مرحلة المعركة.

تضمَّنت المرحلة الأولى الصمود ومقاومة هجوم الحكم مع القيام ـ خلال ذلك ـ بدراسة موضوع توافر القوَّة القتاليّة اللازمة لإقامة الحكومة الإسلامية من عدمه.

المرحلة الثانية كانت ذات جانبين فكانت دفاعاً ومقاومةً في مواجهة هجوم الحكومة، وفي الوقت ذاته اتَّخذ الإمام في هذه المرحلة قرار النهوض لإقامة الحكم الإسلامي بعد أن تتحقَّق الشروط اللازمة له بالطبع.



المرحلة الثالثة بدأت بعد تغيّر الأوضاع السياسية في العراق وانقلابها، واشتملت على المقاومة والحفاظ على الواقع الدفاعي وفي هذه المرحلة بذل الإمام جهوداً كبيرة للحيلولة دون وقوع الاقتتال المسلّح، وقام بعدّة مفاوضات تمهيدية بغية أن يفضي ذلك إلى السلم وقد تمكّن من أن يسير برجال الحكومة إلى قاب قوسين أو أدنى من السِّلْم الأكيد واجتناب القتال[1].

المرحلة الرابعة كانت مرحلة الحرب الاضطرارية والدفاعية وقد وقعت هذه المرحلة بعد فشل مفاوضات السلام التي كان رجال و مأمورو الحكومة المسؤولين الرئيسيين عن فشلها وكانوا هم الذين يلهثون وراء القتال ويسعون إليه، فأخذت هذه المرحلة من ثورة الإمام صورة القتال الدفاعي الخالص.

في كلّ واحدة من المراحل الأربع كان أصل المقاومة والتصدّي لهجوم الحكومة وعدوانها على الإمام موجوداً ولكن في المرحلة الثانية إضافة إلى أصل المقاومة، وانطلاقاً من توافر شروط الانتصار العسكري وإقامة الحكومة الإسلامية العادلة اتّجه فكر الإمام أكثر إلى النهوض لتشكيل حكومة قوية عادلة إسلامية وتغيير الوضع القائم واجتثاث جذور حكومة الظلم.

تلك كانت إشارة إجمالية إلى المراحل المختلفة لنهوض الإمام وثورته وتصوّرها الصحيح، وأما تفصيل تلك الأمور فسيأتي بيانه في الصفحات القادمة.

والآن يجب أن نثبت ما قلناه بالأدلة التاريخية. ولكن قبل أن نبدأ بذكر الأدلة التاريخية نشير إلى دليل عقلي كليّ، وهو دليل يتعلّق بالحالات التي يكون فيها الانتصار العسكري مستحيلاً، أي الحال التي تنطبق بالطبع على المرحلة الأولى والثالثة والرابعة من ثورته، وليس على المرحلة الثانية التي كانت إمكانية النصر العسكري موجودة فيها بالنسبة إلى الإمام، كما مرّ شرح ذلك بالتفصيل في الباب الأول من هذا الكتاب.

الدليل العقليّ

لا شك أن الحسين بن علي عليه السلام كان في زمنه أكبر شخصية من أهل بيت

---

(1) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 205 و209 و210، و **تاريخ الطبري**، ج4، ص312 ـ 313.



النبيّ ﷺ وعترته وأبرزها. وكان يُعَدُّ من أعقل رجال عصره وأكثرهم حكمةً وَتَدَبُّراً في عواقب الأمور ومعرفةً بمقتضيات كل وضع من الأوضاع. لأنه فضلاً عن وراثته كمال العقل والدراية من جده وأبيه بحكم قانون الوراثة الطبيعي، فإن عمره كان قد جاوز السابعة والخمسين ممّا يعني أنَّه تعلّم خلال كل تلك السنوات كثيراً من التجارب من خلال الأحداث المختلفة، سواء التي مرت على أبيه أم وقعت في زمن أخيه، فلا شك أن الإمام الحسين عليه السلام كان من رجال العلم والفكر والعقل البارزِين.

كما أنه مما لا ريب فيه في بداية الأمر، أي عندما بدأ الهجوم على الإمام وأراد الحُكْم القائم أن يأخذ منه البيعة لـ«يزيد» بقوَّة السلاح، وكذلك بعد تَسَلُّط «عُبَيْد الله بن زياد» على العراق، لم يكن الإمام يمتلك قُوَّةً قتاليّةً وماليّةً كافيةً. بل كل ما كان يملكه الإمام في تلك الفترة هو الشعبية والمحبة منقطعة النظير التي كانت له في قلوب المسلمين، وتمتُّعه بمنزلة اجتماعية رفيعة وباحترام عميق يُكِنُّه الرأي العام له. ولكن التجربة أظهرت أن محبوبية الشخص وشعبيته لا تستطيعان وحدهما مواجهة القوات العسكرية ومقاومتها، خصوصاً في ذلك الزمن الذي كان الناس لا يزالون في مراحلهم الابتدائية من ناحية النضج العقلي والرقيّ الفكري والاجتماعي، وكان مجتمع المسلمين لم يبلغ مرحلة الرشد الكامل بعد.

هل كان من الممكن أن يَخْفَى مثل هذا الأمر البديهي على عقل الحسين بن علي عليه السلام النيّر ورؤيته النافذة؟!

هل كان من الممكن لشخص عاقل مفكّر مثل ابن علي بن أبي طالب أن لا ينتبه إلى هذا المعنى وأن يُقدم على ثورة ابتدائية غير مدروسة رغم عدم امتلاكه للتجهيزات القتالية وللقوَّة العسكرية اللازمة؟! مع أن نتيجة مثل هذه الثورة الابتدائية التي لا يملك الثائرون فيها القوَّة الكاملة لن تكون سوى التشنج واختلال نظم المجتمع ثم الهزيمة المرّة في نهاية المطاف، كما لن تكون سوى استفزاز الحكومة القائمة ودفعها إلى سحق الأفكار الحيّة وخنق نداء المطالبين بالحرية، والقضاء على الثائرين وترك أسرهم وعوائلهم بلا معيل. فلا شك أن الثورة الابتدائية التي تفشل وتُهزم لا تستطيع أن تُحْيِي ديناً ولا أن تقيم دُنْيَاً أي لا تستطيع أن تمنع الانحرافات ولا أن تستردّ حقوق المحرومين ولا أن تُلَبِّي صراخ المظلومين.



نعم، عندما لا تتوافر القدرة العسكرية اللازمة فإنه من الممكن بالنصح والدعوة الحكيمة والموعظة الحسنة بالرفق واللين والمداراة، دون تأييد انحرافات الحكومة والتسبُّب في إضلال الناس، الحيلولة من وقت إلى آخر دون ارتكاب الحكومة لبعض الجرائم ومَنْع الحاكم من ارتكاب بعض المفاسد، أو أقله يمكن أن تُنْتَقد أعمال الحُكم الفاسدة والظالمة، ويُبَيَّـنُ للناس مخالفتها للإسلام، كما كانت طريقة الإمام الحسين عليه السلام زمن معاوية.

لقد أظهَرَتِ التجربةُ أن الشخصيات الدينيةَ الكبيرةَ كانت دائماً ملجأ المحرومين والمظلومين واستطاعت بتدابيرها الحكيمة أن تحول إلى حدّ كبير دون انحرافات جهاز الحكم، كما استطاع عليّ عليه السلام زمن الخلفاء، خصوصاً الخليفة الثاني، أن يحول دون وقوع الحكومة في أخطاء سياسية وقضائية في عدد من الحالات. ولكن لو أقدمت الشخصيات البارزة والمحبوبة على ثورة مسلّحة ابتدائية دون امتلاك قوَّة كافية بل اعتمدت فقط على نفوذها الشعبي ومحبة الرأي العام لها، فإنها لن تحصد سوى دفع الحكومة القائمة إلى سحق الأفكار الحيّة لتحافظ على حكمها وتحفيزها إلى ارتكاب كل جريمة للقضاء على معارضيها.

واستناداً إلى هذه الأصول الواضحة والحسابات البديهية قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبته «الشقشقية»: **«وطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ ويَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ ويَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى..»**[1].

من الواضح أن صبر أمير المؤمنين عليه السلام في مواجهة جهاز الحكم وامتناعه عن أي ثورة مسلحة إنما كان سببه عدم امتلاك القوَّة الكافية، الأمر الذي كان سيجعل صراعه صراعاً عقيماً لا يؤدي إلا إلى نتيجة عكسية يحيق ضررها بالإمام ذاته وبسائر المسلمين.

هل من الممكن أن يلجأ الإمام الحسين عليه السلام ـ دون أن تتعرض له الحكومة القائمة بأي سوء ـ إلى ثورة ابتدائيّة ضدّها مع عدم امتلاكه القوَّة الكافية، مخالفاً بذلك

(1) نهج البلاغة، الخطبة الشقشقية، خطبة رقم (3)، ص 26.



نهج أبيه؟! لا أظن أن من يعرف الحسين بن علي عليه السلام جيداً يمكنه أن يظنَّ أنه يمكن أنْ يُعْلِنَ الحرب على حكومة زمانه دون أن تكون تلك الحكومة قد بادرته بأي سوء أو اعتداء، ودون أن يمتلك القدرة الكافية على مواجهتها، ويخلق بذلك تلك الحادثة الدموية الفظيعة ويتحمّل مسؤولية الدماء التي أُريقت!!!

اتّضح مما ذكرناه أن حكم العقل يوجب علينا أن نقول: إن ثورة الإمام الحسين عليه السلام في المرحلة الأولى والثالثة والرابعة التي لم يكن يمتلك فيها القوّة العسكرية الكافية كانت ثورةً دفاعيةً لا ابتدائيةً، وبعبارةٍ أوضح: كان نهوضُهُ مقاومةً لِعُدْوَانِ نظام الحكم و بَغْيِهِ عليه وليس تمرّداً وعصياناً ابتدائياً. أمّا في المرحلة الثانية فبما أن إمكانية النصر العسكريّ كانت موجودةً بالنسبة إلى الإمام، كان أحد جوانب ثورته السعي إلى إسقاط الحكم القائم وإعادة الخلافة إلى أهلها ومركزها الأصلي الصحيح ممّا مضى شرحه.

الأدلّةُ التاريخيّة

أشرنا فيما سبق إلى أن نهوض الإمام مرّ بمراحل أربع:

المرحلة الأولى: مرحلة مقاومة ودفاع أمام الهجوم والاعتداء الذي تعرّض له الإمام، وتضمّنت المرحلة كذلك دراسة الأوضاع السياسيّة لمعرفة هل الأرضيّة اللازمة لإقامة الحكومة الإسلامية متوافرة أم لا؟

المرحلة الثانية: مرحلة مقاومة ودفاع وفي الوقت ذاته التحرُّك نحو إقامة حكومة إسلامية عادلة.

المرحلتان الثالثة والرابعة: دفاع محض.

وفيما يلي نذكر الأدلَّة التاريخية على كلٍّ واحدةٍ من تلك المراحل الأربع على حِدَة.

الأدلة على الطبيعة الدفاعية لثورة الإمام في مرحلتها الأولى

الدليل الأول

كلُّ من يدرس حوادث السنة 60 للهجرة يعلم جيداً أنه بعد موت معاوية بن أبي



سفيان ـ الذي وقع حسب القول المشهور في منتصف شهر رجب عام 60 للهجرة ـ، وقبل أن يصل خبر وفاته إلى المدينة، سارع يزيد بن معاوية إلى توجيه كتابٍ رسميٍّ إلى عامله على المدينة «الوليد بن عتبة بن أبي سفيان» يُطْلِعُهُ فيه على خبر وفاة أبيه معاوية، وأرفقَ الكتاب بصحيفة صغيرةٍ غيرِ رسميّةٍ[1] كَتَبَ له فيها: «**أما بعدُ فَخُذْ حُسَيْناً وعبدَ الله بن عمر وعبدَ الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصةٌ حتى يبايعوا والسلام**»[2].

التَّعَـدِّي الأوّل

كان ذلك أوّل تَعَدٍّ وبَغْيٍ من طرف حكومة يزيد بن معاوية السفيهة والمتهوّرة على الحسين بن علي عليه السلام، ولم يُر في أي تاريخ أن الإمام الحسين عليه السلام قَبْلَ تعرّضه لهذا التعدّي، أي قَبْلَ موت معاوية، قام بأي مؤامرة ضدّ حكومة بني أمية، بل إن الإمام ذاته كذّب بوضوح، في رسالته الجوابية إلى معاوية، قيامه بأي تحرّك وتآمر ضدَّ حكومته.

كتب معاوية إلى الإمام الحسين عليه السلام يقول: «**أما بعد فقد انتهت إليَّ أمورٌ عنك . . . فاتَّقِ شقَّكَ عصا هذه الأمّة وأن يردَّهم اللهُ على يديك في فتنةٍ . .**»[3]، فأجابه الإمام برسالة صارمة شديدة اللهجة ذكرّه فيها بجرائمه وقال له في ضمنها: «. . **وأمّا ما ذكرتَ أنه انتهى إليك عنّي، فإنه (كذبٌ محضٌ) إنما رقّاهُ إليك الملاّقون المشّاؤون بالنميم، وما أريد لك حرباً ولا عليك خلافاً . .**»[4].

رغم أنه كان واضحاً أمام عيني الإمام الحسين عليه السلام أن حكومة معاوية لم تكن

---

(1) ربما اختار «يزيد» ورقة غير رسمية حتى لا يُسَجَّل أمره ذاك في مستندات الدولة الرسمية فلا يتم ضبط تلك الجريمة، ولكن التاريخ يُسجّل جرائم الخونة رغماً عنهم.

(2) **تاريخ الطبري**، ج4، ص250، والشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 179. (المؤلِّف). والرواية نقلها أيضاً البلاذري أحمد بن يحيى (ـ 279هـ/ 892م) في **أنساب الأشراف**، تحقيق د. زكار و د. زركلي، بيروت، دار الفكر، ط1، 1417هـ/ 1996م، ج 5، ص 313. (المُتَرْجِمُ)

(3) رجال الكشّي، ص 49، وابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج 1، ص181. (المؤلِّف). والبلاذري، **أنساب الأشراف**، ج 3، ص 367. (المُتَرْجِمُ)

(4) رجال الكشّي، ص 49، وابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج1، ص181.



حكومة إسلامية، و رغم جرائم نظام حكم معاوية التي لا حصر لها، والتي كان أكبرها جريمته في فرض ولاية عهد «يزيد» على الأمة بحيث يمكن اعتبار حكومة «يزيد» ذاتها سيّئة من سيّئات معاوية، ورغم أن الإمام إنّما كتب تلك الرسالة إلى معاوية بعد أن قام الأخير بفرض ولاية «يزيد» على الناس، ورغم أن الإمام قال له في تلك الرسالة: **«وَقُلْتَ فِيمَا تَقُولُ انظُرْ لِنَفْسَكَ وَلِدِينِكَ وَلِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ وَاتَّقِ شَقَّ عَصَا هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَنْ تَرُدَّهُمْ إِلَى فِتْنَةٍ؛ وَإِنِّي لا أَعْلَمُ فِتْنَةً أَعْظَمَ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ وِلاَيَتِكَ عَلَيْهَا، وَلاَ أَعْلَمُ نَظَراً لِنَفْسِي وَ لِدِينِي وَلِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَلَيْنَا أَفْضَلَ مِنْ جِهَادِكَ فَإِنْ فَعَلْتُ فَإِنَّهُ قُرْبَةٌ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنْ تَرَكْتُهُ فَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِدِينِي وَأَسْأَلُهُ تَوْفِيقَهُ لِإِرْشَادِ أَمْرِي. . . . »**[1].

رغم كل ذلك قال الإمام الحسين عليه السلام لمعاوية في رسالته تلك: **«وما أريد لك حرباً ولا عليك خلافاً. . »**.

بناء على ذلك، لم يقم الإمام الحسين عليه السلام، طوال فترة حكم معاوية، بأيٍّ مؤامرة ضدَّه، وكانت الفترة الزمنية بين موت معاوية وتعرُّض حكومة «يزيد» للإمام بالتهديد ـ حسب النقل المشهور ـ اثني عشر يوماً[2]، فمتى وكيف يستطيع الإمام الحسين عليه السلام ـ خلال تلك الفترة القصيرة ـ أن يتآمر ضدّ حكومة «يزيد»؟.

إذن اتّضح من هذه المقدّمات أن الإمام الحسين عليه السلام، قبل أن يأمر «يزيد» عامله على المدينة بذلك الأمر السفيه بأن يأخذ الحسين بن علي بالبيعة له أخذاً شديداً لا هوادة فيه، لم يَقُمْ بأيٍّ تحرّك ضدّ حكومة ابن معاوية غير الشرعيّة، وإنّـما كانت حكومة «يزيد» السّفيهة المفتقدة لحسن التدبير هي التي بدأت التعرّض لابن رسول الله ﷺ والتعدّي عليه، وكان «يزيد» الشابّ الغِرّ الذي لا تجربة له هو الذي أصدر ذلك الحكم ظلماً وتجبُّراً ودون حجّة أو برهان بل اتكاءً على قوّة حربته وسيفه، مخالفاً بذلك كل الأصول الإنسانية ومبادئ الحريّة والعدالة.

لقد طلب يزيد بن معاوية من الإمام أن يستسلم له بلا قَيْدٍ أو شرطٍ وأن يعترف به علناً بوصفه أمير المؤمنين وخليفة النبيّ وحاكماً شرعياً له السيادة على الإمام وعلى سائر

(1) رجال الكشي، ص 49. وابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج1، ص182.
(2) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 179.



المسلمين ويُعلنَ أن حكومَةَ «يزيد» التي فُرضَت على الناس جُبراً تحت بريق السيف وإغراء الدرهم والدينار حكومةٌ شرعيّةٌ، مما يستتبع أن لا يجرُؤَ مسلمٌ بعد ذلك على التفكير في معارضة تلك الحكومة الشرعية!

كانت عقيدة الإمام الحسين عليه السلام كعقيدة كثير من الشخصيات الأخرى مثل «**عبد الله بن عباس**» و«**محمّد بن الحنفيّة**» هي أن حكومةَ بني أميّة حكومةٌ غير شرعيةٌ فُرضت على الأمّة بالجبر والإكراه، وأن «يزيد» الذي استقرّ على رأس تلك الدولة الآن كان شابّاً متهوِّراً عنيداً يعاقر الخمرة ويمارس الفجور، كما كان غِرّاً لا تجربة له ولا خبرة في سياسة الملك، ولم يكن يملك حوله مستشارين ماكرين دُهَاةً كالذين كان يملكهم أبوه أمثال «عَمْرو بن العاص» و«المغيرة بن شُعبة»، وبالتالي فلا شكَّ أن وقوع زمام حكم أمّة الإسلام بيد مثل هذا الدنيء الفاجر يعني جرَّ الأمّة إلى أودية الهلاك، يُنسى فيها شيء اسمه الحقُّ والعدل، و يستكين فيها الناس إلى الوَهن والفساد لأن الناس ـ كما يُقال ـ على دين ملوكهم.

فلم يكن في استطاعة الإمام أن يعلن ـ خلافاً لمعتقده وخلافاً لواقع الأمر ـ أن حكومة «يزيد» المفروضة بالإكراه حكومة شرعية وقانونية، وأن يستسلم له بلا قيد ولا شرط مع امتلاكه القدرة على الدفاع عن نفسه وعقيدته، كيف وهو سيِّد العترة النبوية وزعيم آل بيت النبيّ، وجميع الأنظار تتَّجه نحوه، ومكانته عظيمة في قلوب الناس، فلو قبل خلافة «يزيد» المعادية للإسلام، رغم مخالفة ذلك لعقيدته وإيمانه ورغم امتلاكه القدرة على الامتناع والمقاومة، لأدَّى ذلك إلى إضلال الناس وانحراف أفكارهم، ولكان قبوله خلافة يزيد يعني موافقته الضمنيّة على جميع انحرافات حكومته، وإعانته على سقوط البلاد في مهاوي الفساد وإضعاف الدين.

فهل من الممكن لمن هو مظهر العدالة والتقوى أن يدوس العدالة والتقوى ويساعد على هدمهما؟!

هل من الممكن لمن ترعرع في حضن الدِّين والإيمان وتربَّى في حِجْر النبوَّة وبيت الرسالة أن يوجِّه طعنةً إلى الدين ويترك وصمة عار في جبين أهل بيت النبوَّة والرسالة؟!



في نظر الحسين بن علي عليه السلام الاستسلامُ أمام العُدْوان الذي وقع عليه والمصادقةُ على سلطنة يزيد المعادية للإسلام وعدمُ إبداء أي مقاومة ضدّها رغم أن طريق المقاومة والدفاع كان مفتوحاً، خيانةٌ للقرآن والمسلمين ولأهل بيت الرسالة.

لا الدين ولا الإيمان ولا شرف أسرة الإمام ولا مسؤوليته تجاه حفظ الإسلام ولا مقامه الخاص بين العترة النبوية كانت تجيز له أن يقبل حكومة ابن معاوية.

اتّضح مما قلناه أن الأمر السفيه الذي أعطاه يزيد بن معاوية لعامله على المدينة: (خذ البيعة من الحسين بن علي أخذاً عنيفاً ليست فيه رخصة) كان أوَّل تَعَدٍّ من طرف ابن معاوية على شخصية ابن رسول الله وعلى شرف أسرته وعلى عقيدته وإيمانه والأهم من ذلك كلّه كان عدواناً على الإسلام.

رغم أن حاكم المدينة «الوليد بن عتبة» لم يَمْضِ في تنفيذ ذلك الأمر إلى حدّ قتل الإمام، إلا أن جميع ولاة الحكومة لم يكونوا مثل «الوليد بن عتبة»، وكانت جميع القرائن تدلُّ على أن «يزيد» لن يكفَّ عن ضغطه لتحقيق ذلك الهدف وأن مروان بن الحكم سيسعى بكل طريقة إلى قتل الحسين بن علي عليه السلام وتحريض الحكومة على قتله انطلاقاً من سوابقه العدائية تجاه آل عليٍّ عليه السلام، كما يدلّ على ذلك ما قاله لوالي المدينة: **«احبس الرجل (أي الحسين بن علي) ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه»**[1].

اشتداد الخطر

بعد أن استدعى والي المدينة الإمامَ الحسين عليه السلام لإبلاغه أمر يزيد بأخذ البيعة منه ولم يستطع والي المدينة أن يحصل على موافقة الحسين على ذلك في تلك الجلسة إذْ طلب منه الإمام إمهاله إلى يوم غد، وخرج الإمام من ذلك الاجتماع، بقي مأمورو الوالي يتابعون الإمام ويُلِحُّون عليه عشيّة ذلك اليوم وأوّل ليلته كي يأتي إلى البيعة إلا أنَّ الإمام استمرَّ في امتناعه[2]، وأخذ يبحث عن مخرج من هذه الفتنة

(1) **تاريخ الطبري**، ج4، ص251، و الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص180.
(2) **تاريخ الطبري**، ج4، ص252، و الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص182.



الجديدة. واستنبط الإمام من مجموع القرائن أن الخطر على حياته أصبح داهماً وشديداً جداً.

هل كان الحسين بن علي عليه السلام قادراً على أن يلجأ إلى القوَّة العسكرية لمواجهة هذا الاعتداء والهجوم الذي وقع عليه والذي كان يُنْذِرُ بإجراءات أشدّ فيما بعد؟! بالطبع لا. ولكن ما العمل؟

في ذلك الوقت القليل ورغم كل الضيق الفكري الذي حلّ به بسبب تلك الحادثة، استطاع الإمام أن يختار طريقاً ثالثاً. كان طريقاً عقلانياً وحكيماً لا يُتوَقَّع من شخصية مثله أن يختار سواه، ألا وهو طريق المقاومة والدفاع. ولمّا كان من الواجب في طريق الدفاع أن يجتنب المسلم الفتنة وإراقة الدماء ما استطاع إلى ذلك سبيلاً قرَّر الإمام أن يغادر وطنَه المدينةَ إلى أجل غيرِ مُسمًّى ويهاجر إلى مكانٍ بعيدٍ عن الخطر من جهة، ومكانٍ يتيح له في الوقت ذاته إمكانية دراسة الأوضاع السياسية الجديدة لمعرفة ما إذا كانت هناك إمكانية لإعادة الخلافة إلى أهلها ومسارها الصحيح أم لا؟

حُسنُ تدبير الإمام

كلُّ إنسانٍ عاقلٍ يفكّر ـ بلا شك ـ في عواقب الأمور ولا يخطو خطوةً إلا بعد أن يدرس عواقبها بعقله وفكره، وقد جاء عن الأئمة الكرام: «**قَدِّم الخروج قبل الولوج**»، أي فكِّر في طريقة الخروج من كل أمر قبل أن تدخل فيه.

من هذا المنطلق كان رسول الله صلى الله عليه وآله يُعمِل كلَّ تفكيره في دراسة عواقب ما يُزمع القيام به من أعمال، ويقلِّب أطراف العمل ويدرس أعماقه ثم يختار ما هو أقرب إلى صلاح نفسه وأمته وما يبدو أن نتيجته ستكون أفضل.

ولهذا السبب، لما تآمر أهل مكة على قتله صلى الله عليه وآله انطلق ـ للحفاظ على روحه وللحفاظ على الإسلام وليتمكَّن من تنفيذ برامجه الإصلاحية الشاملة ـ مغادراً مكَّة في جنح الليل، ولجأ إلى غار «ثَوْر» حيث بقي ثلاثة أيام ثم اتخذ دليلاً مرشداً وانطلق مهاجراً إلى المدينة كي يبتعد عن الخطر[1].

---

(1) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج2، ص73، طبع لبنان.



كذلك كان يتّخذ في كل واقعة عسكرية جميع التدابير والاستحكامات والاستطلاعات العسكرية اللازمة ويقوم بتحديد طرق الدفاع والمواجهة وتشييد أبراج المراقبة وبث العيون، وباختصار كان يأخذ بجميع أسباب الفنون الحربية بكل دقة وتدبير حكيم كَيْ يُهَيِّئَ أسباب النجاح والنصر له ولجنوده.

نظرةٌ خاطفةٌ إلى الاستحكامات الحربية التي كان يتَّخذها رسول الله ﷺ في معركة «بدر» ومعركة «أحد» و واقعة «الخندق» الفريدة توضّح هذا الأمر بجلاء. ولا شك أن المصلحة الربّانية لم تقضِ بأن يتقدَّم النبيّ دائماً بفضل العلم بالغيب والقوَّة المعجزة، لذلك نرى أنه كان أحياناً يتعرّض إلى صدمات وخسائر.

جاء في القرآن الكريم: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠﴾ [الأعراف/ 188].

بناء على ذلك كان رسول الله ﷺ يتّبع في أعماله وخطواته تلك الطرق العقلانيَّة معتمداً على فكره النيِّر وبصيرته النافذة ويتّخذ كلّ التدابير الحكيمة ليصل إلى هدفه ورغم ذلك كان أحياناً يتعرض إلى انكسار أو هزيمة. هل من الممكن للحسين بن علي عليه السلام الذي كان عقله وفكره عصارة من عقل وفكر النبيّ ﷺ أن يَقْفُوَ برنامجَ عمل مبهماً وخطة مضطربة دون تخطيطٍ صحيحٍ أو تدبيرٍ دقيقٍ ويقدم على عمل لا يعقبه إلا الندامة؟! لا أعتقد أن من يعرف الإمام الحسين عليه السلام يظنُّ به هذا الظن، بل كلّ من عرف ابن الإمام علي عليه السلام وثمرته يحكم بأنّه لا يتّبع إلا خطّة عاقلة محسوبة. في تلك اللحظات التي اشتدّ فيها الخطر وأصبح وشيكاً كان على الإمام الحسين عليه السلام أن يقوم بعمل لا يستتبع أي إضرار بالإسلام كما لا يتضمَّن أيَّ إعانة لحكومة الظلم والاستبداد ولا أيَّ إنقاص من مقام بيت النبوّة وشرف العترة النبويّة، كما لا يؤدّي إلى وقوع أي تشنّج وفتنة في المجتمع وسفك للدماء لا فائدة منه.

لم يكن هناك أكثر حكمةً في نظر الإمام في مثل ذلك الظرف الذي أصبح فيه قريباً جداً من الخطر من أن يفعل ما فعله رسول الله ﷺ عندما أحاق به الخطر فهاجر من مكة إلى المحيط المناسب الذي كان يتمثّل في المدينة التي أُعدّت من قبل لهذا الغرض كي تكون مركزاً ينطلق منه إلى تطبيق برامج عمله الإصلاحية الواسعة، فكذلك



فعل الحسين مثل جده فهاجر من وطنه إلى مكان أبعد عن الخطر ومكان يمكنه فيه أن يبدأ بدراسة الأوضاع دراسةً دقيقةً ومتأنّيةً ليستكشف إمكانيات إعداد الأرضية اللازمة لتشكيل حكومة إسلامية تنقذ الإسلام والمسلمين.

لم يكن هناك مكانٌ أكثر ملاءمة لمثل هذا العمل من مكة لأنها حَرَمُ الله الآمن وبعيدةٌ عن الأخطار ومركزُ عالم الإسلام مما يعني أن الإمام يمكنه أن يلتقي فيها وفوداً من مختلف الأقطار الإسلامية ويقيم علاقات معهم ويضع معهم خططاً شاملةً للدفاع عن الإسلام.

عندما أحدق الخطر برسول الله صلى الله عليه وآله هاجر من مكة إلى المدينة ولكن ابنه الحسين عليه السلام عندما أحدق الخطر به هاجر باتجاه معاكس أي من المدينة إلى مكة[1] وكانت هجرته هذه ذاتها أول خطوة يخطوها في طريق الدفاع والمقاومة.

اتضح مما ذكرناه أن الهجوم ابتدأ من طرف حكومة «يزيد» وأن الإمام الحسين عليه السلام انطلق للدفاع كما يملي عليه حكم العقل والشرع وكانت أول خطوة في طريق الدفاع أن خرج دون تأخير بأسرته وأهل بيته في جنح الليل هرباً من أعين رجال الحكومة مهاجراً إلى مكة حرم الله الآمن. وتلا حين خروجه الآية الكريمة المتعلقة بهجرة موسى عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص/ 21].

إن تلاوة هذه الآية الكريمة عند الخروج من المدينة دليل على هجوم الحكومة عليه وعلى حركة الإمام الدفاعية.

نقطةٌ هامَّةٌ

هناك سؤال طبيعي يَرِدُ إلى الذهن مُفاده: لو لم تتعرّض حكومة «يزيد» إلى الإمام الحسين عليه السلام بأيِّ سوء، هل كان الإمام سيجلس في بيته كما فعل في زمن معاوية ويمتنع عن القيام بأيّة حركة ثورية؟

نقول: لقد قال الإمام الحسين ذاته: «**إذا مات معاوية نظرنا في الأمر** (أي أمر

---

(1) جاء في تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر أن الإمام الحسين عليه السلام نزل في مكة في بيت «العباس بن عبد المطّلب».



النهوض والثورة لأجل التغيير»[1]، ومن الجهة الأخرى روى الإمام أيضاً عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنّة رسول الله ﷺ يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغيِّر عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على الله إن يُدْخِلَهُ مُدْخَلَهُ»**[2].

بناءً على ذلك، حتى لو لم يتعرّض «يزيد» للإمام الحسين بسوء، لقام الإمام بتكليفه الشرعيّ وتحرّك في اتجاه تغيير الحكم الظالم. ولكن لما كان ذلك التكليف ـ كما هو شأن سائر التكاليف ـ مشروطاً بالقدرة عليه، كان من اللازم على الإمام في المرحلة الأولى أن يقوم بدراسة قوّته وتقديرها، وأن يُعِدَّ القوَّةَ العسكريَةَ الكافية ـ إذا كان ذلك مُسْتَطاعاً له ـ التي تسمح له بالتحرّك لإنقاذ الإسلام وإقامة الحُكم الإسلاميّ العادل.

بناء على ذلك، حتى لو لم تُزْعِج حكومةُ «يزيد» الإمامَ الحسين عليه السلام ولم تتعرَّض له بأي سوء لما منع ذلك الإمام من أن يبدأ، بعد موت معاوية وبعد أن أصبحت حكومة بني أمية مهتزَّة وضعيفة، بدراسة الأوضاع السياسية وتقويم قوّته العسكرية حتى إذا وجد أن الظروف مساعدة والشروط متوافرة لتشكيل حكومة إسلامية عادلة واجتثاث جذور الظلم، أقْدَمَ على ذلك.

فينبغي أن نقول إن روح الثورة الابتدائية كانت موجودة في المرحلة الأولى من نهوض الإمام وحركته، وعندما نقول إن المرحلة الأولى من نهوض الإمام كانت مرحلة مقاومة ودفاع فقط (وأثناء ذلك دراسة الأوضاع السياسية) فإن سبب ذلك أن حركة الإمام بدأت بعدوان الحكومة وهجومها عليه، ونحن نبحث في ما وقع فعلاً، لا في ما كان ممكن الوقوع.

نعم، كلّ ما في الأمر أنه لو لم تبدأ حكومة «يزيد» بالهجوم على الإمام لكان من الممكن أن يبدأ الإمام بتقويم ودراسة الأوضاع السياسيّة في المدينة ذاتها ولما اضطرَّ إلى الإسراع بالهجرة منها على ذلك النحو السريِّ في ظلام الليل إلى مكة، ولكان أجّل

(1) انظر الشيخ المفيد، الإرشاد، ص179، أو ج2، ص32

(2) تاريخ الطبري، ج4، ص304.



سفره ـ إذا لزم الأمر ـ إلى فُرْصَةٍ أخرى كأن ينتقل إلى مكّة في أيّام الحجّ مثلاً حيث يمكنه إجراء الاتصالات اللازمة بأهالي الأقطار الإسلامية ويُحْكِم من خلال ذلك أرضية تحرّكه ويجعلها أكثر اطمئناناً.

وعلى كلّ حال كان من المعلوم أنَّ اتصالات الإمام يجب أن تكون في الدرجة الأولى مع العراق، لاسيَّما الكوفة، لأنها تشكّل النواة المركزيّة لقوّات الإمام، والمسافة بين مكة والمدينة تُقَدَّر بحوالى 80 فرسخاً مما يعني أنَّ المسافة بين المدينة والكوفة أقل من المسافة بين مكة والكوفة بثمانين فرسخاً وهي مسافة كبيرة إذا أخذنا في الاعتبار وسائل النقل في تلك الأيام؛ وبالتالي فلو تمَّت اتصالات الإمام بأهل الكوفة من المدينة بدلاً من مكّة لكان الإمام قد وفَّر على نفسه ثمانين فرسخاً الأمر الذي سيجعل ارتباطه بالكوفة ووصول أخبارها إليه أسرع ممَّا سيقلِّل المشاكل التي تعيق ثورته.

الدليل الثاني

انتشر خبرُ امتناع الإمام الحسين عليه السلام عن مبايعة يزيد ولجوئه إلى مكة، في الحجاز، بسرعة وسرعان ما سرى الخبر من الحجاز إلى العراق، حتى صار هذا الحَدَث ـ بعد خبر موت معاوية ـ من أهم الأخبار التي كانت تتداولها الألسن في تلك الأيام والتي شدَّت إليها أنظار الأوساط السياسية وأخذ رجال السياسة يتحادثون بشأنها، كلٌّ يُدلي فيها برأيه.

في هذا السياق تألفت في منزل «**سليمان بن صُرَد الخزاعي**» ـ الذي كان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن رجال السياسة الممتازين والشخصيات البارزة ذات السوابق المُشَرِّفة في الكوفة ـ جمعيّةٌ سياسيّةٌ حسَّاسةٌ جداً شارك فيها جماعةٌ من الرجال المحنّكين ذوي التجارب مثل «**حبيب بن مظاهر الأسدي**»، وكان المحور الذي تدور حوله المباحثات والأفكار في تلك الجمعية هو قضية موت معاوية ومظالمه واعتداءاته التي لا تُحصى وموضوع حكومة يزيد التي فرضها على الناس وهجوم هذه الحكومة الجديدة على الحسين بن علي عليه السلام ولجوء ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حرم الله الآمن في مكة.



في أحد الاجتماعات التي عُقِدت في منزل «سليمان بن صرد الخزاعي» وبرئاسته، قام «سليمان» ـ بعد أن تكامل عدد المجتمعين ـ خطيباً فيهم وقال في آخر خطبته:

«يَا مَعْشَرَ الشِّيعَةِ! إِنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ بِأَنَّ مُعَاوِيَةَ قَدْ هَلَكَ وَصَارَ إِلَى رَبِّهِ وَقَدِمَ عَلَى عَمَلِهِ، وَقَدْ قَعَدَ فِي مَوْضِعِهِ ابْنُهُ يَزِيدُ، وَهَذَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام قَدْ خَالَفَهُ وَصَارَ إِلَى مَكَّةَ هَارِباً مِنْ طَوَاغِيتِ آلِ أَبِي سُفيَانَ، وَأَنْتُم شِيعَتُهُ وَشِيعَةُ أَبِيهِ مِن قَبْلِهِ وَقَدِ احْتَاجَ إِلَى نُصْرَتِكُمُ الْيَوْمَ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ نَاصِرُوهُ وَمُجَاهِدُو عَدُوِّهِ فَاكْتُبُوا إِلَيْهِ وَإِنْ خِفْتُمُ الْوَهْنَ وَالْفَشَلَ فَلَا تَغُرُّوا الرَّجُلَ مِنْ نَفْسِهِ»[1].

يَدُلُّ قولُ «سليمان بن صُرَد»: **«وهذا الحسين بن علي عليه السلام قد خالفه و صار إلى مكّة هارباً من طواغيت آل أبي سفيان»** بشكل جليّ على أن الإمام الحسين عليه السلام إنما خرج من وطنه و لجأ إلى مكة دفاعاً عن نفسه ونجاةً بها من خطر اعتداء رجال الحُكم عليه.

لقد اعتبر «سليمان بن صُرَد»، الذي كان يعيش في تلك الفترة الزمنية وكان مطّلعاً على نحوٍ جيِّدٍ على الأوضاع والأحوال السياسية، أن حركة الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة حركة دفاعية في مواجهة العدوان الذي بدأته حكومة «يزيد» عليه، وهذا دليلٌ واضحٌ على أن طبيعةَ حركة الإمام في مرحلتها الأولى كانت قبل أي شيء آخر طبيعةً دفاعيَّةً، ومقاومةً لا يمكن اجتنابها، تجاه بَغْيِ الحُكومة عليه.

الدليل الثالث

قال الإمام الحسين عليه السلام في أحد المنازل في الطريق من مكة إلى الكوفة، بعد أن وصل إليه خبر قتل «قَيسِ بْنِ مُسْهِرِ الصَّيدَاوِيِّ» ممثله ورسوله إلى أهل الكوفة، كلاماً مؤثراً، لمّا سمعه أصحابه سارعوا إلى الإجابة بكلام يدل على مدى وفائهم وإخلاصهم للإمام؛ فبعد أن جمع الحسينُ عليه السلام أبناءَه وإخوتَه وأهلَ بيته حوله وألقى عليهم نظرة ملؤها الحسرة والتوجُّع قال: **«اللهمَّ إنَّا عترةُ نبيِّكَ محمَّد صلى الله عليه وآله وقد أُخرِجنا**

---

(1) السيد ابن طاووس، **اللهوف على قتلى الطفوف**، ص 27، و ابن نما، **مثير الأحزان**، ص 10. (المؤلف) وبلفظ قريب منه: الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ج2، ص 36 (الطبعة الجديدة). (المُتَرْجِمُ)



وطُرِدنا وأُزْعِجْنا عن حَرَمِ جدِّنا وَتَعَدَّتْ بنو أميَّة علينا، اللهمَّ فخُذْ لَنَا بِحَقّنا وانْصُرْنا عَلَى القَوْمِ الظَّالمين»[1].

يُفهَم بوضوح من قول الإمام الحسين عليه السلام: **«وقد أُخْرِجنا وطُرِدنا وأُزْعِجْنا عن حرم جدّنا»** أن هجوم نظام الحكم اليزيدي هو الذي أجبر الإمام على الخروج من حرم رسول الله صلى الله عليه وآله.

الدليل الرابع

عندما طَرَدَ «عبدُ الله بن الزُّبَيْر» عاملَ «يزيد» على مكَّة، منها، بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وأخذ الناسَ بالبيعة لنفسه، دعا ابنَ عباس لمبايعته أيضاً، لكن ابن عباس رفض مبايعته، فوصل خبر ذلك إلى «يزيد» فكتب إلى ابن عباس رسالة يشكره فيها على عدم مبايعته عبدَ الله بن الزبير وبقائه وفيّاً لبيعته ليزيد! عندئذٍ كتب ابنُ عباس إلى «يزيد» رسالةً جريئةً مليئةً بالدلالات ذكَّره فيها بما فعلته حكومته بالإمام الحسين عليه السلام والطريقة التي تصرَّف بها رجالها معه، وذَكَرَ في ذلك عدَّة جُمَلٍ تدلُّ بشكلٍ صريحٍ على الهجوم الذي تعرّض له الإمام في المرحلة الأولى من نهوضه مِنْ قِبَلِ حكومة «يزيد». قال ابن عباس في رسالته تلك: **«وما أنسَ من الأشياء، فلستُ بناسٍ اطّرادك الحسينَ بنَ عليٍّ من حَرَم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى حَرَم الله»**[2]. وهذا يبيِّن أن ابن عباس الذي كان يعيش في تلك الفترة ويراقب الأوضاع عن كثب حَكَم أن حكومة يزيد هي التي ابتدأت التعرّضَ للإمام الحسين عليه السلام والبَغْيَ عليه وأن الإمام اضطر في إثْرِ ذلك أن يهاجر من المدينة إلى مكة.

الأدلة على طبيعة المرحلة الثانية من نهوض الإمام

أوضحنا من قبل أن المرحلة الثانية من نهوض الإمام وثورته بدأت منذ لحظة اتخاذه قرارَ التحرّك نحو الكوفة، إلى أن واجهَ الـحُرَّ بْنَ يَزِيدِ الرِّيَاحِيَّ، وأن هذه

(1) المجلسي، بحار الأنوار، ص 189.

(2) تاريخ اليعقوبي، ج2، ص335، ومقتل الخوارزمي ج2، ص 78، و«تذكرة الخواص» لسبط ابن الجوزي، ص 275.



المرحلة كانت ذات جانبين: جانب دفاع ومقاومة، وجانب سَعْيٍ لإقامة حكومة إسلامية.

أمّا الدفاع فلأن الإمام أصبح ملاحقاً في هذه المرحلة الثانية وعُرْضَةً لمحاولة تصفيته مِنْ قِبَلِ الحكومة. وأما السعي لإقامة حكومة عادلة فسببه أن الإمام أحسّ بمسؤولية خطيرة ملقاة على عاتقه تجاه الرأي العام وتجاه توافر القوَّة الكافية للدفاع عن الإسلام، فاعتبر أن من الواجب عليه في تلك الظروف المؤاتية أن ينهض لإنقاذ الإسلام والمسلمين من ذلك الوضع المزري، ورأى أن طريق إنقاذ الإسلام والمسلمين ينحصر في تشكيل الحكومة الإسلامية الصالحة وإعادة الخلافة الإسلامية إلى أهلها ونهجها الصحيح.

إذن هناك أمران في هذه المرحلة علينا أن نذكر الأدلة التاريخية عليهما وهما:

1 ـ أن الإمام أصبح معرَّضاً للعدوان عليه ومحاولة اغتياله وتصفيته.

2 ـ أن الإمام قرَّر أن يشكِّل حكومة مستقلة من خلال نصرٍ عسكريٍّ مأمولٍ.

نبدأ بذكر عدّة أدلّة تاريخيّة تُثبت أن الإمام تعرّض في المرحلة الثانية من نهوضه إلى عدوانٍ ومحاولةٍ لقتله وتصفيته:

الدليل الأول

رُوِيَ عَنِ الْفَرَزْدَقِ الشَّاعِرِ أَنَّهُ قَالَ: «حَجَجْتُ بِأُمِّي فِي سَنَةِ سِتِّينَ فَبَيْنَا أَنَا أَسُوقُ بَعِيرَهَا حِينَ دَخَلْتُ الْحَرَمَ إِذْ لَقِيتُ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عليه السلام خَارِجاً مِنْ مَكَّةَ مَعَهُ أَسْيَافُهُ وَتِرَاسُهُ. فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقِطَارُ؟ فَقِيلَ: لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ فَأَتَيْتُهُ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ: أَعْطَاكَ اللهُ سُؤْلَكَ وَأَمَلَكَ فِيمَا تُحِبُّ؛ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ! مَا أَعْجَلَكَ عَنِ الْحَجِّ؟ فَقَالَ: لَوْ لَمْ أَعْجَلْ لَأُخِذْتُ»[1].

تدلُّ الجملة الأخيرة بوضوح على أن الإمام ـ في هذه المرحلة الثانية ـ أصبح في معرِض الأخذ أي الاعتقال (وما يترتب عليه من احتمال السجن أو القتل)، لذا سارع إلى الهجرة من موطنه إلى مكّة المكرّمة. ومن هذا المنطلق كتب المرحوم الشيخ

(1) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 199. (أو ج 2، ص 67).



المفيد: «**وَلَمَّا أَرَادَ الْحُسَيْنُ عليه السلام التَّوَجُّهَ إِلَى الْعِرَاقِ طَافَ بِالْبَيْتِ وَسَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَأَحَلَّ مِنْ إِحْرَامِهِ وَجَعَلَهَا عُمْرَةً لِأَنَّهُ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ تَمَامِ الْحَجِّ مَخَافَةَ أَنْ يُقْبَضَ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ فَيُنْفَذَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ**»[1].

الدليل الثاني

عندما كانت قافلة الإمام الحسين عليه السلام في طريقها من مكة إلى الكوفة توقَّفت في منزل يُدعى «الثعلبية» فلما أصبح الإمام إذا برجل من الكوفة يُكَنَّى أبا هِرَّة الأزديّ قد أتاه فسلَّم عليه ثم قال: «**يا ابن رسول الله! ما الذي أخرجك عن حَرَم الله وَ حَرَم جدِّك رسول الله صلى الله عليه وآله؟؟ فقال الحسين عليه السلام: ويحك يا أبا هِرَّة إن بني أمية أخذوا مالي فَصَبرتُ وشتموا عِرضي فَصَبرتُ وطَلَبوا دمي فَهَرَبْتُ**»[2].

يتضح من الجملة الأخيرة أن الإمام أصبح مطلوب الدم ولم يعد آمناً على نفسه ودمه، لذا سارع إلى السفر نحو الكوفة، وكان هذا التهديد بالقتل في المرحلة الثانية من نهوض الإمام.

الدليل الثالث

أشرنا سابقاً إلى أن يزيد بن معاوية كتب إلى ابن عباس كتاباً يشكره فيه على امتناعه عن البيعة لعبد الله بن الزبير وأن ابن عباس أجاب يزيد برسالة ذكرنا منها جملةً تتعلق بالمرحلة الأولى من نهوض الإمام، وفيما يلي نذكر جملة أخرى تتعلق بالمرحلة الثانية من نهوض الإمام. قال ابن عباس: «**فَمَا أَنْسَى مِنَ الْأَشْيَاءِ فَلَسْتُ بِنَاسٍ إِطْرَادَكَ حُسَيناً مِنْ حَرَمِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله إِلَى حَرَمِ اللهِ وَتَسْيِيرَكَ إِلَيْهِ الرِّجَالَ لِتَقْتُلَهُ [فِي] الْحَرَمِ، فَمَا زِلْتَ [فِي] بِذَلِكَ وَعَلَى ذَلِكَ حَتَّى أَشْخَصْتَهُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْعِرَاقِ، فَخَرَجَ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ..**»[3].

كان ابن عباس من رجال السياسية وكان مراقباً عن كثب لمجرى أحداث ثورة

---

(1) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 199. (أو ج2، ص 67).

(2) **مقتل الخوارزمي**، ج1، ص226. **واللهوف على قتلى الطفوف**، ص62. **ومثير الأحزان**، ص23.

(3) **تاريخ اليعقوبي**، ج 2، ص335، **ومقتل الخوارزمي** ج 2، ص 78، و«**تذكرة الخواص**» لسبط ابن الجوزي، ص 275.



الإمام الحسين عليه السلام ولذلك فإن ما ذكره من دسّ «يزيد» رجالاً ليغتالوا سبط النبيّ عليه السلام دليلٌ واضحٌ على أن الإمام كان معرَّضاً في كل لحظة إلى الاعتداء عليه ومحاولة قتله مِنْ قِبَلِ النظام الحاكم.

إلى هنا ذكرنا ثلاثة أدلة تاريخية على الجانب الدفاعي من ثورة الإمام في مرحلتها الثانية، وفيما يلي نشير إلى دليل على سعي الإمام وتحرّكه نحو إقامة حكومة إسلامية في هذه المرحلة:

أصبح التحرّك ذا جانبين

منذ أن قرّرَ الإمام الحسين عليه السلام الهجرة من مكة إلى الكوفة كان لحركته جانبان: جانب مقاومة وجانب سعي لتشكيل حكم إسلاميّ. إذا تأمّلنا كلمات الإمام وخطبه ورسائله نلاحظ أن مسألة الأخذ بزمام الأمور وإقامة الحكومة الإسلامية كانت مطروحة بوضوح في نهوض الإمام وثورته؛ من ذلك ما نجده مثلاً في رسالته التي أرسلها مع «مسلم بن عقيل» إلى أهل الكوفة حيث قال: «**فَلَعَمْرِي مَا الْإِمَامُ إِلاَّ الحَاكِمُ بِالْكِتَابِ الْقَائِمُ بِالْقِسْطِ الدَّائِنُ بِدِينِ الحَقِّ**»[1].

وكذلك ما قاله الحسين بن علي عليه السلام بعد مواجهته للحر بن يزيد الرياحي ضمن خطبة خاطب فيها الحرَّ وعسكره: «**وَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ أَوْلَى بِوَلاَيَةِ هَذَا الْأَمْرِ عَلَيْكُمْ مِنْ هَؤُلاَءِ الْمُدَّعِينَ مَا لَيْسَ لَهُمْ وَالسَّائِرِينَ فِيكُمْ بِالْجَوْرِ وَالْعُدْوَان..**»[2].

فهذان النصّان دليلان واضحان على أنّ المرحلة الثانية من نهوض الإمام كانت تتضمن ـ إضافة إلى مقاومة العدوان الذي شنته الحكومة عليه ـ التفكير، في تلك الظروف المساعدة التي توافرت فيها للإمام عوامل الانتصار العسكري، بإقامة حكومة مستقلة مركزها العراق والانطلاق منها لاجتثاث جذور الظلم، وهو أمر بيّناه بالتفصيل في الباب الأول من هذا الكتاب.

الأدلة على طبيعة المرحلة الثالثة من نهوض الإمام

حتى الآن ذكرنا أدلّة طبيعة نهوض الإمام في مرحلتيه الأولى والثانية، والآن حان

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4، ص 21، و الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 183.
(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4، ص 47، و الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 205.



الوقت أن نتحدث عن أدلّة ماهيّة نهوضه في مرحلته الثالثة أي منذ أن واجه الإمام «الحُرّ ابن يزيد الرِّياحِيّ» وإلى ما قبل بدء القتال، وبعبارة أوضح منذ أن وقع الإمام تحت مراقبة قوّات العدو المسلحة وإلى ما قبل وقوع الاقتتال الفعلي.

يجب أن نعلم أنه بعد مواجهة الحسين بن علي عليه السلام للحُرّ بن يزيد وتحقُّق الإمام من انعدام إمكانيّة انتصاره العسكريّ، زالت تلقائياً، بالطبع، إمكانيّة القيام بواجب إقامة الحكم الإسلامي لأن أول شرط لوجوب أي تكليف شرعي هو امتلاك القدرة والاستطاعة على فعله، وهذا موضع إجماع علماء الإسلام، من هنا فإن تحركات الإمام في هذه المرحلة أصبحت ذات طابع دفاعي محض، ضمن إطار السعي للمحافظة على السلم ومنع الاقتتال.

ونشير فيما يلي إلى عدد من الأدلة التاريخية على ما نقول:

الدليل الأول

عندما كانت قافلة الحسين بن علي عليه السلام تسير نحو الكوفة التقت في مكان يدعى «ذو حُسُم» طلائع قوّات العدوّ بقيادة «الحر بن يزيد الرياحي» الذين جاؤوا بقصد محاصرة الإمام والقبض عليه فأصبح منذ تلك اللحظة تحت حصارهم ومراقبتهم.

قبل أن يقوم الإمام الحسين عليه السلام إلى صلاة الظهر خطب في جيش العدوّ، فكان من جملة ما قاله لهم: **«إِنِّي لَمْ آتِكُمْ حَتَّى أَتَتْنِي كُتُبُكُمْ وَقَدِمَتْ عَلَيَّ رُسُلُكُمْ أَنِ اقْدَمْ عَلَيْنَا فَإِنَّهُ لَيسَ لَنَا إِمَامٌ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَجْمَعَنَا بِكَ عَلَى الْهُدَى وَالْحَقِّ. فَإِنْ كُنتُمْ عَلَى ذَلِكَ فَقَدْ جِئْتُكُمْ، فَإِنْ تُعْطُونِي مَا أَطْمَئِنُّ عَلَيهِ مِنْ عُهُودِكُمْ أَقْدَمْ مِصْرَكُم؛ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَكُنْتُمْ لِمَقْدَمِي كَارِهِينَ انْصَرَفْتُ عَنْكُمْ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي جِئْتُ مِنْهُ إِلَيْكُمْ.»**[1].

من البديهي أن قول الحسين بن علي عليه السلام: **«وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَكُنْتُمْ لِمَقْدَمِي كَارِهِينَ انْصَرَفْتُ عَنْكُمْ»** لم يكن تظاهراً و لا مزاحاً، بل كان الإمام مصمّماً فعلاً على أن يعود أدراجه إذا سمحوا له بذلك، لأن «عُبَيْد الله بن زياد» قد سيطر الآن على العراق

(1) **تاريخ الطبري**، ج4، ص303، و الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص205، وابن شهرآشوب، **مناقب آل أبي طالب**، ج 4، ص 96.



وقد جاءت قواته للقبض على الإمام ولم تَعُدْ هناك إمكانية ولا قدرة للإمام الحسين عليه السلام على إقامة الحكومة الإسلاميّة وبما أن القدرة غير موجودة فالتكليف ساقط. من هذا المنطلق قرَّر الإمام العودة للحفاظ على قواته لعله يستطيع في فرصة أخرى في المستقبل أن يقوم بالتحرّك المطلوب الذي يخدم مصلحة الإسلام.

هذه الطريقة الحكيمة جداً، هي طريقة من كان في حال مقاومة ودفاع في مواجهة استبداد حكومة متجبرة سفيهة عديمة التدبير، ومَنْ يريد أن يجتنب الفتنة وسفك الدماء ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

الدليل الثاني

بعد أن قَبِلَ «عُمَرُ بن سعد» ـ خلافاً لميله القلبي ـ المجيء إلى كربلاء لمواجهة الإمام الحسين عليه السلام، كان أوَّل ما تصرَّف به تجاه الإمام أن: **«..دعا «قُرَّةَ بن قيس الحنظلي» فقال له: ويحك يا قُرَّة الْقَ حُسَيناً فَسَلْهُ ما جاء به؟ وماذا يريد؟ قال: فجاء «قرَّةُ بن قيس»حتى سلَّم على الحسين وأبلغه رسالة عُمَر بن سعد إليه، فقال الحسين: كَتَبَ إليَّ أهلُ مصركم هذا أن أَقْدِم، فأمَّا إذا كرهوني فأنا أنصرف عنهم.»**[1].

لم يقل الإمام الحسين عليه السلام جملته الأخيرة لغواً أو عبثاً بل كان ينوي فعلاً وحقيقةً الانصراف والعودة إلى الحجاز لو تركوا له الحرية في فعل ذلك. كان الإمام يريد منع الفتنة وإراقة الدماء وألا يدع أي حادثة سيئة تقع فضلاً عن أن تقع تلك الحادثة الفاجعة الأليمة التي لا نظير لها في تاريخ البشرية.

يتّضح من كلام الإمام المذكور أن تحرُّكاته في هذه المرحلة كانت دفاعيّة خالصة ضمن إطار سعيه للحفاظ على السلام وتجنّب الحرب.

الدليل الثالث

في إحدى خطبه التاريخية التي ألقاها يوم عاشوراء في الجنود المخدوعين الذين اصطفُّوا لقتاله بذل الإمام الحسين عليه السلام جهوداً كبيرةً ليحول دون وقوع الاقتتال وإراقة الدماء، ولأجل هذا الهدف ذكر كلاماً حول شخصيته ومقامه في الإسلام ونادى في

---

(1) **تاريخ الطبري**، ج4، ص 311، و الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 209، **والأخبار الطوال**، ص 227.



آخر خطبته عدداً من رؤوس الكوفة وأشرافها مثل «شَبَث بن رِبعي» و«قيس بن الأشعث» فقال: **«يَا شَبَثَ بْنَ رِبْعِيٍّ! يَا حَجَّارَ بْنَ أَبْجَرَ! يَا قَيْسَ بْنَ الْأَشْعَثِ! يَا يَزِيدَ بْنَ الْحَارِثِ! أَلَمْ تَكْتُبُوا إِلَيَّ أَنْ قَدْ أَيْنَعَتِ الثِّمَارُ وَاخْضَرَّ الْجَنَابُ، وَطَمَّت الجمام وإنما تقدم على جندٍ لك مُجَنَّد فَأَقْبِلْ؟؟ قالوا له: لم نفعل! فقال: سبحان الله! بلى وَاللهِ لقد فعلتم. ثم قال: أيها الناس! إنْ كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مَأْمَنِي مِنَ الأَرْضِ»**[1].

هذا الاقتراح الحكيم الذي ورد في آخر كلامه يعكس بوضوح الروح السلميّة لابن النبيّ عليه السلام الذي كان يسعى للحيلولة دون وقوع اقتتال ويبرز أن نشاطاته في هذه المرحلة كانت ذات جانب دفاعيّ خالص.

تذكير

يُقال أحياناً من الممكن أن «نفسّر» كلمة الإمام **«دعوني أنصرف»** بأن المقصود منها إتمام الحجّة فَحَسْب.

هنا ينبغي أن نقول: إن كان المقصود من إتمام الحجة أن الإمام قال كلامه ذلك من باب الظاهر فقط، بحيث أنه حتى لو أُعطي الحرية فعلاً ما كان لِيَنْصَرِفَ راجعاً؛ لما كان في ذلك أي إتمام للحجّة عليهم ولفُتِحَ المجال لاعتراضهم عليه وقولهم: لقد أعطينا الحريّة للحسين بن علي أن ينصرف راجعاً فلماذا لم يفعل؟ (أي فهو الذي يتحمل إذن مسؤولية ما وقع بعد ذلك).

وإن كان المقصود من إتمام الحجّة أن الإمام طلب منهم حقيقةً وبصدق أن يسمحوا له بالعودة ففي هذه الحالة لا معنى لـ **«تأويل»** عبارة الإمام لأنه على هذا الفرض يكون قصده من **«دعوني أنصرف»** طلبه حقيقةً وواقعاً السماح له بالانصراف من حيث أتى، وفي هذه الحالة تتمّ الحجّة عليهم ويدانون بأنهم منعوا ابن النبيّ صلى الله عليه وآله من العودة رغم أنه كان يريدها فعلاً وأدُّوا بمنعهم إياه إلى وقوع تلك الفاجعة الأليمة.

---

(1) **تاريخ الطبري**، ج4، ص323.



خلاصة ما سبق

إلى الآن ذكرنا أربعةَ أدلّة على طبيعة نهوض الإمام في مرحلته الأولى وثلاثة أدلّة على طبيعة نهوضه في مرحلته الثانية ومثلها لمرحلته الثالثة، فالمجموع عشرة أدلّة تبيِّنُ جميعُها أن في تلك المراحل الثلاث كان هناك بَغْيٌ وعدوانٌ ابتدأته الحكومة القائمة ضدَّ الإمام الحسين عليه السلام وفي مواجهة ذلك كانت روح المقاومة حاضرةً في كل تحرّكات الإمام، كما اتّضح أيضاً أنه في المرحلة الثانية من ثورته كان الغالب على فكر الإمام النهوض لإقامة حكومة إسلامية قوية في تلك الظروف المساعدة لينجّيَ الأمَّة بواسطتها من براثن حكومة «يزيد» المعادية للإسلام.

كما اتّضح أنه في المرحلة الثالثة من ثورته عندما انتفت أي إمكانية لإقامة الحكومة الإسلامية المنشودة وإعادة الخلافة إلى مركزها الصحيح كان الغالب على تفكير الإمام منع وقوع الاشتباك المسلح وإراقة الدماء من خلال ترك النزاع وإقرار نوع من السلام المشرّف (الذي يُحافظ فيه على المبدأ وعلى العزّ ة والكرامة).

الحرب الاضطرارية

من هنا يمكننا أن ندرك الطبيعة الدفاعية لإجراءات الإمام وتحركاته في المرحلة الرابعة (مرحلة الحرب)، إذْ لمَّا عرفنا أن الإمام بذل في المرحلة الثالثة كل تلك المساعي لإقرار السلم فمن البديهي أن نستنتج أنه لم يكن راضياً بوقوع الحرب ولا راغباً في إراقة الدماء، وأن جهاز الحكم المعادي للإسلام والساعي إلى الحرب هو الذي جرّ الإمام كُرْهاً إلى الحرب وعندئذ قام الإمام الحسين عليه السلام، بحكم الاضطرار، بالدفاع المشرِّف.

إذا كان ابن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قد نهض بقليل من العَدَد والعُدَّة إلى مقاومة جيش كبير فإن ذلك كان بحكم ضرورة الدفاع وبحكم العمل بالتكليف الشرعي والوجداني لأنه لم يكن هناك مندوحة من الدفاع الباسل والشجاع أمام هجوم القوات المعتدية المجرمة الطالبة للحرب، وجميع قوانين الدنيا تبيح لكلِّ مَن يتعرّض للاعتداء والهجوم أن يقاوم ويدافع عن نفسه.

كان الإمام على يقين بأنه لو استسلم لعُبَيْد الله بن زياد فإن الأخير كان سيقتله قتلاً



مُذِلا[1]، والدليل على ذلك أنه لما قال «قيس بن الأشعث» للإمام يوم عاشوراء: «**أَوَلا تَنْزِل عَلَى حُكْمِ بَنِي عمِّك فإنَّهُم لَنْ يُرُوكَ إلا ما تُحبُّ وَلَنْ يَصِلَ إليكَ مِنْهُمْ مكروهٌ؟**» أجابه الحسين قائلاً: «**أنت أخو أخيك[2]! أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل؟ لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاءَ الذليل ولا أُقِرُّ إقرارَ العبيد. عباد الله! إنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَ رَبِّكُم أَنْ تَرْجُمُونِ. أعوذ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسابِ!**»[3].

في مثل هذا الوضع كان على الإمام الحسين عليه السلام ـ بعد أن ابتدأته القوات المعتدية بالقتال ـ أن يقاوم، ولم يكن أمامه مندوحة عن القتال الذي سيترتّب عليه أحدُ أمرين:

1 ـ إمّا النصر، حتى ولو كان احتماله واحداً بالمائة فالله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة/ 249].

2 ـ أو الشهادة بكل عزّة وكرامة في سبيل الدفاع عن النفس والدين[4].

فتبيّن أن نشاطات الإمام في المرحلة الرابعة (مرحلة المعركة والقتال) كانت مقاومة ذات جانب دفاعيٍّ محض.

نقطةٌ هامَّةٌ

لا ينبغي أن نتصور أنه لما كان الإمام في هذه المرحلة الرابعة راغباً في السلم ولم يقبل مأمورو الحكومة منه ذلك فإن الاقتتال الذي وقع عقب ذلك كان دفاعاً من الإمام عن شخصه فقط لا عن الإسلام؛ لأن هذا التصوُّر غير صحيح، ذلك لأن الإمام منذ أن

(1) ومثل هذا الاستسلام لن يكون لمصلحة الإسلام أبداً.

(2) يقصد أخاه محمد بن الأشعث.

(3) تاريخ الطبري، ج4، ص323.

(4) روى سعيد بن زيد (رضي الله عنه) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**». أخرجه الترمذي والنسائي وأبو داود في سننهم والإمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه، وصحَّحه السيوطي والألباني (صحيح الجامع الصغير، رقم: 6445). (المُتَرْجِمُ).



بدأ التحرُّك والنهوض إنما تحرَّك لأجل إحياء الإسلام فكانت تلك الروح وذلك الهدف حاضرين في جميع مراحل نهوضه من البداية حتى النهاية، وبالتالي فلمّا كان دفاع الإمام في المرحلة الرابعة مواصلةً لذلك النهوض الربَّانيّ الدينيّ فإنه يُعتبر دفاعاً عن الإسلام، ومن هذا المنطلق أيضاً كان الهجوم على الإمام هجوماً على الإسلام كما كان دفاع الإمام ـ إذا نُظر إليه بنظرة شاملة ـ دفاعاً عن الإسلام في جميع مراحل الحركة.

كما لا يجوز أن نتصور أن ميل رسول الله ﷺ أن تعود القوات المهاجمة في معركة أُحد أدراجها ولا تقع الحرب معناه أن دفاع الرسول عن نفسه عندما أُصيب في وجهه الشريف وجُرح كان دفاعاً عن شخصه لا عن الإسلام، لأن هذا ليس بصحيح لأن جهاد رسول الله ﷺ لمّا كان منذ بدايته وانطلاقته دفاعاً عن الإسلام، كانت هذه الروح موجودة وحاضرة في جميع مراحل جهاده من البداية حتى النهاية، فدفاعه في المرحلة الأخيرة من معركة أُحُد جزءٌ من دفاعه عن الإسلام أيضاً.

بناءً على ذلك فإن دفاع الإمام الحسين عليه السلام في المرحلة الرابعة من نهوضه يُماثل دفاع الرسول الأكرم ﷺ في المرحلة الأخيرة من معركة أُحد.

في سبيل ترك النزاع جانباً

يَرِدُ إلى ذهن بعض المثقّفين المُتَنَوِّرين (ذوي التفكير العصري) خاطرٌ يقول: عندما لم تَعُدْ هناك أيُّ إمكانية لانتصار الإمام عسكرياً، ألم يكن من الأفضل أن يبدأ الإمام ـ لإزالة الأزمة الحادة التي وقعت بينه وبين الحكم القائم ـ مفاوضات سلامٍ بهدف حلّ تلك الأزمة سلميّاً، كما هو شأن جميع الرؤساء في الشرق والغرب الذين يعقدون مؤتمرات سلام لحل الأزمات السياسية والحربية؟

ألم يكن الأصلح للإمام وللمسلمين أن يفتحوا باب المفاوضات وأن يحلّوا تلك المشكلة السياسية وُدّياً بِسَمَاحةٍ وَشَهَامةٍ ويقبل سلام الشُّجْعان؟!

ألم يكن أقرب إلى عقل الإمام الحسين عليه السلام ودرايته مع كل ما كان يملكه الإمام من حرص على خير الإسلام والمسلمين أن يقترح الشروع في مفاوضات سلام في جوّ هادئ لكي يجدوا حلاً لتلك المشكلة ولا يصيبوا الإسلام والمسلمين بمثل تلك الطامَّة التي نَتَجَتْ منها كل تلك الخسائر؟



وجواب هذا التساؤل أن نقول: منذ أن تعرّض الإمام الحسين عليه السلام في المدينة إلى العدوان وهاجر مضطرّاً إلى مكة انقطعت العلاقات بينه وبين حكومة الوقت، وكانت تلك الحكومة الفاقدة للتدبير والسياسة هي المسؤول الوحيد عن ذلك الانقطاع.

وخلال الأيام التي أقام فيها الإمام في مكة، ألقت مُطَالباتُ أهل العراق الحثيثة من الإمام أن ينقذهم من ظلم بني أمية ويقيم فيهم حكم الإسلام العادل، مسؤوليّةً جديدةً على عاتقه، ومن جهة أخرى كان الانتصار العسكري ممكناً، لأجل ذلك قرَّر ابن رسول الله صلى الله عليه وآله أن ينهض لإقامة حكومة إسلاميّة مستقلّة في مركز العراق لنجاة الإسلام وإعادة الخلافة الإسلامية إلى مركزها الصحيح.

ولكن بعد مواجهة عسكر الحُرِّ بن يزيد، حيث لم تَعُد هناك إمكانية لتشكيل حكومةٍ، زالت بشكل تلقائي تلك المسؤولية التي أُلقِيَت على عاتق الإمام، ففي هذه المرحلة كان الإمام عليه السلام وحده الذي قدَّم الحلّ السلميّ وترك المُنازعة، وطَالَبَ مأموري الحكومة بقبول ذلك منه، وعدم اللجوء إلى القوة العسكرية والامتناع عن إراقة الدماء.

اقتراح الانصراف والعودة

في المرحلة الثالثة من نهوضه اقترح الإمام الحسين عليه السلام خمس مرات على الأقل أن يُتركَ حُرّاً ويُسمَحَ له بالانصراف والعودة:

1 ـ عندما لقيَ «الحُرَّ بن يزيد» قبل صلاة الظهر وطلب منه ـ بعد المفاوضات ـ أن يسمح له بالانصراف والعودة[1].

2 ـ كرَّر الإمام مرَّةً ثانيةً ذلك الاقتراح بعد صلاة العصر[2].

3 ـ عندما سأله رسولُ «عُمَرِ بن سعد» ما الذي جاء به إلى هنا؟ وماذا يريد؟! أعاد الإمام اقتراحه أن يتركوه لينصرف عنهم إن لم يرغبوا فيه[3].

4 ـ ذكر هذا الاقتراح يوم عاشوراء خلال إحدى خطبه[4].

(1) **تاريخ الطبري**، ج4، ص303، و الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص205.

(2) المصدران السابقان.

(3) **تاريخ الطبري**، ج4، ص311، و الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 209.

(4) **تاريخ الطبري**، ج4، ص323.



5 ـ في اجتماعه المغلق بعمر بن سعد كرّر الإمام عليه اقتراحه أن يعود إلى الحجاز[1].

وقد أشرنا سابقاً إلى أربعة من هذه الاقتراحات و نشرح فيما يلي المورد الخامس:

المفاوضات المُمَهِّدة لترك المنازعة

في الأيام التي أحيط بالإمام الحسين عليه السلام وأصبح تحت حصار قوّات «عُبَيْدِ الله بن زياد» المسلّحة، أرسل رسالةً إلى رئيس قوّات العدو «عُمَر بنِ سعد» طلب فيها منه اللقاءَ به ليلاً. قَبِلَ «ابنُ سعد» الاقتراح وخرج ليلاً في عشرين فارساً تقريباً، كما خرج الإمام أيضاً بمثل ذلك العدد من المرافقين والتقى الفريقان في منطقةٍ بين المعسكرين حيث طلب الإمامُ من أنصاره أن يَتَنَحَّوْا جانباً، وكذلك فعل «عُمَرُ بن سعد» مع جنده، وعُقِدَ اجتماع مغلق بين الإمام و ابن سعد.

تمَّ هذا الاجتماع بطلب من الحسين بن علي عليه السلام (انتبهوا إلى هذا جيّداً).

استغرقت المفاوضات السرّيّة بين الطرفين مدة طويلة، ثم انعقدت اجتماعات سرّيّة مرّتين أو ثلاث مرّات أخرى وتواصلت المفاوضات[2].

يبدو من الطبيعي أن يكون الإمام قد بذل جهده في تلك المفاوضات السرّيّة لإقناع «عُمَر بن سعد» أن يلتحق به بما معه من الجند وينطلقا معاً نحو الكوفة [3]، لأن تسخير الكوفة، في مثل تلك الحالة، سيكون سهلاً، وعندئذ فسيضطر «عُبَيْدُ الله بن زياد» إما إلى الفرار ـ إن استطاع ـ وإما مواجهة القَتْل، ولكن لم يُكْشَف عما دار في تلك المفاوضات السرّيّة سوى ما اقترحه فيها الإمام من أن يُسمح له بالعودة.

هنا ثمَّة عدّة أمور تُعتبر من المسلّمات التاريخيَّة:

---

(1) تاريخ الطبري، ج4، ص 313، و الشيخ المفيد، الإرشاد، ص210.

(2) تاريخ الطبري، ج4، ص 313.

(3) قال «عُمَر بن سعد» معرباً عن ندمه بعد واقعة كربلاء: «**أطعتُ الفاسق ابن زياد الظالم ابن الفاجر وعصيت الحاكم العدل**»!، ولعل قوله وعصيت الحاكم العدل إشارة منه إلى عدم إطاعته للإمام في طلبه منه الالتحاق به.



1 ـ المفاوضات ابتدأت باقتراح من الإمام الحسين عليه السلام.

2 ـ كان الإمام يواصل المفاوضات برغبة شديدة ولذلك فقد عقد ثلاث أو أربع جلسات سرية لهذا الهدف.

3 ـ كان الطرفان راضِيَيْن عن نتيجة المفاوضات.

4 ـ في تلك الجلسات تمت المفاوضات المُمَهِّدَة للسلام وقد أبدى الإمام الحسين عليه السلام فيها من المثابرة وحسن النية والشجاعة والشهامة ما أدى إلى انتهاء المفاوضات بنتيجة إيجابية.

اقترح الإمام العودة التي من شأنها ـ لو سُمح له بها في تلك الظروف ـ أن تؤدي إلى انصرافه وترك المنازعة، وقد قبل «عُمَر بن سعد» اقتراح الإمام وكان مسروراً من نتيجة تلك المفاوضات وكتب خلاصةً عنها إلى «عُبَيْدِ الله بن زياد» منتظراً إجابته.

كان اقتراح الإمام الحسين عليه السلام خيّراً ومنطلقاً من نية حسنة إلى درجة جعلت حتى عُبَيْدِ اللهِ بنِ زياد يتأثّر بذلك، ورغم كل عناده السابق هَمَّ أَنْ يُخَلِّيَ عَنْهُ وَقَالَ: «وَاللهِ مَا عَرَضَ لِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِي، وَمَا أَرَانِي إِلاَّ مُخلِ سَبِيلَهُ يَذْهَبُ حَيثُ يَشَاءُ.»[1].

بهذا الرأي الموافق الذي أعرب عنه «عُبَيْدُ الله بنُ زياد» انتفى كلُّ احتمال للاصطدام العسكري، ولكن في نهاية الأمر تمكن «شِمْر بن ذي الجوشن» من ثَنْيِ «عُبَيْدِ اللهِ» عن رأيه هذا[2].

نرى مما سبق أن الحسين بن علي عليه السلام أبدى من حسن النيّة وإرادة الخير والتسامح والشهامة والشجاعة وَبَذَلَ غايةَ الوسع في هذا السبيل إلى درجة أن «عُبَيْد الله ابن زياد» حاكم العراق المتغطرس الدمويّ كان على وشك التوقُّف عن المخاصمة وقبول حلٍّ سلميٍّ للمنازعة يحقن دماء الطرفين. ولكن ماذا نفعل أمام قيام عنصر حقير بِثَنْيِهِ عن ذلك وتقبُّل طبيعة ابن زياد الدنيئة لاقتراحه؟!

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص202. (وفي نسخة المترجم، طبع مؤسسة الرسالة بتحقيق مجموعة محققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ج3، ص 300).

(2) تاريخ الطبري، ج4، ص313، والشيخ المفيد، الإرشاد، ص201.



ثمرات إنهاء المواجهة وفضّ المنازعة

لو انتهت المنازعة في تلك المرحلة الثالثة من ثورة الإمام كما رغب هو في ذلك، لأعطى ذلك عدة نتائج قيّمة:

1 ـ ما كان ليُقتل ذلك الوجود المقدس للإمام والذخيرة الإلهية الكبرى وسيد أهل بيت الرسالة بتلك الطريقة الوحشية المفجعة ولما أُصيبَ الإسلامُ بتلك الخسارة التي لا تُعوّض، ولما حُرِمَتْ الأمة الإسلامية من مثل ذلك القائد العظيم.

2 ـ لم يكن ليقضى على جميع قوّات الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره الذين قُتِل بعد ذلك جزءٌ منهم في كربلاء وجزءٌ في ثورة التوابين وجزءٌ آخر في الحرب التي وقعت مع «مصعب بن الزبير»، إذْ تمّ قتل ستة آلاف منهم بعد قتل المختار[1]، بل لَبَقِيَتْ تلك القوات ذُخراً يمكن الاستفادة منه في فرص أخرى تحت قيادة الإمام للبدء بنشاطات واسعة لمصلحة الإسلام ونشره.

3 ـ ربّما استطاع الإمام في زمن انتهاء النزاع أن يعيد تشكيل قوّاته بعيداً عن أعين المراقبين، ليقوم في الفرصة المناسبة بإقامة حكومة إسلامية مئة بالمئة.

4 ـ رغم أنه لم يكن أحد يتوقع موت «يزيد» بتلك السرعة إلا أنَّ أحد الآثار الحتميّة لذلك الصلح ـ إذا تمّ ـ ستكون خلو الجوِّ لبروز شخصية الحسين بن علي عليه السلام الكبيرة بعد موت «يزيد»، الذي وقع فعلياً عقب ثلاث سنوات من ذلك الصلح، وبعد اعتزال ابنه «معاوية بن يزيد» الحكم، واضطراب وضع بني أميَّة إلى درجة جعلت مروان بن الحكم قرَّر الذهاب إلى «عبد الله بن الزبير» لمبايعته[2]، فكان شخصية الحسين عليه السلام ستبرز بوصفها الخيار لدى أغلب المسلمين لقيادة الأمة الإسلامية وأخذ زمام أمور الحكم الإسلاميّ بيده وقيادة بلاد الإسلام العظيمة نحو الهدف الذي كان يريده نبيُّ الإسلام العظيم صلى الله عليه وآله.

(1) الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري، ص269.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4، ص 145.



سؤال

رُبَّ سائلٍ يقول: لماذا لم يقترح الإمام الحسين عليه السلام ترك النزاع في تلك الأيام التي توقف فيها في مكة؟.

الجواب

عندما تتقابل قوى الحق والباطل وجهاً لوجه ويكون انتصار الحق على الباطل ممكناً لا يكون من الحكمة اقتراح ترك النزاع، لأنه لا بدَّ من إبطال الباطل والقضاء عليه عندما يكون ذلك ممكناً ولا يجوز التهاون في ذلك ولا يجوز الامتناع عن محاربة قوَّات الباطل ـ عندما يكون الانتصار عليها ممكناً ـ بحجَّة الامتناع عن الحرب الأهلية لأنه لا بدّ قبل أيِّ شيء آخر من القضاء على الفساد الداخلي وإنقاذ بلاد الإسلام من المرض الخطير للحكم الظالم الذي هو منبع معظم المفاسد، كَيْ تقوى بنية البلاد الداخلية وتصبح سالمة وصحِّيَّة، ثم عندما يُقام الحكم الإسلاميّ الصحيح العادل والقويّ فإن وُحْدَةَ البلاد وتضامنها سيتحقّقان بصورة أفضل.

أما عندما لا يعود هناك أيُّ أمل بانتصار الحقِّ على الباطل فإن ترك المنازعة بحكم الاضطرار لا يكون جائزاً فحسب بل واجباً، وذلك للحفاظ على القِوَى الموجودة كي يمكن استخدامها في المستقبل بأكثر استعداد ممكن في الصراع ضدَّ الباطل.

كما اتجه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في بداية الأمر بجيشه المجهّز نحو معسكر العدوّ، عندما كان انتصار الإمام الحسن عليه السلام على معاوية ممكناً، لكن لما خُدع بعض أصحاب الإمام وانتقلوا إلى صف معاوية، وظهر ضعفٌ وتذبذبٌ واضحٌ في قوّات الإمام وتعرّض الإمام ذاته إلى الاعتداء والأذى، قَبِلَ الإمام في تلك الظروف الصلحَ مضطراً بعدَ أن زالت إمكانية الانتصار العسكري، كذلك عندما أخذ الإمام الحسين عليه السلام قراره القاطع بالتحرُّك نحو الكوفة لتسخير العراق عندما رأى أن عوامل النصر العسكري وتشكيل الحكومة الإسلامية متوافرة، لم يكن من الحكمة أن يقدّم اقتراحاً للصلح. لكن لمَّا تغيّرت أوضاع الكوفة وسيطر «عُبَيْد الله بن زياد» بقواته الشعبية عليها ولم تَعُدْ هناك إمكانيةٌ للإمام في تحقيق نصرٍ عسكريٍّ، اتَّجه الإمام



مضطراً إلى تقديم اقتراح ترك المخاصمة وترك النزاع جانباً، وَبَذَلَ جهوداً كبيرة لإنجاح هذا المسعى.

بناء على ما ذُكر، كان المنهج السياسي للإمام الحسين عليه السلام تجاه حكومة بني أمية متطابقاً تماماً مع المنهج السياسي للإمام الحسن عليه السلام، فكلا الإمامين كانا يتّبعان النهج السياسي ذاتَه. وليس من الإنصاف أن نفصل بين هذا الإمام المجاهد (أي الإمام الحسين) وأخيه المجاهد الإمام المجتبى عليه السلام ونفسّر حركة الإمام الحسين عليه السلام على نحو يطعن بشكل غير مباشر بمقام أخيه الكبير السبط الأكبر لنبي الإسلام صلى الله عليه وآله.

ضلالٌ عجيبٌ

بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام حارت فرقةٌ من أصحابه وقالوا: **«قد اختلف علينا فعل الحسن وفعل الحسين، لأنه إن كان الذي فعله الحسن حقّاً واجباً صواباً من موادعته معاوية وتسليمه الخلافة له عند عجزه عن القيام بمحاربته مع كثرة أنصار الحسن وقوّته؛ فما فعله الحسين من محاربته يزيد بن معاوية مع قلّة أنصار الحسين وضعفهم وكثرة أصحاب يزيد حتى قُتِل، وقُتِل أصحابه جميعاً، خطأٌ باطلٌ غير واجب، فشكُّوا لذلك في إمامتهما فدخلوا في مقالة العوام ومذاهبهم.»**[1].

هكذا شكَّ أولئك الشيعة السطحيون في تفكيرهم والذين يفتقرون إلى النضج في فهم الأمور، في إمامة هذين الإمامين وانحرفوا عنهما.

مع أنه ينبغي القول: إذا كان الإمام الحسن المجتبى عليه السلام قد بقي مسالماً لمعاوية عشر سنوات فإن الإمام الحسين عليه السلام بقي مسالماً ـ أي محترماً لمعاهدة الصلح ـ عشرين سنةً: عشر سنوات قبل وفاة أخيه الحسن وعشر بعدها حتى وفاة معاوية.

إن خطأ تلك الفرقة التي شكّت في إمامة الإمامين هو أنها لم تستطع أن تدرك ماهية ثورة الإمام الحسين عليه السلام فوقعت في ذلك الانحراف، في حين لو قام أفراد تلك الفِرْقَة بدراسة دقيقة أكثر للحوادث التاريخية لفهموا أن الإمام الحسين عليه السلام بعد هزيمة القوات الشعبية في العراق بذل جهوداً كبيرة للصلح والسلام و لم يكن يميل قط إلى

(1) سعد بن عبد الله الأشعري (ـ 301هـ)، **المقالات والفرق**، ص 25.



محاربة «يزيد» دون امتلاك القوّة الكافية، وبالتالي فطريقة الإمام الحسين عليه السلام السياسية كانت مماثلة لطريقة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في مواجهة حكومة بني أمية ولم يكن بينهما أيّ فرق.

نعم الفرق الذي كان بين حكومة معاوية وحكومة يزيد أن حكومة معاوية كانت تريد المصالحة أما مأمورو حكومة يزيد فلم يقبلوا قتراح الصلح، ولا ينبغي أن نضع هذا الاختلاف في حساب الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، ولا ينبغي لبعض الأحرار أن يشعروا في أي زاوية من زوايا عقلهم وقلبهم بأيِّ قلق أو حرجٍ تجاه صلح الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

الحقيقة أن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام لم ينل حقَّه كما يستحقُّه بين الشيعة، وعلَّة ذلك هي هذا الخطأ في تشخيص ماهية نهوض الإمام الحسين عليه السلام، ولا بد من إزالة هذا الاشتباه وأن يعلم الناس أنه لم يكن هناك أي اختلاف في النهج السياسي بين هذين السبطين للنبي صلى الله عليه وآله، بل كانت سياستهما سياسة أبيهما أمير المؤمنين عليه السلام ذاتها، التي تنبع من روح الإسلام وتعاليمه.

فَحَرِيٌّ بالشيعة أن يراعوا حق الإمام الحسن المجتبى عليه السلام السبط الأكبر للنبي صلى الله عليه وآله أكثر من ذلك، وأن تُبذَلَ جهودٌ جدّيّةٌ أكثر في إحياء المجالس التي تُقام باسمه مما عليه الحال الآن.

مُراد الإمام في الدرجة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة

من الجدير أن ينتبه أولو الألباب إلى هذه الحقيقة: لقد تكلَّم الإمام الحسين عليه السلام حيناً عن إقامة الحكومة الإسلامية وقال في إحدى خطبه: «**نحن أولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء**»[1]، وطرح أحياناً أخرى موضوع تنحِّيه جانباً وقال: «**دعوني أنصرف إلى مأمني**»، وتحدَّث أحياناً أخرى عن الشهادة والموت في سبيل الله فقال: «**إِنِّي لا أَرَى المَوْتَ إلا سَعَادَةً**»[2].

(1) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 205.

(2) ابن شعبة الحراني، **تحف العقول**، ص 174.



فهل كان الإمام يريد «إقامة حكومة إسلامية» و«الاعتزال» و«أَنْ يُقْتَلَ» في الوقت ذاته؟! وهل هذه الأهداف الثلاثة متوافقة بعضها مع بعض؟!

للإجابة عن هذا التساؤل نقول: كان هدف الإمام الحسين عليه السلام في المرحلة الثانية من نهوضه، في الدرجة الأولى، ـ إضافةً إلى رفض مبايعة يزيد ـ القضاء على حكومة الجَوْر والفساد واجتثاث جذور الظلم وإنقاذ المسلمين وإحياء سنَّة النبيّ صلى الله عليه وآله من خلال إقامة حكومة إسلاميَّة قويَّة، وقد أحرز تقدُّماً ملحوظاً في هذا المجال طوال الفترة التي سبقت انقلاب الأوضاع في العراق إلى الحدّ الذي كتب فيه «مسلم بن عقيل» ـ مسروراً ـ رسالته إلى الإمام التي قال فيها: «إنَّ الرَّائِدَ لا يَكْذِبُ أهلَه، إنَّ جَمْعَ أهْلِ الكوفة مَعَكَ فَأَقْبِل حين تَقْرَأ كتابي والسلام»[1].

وجملة الإمام التي قال فيها: «وَنَحْنُ أَهْلُ بَيتِ مُحَمَّدٍ أَوْلَى بِوَلَايَةِ هَذَا الْأَمْرِ عَلَيْكُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُدَّعِينَ مَا لَيسَ لَهُمْ وَالسَّائِرِينَ فِيكُمْ بِالْجَوْرِ وَالْعُدْوَان..»[2]، تتعلّق بهذه الفترة بالذات التي كان الإمامُ مصمِّماً فيها على إقامة الحكومة الإسلامية، وفي ذلك الوقت لم يكن طالباً للتنحّي والمصالحة، ولا طالباً أَنْ يُقْتَلَ.

أما عدم طلبه للمصالحة والسلم فسببه أن مثل هذه المصالحة من شأنها أن تسلبَ منه موقّتاً إمكانية أي حركة إصلاحية، وأما أنه لم يكن طالباً أَنْ يُقْتَلَ فلأنّ قَتْلَهُ سيُفقِدُ عالمَ الإسلام بل البشريَّة جمعاء أحد أهم الشخصيات الربّانية وفي هذا خسارة فادحة للإسلام.

وفي الدرجة الثانية، أي بعد انقلاب أوضاع العراق وَتَسَلُّطِ «عُبَيْد الله بن زياد» على الكوفة ولم تَعُدْ هناك أيَّةُ إمكانية للانتصار العسكري، أصبح مطلوب الإمام في هذا الوقت (وهو مطلوبه الاضطراري بالطبع) تركَ النزاع، وقول الإمام: «دعوني أنصَرِف» وما شابهه، إنّما يتعلّق بهذه الفترة، وقد بذل الإمام في هذه المرحلة جهوداً ثمينة لفضّ النزاع، ولم يكن في هذه الأثناء طالباً أَنْ يُقْتَلَ.

(1) تاريخ الطبري، ج 4، ص 297.

(2) تاريخ الطبري، ج 4، ص 303، وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4، ص 47، والشيخ المفيد، الإرشاد، ص 205.



وفي الدرجة الثالثة، أي بعد أن رفض رجال ومأمورو حكومة «يزيد» إنهاء المنازعة وأيقن الإمام أنه لو استسلم لهم فسيقتلونه قتلاً مُذِلاً كما فعلوا بابن عمّه «مسلم ابن عقيل»[1]، وبعد أن ابتدأه العدوّ بالقتال فعلاً، نهض الإمام بحكم الضرورة إلى الدفاع ونال الشهادة بكل عزَّةٍ خلال دفاعه المشرِّف. وقول الإمام: «**إِنّي لا أَرَى المَوْتَ إلا سَعَادَةً**» يتعلَّق بهذه المرحلة.

فتبيَّن مما ذكرناه أن:

النصر العسكري كان مراد الإمام في الدرجة الأولى.

الصلح المشرِّف والسلام الشجاع كان مراد الإمام في الدرجة الثانية.

الشهادة في سبيل الله كانت مراد الإمام في الدرجة الثالثة.

مع فرق أن الإمام سعى أوّلاً إلى تحقيق النصر العسكري، ثم سعى بعد ذلك إلى إقرار السلام، ولكنه لم يسْعَ قط إلى أَنْ يُقْتَلَ، بل كان جلاوزة حكومة «يزيد» المعادية للإسلام هم الذين سعوا إلى قتل ابن النبيّ صلى الله عليه وآله وقتلوه، وأصابوا عالم الإسلام بتلك الخسارة الفادحة والمصاب الأليم.

ولم ينتبه بعض الباحثين مثل «**ماربين**» أو «**مارتين**» الألماني إلى ذلك الترتيب والتدرُّج في مطالب الإمام فجعلوا جملة الإمام التي تتعلق بمراده في الدرجة الثالثة أو الترتيب الثالث أعني قوله عليه السلام: «**إِنّي لا أَرَى المَوْتَ إلا سَعَادَةً**» عين مراده في الدرجة أو الترتيب الأول، وقالوا لقد كان مُراد الإمام الحسين عليه السلام منذ بداية حركته أَنْ يُقْتَلَ.

في الواقع إن هؤلاء لم يدركوا الوضع والمقام الخاص الذي قال الإمام فيه تلك الجملة و نسوا أن لكلِّ مقامٍ مقالاً.

نقطةٌ هامَّةٌ

من المناسب أن نذكِّر هنا بنقطة هامَّة وهي أن «مَقْتَل» الإمام الذي أصبح مطلوباً له في الدرجة الثالثة إنما كان مرغوباً لأنه سيوصله إلى الشهادة في سبيل الله، وإلى

(1) **تاريخ الطبري**، ج 4، ص 323.



الراحة من آلام الدنيا وعذابها، ولم يكن مطلوباً له من جهة أن فيه ضربة وخسارة كبيرتين للإسلام! من هنا نجد أن ابن رسول الله ﷺ بذل جهوداً كبيرةً للحيلولة دون قتله، إلى حدّ تحذيره ـ في خطبته الثائرة المفعمة بالحماسة يوم عاشوراء ـ أولئك الملأ الضالين الضائعين من الإقدام على قتله[1]، لأنه كان يعلم أن فقدان الوجود الثمين لسبط النبيّ والزعيم الأوحد لعالم الإسلام سيكون خسارة فادحة وفاجعة كبيرة للإسلام والمسلمين، ومن هذا المنطلق نقرأ في زيارة عاشوراء: «**مُصِيبةٌ مَا أَعْظَمَهَا وَأَعْظَمَ رَزِيَّتَهَا في الإِسْلام**».

ظنٌّ خاطئٌ لا محلَّ له

يظنُّ بعضُ الباحثين أن سبب عدم ثورة الإمام الحسين عليه السلام ضدّ «معاوية» بعد وفاة أخيه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ومواصلة السكوت حتى وفاة «معاوية» هو أن «معاوية» كان يُظْهر الحفاظَ على الدين، وبالتالي لم يكن خطره على الإسلام بدرجة خطر «يزيد» الذي لم يكن يحترم حتى ظاهر الدين، مما استدعى من الإمام أن ينهض ضدَّه في حركته الثورية تلك.

ولكن هناك رأيٌ آخر في هذا المجال وهو أن «معاوية» لم يكن قط محافظاً على ظاهر الدِّين وأن خطره على الإسلام إن لم يَزِدْ على خطر «يزيد» فليس بأقلَّ منه، أمّا عدم ثورة الإمام ضدَّ «معاوية» فلم يكن سببه أن الأخير كان يحافظ على ظاهر الإسلام بل السبب في ذلك أمرٌ آخر يحتاج إلى توضيح.

ولكي يتَّضح أن معاوية لم يكن يحفظ ظاهر الدِّين نذكر فيما يلي فهرساً مختصراً لجرائمه التي كان يرتكبها ضدّ الدين جهاراً، والحقيقة أن التمعُّن في تاريخ الإسلام يكشف أن جنايات «معاوية» وجرائمه ضد الدِّين كانت كمّاً و كيفاً أكثر من جرائم «يزيد»، وفيما يلي إثبات ذلك:

مقارنة سجل معاوية الإجرامي بسجل يزيد كمّيّاً

حكم «معاويةُ» بلاد الإسلام العريضة خليفةً بلا منازع مدَّة عشرين عاماً،

---

(1) تاريخ الطبري، ج4، ص224، والشيخ المفيد، الإرشاد، ص 215.



وقبل ذلك كان مدَّة اثنين وعشرين عاماً والياً ذا حُكْمٍ ذاتيٍّ مستقلٍّ على بلاد الشام[1].

كانت سلطنة ذلك الشخص الفاسد التي استمرّت عشرين عاماً وارتكزت على الاستبداد والدكتاتورية صفحة سوداء مرعبة في تاريخ الإسلام، فإذا أضفنا جرائمه العديدة التي ارتكبها في قبل خلافته ليصل من خلالها إلى مسند الخلافة، إلى جرائمه التي ارتكبها في إبّان خلافته، لنتج لدينا سجلٌّ من الجرائم يُحَيِّرُ الإنسان ويصدمه.

لم يكن لدى معاوية من هدف في حكمه سوى التسلط وإشباع غريزة حب الرئاسة وأن ينهل من ملذّات الحياة الدنيا، لذلك لم يتوانَ في ارتكاب أيِّ جُرم وجناية للوصول إلى تلك الأهداف المادّيّة البهيميّة، ولمَّا رأى «معاوية» أن عليّاً وأبناءَه وشيعتَه عثرةً في طريقه ذاك لم يتوانَ في ارتكاب كل موبقة بحقِّهم تمكّنه من إزاحتهم عن طريقه، وفيما يلي فهرسٌ مختصرٌ جداً لجرائم معاوية وأعماله المعادية للدين التي كان يقوم بها نهاراً جهاراً نذكرها على سبيل المثال لا الحصر:

شربه الخمر (الغدير، ج10، ص 179).

لبسه الحرير والديباج (الغدير، ج10، ص 216).

شربه في آنية الذهب والفضة (الغدير، ج10، ص 216)

استماعه إلى غناء الجواري وطربه (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج16، ص 161).

قضاؤه بما يخالف شرع الإسلام (الغدير، ج10، ص 196).

تركه إقامة الحد على السارق (الغدير، ج10، ص 214).

إلحاقه لابن الزنا (زياد بن أبيه) بأبيه غير الشرعي خلافاً لقوله صلى الله عليه وآله: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج16، ص 187).

---

(1) انظر شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد (656هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1378هـ/ 1959م، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ج1، ص 338.



محاربته علي بن أبي طالب عليه السلام التي أوقعت خسائر أوصلها بعض المؤرخين إلى خمسة وسبعين ألف قتيل (مروج الذهب للمسعودي، ج2، ص 3).

دأبه في سفك دماء شيعة أمير المؤمنين عليه السلام بإرساله قوّات عسكرية لقتلهم والإغارة عليهم (الغدير، ج11، ص 16 و17 و18).

قتله «مالك بن الأشتر»[1] (مروج الذهب للمسعودي، ج2، ص 409).

إعدامه «حِجْر بن عَدِيّ»[2] وأصحابه (الغدير، ج11، ص 52).

إعدامه «عَمْرو بن الـحَمِق»[3] (الغدير، ج11، ص 41).

اعتداؤه على مصر وقتله «محمد بن أبي بكر»[4] ممثّل عليٍّ عليه السلام وواليه على مصر (مروج الذهب للمسعودي، ج2، ص 409).

---

(1) هو مالك بن الحارث الأشتر النخعي من مذحج. قال العجليُّ: كوفيٌّ تابعيٌّ ثقةٌ، وذكره ابن حبان في الثقات، قال شهد اليرموك فذهبت عينه يومئذ وكان رئيس قومه، وكان ممن يسعى في الفتنة وألّب على عثمان وشهد حصره. كان من أصحاب علي بن أبي طالب وشهد معه الجمل وصفين ومشاهده كلها، وولاه عليٌّ عليه السلام مصرَ سنة 38 هـ بعد «قيس بن سعد بن عبادة» فخرج إليها، فلمّا كان بالقلزم (العريش) سُمَّ في زبد وعسل، قُدِّمَ بين يديه فأكل منه فمات. و رُوِيَ أن علياً نعاه إلى قومه وأثنى عليه ثناءً حسناً. (مُلَخَّصٌ من **الطبقات الكبرى** لابن سعد، ج 6، ص 213، و**تهذيب التهذيب** لابن حجر العسقلاني، ج 10، ص 10 ـ 11) (المُتَرْجِمُ)

(2) حِجر بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث الكندي، من كِنْدة، وهو حجر الخير، ذكر بعض رواة العلم أنه وفد إلى النبيّ صلى الله عليه وآله مع أخيه هانئ بن عدي، وشهد القادسية وهو الذي افتتح مرج عذراء، وشهد الجمل وصفين مع علي بن أبي طالب، وقتله معاوية بن أبي سفيان وأصحابه بمرج عذراء. (مُلَخَّصٌ من **الطبقات الكبرى** لابن سعد، ج 6، ص217) (المُتَرْجِمُ)

(3) هو عمرو بن الحَمِق بن الكاهن بن حبيب بن عمرو بن ربيعة بن كعب الخُزاعي، صحب النبيّ صلى الله عليه وآله وروى عنه، ثم نزل الكوفة وشهد مع عليٍّ حروبه ومشاهده كلها. وكان فيمن سار إلى عثمان وألّب عليه أو أعان على قتله، ثم قتله عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي بالموصل سنة (51 هـ) وبعث برأسه إلى معاوية، وكان أول رأسٍ أُهْدِيَ في الإسلام وحُمِلَ من مدينة إلى مدينة! (ملخَّصٌ من **الطبقات الكبرى** لابن سعد، ج6، ص25، و**تهذيب التهذيب** لابن حجر، ج 8، ص22) (المُتَرْجِمُ)

(4) هو محمد بن أبي بكر الصديق وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية ولدته في طريق المدينة إلى مكة في حجة الوداع كما ثبت عند مسلم في حديث جابر الطويل. ونشأ محمد بن أبي بكر في حجر عليٍّ لأنه تزوّج أُمَّهُ بعد وفاة أبي بكر. وروى عن أبيه مرسلاً وعن أمّه وغيرها قليلاً. رُوِيَ أنه كان ممن اشترك في قتل عثمان. شهد محمّدٌ مع عليٍّ الجملَ وصفِّين وكان على الرجّالة في صفين، ثم أرسله عليٌّ إلى مصر والياً فدخلها في شهر رمضان سنة 37 فَوَلِيَ إمارَتَها لعليٍّ وجمع له صلاتها وخراجها حتى جهَّز معاويةُ عمروَ بن العاص في عسكر إلى مصر فقاتلهم محمَّدٌ وانهزم ثم قُتِلَ في صفر سنة 38. وقال ابن =



قيامه بمجازر وقتل ذريع لشيعة أمير المؤمنين عليه السلام (الغدير، ج11، ص 27).

أمره بوضع الحديث في ذمّ عليّ عليه السلام (الغدير، ج11، ص 28).

وضعه الحديث في فضائل عثمان ومناقبه (الغدير، ج11، ص 28).

أمره بلعن عليّ عليه السلام على المنابر في خطب الجمعة (الغدير، ج10، ص 257).

قتله للإمام الحسن المجتبى عليه السلام (مروج الذهب للمسعودي، ج2، ص 427).

فرضه ولاية عهد ابنه يزيد على الأمّة قَسْراً (الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج3، ص 503 ـ 511).

إقامته صلاة الجمعة يوم الأربعاء! (مروج الذهب للمسعودي، ج3/ ص32)[1].

ارتكب معاوية كل تلك الجرائم والبوائق (باستثناء قتله للإمام الحسن المجتبى عليه السلام نهاراً جهاراً بكل صلف و وقاحة ولم يكن يخفي ذلك أو يتظاهر بحفظ الدين).

فإذا قارنّا جرائم معاوية قبل خلافته بجرائم يزيد قبل خلافته لرأينا جرائم معاوية تفوقها بكثير، لأن معاوية كان والياً مستقلاً متنفِّذاً على بلاد الشام مدة اثنتين وعشرين سنة[2] إذْ وَلِيَ إمارة الشام بعد خمس سنين من خلافة الخليفة الثاني واستمر في ذلك

= عبد البَرّ: كان عليٌّ يثني عليه ويفضّله وكانت له عبادة واجتهاد، ولما بلغ (أختَه) أم المؤمنين عائشةَ قَتْلَه حزنت عليه جداً وتولّت تربية ولده القاسم فنشأ في حجرها فكان من أفضل أهل زمانه. (المصادر: **«الإصابة في تمييز الصحابة»** تحقيق عبد الله التركي (ج 3، ص 370 ـ 371) وفي **«تهذيب التهذيب»** (ج 9، ص 70) كلاهما لابن حجر العسقلاني) (المُتَرْجِمُ)

(1) وقال الإمام جلال الدين السيوطي (911هـ) ضمن ترجمة معاوية في كتابه «تاريخ الخلفاء» (ص198): «قال الشعبي: أوّل من خطب الناس قاعداً معاوية، وذلك حين كثر شحمه وعظم بطنه، أخرجه ابن أبي شيبة. وقال الزهري: أوّل من أحدث الخطبة قبل الصلاة في العيد معاوية، أخرجه عبد الرزاق في مصنَّفه. وقال سعيد بن المسيب: أوّل من أحدث الأذان في العيد معاوية، أخرجه ابن أبي شيبة، وقال: أوّل من نقص التكبير معاوية، أخرجه ابن أبي شيبة. وفي الأوائل للعسكريات قال: معاوية أوّل من اتّخذ الخصيان لخاصّ خدمته وأوّل من عبثت به رعيته. . .الخ» اهـ. وقال الأستاذ محمد كرد علي في كتابه **«خطط الشام»** (ج 1، ص143): «توفي معاوية عام 60هـ بعد أن وطّأ أكناف الملك، و ابتكر في الدولة أشياء لم يسبقه إليها أحد، منها أنه أوّل من وضع الحشم للملوك، و رفع الحراب بين أيديهم، ووضع المقصورة التي يصلي الملك أو الخليفة بها في الجامع منفرداً عن الناس. . . واستخدم المسيحيين في مصالح الدولة، فعهد بنظارة المالية إلى منصور و سرجون من نصارى العرب السوريين. .» اهـ. (المُتَرْجِمُ)

(2) ابن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة**، ج 1، ص 338.



طوال المدة الباقية من خلافته ثم مدَّة خلافة الخليفة الثالث التي دامت اثنتي عشرة سنة، واستمرَّ والياً على الشام بعد قتل عثمان متمرداً على حكومة عليّ عليه السلام حتى استشهد أمير المؤمنين عليه السلام.

في تلك الفترة التي سبقت خلافته تمرّد معاوية على حكومة عليّ عليه السلام المركزية وأشعل نار حرب صفين بحجّة مطالبته بدم عثمان، وكانت حرباً ضروساً وصل عدد قتلاها إلى خمسة وسبعين ألفاً وقال بعضهم أكثر من ذلك[1].

وفي تلك الفترة أيضاً اعتدى على مصر وسفك كثيراً من الدماء لتسخيرها وانتزاعها من عليٍّ وقام عامله «ابن حديج الكندي» بملاحقة واليها مِنْ قِبَلِ عليٍّ «محمد ابن أبي بكر» فأخذه وقتله، وأدخله جيفة حمار، وحرقه بالنار في زقاق يعرف بزقاق الحوف[2].

وفي هذه الفترة أيضاً أرسل معاوية قواته إلى العراق والحجاز واليمن بقيادة «بُسْرِ ابن أَرْطَاةَ» وأمرهم أن يسيروا في البلاد فيقتلوا كل من وجدوه من شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه، وأن يغيروا على سائر أعماله، ويقتلوا أصحابه، ولا يكفُّوا أيديهم عن النساء والصبيان. فانطلق «بُسْر» حتى أتى المدينة فقتل بها ناساً من أصحاب علي عليه السلام وأهل هواه، وهدم بها دوراً، ومضى إلى مكّة ... وبعد جرائم عديدة انتهى إلى اليمن وعليها «عُبَيْد الله بن العبّاس» عامل علي بن أبي طالب وكان غائباً، فوجَدَ «بُسْر» ابنَيْن له صبيَّيْن فأخذهما وذبحهما بيده بمدية كانت معه، ثم انكفأ راجعاً إلى معاوية[3].

إن مجموع الدماء التي سفكها معاوية قبل استقراره في منصب الخلافة أي في فترة إمارته على الشام وعصيانه وتمرّده على عليّ يصل عددها إلى أكثر من مئة ألف نفس. كانت تلك بعض بوائق معاوية قبل ملكه.

أما بوائق يزيد قبل خلافته فكانت عبارة عن الخلاعة والفجور واللعب بالقرود

---

(1) المسعودي، مروج الذهب، ج 2، ص3.

(2) تاريخ اليعقوبي، ج2، ص183.

(3) انظر تاريخ اليعقوبي، ج2، ص188 (المؤلف). والغدير للشيخ الأميني، ج11، ص16 ـ 17.



والصيد لأجل التسلية والميسر وشرب الخمر وإشباع غريزته الجنسيّة والانغماس في غير ذلك من الشهوات.

فإذا قارنّا آثام يزيد التي ارتكبها قبل ملكه بأعمال معاوية المعادية للإسلام قبل ملكه وجدنا أن جرائم معاوية تفوق ـ بلا شكّ ـ مئات المرات جرائم يزيد.

وجرائمه بعد خلافته

دامت خلافة معاوية السوداء عشرين عاماً.

في تلك الفترة قام بذبح شيعة عليّ كما فعل بـ «حِجْر بن عَدِيّ» و«عَمْرو بن الحمق».

وفي تلك الفترة أمر بلعن أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر في جميع أنحاء بلاد الإسلام وأصدر بلاغاً تعميمياً في ذلك تمَّ تنفيذه[1].

وفي تلك الفترة قتل الإمام الحسن المجتبى عليه السلام (بدسّه السمّ له)[2].

---

(1) انظر صحيح مسلم (2404) وسنن النسائي (8399) وسنن الترمذي (3808) حديث قول معاوية لسعد بن أبي وقاص: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسُبَّ أَبَا التُّرَابِ؟... الحديث». وانظر أيضاً صحيح مسلم (2409)، حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ اسْتُعْمِلَ عَلَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ مِنْ آلِ مَرْوَانَ ـ قَالَ ـ فَدَعَا سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ فَأَمَرَهُ أَنْ يَشْتِمَ عَلِيًا ـ قَالَ ـ فَأَبَى سَهْلٌ. فَقَالَ لَهُ: أَمَّا إِذْ أَبَيْتَ فَقُلْ لَعَنَ اللهُ أَبَا التُّرَابِ! فَقَالَ سَهْلٌ: مَا كَانَ لِعَلِيٍّ اسْمٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَبِي التُّرَابِ.. الحديث). وانظر **تاريخ الإسلام** للذهبي، ج4، ص228، والشاهد قوله (كان مروان أميراً علينا ست سنين، **فكان يسب علياً رضي الله عنه كل جمعة على المنبر....**)، ومثله في **تاريخ الخلفاء** للسيوطي، ترجمة الإمام الحسن، ص 147. وقال ياقوت الحموي في كتابه **معجم البلدان** (ج3، ص 190، بيروت، دار صادر، 1397هـ/ 1977م) يصف إقليم «سجستان»: «سجستان إحدى بُلدان المشرق... **لُعِنَ علي بن أبي طالب رضي الله عنه على منابر الشرق والغرب** ولم يُلْعَن على منبرها (أي سجستان) إلا مَرَّةً، وامتنعوا على بني أمية حتى زادوا في عهدهم أن لا يلعن على منبرهم أحد... وأي شرف أعظم من امتناعهم من لعن أخي رسول الله ﷺ على منبرهم **وهو يُلْعَنُ على منابر الحرَمين مكة والمدينة!.....**» اهـ (المُتَرْجِمُ)

(2) الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، 3، 173. وابن عبد البر القرطبي، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، 1، 381 وعبارته: «وقال قتادة وأبو بكر بن حفص **سُمَّ الحسن بن علي سمَّتْهُ امرأتُهُ جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي**. وقالت طائفة **كان ذلك منها بتدسيس معاوية إليها وما بذل لها من ذلك.**» وابن الأثير الجزري، **أسد الغابة في معرفة الصحابة** 1، 491، والذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 3، 274 ـ 275 وفيه: «.... كَانَ مُعَاوِيَةُ قَدْ تَلَطَّفَ لِبَعضِ خَدَمِهِ أَنْ يَسْقِيَهُ سُمّاً...... وَعَنْ أُمِّ مُوسَى: أَنَّ جَعْدَةَ بِنْتَ الأَشْعَثِ بنِ قَيْسٍ، سَقَتِ الحَسَنَ السُّمَّ، فَاشْتَكَى، فَكَانَ تُوضَعُ تَحْتَهُ طِشْتٌ، وَتُرْفَعُ أُخْرَى نَحْواً =



وفي تلك الفترة سلب من الناس حرية انتخاب خليفتهم وفرض عليهم بالقوَّة ولاية عهد ابنه يزيد[1]، واقترف مئات الجرائم الأخرى.

أما فترة خلافة ابنه «يزيد» فقد دامت سنتين وبضعة أشهر أو ثلاث سنوات وبضعة أشهر[2]. وفيها أحدث فاجعة كربلاء، وأحدث واقعة «الحرَّة» التي قام جنوده خلالها بقتل آلاف المسلمين من أهل المدينة وانتهاك أعراضهم، وتمَّ كل ذلك بأمر «يزيد» المباشر الذي قال لقائد جنده «مسلم بن عقبة»: «**ادع القوم ثلاثاً فإن هم أجابوك وإلا فقاتِلْهم فإذا أظهرت عليهم فأبحها ثلاثاً، فما فيها من مال أو رقة أو سلاح أو طعام فهو للجند فإذا مضت الثلاث فاكفف عن الناس**»[3]!

وفيها أرسل جيشاً إلى مكة وحاصرها ثم قذف الجيشُ البيتَ بالمجانيق وأحرقوه بالنار[4].

لو قارنا جرائم معاوية خلال العشرين سنة من خلافته بجرائم «يزيد» خلال خلافته التي دامت ثلاث سنوات و نيفاً لوجدنا أن جرائم معاوية ـ بلا أي شبهة ـ أكثر، فقد سجَّل التاريخ ثلاث جرائم كبرى ليزيد هي:

1 ـ فاجعة كربلاء.

2 ـ الاعتداء على المدينة المنوَّرة و استباحتها (وقعة الحرَّة).

3 ـ الاعتداء على مكة المكرمة والحرم الشريف.

= مِنْ أَرْبَعِيْنَ يَوْماً.. الخ.». وانظر مثل ذلك في تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق علي شيري، ج 13، ص 302. والبداية والنهاية لابن كثير، تحقيق التركي، 11، 207 ـ 208، وتهذيب التهذيب لابن حجر، 2، 260. والمعارف لابن قتيبة، القاهرة، دار المعارف، ص 212. والمختصر في أخبار البشر لأبي الفداء القاهرة، دار المعارف، ص 227، وعبارته: «وتوفي الحسن من سُمْ سقته زوجته جعدة بنت الأشعث. قيل فعلت ذلك بأمر معاوية وقيل بأمر يزيد بن معاوية ووعدها أنه يتزوجها إن فعلت ذلك فسقته السم وطالبت يزيد أن يتزوجها فأبى». انتهى. (المُتَرْجِمُ)

(1) الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج3، ص503 إلى 511.

(2) تاريخ الطبري، ج4، ص 384.

(3) تاريخ الطبري، ج4، ص272. [المُتَرْجِم: من المصادر الإضافية لهذا النص: البلاذري، أنساب الأشراف، خبر يوم الحرَّة، ج 5، ص337، وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 456، وابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حوادث سنة 63هـ، ج 6، ص13]. (المُتَرْجِمُ)

(4) تاريخ الطبري، ج4، ص383.



و«معاوية» كذلك ارتكب مثل هذه الجرائم الثلاث زمن خلافته، لأنه قتل الإمام الحسن المجتبى عليه السلام مثلما قتل «يزيد» الإمام الحسين عليه السلام، وذبح شيعة عليٍّ عليه السلام كما قام «يزيد» بالاعتداء على أهل المدينة ومكة وسفك فيهما دماء المسلمين. فلو اعتبرنا أن ما قام به عنصرا الفساد هذان من سفك للدماء زمن خلافتهما متساوياً، عندئذٍ تأتي جرائم «معاوية» مثل صلاة الجمعة يوم الأربعاء، وإلحاق زياد بن أبيه بأبي سفيان، وإصدار تعميم بلعن عليٍّ عَلَى المنابر و. . و. . و. . و. . فتزيد من رصيد معاوية الإجرامي على سجل «يزيد».

بناء عليه فإن سِجِلَّ «معاوية» الإجرامي زمن خلافته يفوق سِجِلَّ «يزيد» زمن خلافته، كما كان سِجِلُّ «معاوية» الإجرامي قبل خلافته يفوق سِجِلَّ «يزيد» الإجرامي قبل خلافته.

مقارنة سجل معاوية الإجرامي بسجل يزيد كيفيّاً

لا ريب أن معاوية بن أبي سفيان كان:

1 ـ أوَّل من بدَّل الحكم الإسلامي العادل إلى ملك عضوض فرديٍّ ظالم، وقيصريَّة استبداديّة.

2 ـ أوَّل من أمر بلعن علي بن أبي طالب عليه السلام على المنابر و جعل ذلك جزءاً من خطبة الجمعة.

3 ـ أوَّل من انتهك أحكام الشرع في عديد من الموارد كتعطيله حد السرقة وقضائه بخلاف ما أنزل الله وتغييره حكم نسب ابن الزنى وتلاعبه بصلاة الجمعة، وقد فعل كل ذلك صراحةً وجهاراً دون تستُّر أو حياء.

4 ـ أوَّل من بدأ التحريض على حكومة وصيِّ النبيِّ عليِّ بن أبي طالب عليه السلام وكان نتيجة ذلك التحريض وقوع معركة الجمل[1]، ثم قام بعد ذلك بالتسبُّب في معركة صفين الطاحنة التي كانت من أسوأ النكبات التي لحقت بالإسلام، وكان من ثمارها قضية التحكيم وخلع أمير المؤمنين عليه السلام من الخلافة!

---

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج1، ص 231.



5 ـ أوّل من فرض على الأمة ولاية عهد ابنه «يزيد» وحوَّل الخلافة الإسلامية إلى ملكٍ وراثيٍّ بين أبنائه وأسرته.

ولاشك أن مسؤولية مؤسس الانحراف أكبر بكثير من مسؤولية من عمل به فيما بعد، ومن هذا المنطلق لما كان «معاوية» مؤسس كل تلك البدع والانحرافات والتعدّيات فإن تأثير أعماله المعادية للدين أعمق بكثير من أعمال «يزيد» المعادية للإسلام، لأن «يزيد» سلك الطريق الذي رسمه أبوه له وبذلك يعتبر تابعاً لسيرة أبيه.

إضافة إلى ذلك فإن «معاوية» يشارك «يزيد» في جميع جرائمه التي ارتكبها خلال فترة حكمه بما في ذلك قتله الإمام الحسين عليه السلام، لأن «معاوية» هو الذي فرض حكومة ابنه المعادية للإسلام على المسلمين وأدّى إلى وقوع كل تلك الجرائم والمظالم، فيزيد في الواقع ليس سوى سيّئة من سيئات «معاوية»، فهذا من ناحية المقارنة بين جرائم «معاوية» و«يزيد» من الناحية الكيفيّة.

فتبيَّن إذن أن جرائم «معاوية» تفوق جرائم «يزيد» كمّاً وكيفاً ولذلك يمكن القول بلا أي تردد إن خطر معاوية على الإسلام كان أشدّ وأعمق بكثير من خطر يزيد.

ومن هنا نعلم لماذا كتب الإمام الحسين عليه السلام لمعاوية يقول: « **وَإِنّي لاَ أَعْلَمُ فِتْنَةً أَعْظَمَ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ وَلاَيَتِكَ عَلَيْهَا**»[1].

وإذا علمنا أن الإمام كتب هذه الرسالة بعد أن قام «معاوية» بفرض ولاية عهد «يزيد» على الأمة أدركنا أن حكومة «معاوية» كانت في نظر الإمام أشدّ خطراً على الإسلام حتى من ولاية عهد «يزيد».

بعد قول الإمام الحسين عليه السلام أنه «**لاَ يعْلَمُ فِتْنَةً أَعْظَمَ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ وَلاَيَة معاوية عَلَيْهَا**» لا أدري كيف قرأ تاريخ الإسلام من يقول إن «معاوية» كان يحافظ على ظاهر الدين وكان خطره على الإسلام أقلَّ من خطر «يزيد»؟!

ولو فرضنا جدلاً (من باب الفرض المحال) أن «معاوية» كان يتظاهر بالتديُّن، فإنه مما لاشك فيه أنه لو تظاهر شخصٌ بأنه من أنصار ومؤيدي الدِّين ولكن أعماله

---

(1) رجال الكشي، ص 48 ـ 52. وابن قتيبة الدينوري، **الإمامة والسياسة**، ج 1، ص 155 ـ 157. والمجلسي، **بحار الأنوار**، ج 44، ص 213.



كانت ضد الدين، فإن خطره على الدين أكثر بكثير من خطر مَن لا يتظاهر بالتديُّن أساساً، ذلك لأن الأول يخدع الناس بتظاهره فيتمكّن من تخريب الدِّين بكل راحة، أما الذين يعادون أحكام الدِّين ظاهراً ولا يتظاهرون بالتديُّن فإن الناس تنتبه إلى خطرهم عندما ترى أعمالهم وبالتالي يقوم الناس بردِّ فعلٍ حفاظاً على دينهم.

نعم، لما تصوَّر عددٌ من الناس ماهيَّةَ ثورة الإمام الحسين عليه السلام بأنها حركةٌ هدفت إلى أَنْ يُقْتَلَ الإمامُ ليُحيِيَ مقتلُهُ الإسلامَ، ورأوا في الوقت ذاته أن الإمام لم يَثُرْ زَمَنَ «معاوية»، اضطرُّوا إلى القول أن الإمام إنما لم يَثُرْ زمن «معاوية» لأنه لم يرَ أن خَطَرهُ بدرجة خطر «يزيد».

ولكننا لما أثبتنا أن ثورة الإمام الحسين عليه السلام لم تكن بقصد أَنْ يُقْتَلَ، لم نَحْتَجْ إلى هذا التوجيه غير الصحيح ولم نحتَجْ إلى أن نقول ـ خلافاً للحقيقة ـ : إن خطر «معاوية» على الإسلام كان أقلَّ من خطر «يزيد».

في الواقع كانت ذهنية معاوية و«يزيد» تجاه الإسلام واحدة، فكلاهما كان يحكم الناس باسم الإسلام ولا يمسّ الإسلام بسوء ما لم يهدد الإسلام عرشه وأهواءه، أما إذا تعارض الإسلام مع شهواتهما فإنهما كانا يسحقانه بلا رحمة ولا يحافظان حتى على ظاهره.

ومع ذلك فإن خطر «معاوية» على الإسلام كان أشد لعدة أسباب:

1 ـ كان «معاوية» داهيةً محتالاً وشخصاً مخبوءاً خلف ظاهره.

2 ـ كان مؤسِّساً لكثير من الأعمال والانحرافات المخالفة للإسلام.

3 ـ كانت مدة حكومته أطول.

لهذه العلل الثلاث فقد وجّه للإسلام ضربات أشدَّ تأثيراً وقوّةً.

بالطبع ليس مقصودنا من هذا المبحث أن نقلل من جرائم «يزيد» بل المقصود أن نبيّن أن «معاوية» ـ ذلك العنصر المعادي للإسلام ـ لم يكن يحفظ ظاهر الدين بل كان خطره على الإسلام أشد من خطر «يزيد».

ما يمكن أن نقوله هنا لحل هذا الإشكال هو أنه كانت هناك فعلاً في زمن «معاوية» كما كانت في زمن «يزيد» ضرورةٌ للقيام بحركة ثورية ضدّهما لإنقاذ الإسلام



من أعمالهما المعادية له، إلا أنّه من الجهة الأخرى كان هناك زمن «معاوية» مانعٌ كبيرٌ أمام الثورة هو قوّة حكومة «معاوية» الذي كان قد رَسَّخَ أركان سلطنته منذ مدّة طويلة خلال فترة إمارته على الشام واستطاع أن يقوّي دعائم حكمه، الأمر الذي كان سيمنع أيَّ ثورةٍ ضدَّه أن تنجح وتعطي ثمارها، إذْ كان معلوماً من البداية ـ حسب المجاري الطبيعية للأمور ـ أنها ستبوء بالفشل، لكنَّ هذا المانع زال بموت «معاوية» وسنحت فرصة مناسبة لإقامة حكومة إسلامية مئة بالمئة في بداية عهد حكومة «يزيد» المهتزّة والضعيفة من خلال ثورة مسلّحة ضدّه تطوي صفحة ظلم وجور بني أمية، وإذا أردنا أن نلخّص هذا المطلب بعبارات اصطلاحية علميّة لقلنا: في زمن معاوية وُجد المقتضي للثورة والمانع لها، ولكن في زمن «يزيد» وُجد المقتضي وانتفى المانع.

التُّهَم التي وجّهوها إلى الإمام الحسين عليه السلام

حاول عمال حكومة «يزيد» الاستبداديّة، خلال فترة عدوانهم الذي شنّوه على الإمام الحسين عليه السلام، أنْ يُشوِّهوا صورة سبط النبيّ صلى الله عليه وآله ويشيعوا عنه أنّه متمرّدٌ مثيرٌ للشغب خارجٌ على الحكم الشرعيّ ومشعلٌ للفتنة، وأن حركته لم تكن سوى إثارة للقلاقل وإخلال بأمن الناس والمجتمع، ليبرّروا ما قاموا به بحق الحسين عليه السلام وآل الرسول صلى الله عليه وآله وأنه لقي جزاءه العادل. وقد تواصلت تلك الدعاية التشويهية والتُّهم الباطلة ضدَّ الحسين بن علي عليه السلام حتى بعد قتلهم له ولآله وأصحابه، وفيما يلي نماذج على ذلك:

ماذا قال قادة «يزيد» العسكريون؟

لما خرج الإمام الحسينُ عليه السلام من مكة اعترضته رُسُلُ والي الحجاز مِنْ قِبَلِ «يزيد» «عَمْرو بن سعيد بن العاص» وعليهم «يحيى بن سعيد» فقالوا للحسين عليه السلام: انصرف أين تذهب؟! فأبى الحسينُ عليهم ومضى، وتدافع الفريقان فاضطربوا بالسياط، ثم إن الحسين وأصحابه امتنعوا منهم امتناعاً قوياً ومضى الحسين عليه السلام على وجهه فنادوه: **يا حسين ألا تتَّقي اللهَ تخرُجُ من الجماعة وتفرِّق بين هذه الأمة؟!**[1].

(1) تاريخ الطبري، ج 4، ص 289.



إن منطق نظام حكم السيف والقهر هو أن الحسين بن علي عليه السلام لا يخاف الله ولا يتّقيه وأنه يعمل ضدّ الأمن في المجتمع !!! ولذلك فلا بدّ على الدولة الساعية للخير والوطنية مئة بالمئة!!! أن تقضي على الإمام الحسين عليه السلام الذي كان عامل فتنة وشغب!!! كي يتمكّن يزيد بن معاوية مظهر العدالة والتقوى!!! أن يقود بلاد الإسلام الكبيرة نحو الرقيّ والكمال. بهذا المنطق أرادوا تلميع صورة حكم يزيد وأن يُصَوّروا أن ما فعلوه من اعتداء وإجرام بحق سبط الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله كان حقاً وصواباً.

ماذا قال «ابن زياد» لمسلم بن عقيل؟

عندما أعطوا «مسلم بن عقيل» الأمان وتمكّنوا بذلك من اعتقاله وهو مجروح الوجه والفم وأحضروه إلى «عبيد الله بن زياد» حاكم العراق المتغطرس قال الأخير لمسلم: «**إيه يا ابن عقيل! أتيتَ الناسَ وأمْرُهُم جميعٌ وكَلِمَتُهُم واحدةٌ لِتُشَتِّتَ بينهم وتفرِّقَ كلمَتَهُم؟؟**»[1].

فأجابه «مسلمٌ» جواباً مفاده وتفسيره ما يلي، قال:

كلا! لست لذلك أتيتُ، و لكن أهل الكوفة زعموا أن أباك (زياد بن أبيه) كان يقتل ـ بأمرٍ من «معاوية» ـ خيارهم ويسفك دماءهم بغير جريرة اكتسبوها ولا ذنب اقترفوه حتى بلغت الشدّة منهم الجَهْدَ. إنهم قد سئموا حكومة «معاوية» الظالمة وجَوْر بني أمية الذين أقاموا حكمهم على الاستبداد وسَلْب حُرِيَّات الناس، إن الناس يتطلّعون إلى العدالة الإسلامية التي ستنقذهم من مظالم بني أميَّة ومذابح حكومة آل سفيان الوحشية التي عملت فيهم أعمال كسرى و قيصر. لقد ضاقت نفوسهم بذلك الحكم الاستبدادي الجبَّار الذي يَلِغُ في دماء المسلمين ولغاً فيقتل النفس التي حرَّم اللهُ قتلها ويقتل النفس بغير النفس ويسفك الدم الحرام ويقتل على الغَضَب والعداوة وسوء الظن وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً. أجل لقد بلغ بهم الضيق مبلغه ولم يعد لهم طاقة بتحمل المزيد من ضغط أجهزة هذا الحكم عليهم، لذا فإنهم دَعَوا الإمام الحسين عليه السلام أن يقبل تولِّي زعامتهم لينهضوا معه إلى إقامة حكم إسلامي عادل، فأرسلني الحسينُ

(1) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 196. ومقتل **الخوارزمي**، ج 1، ص 213. (المؤلف) والمذكور تركيبٌ مما في المصدرين.



ممثلاً عنه إلى الكوفة لأستطلع خبر الناس وأعمالهم وأخبره عنها، فأتينا لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب[1].

ماذا قال والي الحجاز؟

لم يكتف نظام حكم يزيد بتوجيه الاتهامات إلى الإمام الحسين عليه السلام في الأيام التي كان يشن فيها حربه على الإمام، بل واصل تلك الاتهامات حتى بعد شهادته عليه السلام إذْ كان يسعى إلى تبرير تلك الأعمال الوحشية وغير الإنسانية التي مارسها بحق الإمام ليضفي عليها صفة الشرعية متهماً الإمام الحسين عليه السلام بأنه كان مُحرِّضاً على الفتنة وأنه هو المسؤول عما حدث في واقعة كربلاء.

كان عملاء الدولة في ذلك الجو الخانق والمرعب الذي لم يكن يجترئ أحدٌ فيه على التنفُّس يسيئون الكلام في اجتماعاتهم العامة بلا خجل ولا حياء بحقِّ ابن رسول الله صلى الله عليه وآله الذي وقع صريعاً يختضب بدمه بسيف الاستبداد والظلم ولا يستحيون من سبّه وشتمه.

بعد مذبحة كربلاء المفجعة التي تتفتّت لِـهَوْلِهَا الأكباد أرسل «ابن زياد» خبر قتل الإمام كبشرى سارة إلى مرتزقة الدولة وعملائها ومنهم والي الحجاز مِنْ قِبَلِ «يزيد» «عَمْرو بن سعيد».

كان «عَمْرو بن سعيد» في ذلك الوقت في المدينة فلمّا وصله الخبر صعد المنبر ممثلاً عن يزيد وأعلن في المجتمعين خبر قتل الإمام الحسين عليه السلام بشكل رسمي، وسعى في الكلمة التي ألقاها إلى تبرير قَتْل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله بأنه كان عملاً دفاعياً ضرورياً ومشروعاً اضطرت إليه حكومة «يزيد» لتحول دون هجوم الحسين بن علي عليه السلام عليها. وقال من ضمن كلامه في مسجد المدينة وهو في جوار مرقد النبيّ صلى الله عليه وآله: **«إنّها لَدْمَةٌ بِلَدْمَةٍ[2] وَصَدْمَةٌ بِصَدْمَةٍ، كم خطبة بعد خطبة، وموعظة بعد موعظة، حكمةٌ بالغةٌ فما تُغْنِي النُّذُر، والله لوددت أنّ رأسه في بدنه، وروحه في جسده. أحياناً كان**

---

(1) **تاريخ الطبري**، ج4، ص282 ـ 283، و**مقتل الخوارزمي** ج1، ص213، والشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص196.

(2) لدمةٌ يعني ضَرْبَةٌ. ولدمةٌ بلدمةٍ: أي ضربةٌ بضربةٍ. (المُتَرْجِمُ)



يسبُّنا ونمدحه، ويقطعنا ونصله، كعادتنا وعادته، ولم يكن من أمره ما كان، ولكن كيف نصنع بمن سلَّ سيفه يريدُ قَتْلَنا إلا أن ندفعه عن أنفسنا؟!»[1].

بهذه الدعاية الكاذبة أرادوا أن يصوّروا الإمام الحسين عليه السلام مبتدئاً لهجوم مسلح ضد النظام كي يدينوا حركته أمام الرأي العامّ، ويبرِّروا جريمتهم النكراء التي ارتكبوها بحقّه.

أثر الدعايات الحكومية

إذا كانت أجهزة الدولة قد وصمت الإمام الحسين عليه السلام في مكة حرم الله وفي المدينة حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وفي حضور صحابة النبيّ بأنه مثير للشغب والفتنة وطاغٍ متمرِّدٌ فمن البديهي أن تقوم أبواق حكومة بني أمية في مركز الحكم في دمشق الشام ببذل كل ما أوتيت من جهد واستطاعة في تشويه صورة الإمام الحسين عليه السلام بشكل أشد وتصويره بأنه مثير للشغب وأن حركته كانت إخلالاً بالأمن لكي يرضى الناس بقتله ويفرحوا بانتصار الدولة عليه ويدعوا لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية الذي وفَّقه الله في القضاء على مثير تلك الفتنة!!!

لقد أثَّرت دعايات الدولة في دمشق عاصمة سوريا ومركز حكومة «يزيد» في الناس أبلغ تأثير وفيما يلي قصة يرويها أحد الذين كانوا في صحبة نقل أسرى كربلاء ورأس الحسين عليه السلام إلى الشام تعكس مدى تأثير تلك الدعايات في عوام المسلمين، قال:

«كنتُ بالشام حين أُتِيَ بسبايا آل محمد صلى الله عليه وآله، فَأُقِيموا على باب المسجد حيث تُقام السبايا، وفيهم علي بن الحسين، فأتاهم شيخٌ من أشياخ أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم، وأهلككم، وقطع قرون الفتنة. فلم يأل عن سبهم وشتمهم، فلما انقضى كلامه، قال له علي بن الحسين عليه السلام: إني قد أنصت لك حتى فرغت من منطقك، وأظهرت ما في نفسك من العداوة والبغضاء، فأنصِتْ لي كما أنصتُّ لك. فقال له: هات. قال عليٌّ زين العابدين عليه السلام: أما قرأتَ كتاب الله عز وجل؟ قال:

(1) المَجْلِسِيّ، **بحار الأنوار**، ج10، ص222 (أ وج 45، ص 122 من الطبعة الجديدة)، و**مقتل الخوارزمي** ج2، ص77.



نعم. فقال عليه السلام له: أما قرأتَ هذه الآية: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: 23]؟. قال: بلى. فقال عليه السلام: **«فنحن القربى يا شيخ»**. وهل قرأت هذه الآية: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء: 26]؟ قال: نعم. قال علي عليه السلام: **«فنحن أولئك الذين أمر اللهُ نبيَّه أن يؤتيهم حقَّهم»**، فقال الشامي: إنكم لأنتم هم؟ فقال علي عليه السلام: «نعم. فهل قرأت هذه الآية: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الأنفال/ 41]؟ فقال له الشامي: بلى. فقال علي عليه السلام: «فنحن ذو القربى، فهل قرأت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب/ 33]؟ قال: نعم. فقال: **«فنحن أهل البيت الذي خُصِصْنا بآية الطهارة»**. قال الراوي فبقي الشيخ ساكتاً نادماً على ما تكلم به وقال: بالله إنكم هم؟؟ فقال علي بن الحسين (ع): **«تالله إنا لنحن هم من غير شك وحق جدِّنا رسول الله ﷺ إنا لنحن هم»**. **فَبَكَى الشَّيْخُ وَرَمَى عِمَامَتَهُ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ اللَّهُمَّ إنّي أَتُوبُ إليكَ! ثلاث مرات. اللَّهُمَّ إنّي أتوبُ إليكَ مِنْ بُغْضِ هؤلاء، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ عَدُوِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ جِنٍّ وَإِنْسٍ، وأبرأ إليك ممن قَتَلَ أَهْلَ بَيْتِ مُحَمَّدٍ. لَقَدْ قَرَأْتُ القُرآنَ مُنْذُ دَهْرٍ فَمَا شَعَرْتُ بِها قَبْلَ اليَوْمِ! ثُمَّ قَالَ: هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ لَهُ: نَعَمْ إِنْ تُبْتَ تَابَ اللهُ عَلَيْكَ، وَأَنْتَ مَعَنَا. فَقَالَ: أَنَا تَائِبٌ.»**[1].

لم يجرؤ ذلك الرجل على التصريح باسم «يزيد» والدعاء عليه، ولكن رغم عدم ذكره الصريح للحكومة ولاسم يزيد، قام المخبرون بإرسال تقرير إلى «يزيد» عمّا قاله وفعله، فأمر «يزيد» على الفور بإعدامه دون أي محاكمة[2] كي لا تتكرر مثل هذه القضايا ويبقى الناس صُماً عمياً يعيشون في تعتيم إعلامي كامل وفي اختناق شديد يجعلهم بين الحياة والموت. كان ذلك جانباً صغيراً من دعايات جهاز الحكم اليزيدي ضدَّ بطل كربلاء الذي حفظه لنا الزمان.

(1) **مقتل الخوارزمي**، ج2، ص62. **وأمالي الصدوق**، ص100. **والاحتجاج للطبرسي**، ج2، ص33 ـ 34. (المؤلِّف). والنص المذكور في المتن جَمْعٌ لما في المصادر الثلاثة ومما جاء في **«اللهوف على قتلى الطفوف»**، للسيد ابن طاووس، ص 158، حيث هو المصدر الوحيد الذي ذكر بكاء الشامي ورميه عمامته. (المُتَرْجِمُ)

(2) **اللهوف على قتلى الطفوف**، للسيد ابن طاووس، ص158 وعبارته: **«فَبَلَغَ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ حَدِيثُ الشَّيْخِ فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ»**.



اتّضح مما مرّ أن جميع دعايات الدولة ضدّ هذا الإمام المجاهد تمحورت حول نقطة مركزية هي أن قيام الإمام كان هجوماً ابتداه هو، سلب فيه الأمن من الناس وأثار الفتنة التي شقَّت وحدة المسلمين! ولأنهم لم يجدوا فيه أي عيب أو ضعف من ناحية العلم والتقوى والإيمان والفضيلة والحَسَب والنَّسَب اضطروا إلى دخول هذا الباب أي وصف حركة ابن بنت النبيّ صلى الله عليه وآله الإصلاحية بأنها حركة ضدّ اتحاد المسلمين وضد مصالح البلاد العليا!.

لقد فعلوا ذلك ليبرروا المذبحة الوحشية التي قام بها جند حكومة يزيد المفروضة قسراً على المسلمين ويضفوا الشرعية على تلك الجريمة.

وفعلوا ذلك كي يصوروا أن تصرّف أزلام الحكومة الظالمة كان تصرّفاً ضرورياً لم يكن في وسعهم اجتنابه.

وفعلوا ذلك كي يصوّروا أن تصرّفات مرتزقة «يزيد» القساة المجردين من الإنسانية والرحمة كانت تصرّفات دفاعية وإصلاحية قام بها أولئك الجند الذين هم «كما يقال» المدافعون عن حقوق الشعب!!![1]

ماذا يقول أهل السنة؟

رغم أن فريقاً من كتّاب أهل السنّة كانوا أكثر إدراكاً لواقع الأمور واعتبروا حركة سيد الشهداء صلوات الله عليه حركةً لازمةً وضروريّةً لا يمكن اجتنابها وأبْدَوْا إعجابهم بثورة الإمام إلى حدّ التقديس[2]، إلا أنَّ فريقاً آخر من كتّاب أهل السنة تصوّر أن ثورة

---

(1) نذكّر أن المؤلف ألّف كتابه هذا ونشره أوّل مرّة في الفترة الأخيرة من عهد شاه إيران المقبور حيث كان الغليان الشعبي ضدّ نظامه المستبدّ في أوجه ولذلك فهو يعرّض بمثل هذه الكلمات بذلك النظام وما يفعله كل نظام استبداديٍّ جائر مماثل من وصم كل حركة إصلاحية بأن أصحابها من الخارجين على القانون والمثيرين للفتن والمخلّين بالأمن!!! ليستبيحوا من خلال ذلك حبسهم أو قتلهم وسحقهم وتصفيتهم. (المُتَرْجِمُ)

(2) نذكر من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر: «عباس محمود العقاد» في كتابه «أبو الشهداء الحسين بن عليّ»، وعبد الله العلايلي في كتابَيْه: «الإمام الحسين: سموّ المعنى في سموّ الذات» و«تاريخ الحسين - أيام الحسين» وعبد الرحمن الشرقاوي في مسرحيَّتَيْه «الحسين ثائراً» و «الحسين شهيداً»، و توفيق أبو علم في كتابه «أهل البيت»، و أبو الأعلى المودودي في رسالته «شهادة الإمام الحسين»، ومحمد عبد الباقي سرور في كتابه «الثائر الأول في الإسلام»، وخالد محمد خالد في كتابه «أبناء الرّسول في كربلاء». (المُتَرْجِمُ)



الإمام كانت ثورة ابتدائية غير مدروسة ولا محسوبة العواقب تمّت في ظروف غير مساعدة، واعتبر أن الحسين بن علي عليه السلام لم يفكّر ملياً في عواقب ما هو مقدِمٌ عليه، ولم يقدِّر قوّة الحكومة تقديراً صحيحاً كما لم يقدِّر قوّته على نحو دقيق.

بناء على هذا الرأي انتقدَ هذا الفريقُ من الكُتّاب ابنَ رسول ﷺ واعتبروا أن عمله كان خلافاً للمصلحة، بل ذهب بعضهم في انتقادهم بعيداً جداً إلى درجة اعتبارهم أن حركة الإمام كانت شؤماً وضرراً وخسارةً له وللإسلام والمسلمين إلى يوم القيامة!!! ونورد فيما يلي بعض النماذج لما ذكره بعضهم في هذا المجال ونعقّب عليه بالتحليل والنقد.

بالطبع ينبغي للقارئ المحترم أن يتحلّى بدرجة كبيرة من سعة الصدر تسمح له بقراءة أقوال الآخرين ولو كانت باطلة في نظره، ثم يلاحظ بعد ذلك ما سنذكره في تحليلها ونقدها.

1 ـ مقولة القاضي ابن العربي

يُعرِب القاضي أبو بكر بن العربي المالكي ـ الذي كان من علماء الأندلس وتُوفِّي عام 540 هـ ـ عن أسفه لثورة الإمام الحسين عليه السلام ويقول في هذا الصدد:

«ولو أن عظيمها وابن عظيمها وشريفها وابن شريفها الحسين وَسِعَهُ بَيْتُهُ أو ضيعتُه أو إبلُه ـ ولو جاء الخَلْقُ يطلبونه ليقومَ بالحقّ، وفي جملتهم ابنُ عباس وابنُ عُمَر ـ لم يلتفت إليهم، وحضره ما أنذر به النبيّ وما قال في أخيه[1]، ورأى أنها خرجت عن أخيه ومعه جيوش الأرض وكبار الخلق يطلبونه، فكيف ترجع إليه بأوباش الكوفة، وكبار الصحابة ينهونه وينأون عنه؟»[2].

2 ـ مقولة ابن خلدون

يَعْتَبِرُ ابنُ خلدون ـ الفيلسوف والمؤرخ الكبير بين أهل السنة والمتوفى عام 808 هـ ـ أنَّ الإمام الحسين عليه السلام لم يكن مصيباً في تقديره لقوّته العسكرية، هذا رغم تأييد ابن خلدون لأهليّة الإمام وجدارته للنهوض وزعامة المسلمين. يقول في هذا الصدد:

---

(1) يشير إلى حديث النبيّ ﷺ بحقّ الإمام الحسن: «ابني هذا سيِّدٌ، ولعلَّ الله أن يُصلحَ به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» (أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب/ باب مناقب الحسن والحسين) (المُتَرْجِمُ).

(2) العواصم من القواصم، ص232.



«وأما الحسين فإنه لما ظهر فسق يزيد عند الكافة من أهل عصره، بعثت شيعة أهل البيت بالكوفة للحسين أن يأتيهم فيقوموا بأمره. فرأى الحسين أن الخروج على يزيد مُتَعَيِّنٌ من أجل فسقه لاسيّما من له القدرة على ذلك، وظنّها من نفسه بأهليّته وشوكته. فأمّا الأهلية فكانت كما ظنّ وزيادة. وأمّا الشوكة فغلط يرحمه الله فيها!»[1].

3 ـ مقولة الطنطاوي

أحد الذين يقولون إن الحسين بن علي عليه السلام لم يكن دقيقاً في تقديره لقدرته العسكرية ولا في تقديره لقوّة الحكومة الأستاذ الشيخ «محمد الطنطاوي» المصري، الأستاذ في كلية الأدب العربي حيث يقول:

«أحْسَنَ الحسينُ رضي الله عنه ظنَّه بمن التفُّوا حوله، الذين ألحفوا في استفزازه لقيامه بطلبها ولم يحسب لصرامة الأمويين وشدة شكيمتهم حساباً، ولم يستعرض ما غرّر به العراقيُّون أباه وأخاه فيما سبق»[2].

4 ـ قول عبد الوهاب النجار

يبدي عبد الوهاب النجّار أستاذ جامعة الأزهر في مصر رأيه في نهضة وثورة الإمام الحسين عليه السلام بما يشابه رأي الشيخ محمد الطنطاوي الذي ذكرناه ويقول:

«من الظلم أن يُقال إن يزيد أشخص حسيناً إلى العراق، فإن حسيناً ذهب إلى العراق مختاراً مغترّاً بما جاءه من أهل العراق وبما يَعْتَدُّهُ لنجاحه من قرابة رسول الله»[3].

5 ـ مقولة محبّ الدين الخطيب

يقول المصريّ «محبّ الدين الخطيب» بعد أن يذكر نصيحة عدد من الأشخاص الذين حاولوا ثنيَ الإمام الحسين عليه السلام عن السفر إلى العراق، ويبين ما بذلوه من جهد في هذا السبيل:

---

(1) مقدمة تاريخ ابن خلدون، ص216.

(2) مجلّة رسالة الإسلام، القاهرة، السنة 11، العدد 1، ص85.

(3) حاشية الكامل لابن الأثير، ج3، ص318، طبع مصر سنة 1356هـ.



«فلم يفد شيء من هذه الجهود في تحويل الحسين عن هذا السفر الذي كان مشؤوماً عليه وعلى الإسلام وعلى الأمة الإسلامية إلى هذا اليوم وإلى قيام الساعة، وكلُّ هذا بجناية شيعته الذين حرَّضوه بجهل وغرور، رغبةً في الفتنة والفرقة والشرّ»[1].

كانت تلك نماذج لبعض ما ذكره بعض الكتّاب من أهل السنة من انتقاد لنهوض الإمام الحسين عليه السلام وثورته، وفيما يلي نذكر تحليلنا وانتقادنا لما قالوه:

هناك نقطتا ضعف في ما ذكره أولئك الكتّاب الخمسة حول ثورة الإمام الحسين عليه السلام هما:

1 ـ لم ينتبهوا إلى عدوان حكومة «يزيد» على الإمام وأن عمّال حكومة البطش والاستبداد هم الذين بدؤوا الهجوم عليه و راموا قتله في جميع مراحل نهوضه الأربع:

فلم يلاحظ هؤلاء الكتّاب من أهل السنة ذلك الهجوم المتواصل مِنْ قِبَلِ حكومة يزيد على الإمام، لذا لم يستطيعوا إدراك ماهية ثورته ووقعوا في ذلك الاشتباه، أو أنهم لم يريدوا أن يعترفوا بأن المسبِّب الأصلي لحادثة كربلاء الدموية المفجعة هو حكومة يزيد الظالمة المعتدية وليس الحسين بن علي عليه السلام.

2 ـ نقطة الضعف الأخرى في كلام أولئك الكتّاب هي أنهم لما حصروا نظرتهم فيما أعقب وقوع حادثة كربلاء حيث رأوا الهزيمة الظاهرية للحسين بن علي عليه السلام؛ تصوّروا أن علّة عدم تحقيق الإمام لانتصار عسكري هي أنه لم يكن يمتلك القوَّة العسكرية الكافية منذ أول يوم قرّر فيه التحرّك نحو الكوفة.

وليس الأمر كما ظنّه هؤلاء، بل لما قرَّر الإمام الحسين عليه السلام الذهاب إلى الكوفة كانت شروط النصر العسكري متوافرة له، فبمعزل عن شعبيته وأهليته وكفاءته الشخصية منقطعة النظير وما له من محبة في قلوب الناس، أوضحنا في الباب الأول من كتابنا هذا ما يجعل القارئ مقتنعاً بالقدرة العسكرية التي كان الإمام يمتلكها وأن لا يقبل أبداً قول من يقول إن الحسين بن علي عليه السلام لم يكن يمتلك قوَّة عسكرية إلى حدٍّ كافٍ، أو أنه لم يكن دقيقاً في مقارنة قوته بقوَّة الحكومة. ونحن نطلب من القارئ العزيز أن يعود إلى الباب الأول ويقرأ ثانيةً بتمعُّن ذلك القسم المتعلّق بتقدير القوَّة العسكرية للإمام كي

(1) حاشية كتاب «العواصم من القواصم»، ص231.



يدرك أن هؤلاء الكتّاب من أهل السنة الذين توهّموا أن الإمام الحسين عليه السلام لمّا قرّر الذهاب إلى الكوفة لم تكن لديه أيّة قوّة عسكرية كافية مخطئون ومشتبهون، ويدرك الخطأ التاريخي الذي وقع فيه ابن خلدون حين قال إن «**الإمام الحسين عليه السلام غلط في ظنّه امتلاكه للشوكة**».

التعليق على كلام الخطيب

ما مقصود الخطيب من قوله «**إن حركة الحسين بن علي عليه السلام كانت مشؤومة عليه وعلى الإسلام وعلى الأمّة الإسلامية إلى هذا اليوم وإلى قيام الساعة**»؟؟

هل يريد أن يقول إن حركة الحسين بن علي عليه السلام الإصلاحية التي قام بها لإنقاذ الإسلام والمسلمين كانت شؤماً وخسارة أم يريد أن يقول إن حادثة كربلاء وقتل الإمام وأصحابه كانت شؤماً وخسارة؟

إنْ أراد أن يقول إنَّ أصل حركة الإمام الحسين عليه السلام الإصلاحية ونهوضه كان مضرّاً وخسارةً فينبغي أن نقول له إذن على كلامك كانت حركة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى معركة أحد وحركة أمير المؤمنين عليه السلام إلى معركة صفّين ضرراً وشؤماً على الإسلام والمسلمين، إذ قُتل في أُحُد أكثر من سبعين صحابيّاً أحدهم سيد الشهداء حمزة بن عبد المطّلب وقُتل في معركة صفّين أكثر من سبعين ألف مسلم أحدهم عمّار بن ياسر.

فهل يمكن لأحد أن يقول إنَّ نهوض ابن رسول الله عليه السلام وثورته لأجل إحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وإماتة البدعة[1] ضررٌ وشؤمٌ على الإسلام؟!

هل يمكن لأحد أن يقول إن حركة الحسين بن علي عليه السلام من مكة إلى الكوفة التي كانت بهدف الامتناع عن قبول خلافة يزيد المعادية للإسلام وإقامة حكومة إسلامية مئة بالمئة وإنقاذ الإسلام والمسلمين كانت ضرراً وشؤماً على الإسلام؟!

إذا كان الأمر كما يدّعيه «**محبّ الدين الخطيب**» فينبغي أن نقول إن جميع الحركات الإصلاحية التي قام بها أنبياء الله وسائر المصلحين شؤمٌ وضررٌ وخسارةٌ!!

(1) تاريخ الطبري، ج 4، ص266.



لا يمكن لأي مسلم أن يقبل مثل هذا المنطق بل لا يمكن حتى لأي إنسان خيّر مصلح أن يقبله.

أما إنْ أراد «**الخطيب**» أن يقول إن «واقعة كربلاء» و«مَقْتَل» الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه كانا شؤماً وخسارةً للإسلام فهنا ينبغي أن نقول لم يكن الإمام الحسين عليه السلام هو الذي أوجد فاجعة كربلاء، بل لقد بذل الإمام في المرحلة الثالثة من ثورته جهوداً كبيرةً للحيلولة دون وقوع الحرب وإراقة الدماء، ولكن كان جلاوزة حكومة يزيد الساعون إلى الحرب هم الذين أوجدوا ـ خلافاً لرغبة الإمام ـ تلك الفاجعة الدموية، التي كانت ضربة وجّهتها حكومة «يزيد» إلى الإسلام، وليس الحسين بن علي عليه السلام.

ويبدو أن «**الخطيب**» يتخيّل أن حادثة كربلاء ومقتل الإمام الحسين عليه السلام فيها، كانت في ذاتها جزءاً من نهوض وثورة الإمام وجزءاً من برنامج عمله، لذا اعتبر حركة الإمام شؤماً وخسارة للإسلام.

إنْ أراد الخطيب أن يضع مسؤولية فاجعة كربلاء الدموية وقتل الإمام وأصحابه على عاتق الحسين بن علي عليه السلام، فيجب أن يقول إن رسول الله صلى الله عليه وآله هو المسؤول عن مقتل سبعين من أصحابه يوم أحد!!!.

إن خطأ الخطيب هو أنه يخلط بين ما صنعه الحسين بن علي عليه السلام وما صنعه رجال ومأمورو حكومة «يزيد» وتسبَّبوا به. خطؤه أنه لا ينتبه إلى أن ما صنعه الإمام كان نهوضاً وتحرّكاً يهدف إلى الامتناع عن قبول خلافة «يزيد» التي أُريد فرضها قسراً وبالإكراه، كما يهدف إلى إقامة حكومة إسلامية عادلة لأجل إنقاذ الإسلام والمسلمين، في حين أن ما صنعه عمّال ومأمورو حكومة «يزيد» كان حادثة كربلاء الدموية وقَتْل الإمام وأصحابه الذي اعتبره الإمام «زين العابدين السجّاد» رزيَّةً كبيرةً أصيب بها الإسلامُ ولا يزال أثرُها باقياً إلى اليوم.

خلاصة الباب الثاني

بَحَثْنَا في هذا الباب ماهيّة نهوض الإمام الحسين عليه السلام وثورته، وأوضحنا أن ما فعله الإمام هو:



في الدرجة الأولى، امتنع عن بيعة «يزيد» وقام بدراسة وتقويم شاملين للأوضاع السياسية ولقوته العسكرية.

في الدرجة الثانية، إضافة إلى الصمود والامتناع والمقاومة، سعى إلى إقامة حكومة إسلامية مئة بالمئة في ظروف كانت مؤاتية بشكل كامل.

وفي الدرجة الثالثة، بذل جهوداً للحيلولة دون وقوع الاقتتال المسلّح.

وفي الدرجة الرابعة، وبعد ابتداء القوات المعتدية بالهجوم عليه، أبدى مقاومةً شجاعةً ودفاعاً مشرّفاً انتهى بشهادته وشهادة أصحابه الأوفياء.

تلك كانت ماهية ثورة الإمام التي أوضحناها في هذا الباب.



الباب الثالث

مراحل الثورة




مكتبة
الفكر الجديد

قاعدة عامّة وعقليَّة

يجب أن نعلم أنه عندما يكون النضال حقّاً قانونياً مشروعاً وواجباً عقلياً، يجب أن يقوم به الإنسان حسبما تقتضيه الظروف والوقائع في كل مرحلة وطبقاً للمصلحة الحاضرة، وأن ينفِّذ هذا المشروع بالطريقة التي هي أقرب إلى المصلحة. فعلى الإنسان المناضل أو الشعب المكافح أن يدرس بدقّة المصالح والمفاسد والمنافع والمضارّ التي ستترتَّب على حركته، وعليه أن يسعى بالدرجة الأولى أن يناضل بطريقةٍ لا تؤدِّي إلى وقوع خسائر لا في المال ولا في النفس، فإن لم يمكنه ذلك، فعليه ـ في الدرجة الثانية ـ أن يتحمّل في نضاله الأضرار والخسائر المادية ويجتنب ما وسعه الخسائر في الأرواح، وفي الدرجة الثالثة إذا كان هدفه أعزّ عليه من النفس والروح فعليه أن لا يتوانى في التضحية بهما في سبيل الهدف. هذه قاعدة عامة وعقلية يجب مراعاتها في كل الأحوال.

وقد اتّبع رسول الله ﷺ في جهاده وكفاحه هذا المنهج على الدوام، ولذلك عندما أصبح وجودُه المقدَّس في مكَّة عرضةً للخطر خرج منها خُفْيَةً ولجأ إلى غارٍ في جبل يُدعى «غار ثور»، وبعد ثلاثة أيام هاجر إلى المدينة، إذْ لم يَعُد من المصلحة أن يبقى في مكة لما يستتبع ذلك من اقتتال وسفك للدماء.

وفي معركة أحد عندما كان يمتلك القوّة والجيش في بدء الأمر أخذ يحصّن جبهته الدفاعية ويستعدّ للمعركة ولكن عندما أُصيب وتفرّق أصحابه استبدل أسلوب الهجوم بأسلوب الدفاع واختفى في ملجأ ضمن الجبل، وحتى عندما أشرف أبو سفيان قائد قوى المشركين المعتدين وصاح: أفي القوم محمد؟ ـ أي هل محمد حيٌّ أم لا؟ ـ قال النبيُّ لأصحابه: **لا تجيبوه!**[1] ـ أي حتى لا يعلموا أنّي ما زلتُ حيَّاً ـ .

---

(1) انظر صحيح البخاري، كتاب المغازي/ باب غزوة أحد، والسيرة النبوية لابن كثير، تحقيق مصطفى عبد الواحد، بيروت، دار المعرفة، ج3، ص 49. (المُتَرْجِمُ)



بهذا حفظ رسول الله ﷺ حياتَه كي تُؤْتِي دعوةُ الإسلام -بوجوده ـ أُكُلَها، وتبلغ ثورته الروحانيَّة والإنسانية غايتها.

وكما أشرنا سابقاً يمكن من خلال التمعّن التام في الوثائق والمستندات التاريخية أن نلاحظ أن الحسين بن علي عليه السلام، مرّ، خلال خمسة أشهر واثني عشر يوماً استغرقتها حركته من بدايتها وحتى استشهاده، في أربع مراحل أوضحناها بالتفصيل فيما سبق[1]. وفي كل واحدةٍ من تلك المراحل الأربع اتّخذ قراراً جديداً واتّبع في نضاله وثورته أسلوباً مختلفاً.

المرحلة الأولى

استغرقت مرحلة القيام الأولى أربعة أشهر وعشرة أيام (من 28 رجب إلى 8 ذي الحجة)، لأن الإمام ـ حسب الرواية التاريخية المشهورة ـ خرج من المدينة ليومين بقيا من شهر رجب سنة 60 للهجرة، ووصل إلى مكة بعد خمسة أيام من السفر ثم خرج منها في الثامن من ذي الحجّة متّجهاً نحو الكوفة.

في هذه المرحلة الأولى من نهوضه، اتّخذ الإمام الحسين عليه السلام، خلال توقّفه مدة أربعة أشهر وخمسة أيام في مكة المكرمة، موقفاً دفاعياً وكان بالطبع يُحاذر أن تكتشف الحكومة مكانه فتعتدي عليه. وكان قصد الإمام أن يرفض خلافة «يزيد» المفروضة قَسْراً وأن يبيّن للناس علّة رفضه، وأن يقوم خلال ذلك بدراسة الأوضاع السياسية للعراق وتقويم قوّته العسكرية حتّى إذا ما وجد الظروف ملائمةً نهض لإعادة الخلافة إلى أهلها وإنقاذ الإسلام والمسلمين من براثن حكومة بني أمية الجائرة.

عندما غادر الإمام الحسين عليه السلام المدينة مهاجراً إلى مكة كانت أجهزة الحكم، بلا شك، تتعقّب الإمام وتراقب تحرّكاته وترسل تقارير عن ذلك إلى «يزيد»، وقد استمرّ هذا الوضع أربعة أشهر وعشرة أيام.

حَدَثُ الساعة

أثارت حركةُ الإمام المفاجئة من المدينة إلى مكة ولجوؤُه إلى حرم الله الرأيَ

(1) تمَّ توضيح هذه المراحل الأربع في بدايات الباب الثاني من هذا الكتاب.



العام وانتبه الناس إلى أن الحكومة الجديدة رفعت الحصانة عن دم الحسين بن علي عليه السلام، الأمر الذي أجبره على ترك وطنه برفقة أهل بيته والبحث عن ملجأ في مكة. وقد أحدث هذا ـ بسبب ما كان للإمام من شخصية اجتماعية عظيمة ـ تأثيراً وهيجاناً بين المسلمين بشكل عام وبين شيعته على الخصوص، فكان الذين يأتون إلى مكة من أطراف بلاد الإسلام الواسعة يَسْعَون بكلِّ شَوْق إلى لقاء ابن بنت النبي صلى الله عليه وآله وزيارته، وكان كلُّ فريق يسأله عمّا يهمّه من مسائل ويستمع بشغف إلى إجاباته.

كانت هذه الاجتماعات تتم بشكل منتظم بحضور الإمام وكلّما طالت مدّة توقّف الإمام في مكّة، اطّلع الناس أكثر على هذا الحَدَث الجديد أي امتناع الإمام عن مبايعة «يزيد». وبات الكلّ يعلم أنَّ العُدْوَانَ بَدَأَ مِنْ قِبَلِ الحكومة الجديدة وأن الحسين بن علي عليه السلام يعيش في حالة قَطْعٍ للعلاقات مع جهاز الحكم وفي حالة دفاع وامتناع.

انتقل خبر تلك الأحداث عبر القوافل التي كانت تأتي إلى مكة إلى سائر بقاع بلاد الإسلام وكان هذا الخبر ينتشر أكثر فأكثر يوماً بعد يوم، وأصبح خبرَ الساعة وحديثَ الألسن والقضية التي شدّت إليها أنظار الأوساط السياسية أكثر من أي قضية أخرى.

أمل الناس

انتشر خبر موت «معاوية» ووصل تدريجاً إلى أبعد نقاط بلاد الإسلام. وأحسّ الناس بالفرح والسرور لأنهم تخلصوا من ذلك الحاكم الجبّار السفّاك للدماء بعد عشرين عاماً من ملكه الاستبدادي الذي كان مفروضاً عليهم وجاثماً على صدورهم بثقله.

وكانت بعض طبقات الناس المنكوبة المضطهدة، خصوصاً من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، تأمُلُ أن يُحدِثَ موتُ «معاويةَ» تغييراً في الأوضاع السياسيّة يستطيع الناس فيه أن يلتقطوا أنفاس الراحة بعد عذاب طويل.

لقد استبشر بموت «معاوية» أولئك الذين كانوا يسمعون بآذانهم ويرون بأمّ أعينهم كيف كانت أبواق «معاوية» المأجورة تلعن عليّ بن أبي طالب عليه السلام على المنابر في حين تذكر معاوية بالثناء والإجلال، وأملوا أن تَسْقُطَ أخيراً حكومة القهر وخنق الحُرِّيَّات التي كانت تستهتر بعواطف الناس الدينيّة، وتضغط على أعصاب الناس بشدّة، لتقوم مكانها نسخةٌ ثانيةٌ من حكومة عليّ عليه السلام العادلة.



وكان خبر امتناع الإمام الحسين عليه السلام عن البيعة ليزيد في أوساط هذه الفئة من الناس من أكثر الأخبار إثارة وأهمّيّة، إذ كانوا يأملون أن تكون حركة ابن بنت النبي صلى الله عليه وآله هذه مصدراً لتحوّلات كبيرة مثمرة تفضي إلى خروج حكم بلاد الإسلام من تلك الحالة المبتذلة الرديئة لتحلّ محلّها حكومة العدل والحريّة الحقيقيَّة. هذا كان أمل الناس.

حركة الكوفة

كان ذلك الصنف من الناس الذين يتمنّون تغيّر الحكم منتشرين في جميع أنحاء بلاد الإسلام الواسعة، إلا أنهم كانوا أكثر انتشاراً في العراق، لاسيّما في الكوفة، لأنَّ أهل العراق كانوا بشكل عام من محبّي وأنصار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وكانت الكوفة عاصمةً لحكومة الإمام علي عليه السلام حوالى أربع سنوات، وكان يسكنها جماعةٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وشخصياتٌ سياسيةٌ بارزةٌ وأصحابُ عقول نابهة وفكر نيّر.

وكان هؤلاء المفكِّرون ذوو الرأي مستائين أكثر من الآخرين من حكومة آل أبي سفيان الأموية الاستبدادية وقد تعرّضوا أكثر من فئات الناس الأخرى إلى الاضطهاد مِنْ قِبَلِ عمّال حكومة «معاوية» وعُذّبوا وأوذوا في أموالهم وأعراضهم وكانت نفوسهم غاضبةً أكثر من سائر الناس مما يحدُثُ على المنابر من ذكْرٍ لعليٍّ بن أبي طالب عليه السلام بالسوء والقُبْح. لقد أوجدت المذابح والضغوطات وانتهاك القوانين والتنكّر للحقّ ونحوها من المظالم التي كانت ديدن حكومة «معاوية» السوداء، نقمة متراكمة في صدور تلك الفئة من الناس، بمثابة نارٍ تحت الرماد مستعدّة للاشتعال في أيَّة لحظة. والأمر الذي كان يزيد من ألم وقهر أولئك القوم ويجعل ذلك الجرح في صدرهم أشد ألماً هو خوف أولئك الرجال المفكرين من أن يأخذ ابن معاوية الداعر الفاسق عديم الأهلية زمام السلطة بيده ويواصل أفعال أبيه بحق تلك الفئات المظلومة المضطهدة من المسلمين أو يفعل بهم ما هو أسوأ.

أخذ هؤلاء المفكِّرون أصحاب التدبُّر والرأي ـ بعد أن علموا بخبر موت معاوية ـ يفكّرون أكثر في مستقبل الحكومة الإسلامية ويتحاورون فيما بينهم في هذا الشأن:

هل ينبغي أن يستمرّ ملك آل أبي سفيان المعادي للإسلام بعد موت «معاوية»؟



هل ينبغي لابن معاوية، رغم كل ما له من السوابق المشينة، أن يأخذ قوّة الحكم بيده ويواصل الملك العضوض المتجبّر من خلال سلبه لحريات الناس وللأمان القضائي ولحقوقهم الاجتماعية؟

هل ينبغي أن تواصل الأبواق المأجورة لعن أمير المؤمنين عليه السلام في حضور شيعته ولا يقدر أحد أن ينبس ببنت شفة؟

هل يجب أن يبقى بيت مال المسلمين الذي جُمِعَ من أموال الناس ملكاً خاصاً يتداوله عمال حكومة «يزيد» الذين ليسوا سوى إقطاعيّين مصاصين للدماء يصرفونه على شهواتهم وملذاتهم في حين تعيش بقية طبقات الشعب المحرومة في الفقر وتتجه نحو الموت البطيء رويداً رويداً؟!

كانت مثل هذه الأفكار والتساؤلات تدور في ذهن أصحاب الفكر النيّر من أهل الكوفة وأوجدت فيهم حركة فكرية نادرة.

رسالة سياسيّة

رغم أن عقد اجتماعات سياسيّة ضدّ حكومة الوقت كان عملاً شديد الخطورة قد يُحدث تشنّجاً ويخلق للمجتمعين مشاكل لا تحمد عقباها، إلا أن هذه الاجتماعات كانت تتم في منزل «سليمان بن صُرَد الخزاعي» الذي كان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله ومن رجال الكوفة البارزين، حيث يجتمع مجموعة من الشيوخ المشفقين على أحوال الأمّة والرجال ذوي الرأي، ويتباحثون في أهم قضايا الساعة لاسيما رفع الحصانة عن دم الإمام الحسين عليه السلام ولجوئه إلى بيت الله الحرام والواجب الذي يقع على عاتقهم في تلك المرحلة الحرجة والحساسة.

نتج من تلك المباحثات، التي كانت مصدراً للتحوّلات التالية في الكوفة، الاتفاق على كتابة رسالة إلى الإمام الحسين عليه السلام يوقعها جماعة من أشراف الكوفة يدعون فيها ابن بنت النبي صلى الله عليه وآله ـ في تلك اللحظات التي وقف فيها عالم الإسلام العظيم أمام مفترق طرق ـ للقدوم إلى العراق ليقوم بما قام به أبوه أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة من قبل من أخذ زمام الأمور بيديه وقيادة الناس.

الآن وقد أصبح الحسين بن علي عليه السلام بلا مأوى لاجئاً ومتحصّناً في حرم الله؛



رأى أولئك الرجال ذوو الرأي والفكر من أهل الكوفة أن واجبهم الحتميّ يُملي عليهم أن يهبّوا لنصرة الإمام وينهضوا تحت زعامته إلى إقامة حكومة إسلامية مستقلّة ليحفظوا ابن النبي صلى الله عليه وآله من الأخطار المحتملة على حياته ويتخلّصوا في ظل قيادته عليه السلام من اعتداءات جهاز الحكم وينعموا بمزايا حكومة العدالة الحسينية بعد طول عذاب وألم عانوه من حكومة «معاوية». وكان أفضل طريق لدعم ونصرة سبط النبي صلى الله عليه وآله أن يستقرّ الإمام في مركز العراق وأن يشكّل قوّةً من الرجال الأحرار والفئات المتعطّشة إلى العدالة الإسلامية وينهض بالاستعانة بهم إلى إقامة حكومة إسلامية قويّة تقف في مواجهة حكومة «يزيد» الكريهة المهتزّة وتقتلع في مستقبل قريب جذور حكومة الظلم الأموية لينعم المسلمون بالعدالة الإسلامية تحت راية الحكومة الحسينية.

بيّن هؤلاء الرجال النجباء المقسطون في رسالتهم التي كتبوها إلى الإمام ووقعها «سليمان بن صرد الخزاعي» و«حبيب بن مظاهر» وجماعة آخرون من كبار أعيان الكوفة، عللَ استيائهم الشديد من حكومة بني أمية وكراهيتهم لها على النحو التالي: »

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ إلى الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام مِنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ وَالْمُسَيَّبِ بْنِ نَجَبَةَ وَرِفَاعَةَ بْنِ شَدَّادٍ وَحَبِيبِ بْنِ مُظَاهِرٍ وَشِيعَتِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، سَلاَمٌ عَلَيْكَ فَإنَّا نَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إلاَّ هُوَ.

أَمَّا بَعْدُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَصَمَ عَدُوَّكَ الْجَبَّارَ الْعَنِيدَ الَّذِي انْتَزَى عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ فَابْتَزَّهَا أَمْرَهَا وَغَصَبَهَا فَيْئَهَا وَتَأَمَّرَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ رِضًى مِنْهَا، ثُمَّ قَتَلَ خِيَارَهَا وَاسْتَبْقَى شِرَارَهَا وَجَعَلَ مَالَ اللهِ دُولَةً بَيْنَ جَبَابِرَتِهَا وَأَغْنِيَائِهَا فَبُعْداً لَهُ كَما بَعِدَتْ ثَمُودُ إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْنَا إِمَامٌ فَأَقْبِلْ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَجْمَعَنَا بِكَ عَلَى الْحَقِّ. وَالنُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ فِي قَصْرِ الإِمَارَةِ لَسْنَا نُجَمِّعُ مَعَهُ فِي جُمُعَةٍ وَلاَ نَخْرُجُ مَعَهُ إِلَى عِيدٍ وَلَوْ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّكَ أَقْبَلْتَ إِلَيْنَا أَخْرَجْنَاهُ حَتَّى نُلْحِقَهُ بِالشَّامِ إِنْ شَاءَ اللهِ»[1].

يمكن تلخيص أسباب استياء رؤوس الكوفة من حكومة ابن معاوية وكراهيتهم الشديدة لها بالنقاط التالية:

---

(1) **تاريخ الطبري**، ج 4، ص 261، وابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج2، ص4، و الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 182، و **مقتل الخوارزمي**، ج1، ص 194.



1 ـ تسلّط معاوية بالقهر والغلبة على الأمّة وقبضه على زمام الحكم خلافاً لميل الناس.

2 ـ غصب أموال بيت المال وتداولها بين أنصاره الجبابرة الطغاة.

3 ـ قتل خيار الناس الآمرين بالقسط الذين يعارضون حكومته الظالمة.

4 ـ إبقاؤه لأشرار الناس وأراذلهم الذين يدعمون حكومته.

كان ذلك مضمون رسالة روّاد حركة الكوفة التي أرسلوها بكل إخلاص ونصح صادق إلى الإمام الحسين عليه السلام. ورغم أن تلك المطالب وذلك النداء إنما خرج من حناجر أولئك الرجال الكبار ورؤساء الكوفة وكُتِبَ بقلمهم لكنه كان في الواقع لسان حال معظم أهل العراق والحجاز واليمن ومصر وسائر بلاد الإسلام الواسعة لأن الجذور الأساسية لجميع المفاسد والمصائب التي تَبْتَلِي الحكوماتُ الفاسدة بها الناسَ هي هذه الأمور الأربعة ذاتها:

1 ـ الاستيلاء على السلطة والحكم دون اختيار من الناس وخلافاً للرأي العام.

2 ـ إنفاق بيت مال الدولة على شهوات رجال الحكم.

3 ـ قتل المصلحين المقسطين الذين يشفقون على حال الناس ويعكسون رغباتهم.

4 ـ تقوية عناصر الفساد الذين يدعمون الحكم.

كتب «حبيب بن مظاهر» و«سليمان بن صرد» وأصحابهما في الفكر والهمّ ـ بعد أن تشاوروا طويلاً في أوضاع الأمة ـ تلك الرسالة إلى الإمام الحسين عليه السلام التي قالوا فيها: إن الشعب لم يعد راغباً ولا قادراً ـ لتلك الأسباب الأربعة ـ على تحمّل حكومة الاستبداد والظلم لبني أمية وآل أبي سفيان، وأنهم يرغبون الآن في النهوض لنصرة الإمام الحسين عليه السلام الذي أجبره عدوان جهاز الحكم عليه أن يتحصَّن في حرم الله، وأن يبدؤوا تعبئةَ القوى الشعبيّة لنصرة ابن بنت النبي صلى الله عليه وآله كي يستقرّ في مركز العراق الذي كان مركز ثقل شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، لكي يستطيع الناس في ظل قيادته أن يتخلّصوا نهائياً من حكومة الجَبر والسيف، وينعموا بحرية وعدالة الحكومة الحسينية. كانت تلك روحية رؤساء الكوفة وطريقة تفكيرهم بشأن الحدث الجديد.



ردّ فعل الإمام

بعد عشرٍ خلون من شهر رمضان[1] وشهرٍ وسبعةِ أيام مضين على توقف الإمام الحسين عليه السلام في مكة، تسلم أوّل رسالة دعوة من شيعته في الكوفة وتوالت بعدها الرسائل إلى مكة ولم تمض مدّة حتى وصلت إلى الإمام رسائل عديدة من أهل الكوفة.

كان متوَقَّعاً بالطبع أن يقوم أهل العراق بدعوة الإمام إلى الثورة والنهوض في الظرف الحالي، لأنهم سبق أن دَعَوه بعد وفاة أخيه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام إلى القيام ضدّ معاوية فأبى الإمام ذلك، لذا كان من الطبيعيّ أن يكرِّروا دعوتهم له إلى الثورة ضدّ الحكم الأموي الفاسد بعد أن مات معاوية.

لم يكن الإمام قبل تسلمه رسائل الدعوة قد اتخذ قراراً بشأن السفر إلى الكوفة، أما الآن فبعد أن وصلت إليه طلبات أهل العراق المؤكدة ورجاءاتهم المكرّرة أن يَأتي إليهم ليقيم فيهم الحكم الإسلامي المنشود أصبح من واجبه القيام بدراسة الأوضاع السياسية وتقويمها وتقدير القوَّة الشعبية للكوفة. لذا بادر الإمام سرَّاً إلى إرسال مُوْفَدٍ عنه (ابن عمّه مسلم بن عقيل) ليدرس له أوضاع الكوفة عن كثب وأوصاه قائلاً: «**يا ابن عمّ! قد رأيتُ أن تسيرَ إلى الكوفة، فَتَنْظُرَ ما اجتمع عليه رأيُ أهلها، فإن كانوا على ما أتتني به كُتُبُهُم، فعجِّل عليَّ بكتابك لأُسرِعِ القدوم عليك، وإن تكن الأخرى، فعجِّل الانصرافَ**»[2].

مهمَّة «مسلم بن عقيل»

خرج «مسلم» من مكة في النصف من شهر رمضان حتى قدم الكوفة لخمسٍ خَلَوْن من شوَّال[3].

لم يكتب الإمام الحسين عليه السلام جواباً لكل واحدة من الرسائل التي وصلته بل كتب رسالةً عامّةً لجميع شيعته كي تكون جواباً واحداً لجميع رسائلهم من جهة، وكي

(1) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 182، وأبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص 210.
(2) أبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص 210.
(3) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2، ص 86.



لا يُذكَر فيها اسم شخص معيّن فيتعرَّض للأذى إذا وقعت الرسالة بأيدي عمّال الحكومة أو أن يفتخر ذلك الشخص الذي كُتِبَت الرسالة باسمه على الآخرين ويتعالى عليهم. قال الإمام في رسالته مجيباً الذين دعوه إلى العراق: **«وإنّي باعثٌ إليكم أخي وابنَ عمّي وَثِقَتِي مِنْ أَهْل بَيْتِي؛ فَإِنْ كَتَبَ إليّ أنه قد اجتمعَ رأيُ ملئكم و ذوي الحجا والفضل منكم على مِثْلِ ما قَدِمَت به رُسُلُكم وقرأتُ في كُتُبِكم أَقْدِمُ عليكم وشيكاً إن شاء الله»**[1].

قام الحسين بن علي عليه السلام بهذا العمل الاحترازي الحكيم حذراً من أن يكون أهل الكوفة إنما كتبوا له ما كتبوه انطلاقاً من طغيان العاطفة وغلبة الحماسة عليهم أو أن يكون بعض الأفراد المتسرِّعين الذين لا يفكّرون في عواقب الأمور قد أقدموا على تلك الدعوة واستحصلوا موافقة الآخرين بالضغط والإصرار، فإذا تبيّن أن الأمر كذلك فإن قبول دعوتهم لن يكون عملاً حكيماً، أما إذا كان عامّة عقلائهم والأكثرية الساحقة من الناس راغبين فعلاً في زعامة الإمام عندئذ فإن توافر هذه القوّة الجديدة اللازمة لإقامة الحكومة الإسلامية العادلة يخلق تكليفاً جديداً للإمام، إذ كما أن عدم توافر القدرة يسقط التكليف، فإن توافرها يوجب التكليف.

من هذا المنطلق، دَعَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام: **«مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ»** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَسَرَّحَهُ مَعَ «قَيْسِ بْنِ مُسْهِرٍ الصَّيْدَاوِيِّ» وَ«عُمَارَةَ بْنِ عَبْدِ السَّلُولِيِّ» وَ«عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الأَرْحَبِيِّ» **وَأَمَرَهُ بِتَقْوَى اللهِ وَكِتْمَانِ أَمْرِهِ، وَاللُّطْفِ. فَإِنْ رَأَى النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ مُسْتَوْسِقِينَ عَجَّلَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ**[2].

نظَّم الإمام الحسين عليه السلام برنامج عمل «مسلم بن عقيل» على أساس أمور ثلاثة:

1 ـ **التقوى**. لا يجوز لممثّل الإمام أن يبتعد مقدار شعرة عن حدود التقوى والفضيلة، لأنه مُمَثِّلٌ لإمامٍ هو مظهر التقوى والفضيلة.

2 ـ **الكتمان**. على «مسلم» أن يؤدّي مهمّته في سِرِيَّةٍ كاملةٍ كي لا يقع بينه وبين قوات الحكومة أيّ اصطدام يحول دون إنجازه لمهمّته.

---

(1) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 183. (أو ج 2، ص 39).

(2) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 183. (أو ج2، ص 39).



3 ـ **اللطف والرفق.** على مُـمَثّل الإمام أن يتعامل مع الناس بكلّ لطف ورفق غير متفاخر و لا متعال عليهم على أنه ممثل الحسين بن علي.

بناء على ذلك كلّه، كانت مهمة «مسلم بن عقيل» مهمّةً استكشافيةً سريةً، الهدفُ منها تقويم الأوضاع السياسيّة وتقدير القوّات القتاليّة المتوافرة للإمام، وتهيئة الأرضيّة ـ في حال توفر إمكانيّة ذلك ـ لإقامة الحكومة.

كيف أنجز «مسلم بن عقيل» مهمَّته؟

رغم كلّ المتاعب التي واجهته في الطريق الطويل بين مكة والكوفة الذي تبلغ مسافته حوالى ألفي كيلومتر، قطع «مسلمُ بن عقيل»، هذا الرجلُ الشجاعُ التقيُّ المعتمدُ لدى الإمام، المسافةَ في عشرين يوماً ودخل الكوفة سِرًّاً.

كانت أمامَ ممثّل الإمام مهمّةٌ صعبةٌ، فَعَلَيْهِ أن ينجز الأعمال التالية بحَذَقٍ ودقَّةٍ:

1 ـ اختيار منزل موثوق ينزل فيه ليتابع منه مهمّته بشكل سِرّيٍّ.

2 ـ إنشاء شبكة علاقات مع أفراد مؤمنين موثوقين يتّصل من خلالهم بعامّة الناس ويحصل منهم على معلومات دقيقة عن أوضاع الكوفة الداخلية.

3 ـ أن يبدأ ـ بذكائه الخاص ـ دراسته لأوضاع الناس وأحوالهم وأفكارهم.

4 ـ أن يحفظ بسرعة أسماء الأشخاص ويتعرّف على الأفراد المختلفين ويطّلع على حقيقة معنوياتهم.

5 ـ التعرُّف بدقّة إلى ميزان قوَّة حاكم الكوفة وإلى شخصيته الاجتماعية وأسلوب عمله وتشدّده أو لينه.

6 ـ إعداد صندوق ماليٍّ بالتشاور مع رؤساء الكوفة وشراء الأسلحة والتجهيزات الأخرى التي يقدِّمها الناس تَطَوُّعاً كي تكون ذخيرةً احتياطيةً تُستَخدَم عند اللزوم.

والجدير ذكره أن «مسلم بن عقيل» لم يستفِدْ من ذلك الصندوق ديناراً واحداً لمصاريفه الشخصية، كما أنه لم يكن يفرض مصاريف حياته على أيِّ أحد آخر بل كان يرفض المال الذي أراد بعضهم أن يقدّمه إليه شخصيّاً[1]. لذا استدان

(1) مقتل الخوارزمي، ج1، ص197.



خلال مدّة الشهرين والثلاثة أيام التي قضاها في الكوفة سبعمئة[1] أو ألف درهم[2].

رغم كل المشاكل التي كانت تَحُفُّ بعمله، أنجز «مسلم بن عقيل» مهمَّته على أحسن وَجْهٍ مراعياً التقوى والرفق، ولم يصطدم بقوّات الحكومة طوال الفترة التي سبقت قدوم «عُبَيْد الله بن زياد» إلى الكوفة.

بعد أن أقام حوالى أربعين يوماً في الكوفة تأكّد «مسلم بن عقيل» أن أهلها مستعدّون لاستقبال الإمام الحسين عليه السلام ونصرته من جميع الجهات، فكتب نتيجة استطلاعاته في رسالةٍ أرسلها سِرّاً إلى الإمام قال فيها: **«إن الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألف رجل، فأقْدِمْ، فإن جميع الناس معك، ولا رأيَ لهم في آل أبي سفيان»**[3].

تمَّ كلُّ هذا التقدّم الذي أحرزه «مسلم بن عقيل» في الفترة التي كان فيها «النعمان ابن بشير» حاكماً على الكوفة، لأنه كان رجلاً ضعيفاً أو يتظاهر بالضعف ولا يستطيع التشدُّد بشكل زائد مع موفَد الإمام الحسين عليه السلام أو لا يرغب في ذلك. ولهذا السبب أقاله «يزيد» من إمارة الكوفة وعيَّن بدلاً منه «عُبَيْد الله بن زياد» الذي كان يبلغ من العمر حينذاك 28 عاماً[4] أو 32 عاماً[5].

توقُّفٌ آخر

خرج «مسلم» من مكّة في النصف من شهر رمضان حتى قدم الكوفة لخمسٍ خَلَوْنَ مِنْ شوّال[6]، وأمضى في الكوفة شهراً وأسبوعاً لأجل دراسة الأوضاع فيها، وأرسل قبل 27 يوماً من استشهاده، أي في 12 من ذي القعدة، نتيجة تحقيقه إلى الإمام.

(1) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص196.
(2) الأخبار الطوال، ص219.
(3) الأخبار الطوال، ص 219. (أو ج 1، ص 243)
(4) أبو الشهداء، ص92.
(5) يقول الطبري في تاريخه (ج4، ص220): «سار عُبَيْد الله إلى خراسان في آخر سنة 53 وهو ابن 25 سنة». بناء على ذلك كان عمر «عُبَيْد الله بن زياد» سنة 60 للهجرة عندما عُيِّن والياً على الكوفة 32 عاماً.
(6) المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص 86.



ربما يمكن القول: إن الرسائل العادية تَستغرقُ 12 يوماً، عادةً، لتصل من مكة إلى الكوفة، لأنه عندما انطلق «مسلم بن عقيل» من المدينة إلى الكوفة وأضاع الدليلان اللذان كانا معه الطريقَ وماتا عطشاً، كتب «مسلم» رسالةً إلى الإمام وانتظر 8 أيّام على الأقل حتى جاءه الجواب، وهي المدة التي استغرقها البريد للذهاب والعودة مسافة ثمانين فرسخاً. فإذا عرفنا أن «مسلم» دخل الكوفة بعد 20 يوماً من خروجه من مكة علمنا أنه قطع الطريق بين مكة والكوفة في حوالى 12 يوماً (لأنه توقّف أثناء السفر 8 أيام). بناءً عليه يمكن أن نفهم أن الرسالة التي أرسلها «مسلم»، من الكوفة، إلى الإمام في 12 ذي القعدة وصلت إليه في 24 من ذي القعدة. لكن الإمام الحسين عليه السلام ـ رغم ذلك ـ لم يتحرّك فوراً نحو الكوفة بل بقي في مكّة مدّة 14 يوماً أخرى، لأن خروجه من مكة نحو الكوفة كان في الثامن من ذي الحجة[1] أي بعد 14 يوماً من وصول رسالة «مسلم» إليه.

إنْ كان هذا الحسابُ صحيحاً أي إنَّ الإمام بَقِيَ مُتَوَقِّفَاً في مكّة مدَّة 14 يوماً بعد تسلمه رسالة «مسلم»[2]، فإن السؤال الطبيعي الذي يطرح نفسه: لماذا لم يسارع الإمام إلى التحرُّك فور تسلمه الرسالة مع أنها تضمَّنت تقريراً مُطَمْئِنَاً من «مسلم» يدعوه فيه إلى التعجيل في القدوم إلى الكوفة؟!

الإجابة

يمكن القول إنه كانت هناك علتان لعدم حركة الإمام الحسين عليه السلام نحو الكوفة فور تسلمه رسالة «مسلم»:

1 ـ كان الإمام يستطيع أن يلتقي في موسم الحج أقواماً مختلفة قَدِمُوا للحجِّ مِنْ أطراف بلاد الإسلام الواسعة وَيُجْرِيَ معهم المشاورات اللازمة التي تُعينُهُ على تحقيق هدفه، وكان يستطيع أن يُطْلِعَ من خلال هذه الاتصالات أهلَ اليَمَنِ وأفريقيا وأذربيجان وخراسان وسائر أقطار العالم الإسلامي على ما هو عازمٌ عليه، ويطلب منهم التعاون معه على إقامة الحكومة. ولا شك أنه بفضل

(1) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص198.

(2) لما كان هذا الحساب مبنياً على الحَدْس والتخمين ذكرتُهُ بصيغة الشَّرْط.



الشعبية والمحبة منقطعة النظير التي كانت لابن رسول الله ﷺ في قلوب المسلمين فإن هذا الطلب من شأنه أن يشدَّ أذهان الناس وأفكارهم أكثر نحو الإمام، وكان الناس سيستقبلون دعوتَه هذه ويؤيّدونها بكلِّ سرور، عند ذاك كان الإمام الحسين عليه السلام سيتحرّك نحو الكوفة بوضع أكثرَ اطمئناناً وثِقَةً ومَوْقفٍ أكثرَ إحكاماً وقوّةً.

2 ـ ربما أيضاً كان الإمام يريد ألا يغادر مكّة قبل أداء مناسك الحج كي لا يقدّم حجّة لأعدائه بتأليف دعاية سيّئة ضدّه يقولون فيها: إن الحسين بن علي أعرض عن حجّ بيت الله الذي هو من أهم شعائر الإسلام وخرج يسعى نحو الحُكْم![1].

نحن نعلم أن الإمام الحسين عليه السلام كان يعلم أكثر من أي شخصٍ آخر طبيعة «يزيد» ومرتزقته وكان يقظاً وحذراً ألا يقدّم إلى أذناب الحُكومة وأبواقها وسيلة لأيّة حملة دعائيّة ضدّه، لذا نجده يقدِّم الدليل على كلِّ عَمَلٍ يقوم به، حتى أنه أخذ معه رسائل أهل الكوفة لتكون مستنداً يبرِّرُ سَفَرَهُ إلى العراق[2].

ونعلم أن حكومة «يزيد» كانت بالمرصاد لالتقاط أيّ حُجَّة يمكن استخدامها، بوسائل الدعاية الكبيرة التي تمتلكها، لشنّ حملةٍ دعائيّةٍ واسعةٍ ضدّ الحسين بن علي عليه السلام لتعتدي على شخصيّة ابن رسول الله ﷺ بقوّة الدعاية إضافةً إلى عدوانها عليه بالسيف!

ونرى كيف استغلّت حكومة يزيد الرسالة التي أجاب بها الإمام عن كل الرسائل التي وردته من الكوفة مادّةً دعائيةً مهمةً رفعت من خلالها الصوت عالياً ضدّه.

رسالة دعائيّة مضلِّلة للخليفة

جاءت العبارات التالية ضمن الرسالة الاعتراضيّة التي كتبها «يزيد بن معاوية» إلى «ابن عبّاس» حول مكاتبة الإمام أهلَ الكوفة والاتّصال الذي جرى بينهما:

---

(1) رغم أن الإمام لم يتمكّن من إتمام الحجّ مخافة أن يُقْبَضَ عليه بمكة أو يُقْتَل فيها أو لأي سبب آخر؛ إلا أنه طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وأحلَّ من إحرامه وجعلها عمرة ثم انطلق نحو الكوفة.

(2) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص206.



«وأمّا الحُسين فقد أحبَبْتُ الإعذَارَ إليكم أهلَ البيت ممّا كان مِنهُ وقد بَلَغَنِي أنَّ رجالاً من شِيعتِهِ مِنْ أهلِ العِراقِ يُكاتِبُونه ويكاتِبُهُم وَيُمَنُّونَهُ بالخلافة ويُمَنِّيهم الإمْرَةَ وَقَدْ تَعلَمُونَ ما بيني وبينكم من الواصلة وعظيم الحُرْمَةِ ونتائج الأرحام، وقد قَطَعَ ذلك الحسينُ وبَتَّهُ وأنْتَ زَعِيمُ أهلِ بيتكَ وسَيِّدُ أهلِ بلادكَ[1]، فالْقَه فَارْدُدْهُ عَنِ السَّعْيِ في الفُرْقَةِ ورُدَّ هَذِهِ الأُمَّةَ عَنِ الفِتْنَةِ.»[2].

هكذا نرى أن حكومة السيف والقهر والتضييق وخنق الحريَّات التي سَلَبَتْ عن ابن رسول الله ﷺ حصانة دمه في وطنه، وأجبرته على اللجوء إلى حرم الله تَعْتَبِرُ الآن أن تلك الرسالة التي كتبها الإمام إجابةً عن جميع الرسائل التي وردته من أهالي الكوفة، دليل على أنَّه مثيرٌ للفِتْنَةِ وزارعٌ للفُرْقَة.

لو أن الإمام الحسين عليه السلام استسلم ليزيد بلا قيد ولا شرط وأصبح واحداً من مرتزقته، لما قام أحدٌ ببثّ أيَّة دعاية ضدّه، لكنَّه لمّا امتنع عن قبول خلافة ابن معاوية غير الشرعية وفكّر في إنقاذ الإسلام والمسلمين، صار مُذْكِياً لنار الفتنة ومثيراً للفُرقة!!! حقّاً لم يرَ أحدٌ مثل هذه الوقاحة والسفاهة، ولا غرو فليس في قاموس آل أمية وأبي سفيان شيءٌ اسمه حياء وخجل.

المرحلة الثانية للثورة

حركة الإمام المفاجئة

هاجت مدينة الكوفة في انتظار قدوم الإمام الحسين عليه السلام، وكان شوق الناس للقائه يزداد مع مضي كل يوم، وكلّما استفسروا من «مسلم بن عقيل» عن موعد قدومه أجابهم إني كتبتُ للإمام أستعجله القدوم إلى الكوفة وأنتظر وصوله أو ردّاً منه.

تقع الكوفة على بعد حوالى ألفي كيلومتر شمال شرق مكَّة، ولم يكن من الممكن ـ بسبب هذه المسافة البعيدة وانعدام وسائل الاتصال السريعة ـ أن تصل أخبار الكوفة بسرعة إلى الإمام كما لم يكن ممكناً لمسلم أن يحصل بسرعة على أخبار مكّة.

(1) يبدو أن «يزيد» يريد من وصف ابن عباس بأنه سيد أهل البيت أن يعرّض بالإمام الحسين عليه السلام.

(2) تهذيب تاريخ ابن عساكر، ج 4، ص330، و سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ، ص 238.



لو كان هناك بريدٌ سريعٌ ومنتظمٌ لكان من الممكن أن تصل أخبار الكوفة إلى مكة خلال 12 يوماً وأن تعود أخبار مكة إلى الكوفة في مدّة مماثلة، مما يعني أنه إذا كتب «مسلم» رسالة إلى الإمام كان عليه أن ينتظر 24 يوماً أو أكثر ليتسلم الإجابة عنها. وقد أوجَدَ بُعْدُ المسافة وفقدانُ وسائل الاتصال السريع مشكلاتٍ لثورة الإمام الحسين عليه السلام وكان السبب في عدم معرفة مكّة أيَّ خَبَر عن التحوّلات الجديدة التي طرأت في الكوفة بعد تعيين «عُبَيْد الله بن زياد» حاكماً عليها ومدى ازدياد صعوبة مهمّة «مسلم بن عقيل» إثْرَ ذلك التعيين. كما لم يكن لدى الكوفة أيُّ عِلْم بالقرار الجديد الذي اتخذه «يزيد» بشأن الإمام ومدى تأثير هذا القرار في الحوادث الآتيّة:

لم تعلم مكة إلى أي حدٍّ صَعَّبَتْ خطبةُ «عُبَيْد الله بن زياد» المليئة بالوعيد والتهديد في مسجد الكوفة الجامع[1] الأمرَ على «مسلم بن عقيل» وإلى أي حدٍّ أزعجت الناس.

كما لم تعلم الكوفة بالتعليمات المروّعة والمزلزلة التي تلقّاها «عمرو بن سعيد بن العاص» والي الحجاز وأمير الحج مِنْ قِبَلِ «يزيد»، وأُمر بتنفيذها أيام الحج.

كما لم تطّلع مكّة على أن «ابن زياد» استطاع بواسطة جاسوسه الخاص أن يكتشف مخبأ «مسلم»[2]، الأمر الذي أوقع موفد الحسين وممثّله في خطر جديد ماحق.

ولم تعلم الكوفة أن ابن معاوية أصدر أوامره الجديدة بالتخلّص من الإمام وتصفيته في مكة.

ولم تعلم مكة أنه في الوقت ذاته الذي قرّر الحسين بن علي عليه السلام الانطلاق نحو مكة كان «هانئ بن عروة» ـ مضيف «مسلم» ـ يُضرب على وجهه بيد حاكم الكوفة السفّاك ويُرمى في الحبس بعد أن هُشّم وجهه وسالت الدماء منه[3]، وكيف أن «مسلم» تغيّرت مهمته في إثْرَ ذلك الاعتداء.

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص24.
(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4، ص27.
(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4، ص29.



ولم تعلم الكوفة أن الحسين بن علي عليه السلام قد اطّلع على أن جماعة من الإرهابيين المرتزقة وخُدَّام «يزيد» تلقوا تعليمات تقضي بأن يقوموا أيام الحج بقيادة والي الحجاز بالقبض على ابن رسول الله صلى الله عليه وآله أو اغتياله[1] ممَّا اضطرَّ الإمام إلى الخروج بسرعة من مكة في اليوم ذاته الذي بدأ الناس أعمال الحج.

لم يكن لمكة خبر بأنه في اليوم ذاته الذي انطلق الحسين بن علي عليه السلام نحو الكوفة قام ممثّله «مسلم بن عقيل»، بهدف الدفاع عن «هانئ بن عروة» وللحيلولة دون أن تباغته قوَّات الحكومة، بمحاصرة قصر «ابن زياد» وأنه في اليوم التالي تمّ إعدام كل من «مسلم» و«هانئ»[2].

وخلاصة القول إنه في الأيام الأولى من شهر ذي الحجة وقعت في الكوفة حوادث جسام، لم يكن لمكة أي علم بها كما لم يكن للكوفة أي اطّلاع على ما يجري في مكة[3]. ولا شك أنه لو كانت مكّة والكوفة مطلعتين على الحوادث التي تجري في كل منهما لتغيّر مسير نهوض الإمام وثورته.

كانت الحادثة الجديدة التي وقعت في مكة ولفتت أنظار الناس وأذهانهم نحوها تحرُّك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله الفجائيّ من مكة المعظّمة[4].

وكما أمر الإمام الحسين عليه السلام في المدينة أخاه «محمّد بن الحنفية» أن يراقب له الحوادث السياسية ليخبره بها، كذلك كان الإمام في مكة مراقباً بشكل كامل لأوضاع عمال الحكومة وأحوالهم وأحسّ بعد مضيٍّ عدَّة أيام من شهر ذي الحجّة بإمكانية وقوع خطر جديد عليه مِنْ قِبَلِ حكومة «يزيد»، وقد اشتدّ هذا الخطر جداً في يوم 8 ذي الحجّة، لأن والي الحجاز «عمرو بن سعيد بن العاص» دخل ذلك اليوم ذاته إلى مكة برفقة قوَّاته المسلّحة وعندئذٍ أصبح خطر اغتيال الإمام أو اعتقاله أو اصطدامه بقوَّات الحكومة خطراً جدِّيَّاً بشكل كامل ومحسوساً تماماً.

---

(1) **تاريخ اليعقوبي**، ج 2، ص235.

(2) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج 4، ص35.

(3) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص109. و**اللهوف**، ص52. يُستفاد عدم اطّلاع مكة على أخبار الكوفة وعدم معرفة الكوفة لأخبار مكة من الجملة التالية الواردة في كتاب «**اللهوف**»: «وكان قد توجّه الحسين عليه السلام من مكة... قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ بِقَتْلِ «مُسْلِم»».

(4) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص199.



لم يَعُدْ في استطاعة حكومة «يزيد» عديمة التجربة وعديمة التدبير أن تتحمّل وجود الحسين بن علي عليه السلام في مكّة أكثر من ذلك وقرّرت بعد حوالى أربعة أشهر أن تقضي على الإمام وتتخلّص منه نهائياً، لذا كان من اللازم أن يُسارع الإمام إلى ترك مكّة باتّجاه الكوفة قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ بِقَتْلِ مُسْلِم

نحو الكوفة

خرجت قافلة الإمام الحسين عليه السلام من مكة بعد أن توقّف الإمام فيها أربعة أشهر وخمسة أيام وتوجّهت شمالاً شرقاً نحو الكوفة. ولما كان بعض الناس من أهالي البصرة والحجاز قد التحقوا بالإمام أيام توقّفه في مكة فإن قافلة سبط النبي صلى الله عليه وآله اتسعت الآن وأخذت تسرع بالسير ـ بأمرٍ منه ـ نحو العراق.

أصبح كلُّ تفكير الإمام الحسين عليه السلام الآن منصبّاً على الوصول بأسرع وقت ممكن إلى الكوفة لأنه لو بقي في مكة فإن الخطر عليه سيكون قطعياً لذا لا بدّ عليه أن يبتعد عن منطقة الخطر بسرعة ويصل إلى الكوفة كي يقيم، بدعم قوّات المتطوّعين المتشكِّلة من أهلها، حكومة التحرُّر والعدالة الإسلامية.

لماذا اختار الإمام الكوفة؟

هناك سؤال يَرِدُ إلى ذهن كلِّ مؤرِّخ: لماذا اختار الإمام الحسين عليه السلام الكوفةَ مركزاً لإقامة حكومته وقاعدةً للمقاومة مع أن أشخاصاً ذوي فكر ودراية مثل ابن عباس كانوا يعتقدون أن اليمن التي تقع جنوب مكة مكانٌ مناسبٌ أكثر لهدف الإمام؟

عندما علم «ابن عباس» بقرار الإمام الذهاب إلى الكوفة قال له: **«يا بن عمّ! لا تقرب أهل الكوفة، فإنّهم قوم غدرة، وأقم بهذه البلدة، فإنك سيّد أهلها، فإن أبيت فَسِرْ إلى أرض اليمن، فإن بها حصوناً وشعاباً، وهي أرضٌ طويلةٌ عريضةٌ، ولأبيك فيها شيعةٌ، فتكون عن الناس في عزلة، وتبثُّ دعاتَك في الآفاق، فإني أرجو إن فعلت ذلك أتاك الذي تحبُّ في عافيةٍ.»**[1].

(1) أبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص221.



هنا ينبغي أن نقول لقد كانت الكوفة بوصفها قاعدةً للنضال أفضل من اليمن ومن أيِّ مكان آخر للأسباب التالية:

1 ـ لقد دعت الكوفة الحسين بن علي عليه السلام رسمياً للقدوم إليها وأعلنت استعدادها لحمايته ولا شكّ أن المدينةَ التي كان لها السبق في الدعوة إلى النضال أكثرُ استعداداً من المدينة التي يريد الإمام أن يذهب إليها بمبادرة منه ودون دعوةٍ مِنْ أهلها.

2 ـ وصل من الكوفة تقريرٌ صحيحٌ أرسله «مسلم بن عقيل» جعل صورة الأوضاع هناك واضحةً بالنسبة إلى الإمام حيث كانت المدينة جاهزةً بشكل كامل لخوض الصراع إلى جانبه، في حين أنه لم يكن في اليمن أي أخبار مُطَمْئِنَة، ولو سافر الإمام إلى اليمن لربّما قبض عليه مأمورو الحكومة فور وصوله إلى هناك.

3 ـ ألقت طلبات أهل الكوفة المتكرِّرة من الإمام مسؤوليةً وتكليفاً على عاتقه إذْ أوجبت عليه ألاّ يترك 18 ألف التماس، وفي رواية أخرى 40 ألف التماس، من أشخاص محبّين مخلصين بلا جواب، وأن يخيِّب آمالهم ويحطِّم مشاعرهم بذلك، وعندما سلبت دولة يزيد عن الإمام حصانة الدم، وتعاطف الناس مع الإمام أكثر بسبب هذا الأمر، استفاد الإمام من عواطف الناس الدينية لأجل هدفه السامي من جهة ومن الجهة الأخرى دعاه ذلك إلى أداء واجبه وتكليفه الشرعيّ الذي ألقاه على عاتقه الرأي العام ووجود قوّات متطوِّعة في لزوم حماية الدِّين والدفاع عنه. وكانت النواة المركزية لقوَّات الإمام موجودة في الكوفة وليس في اليمن.

لهذه الأدلة الثلاثة كانت الكوفة أكثر مناسبةً من أيّ مدينة أخرى لاستقرار الإمام فيها لأجل متابعة هدفه وإقامته الحكومة الإسلامية ونهوضه لحماية الإسلام.

الخَبَرُ المُفْجِعُ

كانت قافلة الإمام الْحُسَيْنِ عليه السلام تتحرّك بسرعة نحو الكوفة وتقطع الطرق الطويلة والفيافي بسرعة رغم وجود النساء والأطفال في القافلة. وكان أكثر ما يشغل فكر الإمام هو أن يتمكّن من الحصول على أخبار صحيحة عن أوضاع الكوفة. وقد أشرنا سابقاً



إلى أن الإمام عليه السلام لَمَّا بَلَغَ الْحَاجِرَ مِنْ بَطْنِ الرُّمَّةِ[1] بَعَثَ «قَيْسَ بْنَ مُسْهِرِ الصَّيْدَاوِيَّ»، وَيُقَالُ بَلْ بَعَثَ أَخَاهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ «عَبْدَ اللهِ بْنَ يَقْطُرَ»، إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ وَلَمْ يَكُنْ عليه السلام عَلِمَ بِخَبَرِ استشهاد هَانِئِ بْنِ عُرْوَة ومُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمَا، وَكَتَبَ مَعَهُ إِلَيْهِمْ:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى إِخْوَانِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمُ اللهَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ كِتَابَ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ جَاءَنِي يُخْبِرُ فِيهِ بِحُسْنِ رَأْيِكُمْ وَاجْتِمَاعِ مَلَئِكُمْ عَلَى نَصْرِنَا وَالطَّلَبِ بِحَقِّنَا، فَسَأَلْتُ اللهَ أَنْ يُحْسِنَ لَنَا الصَّنِيعَ وَأَنْ يُثِيبَكُمْ عَلَى ذَلِكَ أَعْظَمَ الْأَجْرِ. وَقَدْ شَخَصْتُ إِلَيْكُمْ مِنْ مَكَّةَ يَوْمَ الثَّلاَثَاءِ لِثَمَانٍ مَضَيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ فَإِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَسُولِي فَانْكَمِشُوا[2] فِي أَمْرِكُمْ وَجِدُّوا فَإِنِّي قَادِمٌ عَلَيْكُمْ فِي أَيَّامِي هَذِهِ وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ.»[3].

بعد إرسال تلك الرسالة اشتدّت رغبة الإمام في الاطّلاع على أخبار الكوفة إذْ كان يريد أن يطّلع على أحوال «مسلم» وفي الوقت ذاته كان متشوّقاً إلى معرفة ما فعل حامل رسالته الأخيرة، لذا كان يسعى للحصول على أدنى خبر من المسافرين وعابري الطريق.

رَوَى عَبْدُ اللهِ بْنُ سُلَيْمَانَ وَالْمُنْذِرُ بْنُ الْمُشْمَعِلِّ الْأَسَدِيَّانِ قَالا: «لَمَّا قَضَيْنَا حَجَّنَا لَمْ تَكُنْ لَنَا هِمَّةٌ إِلاَّ اللَّحَاقَ بِالْحُسَيْنِ عليه السلام فِي الطَّرِيقِ لِنَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهِ فَأَقْبَلْنَا تُرْقِلُ بِنَا نِيَاقُنَا [4] مُسْرِعَيْنِ حَتَّى لَحِقْنَا بِزَرُودَ[5]، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهُ إِذَا نَحْنُ بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ قَدْ عَدَلَ عَنِ الطَّرِيقِ حِينَ رَأَى الْحُسَيْنَ عليه السلام، فَوَقَفَ الْحُسَيْنُ كَأَنَّهُ يُرِيدُهُ ثُمَّ تَرَكَهُ وَمَضَى وَمَضَيْنَا نَحْوَهُ. فَقَالَ أَحَدُنَا لِصَاحِبِهِ: اذْهَبْ بِنَا إِلَى هَذَا لِنَسْأَلَهُ فَإِنَّ عِنْدَهُ خَبَرَ الْكُوفَةِ. فَمَضَيْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَيْهِ فَقُلْنَا: السَّلاَمُ عَلَيْكَ! فَقَالَ: وَعَلَيْكُمُ السَّلاَمُ. قُلْنَا مِمَّنِ

---

(1) بطن الرُّمَّة: منزل يجمع طريق البصرة والكوفة إلى المدينة المنورة، مراصد الاطلاع، ج٢، ص٦٣٤.

(2) في بعض النسخ: «فأكمشوا». وكلاهما بمعنى أسرعوا. (المُتَرْجِمُ)

(3) تاريخ الطبري، ج4، ص297، والشيخ المفيد، الإرشاد، ص201.

(4) قوله «ترقُلُ» بنا نِيَاقُنَا: مِنْ أَرْقَلَ: أَسْرَعَ، وَقَدْ أَرْقَلَتِ النَّاقَةُ إِرْقالاً: أَسْرَعَتْ فِي سَيْرِهَا. (المُتَرْجِمُ)

(5) زرود: موضع على طريق حاج الكوفة بين الثعلبية والخزيمية. (معجم البلدان، ج3، ص 139).



الرَّجُلُ؟ قَالَ: أَسَدِيٌّ. قُلْنَا: وَنَحْنُ أَسَدِيَّانِ، فَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا بَكْرُ بْنُ فُلَانٍ وَانْتَسَبْنَا لَهُ، ثُمَّ قُلْنَا لَهُ: أَخْبِرْنَا عَنِ النَّاسِ وَرَاءَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ لَمْ أَخْرُجْ مِنَ الْكُوفَةِ حَتَّى قُتِلَ «مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ» وَ«هَانِئُ بْنُ عُرْوَةَ» وَرَأَيْتُهُمَا يُجَرَّانِ بِأَرْجُلِهِمَا فِي السُّوقِ.

فَأَقْبَلْنَا حَتَّى لَحِقْنَا الْحُسَيْنَ فَسَايَرْنَاهُ حَتَّى نَزَلَ «الثَّعْلَبِيَّةَ» مُمْسِياً فَجِئْنَاهُ حِينَ نَزَلَ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْنَا السَّلَامَ فَقُلْنَا لَهُ: رَحِمَكَ اللهُ إِنَّ عِنْدَنَا خَبَراً إِنْ شِئْتَ حَدَّثْنَاكَ عَلَانِيَةً وَإِنْ شِئْتَ سِرّاً، فَنَظَرَ إِلَيْنَا وَإِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ قَالَ: مَا دُونَ هَؤُلَاءِ سِتْرٌ. فَقُلْنَا لَهُ: أَرَأَيْتَ الرَّاكِبَ الَّذِي اسْتَقْبَلْتَهُ عَشِيَّ أَمْسِ؟ قَالَ: نَعَمْ وَقَدْ أَرَدْتُ مَسْأَلَتَهُ. فَقُلْنَا: قَدْ وَاللهِ اسْتَبْرَأْنَا لَكَ خَبَرَهُ وَكَفَيْنَاكَ مَسْأَلَتَهُ وَهُوَ امْرُؤٌ مِنَّا ذُو رَأْيٍ وَصِدْقٍ وَعَقْلٍ، وَإِنَّهُ حَدَّثَنَا أَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الْكُوفَةِ حَتَّى قُتِلَ مُسْلِمٌ وَهَانِئٌ وَرَآهُمَا يُجَرَّانِ فِي السُّوقِ بِأَرْجُلِهِمَا. فَقَالَ إِنَّا لِـلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِما يُكَرِّرُ ذَلِكَ مِراراً»[1].

لقد كان لذلك الخبر وَقْع الصاعقة على إخوة «مسلم» وأبنائه، إذ زلزل كيانهم وأحرق أفئدتهم، كما آلَمَ الإمام الحسين عليه السلام وزاد من قلقه، ولشدّة تأثّر الإمام العميق بهذا الخبر، الذي أشعل ناراً في صدره، أخذ يكرِّر بكلّ مرارة: « **إِنَّا لِـلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ**».

صُدم إخوة «مسلم» وأبناؤه وأهله صدمةً مريرةً من هذا الخبر. فكيف تُرَاهُم تحمَّلوا هذا المصاب الجلل وماذا قالوا للإمام وبماذا أجابهم؟ الله أعلم.

الأمر المسلّم به أن ذلك الخبر كان أسوأ الأخبار التي وصلت إلى الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته خلال كلّ سفره، وأكثرها إيلاماً. أضِفْ إلى ذلك أنّه أصبح أشدَّ قلقاً الآن بشأن مصير رسوله الجديد الذي أرسله قبل أيام إلى الكوفة في منتصف طريق سفره إليها ليخبر أهلها بقدومه الوشيك عليهم؟

مجلس تشاور في الصحراء

أحْدَثَ خبرُ استشهاد «مسلم» و«هانئ» انقلاباً عجيباً في فكر الإمام وأصحابه، وذلك لأنّ السير نحو الكوفة ابتدأ أصلاً اعتماداً على رسالة «مسلم»، فهل يمكن تأمّل

(1) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 202 ـ 203. (أو ج2، ص 73 ـ 75).



أيّ شيء من الكوفة الآن بعد مقتل «مسلم»؟ تُرى لو ذهب الإمام الآن إلى الكوفة ألن يصيبه ما أصاب «مسلم»؟ أم أن شخصيّة الإمام العظيمة ستجذب الناس إليها، وستهرع القوّات الجاهزة إلى نصرته وتحميه من خطر عدوان رجال الحُكْم عليه؟ هل انقلبت أوضاع الكوفة انقلاباً كاملاً وسيطر «عُبَيْد الله بن زياد» ـ المعيّن على الكوفة حديثاً ـ على الأوضاع وعلى القوى الشعبية فيها سيطرةً تامَّةً؟ فإن لم يكن من الصلاح الذهاب إلى الكوفة بهذه الأوضاع فهل العودة إلى المدينة أو إلى مكة مُتَاحة؟ وإذا عاد الإمام الحسين عليه السلام إلى مكة ألن يرسل حاكم الحجاز المستبدّ جنوده لملاحقته؟ وإنْ عادت قافلة الإمام إلى المدينة فهل ستكون في مأمن من عدوان جهاز الحكم عليها؟

لقد سلبت حكومة «يزيد» في المدينة ومكة عن ابن رسول الله ـ الحصانةَ مما اضطرَّه إلى الخروج من المدينة خُفْيَةً في ظلام الليل خائفاً قلقاً يترقَّب، كما اضطرَّ بعد ذلك إلى الخروج من مكة أيضاً على عجلٍ لينجو من الخطر الذي أحدق به، بل واصلت قوَّات حكومة «يزيد» ملاحقته وتعقُّبه حتى خارج مكة.

إنه لَوَضْعٌ مُحَيِّرٌ! مسألةٌ معضلةٌ! وضعٌ معقّدٌ! ما العمل!! ما الحل؟!

عقد الإمام الحسين عليه السلام - بحكم الضرورة ـ جلسة تشاور مع أصحابه ـ في تلك الصحراء المحرقة ـ لتَدَارُس موضوع الذهاب إلى الكوفة أو إلى المدينة أو مكة[1]. كان المطلوب في ذلك الاجتماع الصحراوي أن يُبدي أصحاب الشورى، وهم في أسوأ حال من تشتُّت الفكر وطغيان الغمّ والحزن والغصص المتراكمة التي كانت تأخذ بخِنَاق حناجرهم، رأيَهم بشأن هذه الأوضاع المستجدَّة، وأن يتّخذوا قرارهم القاطع بشأن أصعب المسائل السياسية والعسكرية وأعقدها.

لقد أصبحت قافلة الإمام الآن أمام مفترق طرق عسير: هل تواصل السير إلى الكوفة أم تعود أدراجها؟

قال إخوة «مسلم» الذين كان عددهم خمسة أنفار وكان رأيهم مهمّاً جداً في ذلك المجلس التشاوري: «**قد جاءك من الكتب ما نثق به**»[2]. أي إن قوَّات الكوفة الشعبية

(1) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 203، **ومقتل الخوارزمي**، ج1، ص 229.

(2) ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج2، ص 6.



قد كاتبتك طوعاً وأرسلت إليك كتباً عديدة تدعوك إلى تزعّمها وإقامة الحكم المنشود، ونحن مطمئنون إلى دعم ونصرة تلك الجماعات العديدة.

كان إخوة «مسلم» يعتقدون أنه يجب الذهاب إلى الكوفة لأن القوّات المتشكلة فيها والتابعة للإمام جاهزة للائتمار بأمره والقيام بنصرته.

نظر الإمام الحسين عليه السلام إلى بني عقيل وقال: ماذا ترون وقد قُتِلَ مسلم؟ فبادر بنو عقيل بالقول: «والله لا نرجع! أيُقْتَلُ صاحبنا وننصرف؟! لا والله لا نرجع حتى نصيب ثأرنا أو نذوق ما ذاق»[1].

ربما كان إخوة «مسلم» يعتقدون أنهم لو عادوا إلى المدينة أو مكة فإن خطر اعتقالهم وقتلهم كان حتمياً، ولكنهم إذا ذهبوا إلى الكوفة فلربّما كان هناك أملٌ في النجاح والنصر وفي هذه الحالة فإنَّ من الحكمة مواصلة السير نحو الكوفة.

قال بعض أصحاب الإمام له: **«إِنَّكَ وَاللهِ مَا أَنْتَ مِثْلَ «مُسْلِم بْنِ عَقِيلٍ»، وَلَوْ قَدِمْتَ الْكُوفَةَ وَنَظَرَ النَّاسُ إِلَيْكَ لَكَانَ النَّاسُ إِلَيْكَ أَسْرَعَ، وَمَا عَدَلُوا عَنْكَ وَلا عَدَلُوا بِكَ أَحَداً.»**. فصمت الإمام[2].

كان ما قاله هؤلاء الصَّحْب صحيحاً ومقبولاً، إذْ إنَّ قوّات الإمام المتطوِّعة لنصرته أصبحت ـ بعد مَقْتَل «مسلم» ـ حائرةً دون قائد لا تعرف ما عليها فعله؟! فإذا دخل الإمام الحسين عليه السلام الكوفة بحريّة تجمّعت تلك القوّات تحت قيادته بل التحقت بها قوّات أخرى، لما للإمام من شعبية ومحبة عميقة في صدور الناس، ولالتحقت بهم كذلك قوّاتٌ من البصرة إذْ كان الإمام الحسين عليه السلام قد دعاهم إلى نصرته من قبل[3]، وعندئذٍ يغدو انتصار الإمام مُتَوَقَّعاً بشكل كامل، لأن هزيمة قوّات الإمام لم تكن أمراً قطعياً لمجرّد قَتْل أحد قادته أي «مسلم بن عقيل»، إذْ إنَّ القائد الحقيقيَّ لجميع قوّات العراق الشعبية كان هو الحسين بن علي عليه السلام نفسه، ومن شأن دخول الإمام إلى الكوفة أن يصبح جيشه أقوى من السابق أو على الأقل أن يشكّل ـ كما في السابق ـ

(1) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 203، ومقتل **الخوارزمي**، ج1، ص 229.
(2) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 203، ومقتل **الخوارزمي**، ج1، ص 229.
(3) السيد ابن طاووس، **اللهوف**، ص32 إلى 37.



النواة المركزية للقوّات الحسينية الجاهزة للعمل، وفي تلك الحالة لن يكون في استطاعة «عُبَيْد الله بن زياد» المكروه مِنْ قِبَلِ الناس أن يقضي على جيش الحسين بن علي عليه السلام.

لقد وافق الإمام على رأي أولئك النفر من أصحابه ومن إخوة «مسلم»، لأن ذلك الرأي كان الأفضل في مثل تلك الظروف نظراً إلى فقدان حصانة ابن رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة ومكة حتى أنه لم يكن له أمان في السكن في الحجاز، فمستقبل العودة إلى المدينة أو مكة مظلم، في حين لا يزال هناك أمل أن يتمكّن ـ في حال سيره إلى الكوفة ـ من مقاومة العدوّ بفضل القوّات المتطوّعة الجاهزة لنصرته هناك.

اقتنع الإمام بهذا الرأي ووافق عليه وخرج ذلك الاجتماع التشاوريّ بقرارٍ قاطع يقضي بمواصلة السير نحو الكوفة!.

نقطةٌ هامَّةٌ

لعلَّ البعض يتساءل كيف يكون النّصر ممكناً حتّى بعد شهادة «مسلم»؟

لكن ينبغي أن نعلم أن الذين كانوا في ذلك الزمن كان باستطاعتهم أن يدركوا أفضل منّا أوضاع ذلك الزمان وأحواله ويقدِّرُوا أفضل منّا إمكانيّة النصر من عدمها.

فإنْ قال إخوة «مسلم» ـ الذين كانوا يعيشون في تلك المرحلة وكانوا في خضمّ مجريات الأحداث السياسية ـ صراحةً: أمامنا احتمالان إما الشهادة وإما النصر على العدوّ (الإرشاد، ص203)، فإن الذين يعيشون في زماننا لا يستطيعون أن يقولوا: لم تَعُدْ هناك أيَّةُ إمكانيةٍ لانتصار الإمام بعد شهادة «مسلم»، كما أنهم لا يستطيعون القول: نحن قادرون على إدراك أوضاع تلك المرحلة وأحوال ذلك الزمن أفضل من إخوة «مسلم»!

لقد قال أصحاب الإمام له: «**إنَّكَ وَاللهِ مَا أَنْتَ مِثْلَ «مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ»، وَلَوْ قَدِمْتَ الْكُوفَةَ وَنَظَرَ النَّاسُ إِلَيكَ لَكَانَ النَّاسُ إِلَيكَ أَسْرَعَ، وَمَا عَدَلُوا عَنْكَ وَلا عَدَلُوا بِكَ أَحَداً.**».

هل يُتَصَوَّر أن يقول أولئك الأصحاب، الذين كانوا على دراية تامّة بعمق



المجريات السياسية، مثل ذلك الكلام للإمام لو لم يكن هناك في مثل تلك الأوضاع المحيطة أيُّ مؤشِّرات أو أمل بانتصاره؟!

إن هذا الكلام الذي قاله أصحاب الإمام، الذين كانوا من أكثر الأفراد حكمةً وعقلانيّةً، هو بحدّ ذاته دليلٌ على أنه حتى بعد شهادة «مسلم» كان الأمل لا يزال موجوداً بانتصار ابن رسول الله صلى الله عليه وآله.

رسالةٌ وخبرٌ

انطلقت قافلة الإمام الحسين عليه السلام ـ بناءً على القرار الذي اتُّخِذَ في مجلس التشاور ذاك ـ منذ بداية الصباح من «الثعلبيّة» نحو الكوفة. كانت الوجوهُ مكفهرّة وأفرادُ القافلة قلقين بشأن مستقبل الأحداث ومشوشي الخاطر والذهن بما ستحمله إليهم الأيامُ القادمةُ. سارت القافلة إلى أن وصل الإمام إلى منزل يُدعى «زبالة»[1] حيث وافاه بها رسول محمّد بن الأشعث، وعمر بن سعد بالرسالة التي كان «مسلم» قد طلب منهما إيصالها إلى الإمام لإبلاغه باعتقاله، وخذلان أهل الكوفة إيّاه، بعد أن بايعوه، وقد كان «مسلم» سأل محمد بن الأشعث ذلك عندما اعتقلوه، ثم كرّر «مسلم» طلَبه هذا من «عمر بن سعد» في مجلس «عُبَيْد الله بن زياد»[2]. فتسلم الإمام الرسالة التي احتوت الخبرَ نفسَه الذي سمعه في منزل «الثعلبية» من الشخصين الأسديين. لمّا قرأ الحسين الكتابَ استيقن صحّة الخبر، وأفظعه قتل «مسلم بن عقيل»، و«هانئ بن عروة». ثم أخبره الرسول بقتل «قيس بن مسهر» رسوله الذي وجَّهه من بطن الرمّة أيضاً[3].

عندما قرأ الإمام الحسين عليه السلام تلك الرسالة وعلم من حاملها بمقتل رسوله كتب كتاباً و أمر بقراءته على مَن كان معه وكان فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أمَّا بَعْدُ، فإنَّهُ قَدْ أَتَانَا خَبَرٌ فَظِيعٌ: قَتْلُ «مُسْلِم بن عَقِيل» و«هانئ بن عُرْوَة» و«عَبْدِ الله بن يقطر» وَقَدْ خَذَلَنَا شِيعَتُنَا، فَمَنْ أحبَّ مِنْكُم الانْصِرَافَ فَلْيَنْصَرِفْ مِنْ غَيْر حَرَجٍ لَيسَ عَلَيْهِ ذِمَامٌ.»[4].

---

(1) زبالة: موضع بطريق مكة، وبها بركتان. (المُتَرْجِمُ)

(2) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 196. (أو ج2، ص61)، و**الأخبار الطوال**، ص223.

(3) انظر **الأخبار الطوال**، ص 223. (أو ج1، ص 247 ـ 248).

(4) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 203 (أو ج2، ص 75)، و **تاريخ الطبري**، ج 4، ص 300.



قال الإمام ذلك لأنه علم أن الأعراب الذين اتَّبعوه إنما اتَّبعوه وهم يظنُّون أنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعةُ أهْلِهِ، فَكَرِهَ أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون على ما يُقْدِمُون عليه.

بعد أن قُرِئ كتاب الإمام تفرّق الناس الذين كانوا قد التحقوا بقافلته على أمل ملء بطونهم، وذهبوا يميناً وشمالاً حتى بقيَ في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة ونفر يسير ممن انضووا إليه[1].

مواجهةٌ مؤلمةٌ

بعد سماعها الخبر المؤسف لمقتل رسول الإمام الأخير تحرّكت قافلة الإمام الحسين عليه السلام الحزينة المتألِّمة وقد أكْرَبَها سماعُها للمرَّة الثانية خبرَ مَقْتَلِ «مسلم بن عقيل» الذي زاد من قلقها بشأن ما ستحمله لها الأيام القادمة. الآن وقد أصبحت القافلةُ أقلَّ عدداً بعد أن تفرّق عنها أعراب البادية، أسرعت في السير من **«بطن العقبة»**، حتى أمر الإمام بالنزول في **«شراف»**، فلمّا كان في السحر أمر فتيانه فاستقوا من الماء فأكثروا ثم سار منها حتى انتصف النهار فبينا هو يسير إذْ كبَّر رجلٌ من أصحابه فقال له الحسين عليه السلام: **اللهُ أكبر لمَ كَبَّرْت؟** قال: رأيت النخل! فقال له جماعة من أصحابه: والله إن هذا المكان ما رأينا به نخلة قط! فقال الحسين عليه السلام: فما ترونه؟ قالوا نراه والله آذان الخيل. قال: أنا والله أرى ذلك. ثم قال عليه السلام: ما لنا ملجأ نلجأ إليه فنجعله في ظهورنا ونستقبل القوم بوجه واحد؟ فقلنا: بلى هذا **«ذو حسم»** إلى جنبك تميل إليه عن يسارك فإن سبقت إليه فهو كما تريد. فأخذ إليه ذات اليسار وملنا معه، فما كان بأسرع من أن طلعت علينا هوادي الخيل فتبيَّنّاها وعدلنا، فلما رأونا عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا كأنَّ أسنَّتَهم اليعاسيب وكأنَّ راياتهم أجنحة الطير، فاستبقنا إلى **«ذي حسم»** فسبقناهم إليه وأمر الحسين عليه السلام بأبنيته فضُرِبَتْ. وجاء القوم زهاء ألف فارس مع **«الحُرّ بن يزيد التميمي»** حتى وقف هو وخيله مقابل الحسين عليه السلام **في حَرِّ الظهيرة** والحسين وأصحابه معتمّون متقلّدو أسيافهم، فقال الحسين عليه السلام لفتيانه: **«أسقوا القوم وأرووهم من الماء و ارشفوا الخيل ترشيفاً»**. ففعلوا وأقبلوا يملؤون القصاع والطساس

(1) الأخبار الطوال، ص 223، و الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 203 (أو ج2، ص 75 ـ 76).



من الماء ثم يدنونها من الفرس فإذا عبَّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه و سقوا آخَرَ حتى سقوها كلَّها.

لقد جاء «الحُرّ بن يزيد» من القادسية وكان «عُبَيْد الله بن زياد» بعث «الحصين بن نمير» مكانه وَأَمَرَهُ أن ينزل القادسية، وَتَقَدَّمَ «الحُرُّ بنُ يزيد» وبين يديه ألف فارس يستقبل بهم حسيناً، فلم يزل الحرّ موافقاً للحسين عليه السلام حتى حضرت صلاة الظهر وأمر الحسين عليه السلام الحجاج بن مسرور أن يؤذِّن فلمّا حضرت الإقامة خرج الحسين عليه السلام في إزار و رداء ونعلين فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:

«أيُّها الناس! [أريد أمام الله وأمامكم أن أبين لكم سبب حركتي نحو الكوفة] إنّي لم آتكم حتى أتتني كتُبُكم وَقَدِمَتْ عليَّ رُسُلُكم أنْ أَقْدِمْ عَلَيْنَا فَإِنَّه لَيسَ لَنَا إمامٌ لعلَّ اللهَ أنْ يَجْمَعَنَا بِكَ عَلَى الهُدَى والحقّ، فَإنْ كُنْتُمْ عَلَى ذلك فَقَدْ جِئْتُكُم فَأَعْطُوني مَا أَطْمَئِنُّ إليهِ من عُهُودِكُم وَمَوَاثِيقِكُم[1] وإنْ لم تَفْعَلُوا وَكُنْتُم لمقْدَمِي كَارِهِينَ انْصَرَفْتُ عَنْكُمْ إلى المكانِ الذي جِئْتُ مِنْهُ إلَيكُمْ.».

فسكتَ «الحُرُ بن يزيد» وجندُه ولم يتكلّم أحدٌ منهم بكلمة. فقال الحسين عليه السلام للمؤذِّن: أقم، فأقام الصلاة، فقال للحرّ: أتريد أن تصلي بأصحابك؟ قال: لا بل تصلِّي أنت وَنُصَلِّي بصلاتك، فصلَّى بهم الحسين بن علي عليه السلام ثم دخل فاجتمع إليه أصحابه وانصرف الحرّ إلى مكانه الذي كان فيه فدخل خيمةً قد ضُربت له واجتمع إليه جماعةٌ من أصحابه وعاد الباقون إلى صفّهم الذي كانوا فيه، فأعادوه، ثم أخذ كلُّ رجل منهم بعنان دابّته وجلس في ظلِّها. فلمّا كان وقت العصر أمر الحسينُ بن علي عليه السلام أن يتهيأوا للرحيل ففعلوا ثم أمر مناديه فنادى بالعصر وأقام فاستقام الحسين عليه السلام فصلّى بالقوم ثم سلّم وانصرف إليهم بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أما بعد أيُّها الناس! فإنكم إن تتَّقوا اللهَ وتعرفوا الحقَّ لأهله يَكُنْ أرضى لِلَّهِ عنكم. ونحن أهلُ بَيتِ محمَّدٍ وَأَوْلَى بولاية هذا الأمر عليكم مِنْ هؤلاء المدَّعِين مَا لَيسَ لهم والسائرين فيكم بالجَوْر والعُدْوان، وَإنْ أَبَيْتُمْ إلا كَرَاهِيَةً لنا والجهلَ بحَقِّنا، وكانَ رأيُكم الآنَ غيرَ ما أَتَتْنِي بِهِ كُتُبُكم وَقَدِمَتْ بِهِ عَلَيَّ رُسُلُكُمْ انْصَرَفْتُ عَنْكُمْ.».

---

(1) من البديهي أن الإمام يريد من قوله: «فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم فأعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم ومواثيقكم»، أن يسحب نحوه «الحرّ» وعسكره كي يتعاونوا معه في نضالهم ضد حكومة «يزيد».



فقال له الحرّ: **«أنا والله ما أدري ما هذه الكتب والرسل التي تذكر!»** فقال الحسين عليه السلام: لبعض أصحابه: **«يا عقبة بن سمعان! أخرِج الخرجين اللذين فيهما كتبهم إليّ»**. فأخرج خرجين مملوءين صحفاً فنُثِرَت بين يديه. فقال له الحر: **«إنَّا لَسْنَا مِنْ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَتَبُوا إِلَيْكَ وَ قَدْ أُمِرْنَا إِذَا نَحْنُ لَقِينَاكَ أَلاَّ نُفَارِقَكَ حَتَّى نُقْدِمَكَ الْكُوفَةَ عَلَى عُبَيْدِ اللهِ!» فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ عليه السلام: «الْمَوْتُ أَدْنَى إِلَيْكَ مِنْ ذَلِك.»**[1].

أوَّه[2]! كم كانت مواجهةُ الحسين بن علي عليه السلام للحرّ بن يزيد مؤلمةً للإمام وصحبه ومزعجةً لهم!

أوَّه! كم كان تحمّل آل بيت النبي صلى الله عليه وآله لهذه الحادثة مرّاً وصعباً! لقد جاء هذا القائد الفارس المسلّح ليستقبل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله قائلاً: **«لَقَدْ أُمِرْنَا إِذَا نَحْنُ لَقِينَاكَ أَلاَّ نُفَارِقَكَ حَتَّى نُقْدِمَكَ الْكُوفَةَ عَلَى عُبَيْدِ اللهِ!»**. كم كان سماع هذا الكلام ثقيلاً ومكرباً للإمام!

نقطة تحوُّل

لقد أصبح «عُبَيْد الله بن زياد» أميراً على العراق، و وقع ذلك الإقليم الكبير تحت السلطة المطلقة لذلك الرجل المجرّد من الرّحمة وصاحب السوابق السوداء، فأصبح ذلك العنصر الفاسد مالكاً لزمام التصرّف بصلاحيات مطلقة بتلك المنطقة الواسعة من الشرق الأوسط التي تمتدُّ من سواحل الخليج الفارسي حتى الريّ وجرجان وهمدان.

كان حُكْمُهُ حُكْماً فردياً واستبدادياً مطلقاً، أي نسخةً طبق الأصل عن حكومة الشام المركزية، حُكْماً يرتكز على سلب جميع الحريات والحقوق ولا يحترم أيَّ قانون ولا يعترف بأيِّ مؤسّسة قضائيّة، بل القانون والجهاز القضائيّ في منطق تلك الحكومة، ليسا سوى إرادة: ابن «زياد بن أبيه»، وإرادة سيّده: ابن «معاوية بن أبي سفيان»، والدليل على هذا المنطق هو الأجساد المصلوبة والسيوف والحراب المسنونة والسجون المليئة بالأبرياء والأحرار.

---

(1) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 105 ـ 106 (أو ج2، ص 79 ـ 80). و **الأخبار الطوال**، ص 224.

(2) «أَوْهِ» و «أَوَّهْ»: كلمة يقولها الرجل عند الشكاية والتوجُّع وهي ساكنة الواو مكسورة الهاء، وبعضهم يفتح الواو مع التشديد فيقول أَوَّهْ، ومنه الحديث أنه ذكر الخلفاء فقال: أَوَّهْ لِفِراخِ محمَّدٍ مِنْ خَلِيفةٍ يُسْتَخلَف عِتْرِيفٍ مُتْرَف يَقْتُلُ خَلَفِي وخَلَفَ الخَلَف. (من لسان العرب: مادّة عترف ومادّة أوه) (المُتَرْجِمُ).



لقد استطاع ابنُ زياد بقتله للرسول الذي بعثه الإمام الحسين عليه السلام إلى البصرة[1]،

وقتله للرسول الذي بعثه الإمام إلى الكوفة[2]،

وقتله لـ «مسلم بن عقيل» ممثل الحسين بن علي عليه السلام[3]،

وقتله لـ «هانئ بن عروة» الرجل العجوز ذي التسعين عاماً ورئيس عشيرة «مراد»[4]،

وقتله لجماعة من أشراف الكوفة، لم تكن جريمتهم سوى أنهم اتُّهموا بمعارضة حكم «يزيد»[5]،

وسلبه أمن العيش والقرار في البيوت عن أهل الكوفة[6]، وسلبه الأمن القضائي وإغداقه المال بلا حساب، من بيت المال، على أُجَرَاء وأزلام «يزيد» من أشراف الكوفة[7]؛

استطاع «ابن زياد» بتلك الجرائم والبوائق وذلك البطش الدمويّ أن يقلب أوضاع الكوفة وأن يسيطر على القوى التحرريّة التي كانت مستعدّة لنصرة الإمام الحسين عليه السلام فيها، وبثَّ جوّاً من الرُّعْب الخانق كي يُثبت لسيّده «يزيد» حسن أدائه لمهمته عساه أن يحوِّل الانزعاج الذي كان في صدر الخليفة ـ الشرعي مئة بالمئة!!! ـ نحوه إلى رضا[8]، ونزلَ الرُّعْبُ في قلوب الناس حتى لم يَعُد أحدٌ منهم يجرؤ على التنفُّس.

وضع «ابن زياد» جميع الطرق المؤدّية إلى الكوفة تحت الرقابة الشديدة وأرسل رئيس شرطة الكوفة «الحصين بن نمير» (أو تميم) بقوّات كافية إلى «القادسية» التي تبعد

(1) تاريخ الطبري، ج4، ص266.
(2) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 203.
(3) المصدر نفسه.
(4) المصدر نفسه.
(5) الشيخ عباس بن محمد رضا القُمّي (ـ 1359هـ)، نَفَس المهموم في مقتل الحسين المظلوم، ص49.
(6) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 193.
(7) تاريخ الطبري، ج4، ص306.
(8) أبو الشهداء، ص93.



عن الكوفة 15 فرسخاً[1] وأمرهم أن يراقبوا الطرق بشدّة من هناك. هذا إضافة إلى إرساله «الحُرّ بن يزيد الرياحي» وجنده من القادسية الواقعة على حدود العراق كي يقبضوا على الإمام القادم من طريق الحجاز ويسوقوه إليه في الكوفة.

والآن أصبح «الحُرّ بن يزيد» ـ كشّاف قوّات «ابن زياد» وعينه ـ متمركزاً أمام الإمام الحسين عليه السلام وهو يحمل أوامر صارمة تقول: **«لقد أُمِرنا إذا نحن لقيناك ألاّ نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عُبَيد الله!»**.

هنا كانت نقطة التحوّل الفكرية للإمام وبداية تغيّر برنامج عمله وشروع المرحلة الثالثة من ثورته.

لو ذهب الإمام إلى الكوفة الآن، مُحَاطاً بقوّات العدو المسلّحة، فلن يكون له أيُّ أمل بالنصر، فَقَدْ غَدَا من الواضح تماماً أن القوَّة العسكرية والمالية أصبحت بيد حاكم العراق السفّاح، في حين قُتِلَ جماعةٌ من أشراف الكوفة والرجال ذوي النفوذ فيها وسُجن آخرون وأُصيبت فئاتٌ أخرى من الناس بالهلع فلم يعودوا يجرؤون على فعل شيء.

حتى في مثل هذه الأحوال، لو كان باستطاعة الإمام الحسين عليه السلام أن يدخل الكوفة بحريّة لكان من الممكن أن يبعث هذا مزيداً من الشهامة في قسمٍ من قوّاتها الشعبية فيهبُّوا لنصرته. أما مع قول «الحُرّ بن يزيد»: «أُمرتُ ألا أفارقك حتى آتي بك إلى عُبَيْد الله في الكوفة» فقد صار واضحاً أنه لو تمّ نزع سلاح الإمام وسيق إلى الكوفة تحت حراسة جنود ابن زياد وسُلِّم إلى حاكمها فلن يتحرّك أحدٌ لنصرته.

بناءً على ما تقدّم، أعاد الإمام الحسين عليه السلام هنا حساباته واتخذ برنامج عملٍ جديداً.

المرحلة الثالثة من الثورة

كان برنامج العمل الجديد الذي قرَّرَ الحسينُ بن علي عليه السلام العملَ عليه بمقتضى مصلحة الوقت هو أن يسعى بكل ما أمكنه في عدم الذهاب إلى الكوفة في مثل ذلك

(1) السيد علي الخطيب، **الحسين في طريقه إلى الشهادة**، ص49.



الوضع. وكان هذا في الواقع بداية المحطّة الثالثة من ثورته التي أخذت صورة دفاع خالص، إذْ لم تَعُدْ فكرة إقامة حكم إسلاميّ مطروحةً الآن.

لقد كان برنامج عمل المرحلة الثالثة معاكساً تماماً لبرنامج عمل المرحلة الثانية، لأن الإمام كان قد بذل كل ما لديه من قوّة في المرحلة الثانية ليصل إلى الكوفة بأسرع وقت ممكن. أما الآن ففي هذه المرحلة الثالثة قرّر الإمام أن يبذل كل جهده كي لا يذهب إلى الكوفة.

لقد اتّخذ الإمام هذا القرار بعد إيراده لخطبتين ألقاهما في قوّات العدو وبعد إجراء المفاوضات اللازمة مع قائد تلك القوّات. لقد اتُّخِذَ قرار اتّباع هذا البرنامج الجديد بعد صلاة العصر عندما يئس الإمام من إقناع «الحُرّ بن يزيد» وجنوده، وبذلك دخلت ثورة الإمام الحسين عليه السلام في مرحلتها الثالثة.

الأمر بالعودة

بعد المفاوضات غير المثمرة التي تمَّت بين الإمام وبين «الحُرّ بن يزيد» بعد صلاة العصر، قال «الحرّ» للإمام بكلّ وضوح وصراحة: يجب أن أقبض عليك وأسلّمك إلى الأمير. عندئذ أمر الإمام أصحابه فقال عليه السلام: «قوموا فاركبوا!» فركبوا وانتظر حتى ركبت نساؤهم فقال لأصحابه: «انصرفوا». فلما ذهبوا لينصرفوا حال القومُ بينهم وبين الانصراف. أي إن «الحُرَّ بن يزيد» لما أيقن أن الإمام يريد الانصراف والعودة أَمَرَ جنوده أن يمنعوا قافلة الحسين بن علي عليه السلام من التوجُّه نحو الحجاز وأن يجبروها على التوجُّه إلى الكوفة[1].

كان أهم شيء بالنسبة إلى الإمام الآن هو أن يتخلّص من شرّ الكوفة وشرّ العدو وبعد ذلك يمكنه أن يتّخذ القرار المناسب حول ما ينبغي فعله: أيعود إلى المدينة أم إلى مكة أم ينتقل إلى مكان آخر؟.

وفي الوقت ذاته فقد أراد الإمام بأمره قافلته بكل جدّيّة أن تعود أدراجها أن يُفهِمَ «الحُرَّ بنَ يزيد» أنّه يريد بكلّ جدّيّة أن يجتنب الحرب والقتال، وأنه ينبغي لـ«الحُرّ بن يزيد» أن يَدَعَ رَجُلَ السِّلم والمسالمة بحاله ولا يمنعه من العودة.

---

(1) تاريخ الطبري، ج4، ص304. الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 206. (أو ج2، ص 80).



لم تكن قافلة الإمام قد وصلت بَعْدُ إلى «القادسية» على حدود العراق، أي إنها لم تدخل بَعْدُ في إقليم حكم «ابن زياد» ومهمّته، ومعنى ذلك أنه لم يكن من الواجب على «ابن زياد» أن يتعقّب الإمام طالما كان خارج إقليمه، كما لم يكن باستطاعة «يزيد ابن معاوية» أن يؤاخذ «الحُرّ» ويلومه على عدم تعقّبه للحسين بن علي عليه السلام؟ بل إن «ابن زياد» نفسه قال لـ«مسلم بن عقيل» عندما أحضروه أمامه: «**أمّا حسينٌ فإنْ هو لم يُرِدْنا لم نُرِدْه**»[1].

ولا ندري لماذا لم يَدَع «الحُرُّ بنُ يزيد» الإمامَ حرّاً في العودة رغم أن الإمامَ رَغِبَ في ذلك؟ هل كانت لدى «الحرّ» أوامر بالقبض على الإمام حيثما ثَقِفَهُ حتى ولو كان خارج حدود العراق، وسوقه إلى الكوفة؟ هل كانت لديه أوامر أن لا يدعه يرجع من حيث أتى حتى لو رَغِبَ الإمامُ في ذلك؟ لا نعلم!. كلُّ ما نعلمه أنه لو انتبه «الحُرّ بن يزيد» في تلك المرحلة الدقيقة والحسّاسة إلى هذه النقطة وهي أنه لو عاد الإمام أدراجه ولم يتعرّض لحكومة «ابن زياد»، لما كان هناك محلٌّ لِأنْ يقوم «ابن زياد» بتعقّبه وملاحقته، أقول لو انتبه إلى ذلك لربّما ترك الإمام حرّاً في العودة إلى الحجاز. ولكن كيف لم ينتبه «الحُرّ» إلى ذلك؟ أَوَلَمْ يكنْ يعلم أن ابن زياد قال: «**أمّا حسينٌ فإنْ هو لَمْ يُرِدْنا لَمْ نُرِدْه**»؟. الله أعلم!.

لا شك أن كثيراً من المشاكل التي تعترض طريق الناس تنشأ من إهمال مأموري الحكم وعدم تدبيرهم حيث لا يُعْمِلون الدقّة الكافية بشأن كل حادثة ومشكلة جديدة ولا يدرسون عواقب الأمور ولا يواجهون الحوادث الطارئة ببرودة أعصاب ورباطة جأش ليجدوا الحل المناسب لها بل يلجؤون دائماً إلى استخدام قوّة العضلات بدلاً من قوّة الفكر والعقل، الأمر الذي يؤدي غالباً إلى خسائر كبيرةٍ وأضرار معنويةٍ وجسيمةٍ. وكثيراً ما تقع مثل هذه الأخطاء الكبيرة خلال حلّ المشكلات الدولية مما يُوقِعُ العالَمَ في الأخطار والمشاكل.

بدلاً من أن يستفيد «الحُرّ بن يزيد» هنا من قوّة عقله وفكره استفاد من قوّته العسكرية وكان ذلك خطأً قاتلاً ارتكبه ذلك القائد العسكريّ كما اعترف هو نفسه بذلك

(1) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 196 (أو ج2، ص 61 ـ 62).



يوم عاشوراء عندما قال للإمام: «**جُعِلْتُ فداك يا ابن رسول الله! أنا صاحبك الذي حَبَسْتُكَ عن الرُّجُوعِ . .** » وضحّى بروحه فداءً للإمام تكفيراً عن خطيئته.

أعطى «الحُرّ بن يزيد» أوامره لجُنْده أن يمنعوا قافلة الإمام من العودة إلى الحجاز. واصطفّ معسكر العدوّ بأمْرٍ من قائد قوّاته أمام قافلة ابن رسول الله ﷺ ومنعوا قافلته بشدّة من العودة.

ما أغربها من حادثة؟! ما آلمها من مشكلة؟! أي حدث مؤسف هذا؟!

يريد ابن رسول الله ﷺ أن يبتعد عن منطقة الخطر والاصطدام برفقة قافلة تحمل النساء والأطفال، حفاظاً منه على مصالح الإسلام واجتناباً للحرب، لكنهم لا يدعونه يفعل ذلك!

سبحان الله! ضاقت الأرض على ابن رسول الله ﷺ بما رَحُبَتْ! ما العمل؟ ليس الإمامُ الحسين عليه السلام بالرجل الذي يستسلم للعدوّ وليس «الحُرّ بن يزيد» بقائد يجيد تدبير حلٍّ لهذه المشكلة يتيح ترك الإمام حرّاً في العودة من حيث أتى.

هكذا بقيت قافلة سبط النبي ﷺ حائرةً تحت أشعة الشمس المحرقة، وأخذ نساء وأطفال أهل بيت الإمام يتململون من شدة الحرّ ويتألّمون من هذا المصير المجهول الذي حاق بهم، وهم يرون جنود العدو مدجّجين بالأسلحة مصطفين أمامهم يمنعونهم بشدّة من العودة.

انزعج الإمام من هذه الممانعة وهذا التشدّد ـ الذي كان عملاً سفيهاً ـ أشدّ الانزعاج وقال لقائد قوّات العدوّ بلهجة عنيفة وصوت مرتفع: **ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ مَا تُرِيدُ؟!**

قال «الحر بن يزيد»: أريد أن أنطلق بك إلى الأمير «عُبَيْد الله بن زياد»!

الإمام: إذاً والله لا أَتْبَعُكَ!

الحُرّ: إذاً والله لا أَدَعُكَ!

الإمام: إذاً والله لا أَتْبَعُكَ!

الحُرّ: إذاً والله لا أَدَعُكَ!

الإمام: إذاً والله لا أَتْبَعُكَ!



الحُرّ: إذاً والله لا أَدَعُكَ![1]

وضعٌ لا سابقةَ له ومزعجٌ جداً. احتار «الحُرّ بن يزيد» في أمره ولم يَعُدْ يدري ما الذي عليه فعله؟ فمن جهة لم يكن مأموراً بالحرب، وهو بطبيعته لم يكن ميّالاً للحرب، ومن الجهة الأخرى فإن الإمام الحسين عليه السلام لا يستسلم له ولا يمكنه أن يُسلّم نفسه إليه، ومن الجهة الثالثة لم يكن لدى «الحرّ» تلك الحنكة والذكاء وحسن التدبير التي تجعله يترك الإمام حرّاً في العودة إلى الحجاز ولربّما ساعد في حيرته خوفُهُ من أن يُسلَب منه مقامه ويُقطع عنه راتبه.

اقتراح «الحُرّ بن يزيد»

التدبير الوحيد الذي استطاع «الحُرّ بن يزيد» أن يقوم به هو اقتراحه على الإمام ما يلي: «**فَإِذَا أَبَيت فَخُذْ طَرِيقاً لاَ يُدْخِلُكَ الْكُوفَةَ وَلاَ يَرُدُّكَ إِلَى الْمَدِينَةِ، تَكُونُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ نَصَفاً، حَتَّى أَكْتُبَ إِلَى الأَمِير** [«ابن زياد»] **وَتَكْتُبَ إِلَى** «يَزِيدَ» إن أردتَ أن **تَكْتُبَ إِلَيْهِ، أَوْ إِلَى** «عُبَيْدِ اللهِ بن زياد»، **فَلَعَلَّ اللهَ إِلَى ذَلِكَ أَنْ يَأْتِيَ بِأَمْرٍ يَرْزُقُنِي فِيهِ الْعَافِيَةَ مِنْ أَنْ أَبْتَلِي بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِكَ**»[2].

رغم أن «الحُرّ بن يزيد» أبدى شيئاً من اللين والمرونة تجاه الإمام بهذا الاقتراح، ولكنه كان يبحث أكثر عن مصلحته الشخصية، إذ كان يريد العافية وأن لا يتحمّل أي مسؤولية عما سيقع، بل إنَّ مدّة ذلك الاقتراح كانت موقّتة إلى حين وصول رسالة الأمير، أما عندما تصل رسالةُ الأمير فإن الحرّ سينفّذ عندئذٍ أيَّ أمر يُؤْمَرُ به فيها، كما فعل ذلك فعلاً.

لقد كان قبول اقتراح «الحُرّ» صعباً وعسيراً على الإمام لأنه رغم إتاحته المجال له أن لا يذهب إلى الكوفة إلا أنه يسوقه إلى المنطقة الخاضعة لحكم «عُبَيْد الله بن زياد» ومعنى ذلك اقترابه من منطقة الشرّ والخطر. هل كان بإمكانه أن يرفض ذلك الاقتراح؟ إن عدم قبول الإمام اقتراح الحرّ كانت نتيجته الحتميَّة الاصطدام به والاقتتال معه، لأن

(1) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 206 (أو ج2، ص 80).

(2) تاريخ الطبري، ج 4، ص 304.



«الحُرّ» لن يدع الإمام يعود دون أن يستسلم له، فلم يبقَ إلا الاشتباك، وكانت الحربُ ناراً يسعى الإمام الحسين عليه السلام في الظروف الحاليّة إلى اجتنابها بكلّ وسيلة لأنها ليست في مصلحة الإسلام.

لقد أصبح الإمامُ أمام مفترق طرق: فإما أن يقبل اقتراح «الحُرّ» وإما أن يحارب. رغم أن قبول اقتراح «الحُرّ» كان صعباً ومُرّاً إلا أنه كان أهون من القتال وأقرب إلى هدف سِبْط النبيّ عليه السلام، فلقد كان هدف الإمام في الوقت الحاضر المقاومة والصمود أمام العدوان من جهة، واجتناب القتال المسلّح من الجهة الأخرى وكان برنامج عمل الإمام هو أن يسعى بكل جهده إلى عدم المسير إلى الكوفة، وكان لاقتراح «الحُرّ» في الظروف الحالية نتيجتان:

1 ـ عدم ذهاب الإمام إلى الكوفة. 2 ـ تجنّب الحرب والاقتتال.

انطلاقاً مما سبق رأى الإمام أن قبول اقتراح «الحُرّ» أفضل من رفضه، لذا قبله بحكم الاضطرار وكان اقتراح: **«فَخُذْ طَرِيقاً لاَ يُدْخِلُكَ الْكُوفَةَ وَلاَ يَرُدُّكَ إِلَى الْمَدِينَةِ»** بمثابة معاهدة صلح وهدنة بين الطرفين.

تغيير المسير

هنا تغيّر مسير حركة الإمام الحسين عليه السلام بحكم ذلك الاتفاق، ولا يوجد أدنى شك أنهم لو تركوا ابن رسول الله حرّاً لعاد أدراجه، أمّا الآن فحيث لم يتركوه حرّاً فإنه يواصل هدفه الذي هو المقاومة والصمود أمام العدوان مع تجنّب الحرب مراعاةً للظروف الحاضرة.

قال «الحُرّ بن يزيد» للإمام: **«فَخُذْ هَاهُنَا فَتَيَاسَرْ عَنْ طَرِيقِ العَذِيبِ والقادِسِيَّةِ»**[1]. قَبِلَ الإمامُ ذلك وانحرف نحو اليسار.

إحدى المسائل المؤلمة هي أنه لم يكن معلوماً إلى أين سيفضي هذا الطريق، أو بعبارة أصحّ: هذا الانحراف عن الطريق؟! قافلةٌ تحمل النساء والأطفال تسير تحت رقابة قوّات العدوّ المسلّحة نحو مستقبل مظلم ومصير مجهول.

---

(1) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 206 (أو ج2، ص 81).



أوَّه! كم كان مؤلماً للإمام الحسين عليه السلام أن يهدّئ من روع مرافقيه الذين أصابهم القلق وتشتَّتتْ أفكارهم، ويصبّرهم في ذلك الطريق الصحراوي الطويل الذي يتّجه إلى جهةٍ مجهولة.

كلُّ الظروف المحيطة كانت ـ من ناحية السير الطبيعي للأمور ـ مبهمة ومحيِّرة. إذا سأل الأصحابُ الإمامَ: إلى أين نذهب؟ ما نهاية هذا السفر؟ في أي أرض سنحطّ رحالنا؟ ما هو برنامج سفرنا وعملنا المستقبلي؟ هل سيصبح أمرنا أشدّ عسراً؟ إلى أين نتّجه في هذا الطريق المعوجّ المنحرف؟ لم يكن الإمامُ يملك جواباً عن تلك التساؤلات سوى أن يقول: **«ولا ندري علام تنصرف بنا وبهم الأمور في عاقبة؟»**[1].

النقطة المضيئة الوحيدة هنا هي أنه في الوقت الحاضر تمرّ قافلة الإمام في المرحلة الثالثة من نهوضه، أي إنها تتخذ حالة المقاومة والثبات على المبدأ في مواجهة قوّات العدو المعتدية.

لو قَبِلَ «الحُرّ بن يزيد» اقتراح الإمام الحكيم لعبرت قافلة الحجاز المرحلة الثالثة بوضع أكثر أملاً، أي كانت تعود إلى الحجاز، ولا تقترب أبداً من منطقة حكم «عُبَيْد الله بن زياد». ولكن لما حال «الحُرّ بن يزيد» دون عودة قافلة الإمام وأجبر الإمام على اختيار طريق آخر كان جانب المقاومة هو المعلوم فقط، لأن الإمام الحسين عليه السلام احتفظ لنفسه في مفاوضاته مع «الحُرّ» بحقّ عدم الذهاب إلى الكوفة، ولكن المستقبل الآتي كان مظلماً لأن تلك الهدنة بين الإمام و«الحُرّ» كانت موقّتة إلى حين وصول رسالة من الأمير فلا يمكن الاعتماد على مستقبل تلك الهدنة، فكانت قافلة الإمام تتحرّك إلى جهة غير معلومة محاطةً بمراقبة قوّات العدوّ المسلّحة التي كان من الممكن في أيّ لحظة، عندما تصل التعليمات الجديدة لحاكم العراق، أن تغيّر طريقة عملها وتؤول الأوضاع إلى مستقبل أشدّ ظلاماً وخطراً.

خطرٌ آخر من الكوفة

«كان «الحُرّ» يسير بأصحابه في ناحيةٍ وحُسَيْنٌ في ناحيةٍ أخرى حتى انتهوا إلى

(1) **تاريخ الطبري**، ج 4، ص 307.



«**عُذَيبِ الهِجانات**» وكان بها هجائن النعمان ترعى هنالك فإذا هُمْ بأربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم يجنبون فرساً لنافع بن هلال يُقال له الكامل ومعهم دليلهم «الطِّرِمّاح بن عديّ» على فرسه.

وأقبل إليهم «الحُرّ بن يزيد» فقال: إن هؤلاء النفر الذين من أهل الكوفة ليسوا ممن أقبل معك وأنا حابسهم أو رادّهم. فقال له الحسين: لأمنَعَنَّهُم مما أمنع منه نفسي، إنما هؤلاء أنصاري وأعواني وقد كنتَ أعطيتني ألا تعرض لي بشيء حتى يأتيك كتابٌ من ابن زياد. فقال: أجل! لكن لم يأتوا معك. قال: هم أصحابي وهم بمنزلة من جاء معي، فإن تمّمْتَ على ما كان بيني وبينك وإلا ناجزتك. قال: فَكَفَّ عنهم الحُرّ.

ثم قال لهم الحسين: أخبروني خبرَ الناس وراءَكم؟ فقال له «**مُجَمِّعُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْعَائِذِيُّ**»، وهو أحد النفر الأربعة الذين جاؤوه: **أما أشراف الناس فقد أُعْظِمَتْ رشوَتُهُم ومُلِئَتْ غرائرُهُم يُسْتَمَالُ وُدُّهُم ويُسْتَخْلَصُ به نصيحتُهُم، فهم إلْبٌ واحدٌ عليك، وأما سائر الناس بعد فإنّ أفئدتهم تهوى إليك وسيوفُهم غداً مشهورة عليك!**

قال الإمام: أخبرني فهل لكم برسولي إليكم؟ قالوا: من هو؟ قال: «قيس بن مسهر الصيداوي». فقالوا: نعم! **أخذه «الحصين بن نمير» فبعث به إلى «ابن زياد» فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أباك فصلى عليك وعلى أبيك ولعن ابن زياد وأباه ودعا إلى نصرتك وأخبرهم بقدومك فأمر به ابن زياد فأُلقي من طمار القصر.**».

فترقرقت عينا الحسين عليه السلام ولم يملك دمعه ثم قال: «**مِنهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً. اللهُمَّ اجْعَلْ لَنَا وَلَهُمُ الجَنَّةَ نُزُلاً وَاجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فِي مُسْتَقَرٍّ مِنْ رَحْمَتِكَ وَرَغَائِبَ مَذْخُورِ ثَوَابِكَ**»[1].

طلب العَـوْن من رجل عديم التوفيق

فسار الفريقان جميعاً حتى انتهوا إلى «**عُذَيب**[2] **الحمامات**»، فنزلوا جميعاً، وكل

(1) تاريخ الطبري، ج 4، ص 306.

(2) العذيب: تصغير العذب، ماء على يمين القادسية، بينه وبين القادسية أربعة أميال.



فريقٍ منهما على غلوة[1] من الآخر. ثم ارتحل الحسين عليه السلام من موضعه ذلك متيامناً عن طريق الكوفة حتى انتهى إلى قصر بني مقاتل، فنزلوا جميعاً هناك، فنظر الحسين إلى فسطاط مضروب، فسأل عنه، فأُخْبِرَ أنه لـ«عُبَيد الله بن الحرّ الجعفيّ»، وكان من أشراف أهل الكوفة وفرسانهم. فأرسل الحسين إليه بعض مواليه يأمره بالمصير إليه، فأتاه الرسول فقال: **«هذا الحسين بن علي يسألك أن تصير إليه»**.

فقال «**عُبَيد الله بن الحرّ الجعفيّ**»: «والله ما خرجت من الكوفة إلا لكثرة من رأيته خرج لمحاربته وخذلان شيعته، فعلمت أنه مقتول ولا أقدر على نصره، فلست أحب أن يراني ولا أراه». فانتعل الحسين حتى مشى، ودخل عليه قبته، ودعاه إلى نصرته. فقال عُبَيْد الله بن الحرّ: «**والله إني لأعلم أن من شايعك كان السعيد في الآخرة، ولكن ما عسى أن أغني عنك، ولم أخلف لك بالكوفة ناصراً، فأنشدك الله أنْ تحملني على هذه الخطة، فإن نفسي لم تسمح بعد بالموت، ولكن فرسي هذه الملحقة، والله ما طلبت عليها شيئاً قط إلا لحقته، ولا طلبني وأنا عليها أحدٌ قطّ إلا سبقته، فخذها، فهي لك**».

فقال له الإمام الحسين عليه السلام: **«أما إذا رغبت بنفسك عنا فلا حاجة لنا إلى فرسك»**[2]. وجاء في كتاب الإرشاد أن الإمام قال له: **«فإن لم تنصرنا فاتَّقِ اللهَ أن تكون ممن يقاتلنا فو الله لا يسمع واعيَتَنا أحدٌ ثم لا ينصرنا إلا هلك»**. فقال: **«أما هذا فلا يكون أبداً إن شاء الله.»**[3].

سؤالٌ

هنا سؤالٌ يطرح نفسه: ما الفائدة من طلب العون من رجل واحد في مثل تلك الأوضاع، وأيُّ معونةٍ تُرجى للإمام من فردٍ واحدٍ؟!

والجواب عن هذا السؤال هو أنه على الشخص المدافِع أن يبذل قصارى جهده ويستفيد من كل إمكانية لإعداد القوّة اللازمة للدفاع، وحتى لو كان احتمال النصر واحداً بالمئة حسب السير الطبيعيّ للأمور فلا بدّ عليه أن يسعى أيضاً في جمع ما استطاع من قوّة. هذا إضافةً إلى أنه لما كان «**عُبَيْدُ الله بن الحُرّ الجعفيُّ**» من وجهاء

---

(1) الغلوة: قدر رمية بسهم.

(2) الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص 225.

(3) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 207.



الكوفة وأشرافها فإن قبوله دعوة الإمام سيجعل كثيراً من أفراد قبيلته بل أفراداً آخرين أيضاً يطيعون أمره ويتبعونه في إعانة الإمام الحسين عليه السلام ونصرته.

وبسبب هذه الشخصية الاجتماعية لـ «عُبَيْد الله بن الحرّ» بالذات قام «ابن زياد» حاكم الكوفة بالبحث عنه بعد حادثة كربلاء حيث جاء أن: ««عُبَيْد الله بن زياد» تفقَّد أشراف أهل الكوفة بعد قتل الحسين عليه السلام فلم ير «عُبَيْد الله بن الحُرّ» ثم جاءه بعد أيام حتى دخل عليه فقال ابن زياد له: أين كنت يا ابن الحر؟ قال: كنتُ مريضاً. قال: مريض القلب أو مريض البدن؟ قال: أما قلبي فلم يمرض وأما بدني فقد منَّ الله عليَّ بالعافية. فقال له ابن زياد: كذبتَ ولكنّك كنت مع عدونا. قال: لو كنت مع عدوِّك لرئي مكاني وما كان مثل مكاني يخفى. قال وغفل عنه ابن زياد غفلةً فخرج ابن الحر فقعد على فرسه فقال ابن زياد: أين ابن الحر؟ قالوا خرج الساعة. قال: عليَّ به. فأحضرت الشرط، فقالوا له: أجب الأمير! فدفع فرسه ثم قال: أبلغوه أني لا آتيه والله طائعاً أبداً ثم خرج حتى أتى منزل أحمر بن زياد الطائي فاجتمع إليه في منزله أصحابه ثم خرج حتى أتى كربلاء فنظر إلى مصارع القوم فاستغفر لهم هو وأصحابه ثم مضى حتى نزل المدائن»[1].

بناءً على ذلك لم تكن مساعدة «عُبَيْد الله بن الحُرّ» للإمام مساعدة فردٍ عاديٍّ بل كان لها مغزى وقيمة أكثر من ذلك، وحتى على فرض أنها لم يكن لها من القيمة أكثر من مساعدة فرد واحد كان من اللازم على الإمام أن يدعوه إلى نصرته لأن المدافِع عليه أن يبذل كل جهد ليدعم مقاومته وصموده. ولهذا السبب بالذات قال له الإمام: «فإن لم تنصرنا فاتَّقِ اللهَ أنْ تكونَ ممَّن يقاتلنا..»[2]. لأن عدم مساعدة العدو هي في حدّ ذاتها مساعدةٌ للإمام وتقويةٌ له وإضعافٌ لقوّة عدوِّه.

اتّضح مما سبق أن طلب المساعدة من «عُبَيْد الله بن الحرّ» لم يكن عملاً حكيماً فحسب بل كان عملاً لازماً وضرورياً أيضاً في تلك الظروف.

تماماً كما كان طلب الإمام النصرة من أهل البصرة[3]، ومن «زهير بن القين»[4]،

---

(1) تاريخ الطبري، ج 4، ص 359 ـ 360.

(2) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 207.

(3) تاريخ الطبري، ج4، ص266.

(4) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 202.



ومن «**الطرمّاح بن عديّ**»، ومن بني أسد عن طريق «**حبيب بن مظاهر**»[1]، ومن «**الضحّاك بن عبد الله المشرقي**»[2] لازماً ومُعِيناً له على تحقيق هدفه.

سؤالان آخران

ثمّة سؤالان آخران في هذا المقام:

إذا كان من اللازم على الإمام أن يقوم بجمع ما استطاع من القوّات:

1 ـ فلماذا كتب الإمام بعد سماعه خبر استشهاد «مسلم بن عقيل» للمرّة الثانية رسالةً إلى صحبه ومرافقيه أتاح لكلٍّ من أراد منهم الذهاب أن يذهب؟[3]

2 ـ ولماذا أصرّ على صحبه ليلة عاشوراء أن يذهبوا جميعاً ويتركوه وحده؟[4]

إن الإجابةَ عن كلِّ واحدٍ من هذين السؤالين مختلفةٌ لذا سنجيب عن كلٍّ منهما إجابةً مستقلّةً:

الجواب عن السؤال الأول

إن سبب قول الإمام الحسين عليه السلام لصحبه ومرافقيه ـ بعد وصول خبر قتل «مسلم» ـ: «**فمن أحبَّ منكم الانصراف فلينصرف غير حرج ليس عليه ذمام.**» هو أن بعض الأعراب كانوا يلتحقون بقافلة الإمام طمعاً في الاستفادة من مائدته الدَّسِمَة وأن يُحْسَبُوا من أصحابه، ومن الواضح أن مثل هؤلاء الأفراد لم يكن يُنْتَظَرُ منهم أن يقدّموا مساعدةً مؤثّرةً ومفيدةً للإمام، بل كان وجودهم يزيد من متاعبه ومصاريفه، ومن الممكن جداً أن يفرّوا إذا وقعت الحرب بل قد يلتحقون بالعدوّ، لذا قال لهم الإمام ما قال فسارعوا إلى التفرّق عنه يَمْنَةً وَيَسْرَةً، وكان انصرافهم في مصلحة قافلة الإمام.

وبالمناسبة لا بدّ من الانتباه إلى نقطةٍ هامّةٍ وهي أن الإمام لم يقل لأصحابه: «انصرفوا وارجعوا» بل قال: «**من أحبَّ منكم الانصراف فلينصرف**» والفرق بينهما كبير، فالعبارة الثانية تعبير مهذَّب مفاده أنَّ من لم يكن مستعدّاً للنضال وَلَـحِقَ بنا لملء

(1) المجلسي، بحار الأنوار، ج 10، ص190.
(2) تاريخ الطبري، ج 4، ص317.
(3) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 203.
(4) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 212.



بطنه يمكنه أن ينصرف الآن، لذا عاد أولئك الأعراب الذين انضموا إليه للاستفادة لا للبذل. وإلا فبعد وصول خبر قتل «مسلم» لم يكن الإمام راضياً قط أن يذهب أنصاره الأوفياء المضحّون، بل كان يميل إلى بقائهم إلى جانبه بل إلى اجتذاب قوّات أخرى إليهم إن استطاع إلى ذلك سبيلاً، كما ذهب «حبيب بن مظاهر» ـ بموافقة الإمام ـ ليسعى في إعداد قوّة من قبيلة بني أسد(1).

جواب السؤال الثاني

أما سبب قول الإمام لأصحابه ليلة عاشوراء: **«وَإِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ فَانْطَلِقُوا جَمِيعَاً فِي حِلٍّ لَيسَ عَلَيْكُمْ مِنِّي ذِمَامٌ! وَهَذَا اللَّيلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلاً!»**. فلأن خطر الموت ـ حسب السير الطبيعي للأمور ـ أصبح قطعياً بالنسبة إلى الإمام، وما كان باستطاعة أنصار الإمام بعددهم الضئيل دفع الخطر عن سبط النبي صلى الله عليه وآله. ومن المعلوم أنه عندما يصبح خطر الموت قطعياً فإن الاحتفاظ بالقوّات أو إعداد المزيد منها يصبح عبثاً لا فائدة منه.

ولا بدّ من الانتباه هنا أيضاً إلى نقطة هامّة وهي أن الإمام الحسين عليه السلام لم يقل ليلة عاشوراء: «من أراد منكم الذهاب فليذهب»، بل طلب منهم الذهاب على وجه التأكيد وقال: **فانطلقوا جميعاً**. وقال لإخوة «مسلم» بشكل خاص: **«يَا بَنِي عَقِيل! حَسْبُكُمْ مِنَ القَتْلِ بِمُسْلِم فاذْهَبُوا أَنْتُمْ فَقَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ»**. نهاية ما في الأمر أن أولئك الأحرار فضّلوا الموت مع الحسين عليه السلام على العيش دونه.

حاملُ رسالةٍ مشؤومٌ ورسالةٌ أكثرُ شؤماً

في آخر الليل أمر الإمام من معه أن يحملوا معهم مقادير كبيرة وكافية من الماء ويستعدّوا للحركة، وتحرّكت قافلة الحجاز ليلاً من قصر «بني مقاتل» وواصلت مسيرها تحت إشراف قوّات العدوّ المسلّحة حتى الصباح، ثم توقّفت صباحاً لأداء صلاة الفجر وفور الانتهاء من الصلاة واصلت المسير.

(1) مقتل الخوارزمي، ج 1، ص243 (أو ج2، ص345).



هنا **«أَخَذَ الإِمَامُ الحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَتَيَاسَرُ بِأَصْحَابِهِ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَهُمْ[1] فَيَأْتِيهِ الْحُرُّ ابْنُ يَزِيدَ فَيَرُدُّهُ وَأَصْحَابَهُ، فَجَعَلَ إِذَا رَدَّهُمْ نَحْوَ الْكُوفَةِ رَدّاً شَدِيداً امْتَنَعُوا عَلَيْهِ فَارْتَفَعُوا فَلَمْ يَزَالُوا يَتَيَاسَرُونَ كَذَلِكَ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى نَيْنَوَى الْمَكَانِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْحُسَيْنُ.**

فَإِذَا رَاكِبٌ[2] عَلَى نَجِيبٍ لَهُ عَلَيْهِ السِّلَاحُ مُتَنَكِّبٌ[3] قَوْساً مُقْبِلٌ مِنَ الْكُوفَةِ، فَوَقَفُوا جَمِيعاً يَنْتَظِرُونَهُ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَى الْحُرِّ وَأَصْحَابِهِ وَلَمْ يُسَلِّمْ عَلَى الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ وَدَفَعَ إِلَى الْحُرِّ كِتَاباً مِنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ فَإِذَا فِيهِ:

أَمَّا بَعْدُ: فَجَعْجِعْ[4] بِالْحُسَيْنِ حِينَ يَبْلُغُكَ كِتَابِي وَيَقْدَمُ عَلَيْكَ رَسُولِي وَلاَ تُنْزِلْهُ إِلاَّ بِالْعَرَاءِ فِي غَيْرِ حِصْنٍ وَعَلَى غَيْرِ مَاءٍ فَقَدْ أَمَرْتُ رَسُولِي أَنْ يَلْزَمَكَ وَلاَ يُفَارِقَكَ حَتَّى يَأْتِيَنِي بِإِنْفَاذِكَ أَمْرِي وَالسَّلَامُ.

فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ قَالَ لَهُمُ الْحُرُّ: هَذَا كِتَابُ الأَمِيرِ عُبَيْدِ اللهِ يَأْمُرُنِي أَنْ أُجَعْجِعَ بِكُمْ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَأْتِي كِتَابُهُ وَهَذَا رَسُولُهُ وَقَدْ أَمَرَهُ أَلاَّ يُفَارِقَنِي حَتَّى أُنَفِّذَ أَمْرَهُ.»[5].

وأخذهم الحرّ بالنزول في ذلك المكان على غير ماء ولا قرية. فقال الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: **«دعنا ويحك ننزل في هذه القرية أو هذه: يعني «نينوى» و«الغاضرية» أو هذه يعني «شفنة»[6]».**

لقد اقترح الإمام ذلك ليجعل من إحدى تلك القرى ملجأً له إضافةً إلى تأمين

---

(1) ربما أمكن القول إن الإمام كان يريد أن يرسل أفراداً إلى الكوفة وآخرين إلى البصرة كي يخبروا الناس بقدومه، كي يهبّ من كان ذا نخوة وشهامة منهم إلى نصرة الإمام ولكن الحرّ كان يحول دون قيام الإمام بذلك. وإلا فلا يمكننا تصوّر أي معنى صحيح آخر لسعي الإمام إلى تفريق أصحابه.

(2) النَّجِيب من الإبِل وجمعه نُجُبٌ بضمتين ونَجَائِبُ، هي عِتَاقُها التي يُسَابَق عليها. (المُتَرْجِمُ)

(3) انْتَكَبَ الرَّجُلُ كِنَانَتَهُ أو قَوْسَه: أَلْقاها على مَنْكِبِهِ كَتَنَكَّبَهُ. وفي الحديث: «كانَ إذا خَطَبَ بالمُصَلَّى تَنَكَّبَ على قَوْسٍ أو عَصاً» أي: اتَّكأَ عليها؛ وأصله من تَنَكَّبَ القَوسَ وانتكبها: إذا عَلَّقَها في مَنْكِبِهِ. (المُتَرْجِمُ)

(4) الجَعْجَعَةُ التَّشْرِيدُ بالقوم وجَعْجَعَ به أَزْعجَه، وكتب عبيد الله بن زياد إلى عُمَر بن سعد أن جَعْجِعْ بالحسين بن علّي أي أَزْعِجْه وأَخرِجه. وقال الأَصمعي: يعني احْبِسْه، وقال ابن الأعرابي: **يعني ضَيِّقْ عليه، فهو على هذا من الأَضداد.** قال الأَصمعي: الجَعْجَعةُ الحَبْس قال: وإنما أَراد بقوله **جَعْجِعْ بالحسين أي احْبِسْهُ.** (لسان العرب مادة: جعع) (المُتَرْجِمُ)

(5) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 208. (أو ج 2، ص 81 ـ 83).

(6) كيف يفسّر الذين يقولون إن قصد الإمام منذ البداية كان أن يُقتل ويُراق دمه في نقطة محددة هي أرض كربلاء، هذا الاقتراح الذي قاله الإمام وطالب فيه أن يحط رحاله في إحدى القرى القريبة؟



راحة النساء والأطفال في مكان أفضل. ولكن «الحُرّ بن يزيد» لم يقبل اقتراح ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: «**لا والله ما أستطيع ذلك! هذا رجلٌ قد بعث إليّ عيناً عليّ**».

بهذا رُفِضَ اقتراحُ الحسين بن علي عليه السلام فاضطرَّ مرغماً ـ خلافاً لميله وإرادته وتحت وطأة سيوف وحراب قوّات العدوّ ـ أن ينزل مكرهاً يوم الثاني من شهر محرّم الحرام سنة 61 هـ في صحراء كربلاء[1].

تنبُّؤ عليّ عليه السلام

رَوَى عثمان بن عيسى العامريّ، **عَنْ جَابِرِ بْنِ الْحُرِّ عَنْ جُوَيْرِيَةَ بْنِ مُسْهِرٍ الْعَبْدِيِّ** قَالَ: «**لَمَّا تَوَجَّهنَا مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام إِلَى صِفِّينَ فَبَلَغْنَا طُفُوفَ كَرْبَلَاءَ وَقَفَ عليه السلام نَاحِيَةً مِنَ الْعَسْكَرِ، ثُمَّ نَظَرَ يَمِيناً وَ شِمَالاً وَاسْتَعْبَرَ ثُمَّ قَالَ:**

هَاهُنَا مُنَاخُ رِكَابِهِمْ وَ مَوْضِعُ رِحَالِهِمْ وَ هَاهُنَا مُهَرَاقُ دِمَائِهِمْ فِتْيَةٌ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ يُقْتَلُونَ بِهَذِهِ الْعَرْصَةِ تَبْكِي عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْض»[2].

وردت هذه العبارة بألفاظ متقاربة في الكتب التالية:

(1) ـ **قُرْبُ الإسناد**، للحِمْيَريّ ص14. (2) ـ **كاملُ الزيارات**، لابن قولويه، ص269. (3) ـ **الإرشاد** للمفيد، ص156. (4) ـ **تذكرة الخواص** لسبط ابن الجوزي، ص250. (5) ـ **ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى**، لمحب الدين الطبري ص97. (6) ـ **كشف الغمة في معرفة الأئمة**، للإربليّ، ج2/ ص224. (7) ـ **الصواعق المحرقة**، لابن حجر الهيثمي، ص191.

في ذلك الزمن الذي تنبأ فيه أمير المؤمنين عليه السلام بهذه النبوءة بشكل مجمل لم يكن الناس يعرفون ما هي حقيقة القضية؟ فكان الناس لا يعرفون تأويل ما قال حتى كان من أمر أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام وأصحابه بالطفّ ما كان، فعرف حينئذ من سمع مقاله مصداق الخبر فيما أنبأهم به[3].

(1) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 208. (أو ج2، ص 83).

(2) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 156. (أو ج1، ص 332). (يقول (المُتَرْجِمُ) واللفظ المذكور هو لدى علي ابن عيسى الإربلي (ـ 692هـ)، **كشف الغمة في معرفة الأئمة**، ج 2، ص 12. كما أشار إلى هذه الواقعة نصر بن مزاحم المنقري في كتابه «**وقعة صفّين**»، ص 140 ـ 141. والصدوق في أماليه، ص 117، ونقله المجلسي في **بحار الأنوار**، ص ج 42، ص 286.) (المُتَرْجِمُ)

(3) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 156. (أو ج1، ص 332).



ذكرى من الماضي

عندما أجبر «الحُرّ بن يزيد» الإمام الحسين على النزول في تلك الصحراء قائلاً له: «انزل بهذا المكان، فالفرات منك قريب. قال الحسين: وما اسم هذا المكان؟ قالوا له: كربلاء. قال: ذات كرب وبلاء، ولقد مَرَّ أَبِي بهذا المكان عند مسيره إلى صفّين، وأنا معه، فوقف، فسأل عنه، فأُخبِر باسمه، فقال: «هاهنا محطُّ ركابهم، وهاهنا مهراق دمائهم»، فسُئِل عن ذلك، فقال: «ثقلٌ لآلِ بيتِ محمَّد، ينزلون هاهنا»[1].

الآن بعد أن نزل الإمام الحسين عليه السلام في تلك الصحراء تحت إرغام قوّات العدو المسلّحة ومراقبتهم، وأصبح ضغط جهاز الحكم على الإمام كبيراً وبدا المستقبل أشدّ خطراً، في تلك الأوضاع المؤلمة والمؤسفة تذكّر الإمام الحسين عليه السلام قضيةً وقعت في هذه الأرض قبل 24 عاماً حيث أدلى أمير المؤمنين عليه السلام بتلك النبوءة فقام الحسين ببيانها لأصحابه.

في ذلك الزمن قال أمير المؤمنين عليه السلام في حضور ابنه الحسين عليه السلام الذي كان له من العمر آنذاك 33 عاماً: «ثقلٌ لآل بيت محمّد، ينزلون هاهنا ويُقتلون وتُراق دماؤهم». واليوم هناك أعزّةٌ من آل بيت محمد صلى الله عليه وآله حُبِسُوا في هذا المكان ينتظرون أياماً صعبةً أمامهم.

أليس الثقل من آل بيت محمَّد الذين أشار إليهم أمير المؤمنين عليه السلام هُمُ الإمامُ الحسين عليه السلام وأهلُ بيته؟ ألا ينطبق ذلك الكلام الذي قاله عليٌّ عليه السلام قبل 24 عاماً حول مقتل أعزّة من آل بيت الرسالة في هذه الأرض عَلَى الحسين بن عليٌّ عليه السلام وأهل بيته.

روى الإمام الحسين عليه السلام لأصحابه تلك النبوءة التي قالها أبوه قبل 24 سنة في هذه الأرض بالذات، ولا ريب أن أصحابه كانوا يحتملون أن تكون نبوءة أمير المؤمنين عليه السلام تلك متعلّقة بقافلة الحسين بن علي عليه السلام هذه.

نقطةٌ هامَّةٌ

جاء في بعض الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «كان عندي جبريل وأخبرني أن ولدي الحسين يُقتَلُ بشطّ الفرات بموضعٍ يُقَالُ له «كربلا»»[2].

---

(1) الأخبار الطوال، ص 226.

(2) تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي، ص 250. (المؤلِّف). قلتُ: ومن أهل السنَّة روى الحافظ =



من البديهي أن هذا الموضوع بقي على نحو مجمل في أذهان الأشخاص الذين سمعوه منذ ذلك الزمن من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، ولم يكن أهل الحجاز يعرفون أرض «كربلا» على نحو دقيق. وكما أشرنا سابقاً عندما نزل الإمام الحسين عليه السلام في تلك الأرض لم يكن يعرف اسمها لذا قال: ما يُقال لهذه الأرض؟ فقالوا: «كربلا» ويُقالُ لها «نينوى» قرية بها، فبكى وقال: كربٌ وبلاء[1]. هنا عندما سمع أصحاب الإمام أن اسم تلك الأرض كربلا فكّروا في أنفسهم بأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان قد قال من قبل: **«سيُقتَل ابني حسين في كربلا»**. إذن هذه هي الأرض المقصودة. لكن هل ستكون شهادة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء في هذا السفر بالذات وعلينا أن نعدّ أنفسنا للتضحية والفداء؟ إنه احتمالٌ واردٌ بالطَّبْع.

نقطةٌ أخرى

لو فرضنا أن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال أثناء ذهابه إلى معركة صفّين ووصوله إلى أرض كربلاء: «سيُقتل ابني الحسين في هذه الأرض» فمعنى ذلك أن شهادته ستكون في نهاية الأمر في هذه الأرض ولكن زمن وقوع هذه الشهادة غير معلوم.

والآن إذا فرضنا أن الإمام الحسين عليه السلام ذاته عندما وصل برفقة أبيه الكريم وهما يسيران إلى معركة صفّين، إلى أرض كربلاء فقال: «أنا سأقتل في هذه الأرض» فهل معنى ذلك أنه سيُقتل فيها في ذلك السفر بالذات؟ بالطبع لا.

= الهيثمي في **«مجمع الزوائد»** (ج9/ باب مناقب الحسين بن عليّ): عدة أحاديث بهذا المضمون عن أنس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وعن نجيّ الحضرمي عن عليّ بن أبي طالب، وعن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وآله وذكر أنه أخرجها أحمد بن حنبل في مسنده وأبو يعلى والبّزار والطبراني بأسانيد رجالها رجال الصحيح. (المُتَرجِمُ).

(1) **تذكرة الخواص**، سبط ابن الجوزي، ص 250. جاء في بعض الروايات الأخرى أن مكان استشهاد الإمام الحسين عليه السلام: «بابل» (تاريخ **البداية والنهاية** لابن كثير، ج8، ص163) وفي روايات أخرى «العراق» وفي بعضها «شط الفرات» (**ذخائر العقبى** ص148) وفي بعضها «الطَّف» (**الصواعق المحرقة**، ص١٩١) وفي بعضها بين «النواويس وكربلا» (**اللهوف**، ص53). والمقصود منها جميعاً مكان واحد.
فتبيّن أنه كما أن زمن شهادة الإمام لم يُتنبأ به على وجه الدقة لأن المصلحة كانت تقتضي ذلك فإن مكان شهادته أيضاً لم يكن مُحدَّداً على وجه الدقّة ولعلّ هذا من العلوم المختصّة بالله تعالى كما جاء في القرآن الكريم: ﴿...وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ...﴾ [سورة لقمان، 34].



وبناء على ذلك إذا قال الإمام الحسين عليه السلام عندما وصل إلى كربلاء وهو ذاهب إلى الكوفة كما جاء في بعض الأخبار[1] استناداً إلى نبوءة رسول الله: «أنا سأقتل في هذه الأرض» ولكنه لم يحدّد زمن شهادته فمعنى ذلك أنه طبقاً لخبر رسول الله سيستشهد الإمام في هذه الأرض ولكن زمن وقوع هذه الشهادة غير معلوم، ونظراً إلى مفاوضات الصلح والسلام التي أجراها الإمام مع «عُمَر بن سعد»، فإن احتمال ترك النزاع والحيلولة دون وقوع الحرب كان وارداً.

ولكن يُفهم من مجموع القرائن أنه لو لم تُفْضِ مفاوضات السلام إلى نتيجة إيجابية ولم تصل أيّ قوّات إمداد إلى الإمام فإن استشهاده في هذا السفر بالذات سيكون قطعياً تقريباً.

خطرٌ جديدٌ

نزل الإمام الحسين عليه السلام مجبَرَاً في الثاني من محرّم في أرضِ كربلاء وفي الثالث من محرّم قَدِمَ «عُمَرُ بن سعد» قائداً على أربعة آلاف جندي كان قد أرسل معهم من قبل في مهمّة إلى الريّ ودستبي، حتى وافى الحسين، وانضم إليه «الحُرّ بن يزيد» فيمن معه. ثم قال «عُمَرُ بن سعد» لِقُرَّة بن سفيان الحنظلي «انطلق إلى الحسين، فسله ما أقدمك؟». فأتاه، فأبلغه. فقال الحسين: «**أبلغه عني أن أهل هذا المصر كتبوا إليّ يذكرون أن لا إمام لهم، ويسألونني القدوم عليهم، فوثقتُ بهم، فَغَدَرُوا بي، بعد أن بايعني منهم ثمانية عشر ألف رجل، فلما دنوت، فعلمتُ غرور ما كتبوا به إليَّ أردتُ الانصرافَ إلى حيث منه أقبلت، فَمَنَعَنِي الحرُّ بنُ يزيد، وسار حتى جعجع بي في هذا المكان، ولي بك قرابة قريبة، وَرحمٌ ماسَّة، فأطلقني حتى أنصرف.**»[2].

أسعدَ هذا الجواب الحكيم للإمام الذي أعرب فيه عن رغبته في الانصراف وفضّ النزاع «عمرَ بن سعد» كثيراً لأنه أظهر أن الإمام كان يحاول أن يتجنّب الحرب وهذا ما كان يتمنّاه عمر بن سعد ويرغب أن تُتاح له طريقة لا يُجبر فيها على محاربة ابن رسول الله.

كتب ابن سعد خلاصةً عن مفاوضاته مع الإمام الحسين عليه السلام وأرسلها إلى «عُبَيْد الله بن زياد» وجلس ينتظر جوابه.

---

(1) السيد ابن طاووس، **اللهوف**، ص71، وسبط ابن الجوزي، **تذكرة الخواص**، ص 250.

(2) **الأخبار الطوال**، ص 227.



حكمٌ سفيهٌ أهوجٌ

حَمَلَ رسولُ «عُمَرِ بنِ سعد» تقرَيره الذي بعث به إلى «عُبَيْد الله بن زياد» في الكوفة يخبره فيه باقتراح الإمام السلميّ لحل الموضوع وانتظر ليأخذ إجابة «ابن زياد» ليعود بها إلى ابن سعد.

لو كان لدى الرسول فرسٌ سريعٌ لاحتاج لأجل قطع المسافة بين كربلاء والكوفة، التي تبلغ حوالى أربعة فراسخ، إلى يوم للذهاب ويوم للإياب. بناءً على هذا الحساب يمكننا أن نقدِّر أن ردّ ابن زياد على رسالة ابن سعد وصل إليه في آخر الخامس من محرّم.

كان ردّ «ابن زياد» الغِرّ الفظّ والجِلْف المتغطرس ذي التفكير المعوجّ ردّاً جافياً جائراً لم يكن لا في مصلحته ولا في مصلحة وليّ نعمته «يزيد» ولا في مصلحة الناس ولا في مصلحة الإسلام، خصوصاً في تلك المرحلة الحسّاسة التي كانت بلاد الإسلام حديثة النشأة تحتاج فيها إلى التعقُّل وحسن التدبير وإبداء جهاز الحكم لحسن النيّة أكثر من أي شيء آخر.

في تلك المرحلة كان الحسين بن علي عليه السلام قد اقترح العودة وعزم على الخروج من المنطقة الخاضعة لحكم ابن زياد حفاظاً على السلام ومصالح الإسلام العليا.

في تلك المرحلة كان قبول اقتراح الإمام الحكيم ذاك مفيداً ليزيد كما هو مفيد لابن زياد وكان يصبُّ حتماً في مصلحة الناس والإسلام.

في تلك المرحلة كانت صلاحيّات الحكم على منطقة واسعة من الشرق الأوسط قد أُوْكِلَت إلى ذلك الشاب الغرّ المعجب بنفسه، وكان من الممكن لقرارٍ آنيٍّ أن يوقع بلاد الإسلام الواسعة في تشنّجات وثورات دمويّة وتبعاتٍ خطيرةٍ هي في غنى عنها، وعلى العكس من ذلك كان يمكن لقرار صائب أن يحفظ البلاد والعباد من خطر الحروب والثورات.

في تلك المرحلة الحرجة والحسّاسة رفض ابن زياد انطلاقاً من غطرسته ودناءته اقتراح الإمام السلميّ بالعودة إلى الحجاز وأصدر بدلاً من ذلك حُكْمَاً بالمضمون التالي: «**أما بعد، فقد بلغني كتابُكَ وفهمتُ ما ذكرتَ، فاعْرِضْ على الحسين أن يبايعَ**



ليزيد هو وجميع أصحابه فإذا بايع في جميع من معه، فأعلِمْني ذلكَ ليأتيكَ رأيي!»[1].

لقد أغلق حاكم العراق الدكتاتوري المستبدّ كلَّ الطرق أمام الحسين بن علي عليه السلام، إلا طريقاً واحداً هو أن يرضخ للبيعة ليزيد ويستسلم لِحُكْمِ ابنِ زياد منتظراً ما سيمليه عليه من أوامر، وهو طريقٌ إن كان «ابن زياد» قد تركه مفتوحاً، فإن الإسلام قد سدَّه على ابن رسول الله صلى الله عليه وآله.

المُسَبِّب الأصليّ للاقتتال

كلُّ تصادم بين قوّتين هو نتيجةٌ لتصادم بين فكرين. هنا كان يوجد نمطان من التفكير لكلٍّ منهما أتباعه، فإذا لم يُمْكِن إيجاد أيّ توافق بين هذين النمطين من التفكير فمن الطبيعي أن يصطفّ أتباعهما كلٌّ في وجه الآخر، وأحياناً توجد عوامل محرّكة في ساحة الصراع الفكري تؤدّي إلى اصطفاف قوّتين متواجهتين وأحياناً تؤدّي إلى حدوث معارك رهيبة وخسائر جسيمة.

كان للحسين بن علي عليه السلام أسلوبٌ خاصٌّ في التفكير ينبع من بيت النبوة، إنه كان ينظر إلى العالم وإلى سعادة الإنسان وشقائه، وإلى المجتمع وإلى الحقوق والأخلاق والواجبات الاجتماعية وإلى عالم ما بعد الموت النظرةَ ذاتها التي كان ينظرها نبيُّ الإسلام صلى الله عليه وآله.

وفي مقابل ذلك كان أسلوب تفكير يزيد بن معاوية حول العالم والمجتمع هو أسلوب تفكير «معاوية بن أبي سفيان» ذاته، وهذان النمطان من التفكير على طرفي نقيض ويمثّلان قطبين متقابلين تماماً لا يمكن أن يتَّفِقا على الإطلاق. ولكن من الممكن في ظروف خاصة أن يتّبع أصحاب هذين الفكرين منهج التعايش السلميّ الذي يجنّبهم الاصطدام. وأوّل شرط لهذا الأمر أن يتمتّع كلٌّ من الطرفين بمقدار كافٍ من قوّة الفكر وحسن التدبير، أما إذا كان كلاهما أو أحدهما محروماً من ذلك فما أسرع وقوع التصادم بينهما.

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام يتّبع منهج التعايش السلميّ هذا في زمن «معاوية»

(1) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 209 (أو ج2، ص 86)، و الأخبار الطوال، ص 227.



بعد وفاة أخيه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، فرغم أن طريقة تفكير الإمام الحسين عليه السلام كانت على النقيض تماماً من طريقة تفكير «معاوية» من ناحية الحياة الاجتماعية، فإنه سالم «معاوية» اجتماعياً عشر سنوات دون أن يداهن في دينه ولا أن يصحِّح أيّاً من انحرافات «معاوية» وتعدّياته، بل وجّه إليه أحياناً انتقادات عنيفة وَخَيِّرَة في الوقت ذاته.

كان الحسين زمن يزيد هو الحسين ذاته زمن معاوية وكان يمتلك حدّاً كافياً من حسن التدبير وبعد النظر، وفي الوقت الحاضر عندما وجد أن إمكانية النصر العسكري غير متوافرة له فإنّ الروح السلميّة والمسالمة تجلَّت في ابن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لذا اقترح خلال مفاوضاته مع رسول ابن سعد أن يُسمح له بالعودة إلى الحجاز وكان يأمل أن يكون لدى مأموري حكومة «يزيد» من العقل وُبْعد النظر ما يمكّنهم من إدراك المصلحة في هذا الاقتراح حتى لا تُجرّ بلاد الإسلام حديثة النشأة إلى حوادث دموية.

بالطبع، لم يكن الإمام الحسين عليه السلام يهاب الموت، كما صرّح بذلك مراراً وأثبت ذلك عملياً، ولكنه كان يأمل أن يتمكَّن من فعل ما فيه مصلحة الإسلام في مثل تلك الظروف، وهو الحفاظ على السلام واجتناب الحرب.

ولكن في الوقت الحاضر كان في مقابل هذا العقل المفكّر وبعيد النظر عقلُ «يزيد بن معاوية» في الدرجة الأولى ثم عقل «عُبَيْد الله بن زياد» في الدرجة الثانية وكان كل منهما أشدّ سفاهة وغطرسةً من الآخر فما عسى أن نتوقع منهما؟

ماذا يمكننا أن ننتظر من عقلين خفيفين سفيهين غرّين لا يفكران إلا في كرسي الحكم وسحق من ينافسهما عليه وإشباع رذيلة حبّ الجاه؟

في الوقت الحاضر كان هذان الفردان عديما التجربة سفيها العقل هما صاحبي الأمر والنهي واتخاذ القرار. وأكبر دليل على سفاهة عقلهما أنهما في مقابل اقتراح الإمام الحسين عليه السلام الحكيم أصدرا حكماً يمكن أن نجد فيه كل شيء سوى الخير ومصلحة المجتمع.

لقد سدّ «ابن زياد» المغرور كلَّ الطرق أمام الحسين بن علي عليه السلام إلا طريق الاستسلام. والطريق الآخر كان طريق الحرب التي كان ابن رسول الله عليه السلام يسعى بكل ما أوتي من قوَّة لاجتنابها في تلك الظروف.



ولكن ما العمل إذا كان جهاز الحكم العدواني المتعطّش إلى سفك الدماء يسعى بكل ما أُوتي من قوّة إلى إشعال نارها حتى يصل لهبها إلى ابن رسول الله فيحرقه فيها؟

إذا طُلب من محكمة قضائية دولية وحياديّة أن تعطي حكمها بشأن حادثة كربلاء الدموية وتبيِّن من الذي يتحمَّل مسؤوليّة وقوع تلك الفاجعة الرهيبة، فإن تلك المقدّمات التي أوردناها ستمهِّد الطريق لهذا الحُكم وتبيّن بوضوح العامل الأصلي لذلك الاصطدام الدموي وتلك الحرب اللاإنسانية.

طبقاً للقرائن، وَصَلَ جوابُ «ابنُ زياد» إلى يد «عُمَر بن سعد» في كربلاء في آخر اليوم الخامس من شهر محرّم.

بإبلاغ ذلك الحكم: «**اعْرِضْ على الحسين أن يبايع ليزيد هو وجميع أصحابه فإذا بايع في جميع من معه، فأعْلِمْني ذلك ليأتيكَ رأيي**»، أصبح احتمالُ أن ينتهي النزاع نهاية سلمية احتمالاً ضعيفاً جداً وأصبح خطرُ وقوع القتال جدياً تماماً.

أرسل «عمر بن سعد» بكتاب «ابن زياد» إلى الحسين ليقرأه بنفسه، فقال الحسين للرسول: «**لا أجيب ابن زياد إلى ذلك أبداً، فهل هو إلا الموت؟ فمرحباً به.**»[1].

هنا يجب القول: في ساحة الاختلاف الفكري الذي وقع بين الإمام وحكومة «يزيد» كان المسبّبُ الأصليُّ للتصادم والاقتتال عاملين: الأول الطريقة السفيهة الساعية وراء الحرب التي انتهجها مأمورو حكومة يزيد بن معاوية المعادية للإسلام، والثاني حكم «ابن زياد» الأحمق السفيه الذي سدّ على الإمام كلَّ الطرق إلا طريق الحرب.

إمداد القوّات

كتب «عمر بن سعد» إلى «ابن زياد» كتاباً أخبره فيه بإجابة الحسين بن علي عليه السلام البطوليّة الرجوليّة. وكان الجواب الشجاع والباسل الذي قاله ابن أمير المؤمنين عليه السلام بمثابة صفعة عنيفة ضربت غرور «ابن زياد» وغطرسته فاستشاط غضباً على ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لعلّ «ابن زياد» كان يتصوّر أنه عندما يصبح الحسين بن علي عليه السلام تحت

(1) **الأخبار الطوال**، ص 227.



المحاصرة والرقابة المشدَّدة لخمسة آلاف جنديٍّ مسلّح سيصاب بالرعب ويستسلم في النهاية، له، بلا قيد ولا شرط.

كان «عُبَيْدُ الله بن زياد» مُتَّهَمَ النسب في قريش لأن أباه «زياداً» كان مجهول الأب وكانت أمُّ «زياد» بَغِيّاً مُومِساً تُدْعَى «سُمَيَّة»! كما كانت أم «عُبَيْد الله بن زياد» جارية مجوسيَّة تُدْعَى «مرجانة»، لهذا كان «ابن زياد» صاحب أحقر نسب وأقبح أسرة وأسوأ تربية، وكانت أكبر لذة لهذا الإنسان المسخ بذلك النسب الدنيء والتربية المنحطَّة أن يرى ابن فاطمة الزهراء عليها السلام صاحب أرفع نسب وأفضل تربية ذليلاً مستسلماً أمامه لينتقم لمهانة نسبه ودناءة منبته من نسب ابن رسول الله صلى الله عليه وآله الشريف الرفيع[1].

لما رأى حاكم العراق المغرور المتغطرس أن ابن أمير المؤمنين عليه السلام رغم إحاطته بخمسة آلاف رجل مسلّح لم يستسلم له، اشتعل غضباً وقرّر أن يقوّي القوّات المحيطة بالإمام حتى يحسُمَ المسألةَ بشكلٍ أكثر جدّيّةً وعنفاً. لذا خرج «ابن زياد» مغضباً بجميع أصحابه إلى «النخيلة»[2]، ثم وجّه الحصين بن نمير، وحجّار بن أبجر، وشَبَث بن ربعي، وشمر بن ذي الجوشن، ليعاونوا «عمر بن سعد» على أمره[3]. فأما شمر فنفذ لما وجّهه إليه، وأما شَبَث فاعتلّ بمرض. فقال له «ابن زياد»: أتتمارض؟ إن كنت في طاعتنا فاخرج إلى قتال عدوّنا. فلما سمع شَبَث ذلك خرج، ووجَّه أيضاً الحارث بن يزيد بن رويم.

قالوا: «وكان «ابن زياد» إذا وجَّه الرجل إلى قتال الحسين في الجمع الكثير لا **يَصِلُون إلى كربلاء إلا وقد تفرّق أكثر رجاله ولم يبقَ منهم إلا القليل، إذْ كانوا يكرهون قتال الحسين، فيرتدعون، ويتخلّفون.**

فبعث «ابن زياد» سويد بن عبد الرحمن المنقري في خيل إلى الكوفة، وأمره أن يطوف بها، فمن وجده قد تخلّف أتاه به. فبينا هو يطوف في أحياء الكوفة إذ وجد رجلاً من أهل الشام كان قد قَدِمَ الكوفةَ في طلب ميراث له، فأرسل به إلى «ابن زياد»، فأمر به، فضُربت عنقُه!. فلمّا رأى الناس ذلك خرجوا.»[4].

(1) عباس محمود العقاد، أبو الشهداء، ص 91. (أو ص 72 من طبعة القاهرة، الدار القومية، 1960).
(2) النخيلة: موضع قرب الكوفة على سمت الشام.
(3) الدينوري، الأخبار الطوال، ص 228. بتصرف يسير يقتضيه السياق والتوضيح ولا يغيّر شيئاً في المعنى. (المُتَرْجِمُ)
(4) انظر الأخبار الطوال، ص 228.



أراد «ابن زياد» بإيجاده لذلك الجوّ الإرهابي المخيف أن يبثَّ الذُعر والهلع في قلوب جميع فئات الناس حتى أولئك الذين لم يكونوا جنوداً ولا علاقة لهم بالقضيَّة أصلاً، ويدفعهم إلى الخروج إلى حرب ابن رسول الله ﷺ خلافاً لميلهم القلبيّ خوفاً من بطش «ابن زياد». وواصل إرسال القوَّات لتحيط بالإمام حتى ذكر بعضهم أن عدد قوَّات «ابن زياد» التي أحدقت بالإمام بلغ ثلاثين ألفاً[1].

لماذا حَشْدُ كلِّ هذه القوَّات؟

كان «عُبَيْد الله بن زياد» مطّلعاً اطلاعاً جيداً على أوضاع الكوفة والبصرة وسائر مدن العراق، وكان يعلم جيّداً أن العراق وخصوصاً الكوفة هو مركز شيعة عليّ عليه السلام ويعلم أنه إضافةً إلى أهالي الكوفة كانت هناك جماعات تتشكّل الآن لمناصرة الحسين ابن علي عليه السلام خصوصاً وأن الرسالة التي كتبها الإمام الحسين عليه السلام إلى رؤساء البصرة طالباً منهم النصرة وقعت بيد «ابن زياد»[2].

كان «ابن زياد» يحتمل أن يعلم أهالي البصرة بقدوم الإمام فيسرعوا إلى نصرته. كما كان يحتمل أن يثور أهل الكوفة الذين عُرفوا بحبّهم الشديد للحسين بن علي عليه السلام إذا وجدوا قائداً وفرصةً مواتيةً.

ورغم أن «عُبَيْد الله بن زياد» كان قد قتل «مسلماً» و«هانئاً» إلا أنه كان يعلم أنه بمثل تلك الأعمال اللاإنسانية لم يجن سوى نفور الناس وكراهيتهم لجهاز الحكم، ورغم أنه بثَّ بتلك الأعمال الذُّعْرَ والهلع بين الناس وجعل الرُّعب يسيطر على أهل الكوفة، إلا أن ذلك الرعب كان ممزوجاً بغضب ونفور شديدين يمكنهما في كل لحظة أن يجدا فتيلاً يفجّرهما بصورة سخط شعبي عارم يأكل «ابن زياد» وأعوانه.

لقد رأى «ابن زياد» في تلك المدة القصيرة مشهدين عجيبين ومثيرين من شيعة الحسين بن علي عليه السلام أدهشاه وحيّراه.

أحدهما عندما دخل «ابن زياد» الكوفة وحده بصورة شخص ملثّم مجهول فجعل

(1) بحار الأنوار للمجلسي، ج10، ص190.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4، ص23.



يمرّ بالمجالس فلا يشكُّون أنه الحسين فيقولون مرحباً بك يا ابن رسول الله! وهو لا يكلّمهم وخرج إليه الناس من دورهم (يستقبلونه بكل فرحة)، فساء ابن زياد ما رأى منهم[1].

وثانيهما عندما لجأ إلى قصر الإمارة خوفاً من قوّات «مسلم بن عقيل» فقام جيش «مسلم» بمحاصرة القصر حتى كاد ابن زياد أن يهلك هو وأعوانه[2].

كانت الذكرى المرّة لتينك الحادثتين لا تزال حاضرة في ذهن «ابن زياد» تؤرّقه وتقلقه وتقوي في نفسه الخشية من احتمال أن يختار الناس قائداً جديداً جديراً ويثوروا ضدّ «ابن زياد» تحت قيادته. ونظراً إلى أن شراء السلاح كان حرّاً في تلك الأيام وإلى أن مقداراً معتنى به من الأسلحة كان لا يزال تحت قيادة «مسلم» فإن احتمال حدوث ثورة شعبية في كل لحظة كان وارداً تماماً. لذا بذل «ابن زياد» جهوداً كبيرة كي يلقي الرعب في قلوب الناس ويستميلهم نحوه بالترغيب والترهيب من خلال قتله لجماعة من الأبرياء من جهة، وبذله لأموال طائلة لجماعات آخرين من الجهة الأخرى مستغلاً نقطة ضعف الناس في الخوف والطمع إلى أقصى حدٍّ ممكن، ليسوق حتى محبي الإمام إلى الذهاب إلى قتاله، ويحول بذلك دون وقوع أي ثورة أو شغب من عامة الناس ضده.

وكانت النتيجة الثانية لدعم القوّات المحاصرة للإمام وإمدادها إجبار ابن رسول الله على الاستسلام سريعاً وفي أبكر وقت ممكن، أو القضاء عليه نهائياً وإنهاء تلك الأزمة. إذن اتضح أن إرسال كل تلك القوّات كان إجراءً احترازياً، وتكتيكاً حربياً يهدف إلى أمرين:

1 ـ القضاء على كلِّ إمكانيةٍ لحدوث ثورةٍ داخليّةٍ لمصلحة الإمام الحسين عليه السلام.

2 ـ أن ينتهي أمر الحسين بن علي عليه السلام بأسرع وقت ممكن لما فيه مصلحة «يزيد».

أوامر وحشيّة

لو تمّ إبلاغ حكم «ابن زياد» (**اعرِضْ على الحسين أن يبايع ليزيد هو وجميع**

(1) المصدر نفسه، ج 4، ص 24.

(2) **تاريخ الطبري**، ج4، ص276. الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 190.



أصحابه) في آخر يوم الخامس من محرّم إلى «عمر بن سعد» فلا بدّ أن يكون جواب الإمام الحسين عليه السلام **(لا أجيب ابن زياد إلى ذلك أبداً، فهل هو إلا الموت؟ فمرحباً به)** قد وصل إلى «ابن زياد» في آخر اليوم السادس من محرّم.

ردّاً على إجابة الإمام البطولية الشجاعة أصدر ابن مرجانة أمراً وحشياً سوّد وجه التاريخ، فقد قال لعُمَر بن سعد: «حُلْ [بما معك من الجُنْد] **بين الحسين وأصحابه وبين الماء فلا يذوقوا منه قطرة كما صُنِعَ بالتقيّ الزكيّ عثمان بن عفان**»[1].

إذا وصلت إجابة الإمام إلى «ابن زياد» آخر يوم السادس من محرّم فإن هذا الأمر الوحشيّ ينبغي أن يكون قد وصل إلى «ابن سعد» في اليوم السابع. وهذا يوافق ما ذكرته كتب التاريخ بقولها: «**وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة أيام**»[2].

كانت علّة إصدار مثل هذا الأمر الذي يدلّ على منتهى الوحشية والقسوة والبربريّة ثلاثة أمور:

1 ـ إجبار الحسين بن علي عليه السلام على الاستسلام بأسرع وقت ممكن.

2 ـ أراد ابن مرجانة من خلال ذلك الأمر إشباع غريزته السَبُعيَّة ورغبته الدفينة في الانتقام، إضافة إلى أنه بتطبيقه لهذه الأوامر العنيفة يريد أن يغطّي على عقدة النقص التي يعاني الشعور بها في مواجهة عظمة الحسين بن علي عليه السلام.

3 ـ أراد «ابن زياد» بذلك أن يُفهم الناس أنه مخلصٌ ووفيٌّ لبني أميّة وآل «معاوية» لأن الأخير كان قد حاربَ أميرَ المؤمنين عليّاً عليه السلام بحجّة المطالبة بدم عثمان، وكان الثائرون على عثمان قد حاصروا قصر الخليفة قبل قتله بأيام منعوا عنه خلالها الماء، حتى أن عليّاً عليه السلام وبّخهم على ذلك وزجرهم عنه.

لقد أراد «ابن زياد» بذلك الحكم الأبله أن يحيي الثأر لمقتل عثمان ويطرح نفسه مُخْلِصاً للخليفة عثمان ولآل «معاوية».

بصدور ذلك الحكم الوحشي اتّضح أكثر من قبل أن جهاز الحكم غير ميّال لإنهاء الأزمة بصورة سلمية، واتّضح أكثر أن مأموري حكومة «يزيد» المعادية للإسلام

---

(1) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 209 (أو ج2، ص 86)، و**الأخبار الطوال**، ص 228. (أو ص 255).
(2) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 209 (أو ج2، ص 86 ـ 87)، و**الأخبار الطوال**، ص 228. (أو ص 255).



يريدون ـ خلافاً لطريقة الإمام الساعية للحل السلمي ـ أن يحلّوا القضية بقوَّة السيف فقط وبأشد الأساليب وحشيَّةً ولاإنسانيّةً. بهذا تفاقم الوضع جداً وأصبحت الأمور تقترب أكثر فأكثر من الحرب، تلك الحرب التي يتحمّل عواقبها أولئك الذي أوقدوا نارها قبل أي أحد آخر، حربٌ ستكلّف عالم الإسلام غالياً.

تم إجراء أمر ابن مرجانة السفيه على الفور «فبعث «عمر بن سعد»، في الوقت، عمروَ بن الحجاج في خمسمئة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وأصحابه و بين الماء أن يستقوا منه قطرةً!»[1].

اقتراحٌ سلميٌّ للمرَّة الثانية

لقد سعى الحسين بن علي عليه السلام في المرحلة الثالثة من ثورته أن لا يحدث تشنّج ولا يقع قتال. وكلما كان عمّال الحكومة الفاقدون لحسن التدبير يخلقون عوامل الاصطدام والقتال كان الإمام يحول دون وقوع القتال بطريقته الحكيمة. هنا أيضاً اقترح ابن رسول الله خلال مفاوضاته المغلقة مع «عمر بن سعد» التي تمّت بطلب من الإمام نفسه أن يُعطَى المجال للعودة من حيث أتى[2].

إنه لأمرٌ جديرٌ بالانتباه الكامل، وهو أن يسعى بطل التضحية والفداء، إلى هذه الدرجة، إلى اجتناب الحرب وأن يبدي ذلك الإنسان مع كل ما له من جلال وعظمة كل ذلك التواضع وسلامة النفس والأريحية وكرم الأخلاق بحيث يكرّر تقديم الاقتراح السلمي بالسماح له بالعودة من حيث أتى، ويؤكد على هذا الطلب في كل فرصة تُتاح له، تجنّباً لإراقة الدماء. سبحان الله! ما أروع هذه النجابة! وما أسمى وأرفع تلك الأخلاق التي تحيّر الإنسان!

ورغم ذلك كله كان عمّال الحكومة اللاهثون وراء الحرب يتّهمون بطل السِّلْم والإصلاح بأنه مثيرٌ للقلاقل ومشعلٌ للفتنة!!! صَدَقَ مَنْ قال: إذا لم تستح فاصنع ما شئت!.

---

(1) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 209 (أو ج2، ص 86).

(2) تاريخ الطبري، ج4، ص313. الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 210.



إعلان الحرب والأوامر السفيهة

مرَّةً ثانيةً كتب «عمر بن سعد» رسالةً إلى «عُبَيْد الله بن زياد» يخبره فيها باقتراح الإمام الحسين عليه السلام السلمي بأن يُسمح له بالعودة إلى الحجاز. قرأ حاكم العراق رسالة ابن سعد فقال بلهجة ليّنة: لقد كتب «عمر بن سعد» هذه الرسالة بنية الخير والإصلاح، ثم قال: «**نعم قد قبلتُ**»[1]ما أراني إلا مخلياً سبيله يذهب حيث يشاء»[2].

يبدو أن رسالة ابن سعد الأخيرة هذه التي تضمَّنت اقتراح الإمام أن يتركوه يعود إلى الحجاز أحدثت شيئاً من الأثر في النفس العنيدة لابن زياد الحاكم المستبدّ المتغطرس حتى أنه هَمَّ أن ينهي الأمر سلميّاً وَيُخْلي سبيل الإمام ويتركه يعود حيث يشاء.

«فقام إليه شِمْرُ بنُ ذي الجوشن فقال: **أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك وإلى جنبك؟! والله لئن رحل من بلادك و لم يضع يده في يدك ليكونَنَّ أولى بالقوّة ولتكونَنَّ أولى بالضعف والعجز؛ فلا تعطه هذه المنزلة فإنها من الوَهَن، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه فإن عاقبتَ فأنت أولى بالعقوبة وإن عفوتَ كان ذلك لك.**»[3].

لقد لقي كلام عنصر الخبث والفساد هذا ـ أي «شمر» ـ صدىً في طبيعة ابن مرجانة العدوانية فتغيّر رأيه ووافق على كلام «شِمْر».

لقد خلا الجوّ في ولاية الكوفة الكبيرة لرجلين اثنين يسابق كلاهما صاحبه في اللؤم وسوء الطويَّة، وينفردان بتصريف الأمر في قضية الحسين وهما «ابن زياد» و«شمر ابن ذي الجوشن». جلس هذان المسخان في مركز الحكم يتشاوران في الأوضاع السياسية الحالية وكيفية مواجهة الحوادث المستجدّة لاتخاذ الحكم المناسب بشأنها. كان كلام «شمر» يدور حول لزوم إعمال القوَّة لكسب المزيد من القوَّة، أما مصلحة الأمَّة والبلاد فلم يكن لها أيُّ مكان في حسابه.

---

(1) **تاريخ الطبري**، ج4، ص313.

(2) **سير أعلام النبلاء** للذهبي (748هـ) (طبع مصر، دار المعارف)، ج3، ص202.

(3) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 210 (أو ج2، ص 88)، و**الكامل** لابن الأثير، ج4، ص 55، و**تاريخ الطبري**، ج4، ص 313 ـ 314.



أصبح هذان الاثنان المدافعين عن حقوق الشعب والحافظين لمصالح البلاد العليا!!! وكان رأيهما أنه لا بدّ من استغلال الموارد المالية والبشرية للناس لأجل اكتساب المزيد من السلطة والقوَّة والسيطرة على الناس. يقول «شمر بن ذي الجوشن»: «ليس من المصلحة أن تدع الحسين بن عليّ يخرج من أرضك لأنه إن رحل من بلادك ولم يضع يده في يدك ليكونن أولى بالقوَّة ولتكونن أولى بالضعف والعجز، بل أنزله على حكمك هو وأصحابه فإن عاقبت فأنت أولى بالعقوبة وإن عفوت كان ذلك لك».

نلاحظ أن المطروح في تلك المشورة والأمر الذي سيحدِّد الخطّ النهائي لسير الأحداث هو مسألة ضعف الحكومة وقوّتها فحسب. في حين أن المطروح في تلك الظروف في منطق الحسين بن علي عليه السلام كان حفظ السلام واجتناب الحرب، فانظر إلى هذا الفرق بين المنطقين، وشتَّانَ بين الثرى والثريَّا!

بعد سماع «ابن زياد» ـ ذلك الشخص الدموي النزعة الذي أسكره حبّ المقام ـ لكلام «شمر» قال له: نِعْمَ مَا رَأَيْتَ! الرأي رأيك. أُخرُجْ بهذا الكتاب إلى «عمر بن سعد» فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي فإن فعلوا فليبعث بهم إليَّ سلماً، وإن هم أبوا فليقاتلْهم، فإنْ فعلَ فاسمعْ لَهُ وَ أطِع، وإنْ أبى (عمرُ بن سعد) أن يقاتلهم فأنت (أي شمر بن ذي الجوشن) أميرُ الجيش واضرب عنقه وابعث إليَّ برأسه.
وكتب «ابن زياد» إلى «عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ»: **«إِنِّي لَمْ أَبْعَثْكَ إِلَى الْحُسَيْنِ لِتَكُفَّ عَنْهُ وَلاَ لِتُطَاوِلَهُ وَلاَ لِتُمَنِّيهِ السَّلاَمَةَ وَالْبَقَاءَ وَلاَ لِتَعْتَذِرَ لَهُ وَلاَ لِتَكُونَ لَهُ عِنْدِي شَافِعاً، انْظُرْ فَإِنْ نَزَلَ حُسَيْنٌ وَأَصْحَابُهُ عَلَى حُكْمِي وَاسْتَسْلَمُوا فَابْعَثْ بِهِمْ إِلَيَّ سِلْماً، وَإِنْ أَبَوْا فَازْحَفْ إِلَيْهِمْ حَتَّى تَقْتُلَهُمْ وَتُمَثِّلَ بِهِمْ فَإِنَّهُمْ لِذَلِكَ مُسْتَحِقُّونَ وَإِنْ قُتِلَ الْحُسَيْنُ فَأَوْطِئِ الْخَيْلَ صَدْرَهُ وَظَهْرَهُ فَإِنَّهُ عَاتٍ ظَلُومٌ، وَلَيْسَ أَرَى أَنَّ هَذَا يَضُرُّ بَعْدَ الْمَوْتِ شَيْئاً، وَلَكِنْ عَلَيَّ قَوْلٌ قَدْ قُلْتُهُ لَوْ قَتَلْتُهُ لَفَعَلْتُ هَذَا بِهِ. فَإِنْ أَنْتَ مَضَيْتَ لِأَمْرِنَا فِيهِ جَزَيْنَاكَ جَزَاءَ السَّامِعِ الْمُطِيعِ، وَإِنْ أَبَيْتَ فَاعْتَزِلْ عَمَلَنَا وَجُنْدَنَا وَخَلِّ بَيْنَ شِمْرِ بْنِ ذِي الْجَوْشَنِ وَبَيْنَ الْعَسْكَرِ فَإِنَّا قَدْ أَمَرْنَاهُ بِأَمْرِنَا وَالسَّلاَمُ.»**[1].

رفض ابن مرجانة اقتراح ابن رسول الله السلميّ كي لا يظهر ضعف الحاكم ووجَّه

(1) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 211 (أو ج2، ص 88 ـ 89).



تلك الرسالة السفيهة التي كانت بمثابة إعلان للحرب إضافةً إلى ما تضمنته من أوامر وحشيّة بالتمثيل بجثث القتلى (أي قطع آذانهم وأنوفهم) وأن يجعل الخيل تطأ صدرَ وظهرَ جثمانَ سبط النبي ﷺ كاشفاً بذلك عن سبعيّته ووحشيّته مُثْبِتاً أنّ جهازَ حكم «يزيد» المعادي للإسلام هو الذي سعى إلى الحرب وهو الذي أثار الفتنة وليس الحسين بن علي عليه السلام.

أصبح الخطر محدقاً مئة بالمئة

وصلت الرسالة الجنونية إلى حاكم الكوفة المستبد إلى يد «عمر بن سعد» في اليوم التاسع من محرّم، وفيها الأمر ببدء الهجوم على الحسين، الأمر الذي أزعج «ابن سعد» كثيراً.

لما قَدِمَ «شِمْرُ بنُ ذي الجوشن» بكتاب «عُبَيْد الله بن زياد» إلى «عمر بن سعد» وقرأه، قال له عُمَر: **مالك ويلك! لا قرَّبَ اللهُ دارَكَ، وقبّحَ اللهُ ما قَدِمْتَ بِهِ عَلَيَّ. والله إني لأظنُّك أنت ثنيته أن يقبلَ ما كتبتُ به إليه. أفسَدْتَ عَلَينا أمراً كُنّا رَجَوْنَا أنْ يَصْلُحَ. لا يستسلم والله حسينٌ، إن نفساً أبيَّةً لَبَيْنَ جَنْبَيهِ**[1].

فقال له شمر: «أَخْبِرْني ما أنت صانع؟ أتمضي لأمر أميرك وتقتل عدوَّهُ وإلا فخَلِّ بيني وبين الجند والعسكر»؟

قال «ابن سعد»: «لا ولا كرامة لك وأنا أتولّى ذلك».

قال: «دونك وكُنْ أنت على الرجال».

قال فنهض «عمر بن سعد» إليه عشيّة الخميس لتسعٍ مضين من المحرم.

وأعطى «ابن سعد» الأوامر بتقدّم قوّات الخيّالة نحو معسكر الإمام الحسين عليه السلام. وهكذا أصبح خطر الحرب محقَّقاً مئة بالمئة ولم يَعُدْ هناكَ أيُّ أمل بالسلم.

ومن الناحية الأخرى لما كان الحسين بن علي عليه السلام محاصراً مِنْ قِبَلِ قوّات العدوّ وكان ارتباطه مع الخارج قد انقطع تماماً، لم يَعُدْ لديه أيُّ أمل بوصول

---

(1) تاريخ الطبري، ج 4، ص315. وقد جاء في بعض المصادر: ﴿نفسَ أبِيْهِ﴾.



إمدادات إليه من الكوفة أو البصرة. «**وأيقنوا أنه لا يأتي الحسين ناصرٌ ولا يمدُّه أهلُ العراق**»[1].

بهذه المقدّمات أصبح خطر مقتل الإمام أيضاً محقّقاً مئة بالمئة، لأنّ أنصار ابن رسول الله صلى الله عليه وآله مهما كانوا باذلين ومضحّين إلا أن عددهم كان أقلّ من أن يستطيع التغلّب على ذلك العدد الكبير لقوّات العدوّ التي تقف وراءها حكومة الشام المركزية. ولكنّ المفاوضات التي تمّت بين الطرفين أخّرت الحرب ليلةً أخرى.

شهامةٌ من الجانبين:

[جمع الحسينُ عليه السلام أصحابَهُ عندَ قرب المساء. قال علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام فدنوتُ منه لأسمع ما يقول لهم وأنا إذ ذاك مريض، فسمعتُ أبي يقول لأصحابه **أُثنِي عَلَى اللهِ** أحسنَ الثناء . . . . . . **أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي لاَ أَعْلَمُ أَصْحَاباً أَوْفَى وَلاَ خَيراً مِنْ أَصْحَابِي، وَلاَ أَهْلَ بَيْتٍ أَبَرّ وَلاَ أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي؛ فَجَزَاكُمُ اللهُ عَنِّي خَيراً أَلاَ وَإِنِّي لأَظُنُّ أَنَّهُ آخِرُ يَوم لَنَا مِنْ هَؤُلاَءِ، أَلاَ وَإِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ فَانطَلِقُوا جَمِيعاً فِي حِلٍ لَيسَ عَلَيكُمْ مِنِّي ذِمَامٌ، هَذَا اللَّيلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلاً. فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ وَأَبْنَاؤُهُ وَبَنُو أَخِيهِ وَابْنَا عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَر: لِمَ نَفعَلُ ذَلِكَ؟ لِنَبْقَى بَعْدَكَ؟ لاَ أَرَانَا اللهُ ذَلِكَ أَبَداً**][2].

لقد كان حقّ الإمام الشخصي أن يدع أنصاره أحراراً في الذهاب لا بل أن يطلب منهم بشدّة أن ينفصلوا عنه وينطلقوا. ولكن كان من حقهم الشخصي أيضاً أن لا يقبلوا هذا الطلب وأن يحافظوا على الوجود المقدّس لابن رسول الله صلى الله عليه وآله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً حتى ولو كان لساعة واحدة.

لذلك فقد أجاب أنصار الإمام على طلبه الشهم الكريم بجواب شهم كريم مثله أعلنوا فيه استعدادهم جميعاً لبذل أرواحهم دون الإمام عليه السلام[3]. وهكذا تجلّت الشهامة والنُّبْلُ والسُّمُوّ في أعلى مظاهرها لدى الطرفين[4].

---

(1) الشيخ عباس القمي، **نفس المهموم**، ص120.

(2) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 212 (أو ج2، ص 91).

(3) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص212، **تاريخ الطبري**، ج4، ص318.

(4) عندما طلب الإمام عليه السلام من أصحابه الانصراف والعودة سقط عنهم وجوب الجهاد ولكنه كان مستحباً لأن حفظ وجود الإمام حتى ولو لعدة ساعات فقط أمر مطلوب.



نقطةٌ هامَّةٌ

كيف يُفَسِّرُ الذين يقولون إن الإمام إنما تحرّك منذ البداية بقصد أَنْ يُقْتَلَ هو وأصحابه، مقولة الإمام لأصحابه: **«اذهبوا كَيْ لا تُقْتَلُوا»**؟

إذا قالوا: كان الإمام في البداية يريد أَنْ يُقْتَلَ هو وأصحابه لكنه في ليلة عاشوراء تغيّر قراره بشأن أصحابه فرأى أن ينقذهم من القتل؛ فإن هذا القول لا يمكن قبوله إذْ ما العلَّة التي يمكن أن تدعو الإمام إلى تغيير قراره بشأن أصحابه؟

إذا قالوا: كان الإمام يريد أن يمتحن أصحابه. فهذا أيضاً ليس بصحيح لأن الإمام في تلك الليلة وقبل أن يطلب من أصحابه الانصراف قال: **«فَإِنِّي لاَ أَعْلَمُ أَصْحَاباً أَوْفَى وَلاَ خَيْراً مِنْ أَصْحَابِي، وَلاَ أَهْلَ بَيْتٍ أَبَرَّ وَلاَ أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي»**. فإذن لم يكن بحاجة إلى امتحانهم.

لا أظنُّ أنّ الذين يقولون إن الإمام تحرّك منذ البداية بقصد أَنْ يُقْتَلَ هو وأصحابه يمتلكون أيَّ إجابة صحيحة عن السؤال المشار إليه أعلاه.

أما الذين يقولون إن الإمام عندما تحرّك من مكة نحو الكوفة كان يريد ـ إضافة إلى امتناعه عن بيعة يزيد ـ أن يدخل الكوفة ليتولى زمام الأمور فيها، فيمكنهم أن يعطوا جواباً صحيحاً عن السؤال المذكور، فيقولوا: إن الإمام كان قد أخذ من أصحابه البيعة على الجهاد معه لأجل فتح الكوفة وإقامة الحكم الإسلامي فيها وكانت تلك البيعة قابلة للتنفيذ عندما كان هناك إمكانية للانتصار العسكري بالنسبة إلى ابن رسول الله عليه السلام، ولكن في ليلة عاشوراء لما انتفت إمكانية الانتصار، لم يعد بقاء أصحابه مساعداً على تحقيق ذلك الهدف لذا أحلّهم من بيعتهم له وأمرهم بالذهاب[1].

---

(1) وذلك مثلما بعث الإمام إلى «زهير بن القين البجلي» يدعوه أن يأتي لنصرته، عندما كان هناك أمل في النصر، فأتاه زهير بن القين فما لبث أن جاء مستبشراً قد أشرق وجهه فأمر بفسطاطه وثقله ورحله ومتاعه فقوض وحمل إلى الحسين عليه السلام ثم قال لامرأته: أنت طالق الحقي بأهلك فإني لا أحب أن يصيبك بسببي إلا خير. (الإرشاد، ص 202). ولكن في ليلة عاشوراء عندما لم يَعُدْ هناك أملٌ بانتصار الإمام طلب من زهير ذاته، ومن سائر أنصاره أن يتركوه ويذهبوا.

و«زهير» هذا لم يلتحق بالإمام قط لأجل أَنْ يُقْتَلَ بل لأجل أن يجاهد معه حتى النصر ويدفع الشر عن ابن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، وقد أشار إلى هدفه هذا في جوابه الذي قاله للإمام حين قال: **«والله لوددت أني قُتِلْتُ ثم نُشِرْتُ ثم قُتِلْتُ حتى أُقْتَلَ هكذا ألف مرَّة، وأنَّ اللهَ تعالى يَدْفَعُ بذلك القتلَ عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك.»**. (الإرشاد، ص 213 أو ج2، ص 92). =



كان الإمام يميلُ حَقّاً وواقعاً أن ينفصل عنه في تلك الليلة جميع إخوته وأبناء إخوته وأبناء عمومته وابناه الإمام السجّاد وعليٌّ الأكبر عليهما السلام إضافةً إلى جميع أصحابه ويذهبوا بسلام، نهاية ما في الأمر أن أولئك الأنصار كانوا أصحاب شهامة ونخوة وفضّلوا المحافظة على الوجود المقدّس لوليّ الله الأعظم ولو لعدة ساعات على بقائهم أحياء.

نُقْطَةٌ هامَّةٌ أخرى

«قَالَ الإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: «إِنِّي لَجَالِسٌ فِي تِلْكَ الْعَشِيَّةِ [ليلة عاشوراء] الَّتِي قُتِلَ أَبِي فِي صَبِيحَتِهَا وَعِنْدِي عَمَّتِي زَيْنَبُ تُمَرِّضُنِي إِذِ اعْتَزَلَ أَبِي فِي خِبَاءٍ لَهُ وَعِنْدَهُ جُوَيْنٌ مَوْلَى أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ وَهُوَ يُعَالِجُ سَيْفَهُ وَيُصْلِحُهُ وَأَبِي يَقُولُ:

يا دهر! أفٍّ لك من خليل كم لك بالإشراق والأصيلِ!

من صاحب أو طالب قتيل والدهر لا يقنع بالبديلِ

و إنّما الأمر إلى الجليل وكلُّ حيٍّ سالكٌ سبيلي

فَأَعَادَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثاً حَتَّى فَهِمْتُهَا وَعَرَفْتُ مَا أَرَادَ، فَخَنَقَتْنِي الْعَبْرَةُ فَرَدَدْتُهَا وَلَزِمْتُ السُّكُوتَ وَعَلِمْتُ أَنَّ الْبَلاءَ قَدْ نَزَلَ، وَأَمَّا عَمَّتِي فَإِنَّهَا سَمِعَتْ مَا سَمِعْتُ وَهِيَ امْرَأَةٌ وَمِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ الرِّقَّةُ وَالْجَزَعُ فَلَمْ تَمْلِكْ نَفْسَهَا أَنْ وَثَبَتْ تَجُرُّ ثَوْبَهَا وَإِنَّهَا لَحَاسِرَةٌ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ: **وَا ثُكْلاهُ! لَيتَ الْمَوْتَ أَعْدَمَنِي الْحَيَاةَ! الْيَوْمَ مَاتَتْ أُمِّي فَاطِمَةُ وَأَبِي عَلِيٌّ وَأَخِي الْحَسَنُ، يَا خَلِيفَةَ الْمَاضِي وَثِمَالَ الْبَاقِي!** فَنَظَرَ إِلَيْهَا الْحُسَيْنُ عليه السلام فَقَالَ لَهَا: يَا أُخَيَّةُ لاَ يُذْهِبَنَّ حِلْمَكِ الشَّيْطَانُ وَتَرَقْرَقَتْ عَيْنَاهُ بِالدُّمُوعِ. وَقَالَ: لَوْ تُرِكَ الْقَطَا لَيْلاً لَنَامَ[1] فَقَالَتْ: **يَا وَيلَتَاه! أَفَتُغْتَصَبُ نَفْسُكَ اغْتِصَاباً؟ فَذَاكَ أَقْرَحُ لِقَلْبِي وَأَشَدُّ عَلَى نَفْسِي ثُمَّ لَطَمَتْ وَجْهَهَا وَهَوَتْ إِلَى جَيْبِهَا فَشَقَّتْهُ وَخَرَّتْ مَغْشِياً عَلَيْهَا.**»[2].

= لو أن الإمام قال لزهير: نحن ذاهبون أنا وأصحابي لأجل أَنْ نُقْتَلَ، لما كان هناك أيُّ معنىً لقول «زهير» للإمام: لوددتُ أن أضحي بنفسي ألف مرة لأدفع عنك القتل.

(1) لَوْ تُرِكَ الْقَطَا لَيْلاً لَنَامَ: يُضرَب لمن حُمِلَ على مكروه من غير إرادته (**مجمع الأمثال** للميداني) وقيل: ضُرِبَ مثلاً للرجل يُستثار للظلم فيَظلم. (المُتَرْجِمُ)

(2) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 213، (أو ج2، ص93 ـ 94) و**تاريخ الطبري**، ج 4، ص319.



وهنا نقول: لو كان الإمام قد تحرّك منذ البداية بقصد أَنْ يُقْتَلَ، وكان يكرِّرُ ذلك المطلب طوال سفره، لما كان مقتَلُهُ مخالفاً للتوقُّع بل لكان أمراً معلوماً وعادياً بالنسبة إلى السيدة زينب عليها السلام وقابلاً للتحمّل، وعندئذ: فما معنى أن تنزعج زينب الكبرى عليها السلام من سماع تلك الأشعار التي أشار فيها الإمام إلى شهادته كل ذلك الانزعاج إلى حدّ قولها: «وَا ثُكْلَاهْ! لَيتَ الْمَوْتَ أَعْدَمَنِي الْحَيَاةَ!». وما معنى أن تسأل أخاها قائلةً: «يَا وَيلَتَاه! أَفَتُغْتَصَبُ نَفْسُكَ اغْتِصَاباً؟».

وما معنى أن يجيب الإمام «لو ترك القطا ليلاً لنام» (وهي جملة يُضرَب بها المثل لمن حُمِلَ على مكروهٍ من غير إرادته) ومؤدّاها في هذا المقام أنه لو تُرِك لي المجال للعودة لعدتُ؟

لو كان صحيحاً أن الإمام تحرَّك منذ البداية لأجل أَنْ يُقْتَلَ فهل ينسجم ذلك مع قوله هنا: «لو ترك القطا ليلاً لنام» الذي مؤدَّاه: إن ما سيحيق بي لا إرادة واختيار لي فيه بل سيقع عليّ رغماً عني ونتيجةً لتغلّب العدوّ وقهره، وهو مخالف لرغبتي لأنهم لو تركوني حرّاً لعدتُ من حيث أتيت؟!

شائعةٌ لا أساس لها

شاع بين كثيرٍ من الناس أن جماعةً من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام تخلّوا عن نصرة الإمام ليلة عاشوراء وتفرَّقوا عنه ليلاً.

وقد بحثتُ كثيراً لأقف على مصدر هذا القول وبعد الاستقصاء والتفحّص الكامل في جميع المصادر المتوافرة توصّلتُ إلى النتيجة التالية وهي أن تفرّق أصحاب الإمام الحسين عليه السلام عنه ليلة عاشوراء غير مذكور في أيٍّ من المصادر التاريخية مثل:

1 ـ **تاريخ اليعقوبي**، لابن واضح اليعقوبي[1]، ج2، ص 213.

2 ـ **تاريخ الطبري**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ج4، ص 318.

---

(1) ابن واضح اليعقوبي: هو أحمد بن إسحاق بن واضح اليعقوبي، مؤرخ جغرافي كثير الأسفار، من أهل بغداد، كان جدُّه من موالي المنصور العباسي، رحل إلى المغرب وأقام مدة في أرمينية، ودخل الهند، وزار الأقطار العربية، وصنّف كتباً جيّدةً منها (تاريخ اليعقوبي) انتهى به إلى خلافة المعتمد على الله العباسي. توفي بعد عام 292 هـ. (المُتَرْجِمُ)



3 ـ **مقاتل الطالبيين**، لأبي الفرج الأصفهاني، ص 112.

4 ـ **الإرشاد**، للمفيد، ص 212.

5 ـ **إعِلام الورى بأعلام الهدى**، لأمين الإسلام الطبرسي[1]، ص 235.

6 ـ **روضة الواعظين**، لابن فتال النيشابوري[2]، ص 183، 184.

7 ـ **الكامل في التاريخ**، لابن الأثير، ج4، ص 57 ـ 58.

8 ـ **مقتل الحسين**، للخوارزمي[3]، ج2، ص 247.

9 ـ **تذكرة الخواص**، لسبط ابن الجوزي[4]، ص 249.

10 ـ **مثير الأحزان**، لابن نما الحلّيّ[5]، ص 26.

11 ـ **تاريخ البداية والنهاية لابن كثير**، ج8، ص176 ـ 177.

12 ـ **اللهوف على قتلى الطفوف**، للسيد ابن طاووس، ص 80 حتى 82.

(1) هو الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، أمين الدين، أبو علي: مفسّر محقّق لغوي، من أجلاء الإمامية وأعلامهم في القرن السادس الهجري، نسبته إلى طبرستان، له **«مجمع البيان في تفسير القرآن»** وتفسير «جوامع الجامع»، و«إعلام الورى بأعلام الهدى». توفّي في سبزوار عام 548هـ، ونقل إلى المشهد الرضوي. (المُتَرْجِمُ)

(2) هو محمد بن الحسن بن علي بن أحمد بن علي الفتال النيشابوري المعروف بابن الفتال، من علماء الإمامية في القرن الخامس الهجري. من مشايخه شيخ الطائفة الشيخ الطوسي والسيد المرتضى علم الهدى، ومن تلامذته ابن شهرآشوب المازندراني. من أشهر مؤلفاته **«روضة الواعظين وبصيرة المتعظين»** وهو من مصادر بحار الأنوار وطبع مراراً في إيران والعراق. توفي ابن الفتال مقتولاً سنة 508هـ. (المُتَرْجِمُ).

(3) هو أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي الخوارزمي، المعروف بأخطب خوارزم (484؟ ـ 568 هـ). فقيه أديب، له خطب وشعر، أصله من مكة، أخذ العربية عن الزمخشري بخوارزم، وتولى الخطابة بجامعها. له كتاب **«مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة»** و**«مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب»** و**«مقتل الحسين»** الذي يُعَدُّ من أهم الكتب عن مقتل الحسين عليه السلام و أكثرها تفصيلاً. (المُتَرْجِمُ)

(4) هو الشيخ شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قز أوغلي (أي سبط) سبط أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي. محدث ومؤرخ وكاتب و واعظ مشهور، حنفي المذهب، ولد ونشأ في بغداد (581هـ) ثم انتقل إلى دمشق فاستوطنها وتوفي فيها (ـ 654هـ)، له كتاب **«مرآة الزمان في تاريخ الأعيان»** (تاريخ كبير في 40 مجلداً) و**«تذكرة خواص الأمة بذكر خصائص الأئمة الأثني عشر»**. (المُتَرْجِمُ)

(5) هو الشيخ محمد بن جعفر بن أبي البقاء بن نما الحلي شيخ فقهاء الإمامية في عصره، وأحد مشايخ المحقق الحلي والسيد رضي الدين ابن طاووس، ولد بالحلّة 567 هـ و توفي بالنجف عام 645 هـ. (المُتَرْجِمُ)



13 ـ **مناقب آل أبي طالب**، لابن شهر آشوب المازندراني[1]، ج4، ص99.

14 ـ **مطالب السؤول في مناقب آل الرسول**، لكمال الدين محمد بن طلحة الشافعي[2].

15 ـ **تاريخ أبي الفداء**[3].

16 ـ **تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر**، (هذَّبه الشيخ عبد القادر بدران الحنبلي).

17 ـ **الأخبار الطوال** لأبي حنيفة الدينوري.

18 ـ **الإمامة والسياسة** لابن قتيبة الدينوري.

19 ـ **مروج الذهب ومعادن الجوهر** للمسعودي.

20 ـ **العقد الفريد** لابن عبد ربّه.

بل على العكس لقد ذُكر في الكتب المشار إليها (من الرقم 1حتى 13) أن أياً من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام لم يَقْبَل ما اقترحه الإمام عليهم من الانصراف، بل أعلنوا جميعاً استعدادهم لبذل أرواحهم فداءً لابن رسول الله صلى الله عليه وآله.

عبارةٌ مُبْهَمَةٌ

نعم، توجد في كتاب التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام عبارةٌ في هذا المجال نذكرها فيما يلي لتوضيح الموضوع:

---

(1) هو رشيد الدين، محمد بن شهرآشوب المازندراني، من علماء الشيعة الإمامية وفقهائهم البارزين في القرن السادس الهجري، وُلِدَ في مازندران (شمال إيران) سنة 489 هـ، وطاف البلدان يتلقى العلم عن علماء الشيعة والسنة في عصره فكان من أساتذته جار الله الزمخشري، والطبرسي صاحب تفسير مجمع البيان والطبرسي صاحب الاحتجاج وقطب الدين الراوندي وغيرهم. من أشهر كتبه: «**مناقب آل أبي طالب عليهم السلام**» في أربعة مجلدات و«**معالم العلماء**» و«**متشابه القرآن ومختلفه**». أطرى عليه علماء الشيعة والسنة، وَتُوُفِّيَ في حلب شمال سورية سنة 558هـ ودفن بها. (المُتَرْجِمُ)

(2) هو الوزير والأديب الكاتب محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن، كمال الدين القرشي النصيبي العدوي الشافعي، ولد بالعمرية (من قرى نصيبين) ورحل إلى نيسابور، و ولي الوزارة بدمشق، ثم تركها وتزهد، وتوفي بحلب سنة 652 هـ. من كتبه: «**مطالب السؤول في مناقب آل الرسول**». (المُتَرْجِمُ)

(3) أي تاريخ «**المختصر في أخبار البشر**» المعروف بتاريخ أبي الفداء، لأبي الفداء إسماعيل بن علي بن المظفّر تقي الدين محمود بن شاهنشاه بن أيوب الملك المؤيد الأيوبي الشافعي صاحب حماة (ـ 732هـ). (المُتَرْجِمُ)



جاء في الكتاب المذكور في تفسير الآية ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة/ 34]:

«قال عليه السلام: ولما أُمْتُحِنَ الحسينُ وَمَنْ مَعَهُ بالعسكر الذين قتلوه، وَحَمَلُوا رأسه قال لعسكره: أنتم من بيعتي في حِلٍّ، فالحقوا بعشائركم ومواليكم. وقال لأهل بيته: قد جعلتكم في حِلٍّ من مفارقتي، فإنّكم لا تطيقونهم لتضاعف أعدادهم وقواهم، وما المقصود غيري، فدعوني والقوم، فإنّ اللهَ عزَّ وجلَّ يعينني ولا يخليني من [حسن] نظره، كعادته في أسلافنا الطيبين. فأما عسكره ففارقوه. وأما أهله [و] الأدنون من أقربائه فأبوا، وقالوا: لا نفارقك، ويحل بنا ما يحل بك، ويحزننا ما يحزنك، ويصيبنا ما يصيبك، وإنا أقرب ما نكون إلى الله إذا كنّا معك.»[1].

الأمر المسلّم به أن الإمام الحسين عليه السلام قال لأصحابه ـ بعد وصول خبر مقتل «مسلم بن عقيل» إليه ـ عندما كان في المنزل الذي يُدعى **«زبالة»**: **«من أحبَّ منكم الانصراف فلينصرف غير حرج ليس عليه ذمام». فتفرّق الناس عنه وأخذوا يميناً وشمالاً حتى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة ونفر يسير ممن انضووا إليه**[2].

فإذا كان المقصود مما جاء في التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام هو هذه العودة لبعض مرافقي قافلة الإمام من الأعراب وانصرافهم عنه، فهذا صحيح، ولكن عبارة كتاب التفسير ذاك لا تنطبق على هذا الأمر لأن ظاهرها أن جميع أصحاب الإمام فارقوه ولم يبق سوى أهل بيته الأدنين، في حين أن الذي جاء في التواريخ هو أن الذين تفرّقوا عنه في منزل **«زبالة»** هم الأعراب الذين التحقوا به في الطريق فقط وليس أصحاب الإمام وأنصاره.

أضف إلى ذلك أن أكثر من ثلثي شهداء كربلاء كانوا من غير أهل بيت الإمام مثل «حبيب بن مظاهر» و«مسلم بن عوسجة» و«زهير بن القين» وغيرهم، في حين أن الرواية المذكورة في ذلك الكتاب تقول إنه لم يبق مع الإمام إلا أهله الأدنون من أقربائه.

---

(1) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص 87.

(2) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 203 (أو ج2، ص 75 ـ 76)، و **تاريخ الطبري**، ج 4، ص 300.



أما إذا أرادت رواية ذلك الكتاب أن تقول إن جميع أنصار وأصحاب الإمام تفرّقوا عنه ليلة عاشوراء فإن هذا مخالف للحقيقة لأن جميع الكتب التي أشرنا إليها تؤكّد أنه لم يتفرّق عن الإمام ليلة عاشوراء ولا واحدٌ من أصحابه وأنصاره.

إن عبارة رواية التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام غير واضحة، فلا يُفْهَمُ منها أن المتفرقين عن الإمام هل كانوا الأعراب الذين التحقوا بقافلته أم أنصاره الذين كانوا معه ليلة عاشوراء؟ هذا رغم أن بعض عبارات الرواية مثل جملة: **«وما المقصود غيري»** تتناسب أكثر مع ليلة عاشوراء.

استنباط صاحب «ناسخ التواريخ»

ولكن كتاب **«ناسخ التواريخ»** طبّق الرواية المذكورة في التفسير المنسوب إلى الإمام علي ليلة عاشوراء وقال:

«وإجمالاً، لما حلّت ليلة عاشوراء وخيّم الظلام امتحن الإمام الحسين عليه السلام جماعته[1] واختبرهم. جاء في تفسير الإمام: قال الحسين لعسكره: أنتم في حلّ من بيعتي فالحقوا بعشائركم ومواليكم.»

ثم ترجم بقية الرواية التي أوردناها من التفسير المذكور كما يلي:

«عندئذٍ قال لأهل بيته أنتم أيضاً أجزتكم بمفارقتي فإنكم لا تطيقون مبارزتهم ولا قِبَلَ لكم بعَدَدِهم وعُدَدِهم، ولا مقصودَ لأولئك الجماعة غيري، فدعوني والقومَ فإن الله يعينني وينظر إليّ برحمته، كما نظر إلى أسلافنا الطيبين، فلا تقلقوا بشأني، يقول الإمام: فاختار عسكره مفارقته فتفرّقوا عنه، في حين أبى أهله وخاصّته أن يتفرّقوا عنه وبقوا معه»[2].

يتّضح من عبارة **«ناسخ التواريخ»** التي نقلناها أنه طبّق رواية التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري على ليلة عاشوراء ولم ينتبه إلى أنه لو صحّ ما قاله من أن

---

(1) من الواضح أن صاحب كتاب **«ناسخ التواريخ»** قرأ كلمة «أُمْتُحِنَ» المبنية للمجهول «امتَحَنَ» بصيغة المبني للمعلوم وهذا خطأ وقع فيه.

(2) ناسخ التواريخ، الجزء الثاني من المجلد السادس، ص222، طبع 1336هجري شمسي.



جميع أصحاب وأنصار الإمام تفرّقوا عنه ليلة عاشوراء ولم يبق معه سوى أهل بيته، لوجب أن يكون شهداء كربلاء كلهم من أهل بيته في حين أن معظمهم لم يكونوا من أهل بيت الإمام.

يمكننا أن نقول: إن هذه الفكرة (تفرّق أصحاب الإمام الحسين عليه السلام عنه ليلة عاشوراء) شاعت بين الناس بعد تأليف كتاب «**ناسخ التواريخ**» لأن هذا الكتاب اشتهر جداً وراج بين الناس خصوصاً بين الإيرانيين. ولا يمكننا أن نعتبر مصدر تلك الشائعة التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري، أولاً: لأن ذلك الكتاب لم يكن رائجاً بين الناس لاسيما بين الناطقين بالفارسية، وثانياً: عبارة ذلك التفسير لا تدلُّ بصراحة على أن ذلك التفرّق عن الإمام متعلّق بليلة عاشوراء. إذن منشأ شيوع هذه الفكرة الشائعة استنباط صاحب «**ناسخ التواريخ**»، ومنشأ هذا الاستنباط الرواية المذكورة في التفسير المنسوب إلى الإمام.

وعلى فرض أن التفسير صرّح بأن أصحاب الإمام تفرّقوا عنه ليلة عاشوراء فإن هذا الأمر غير مذكور في أي مصدر من المصادر التاريخية. هذا من جهة، ومن الجهة الأخرى فإن كتاب التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري في نظر علماء المذهب كتابٌ غيرُ موثوق به ولا قيمة علميّة له، وعلماء الشيعة الكبار لا يذكرون رواياته إلا بقيد الحيطة والحذر، بل **إن عالم الشيعة الفريد العلامة الحلّي اعتبر هذا الكتاب كتاباً موضوعاً ومختلقاً بأسره**[1].

كان أحد أساتذتنا الكبار يقول في مجلس دروسه: كان المرحوم آية الله الشيخ «**محمد رضا أصفهاني مسجدشاهي**» يقول عن هذا التفسير المنسوب إلى الإمام: إنه كتاب وضعه شخص مختلق للخرافات معوجّ السليقة.

اتّضح مما ذُكر أن ما شاع بين الناس من أن جماعة من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام تفرّقوا عنه ليلة عاشوراء قولٌ لا مستندَ موثوقاً له بل منشؤه استنباط صاحب كتاب «**ناسخ التواريخ**» الذي استند فيه بدوره إلى كتاب غير موثوق، لذا يحقُّ لنا أن نعتبر ما جاء في كتاب «**ناسخ التواريخ**» شائعة لا أساس لها من الصحة.

---

(1) يقول العلامة الحلي في خلاصة الرجال ص257 عن هذا التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «**والتفسير موضوع عن سهل الديباجي عن أبيه بأحاديث من هذه المناكير**».



تثبيت المواضع الدفاعية

[عندما امتنع أنصار الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه عن الذهاب وتركه ليلة عاشوراء وأعلنوا استعدادهم للتضحية والفداء معه، خرج الإمام إلى أصحابه فأمرهم أن يقرّبوا بعض بيوتهم من بعض وأن يدخلوا الأطناب بعضها في بعض وأن يكونوا هم بين البيوت إلا الوجه الذي يأتيهم منه عدوُّهم.

وأتى الحسين عليه السلام بقصب وحطب إلى مكانٍ من ورائهم منخفض كأنه ساقيَة، فحفروه في ساعةٍ من الليل فجعلوه كالخندق ثم ألقوا فيه ذلك الحطب والقصب وقالوا إذا عَدَوْا عَلَيْنَا فقاتلونا، ألقينا فيه النار كي لا نُؤْتَى مِنْ ورائنا، وقاتلنا القومَ من وجه واحد. ففعلوا وكان لهم نافعاً][1].

أجل، لما أصبح خطر الحرب واقعاً مئة بالمئة بسبب الأوامر السفيهة التي أصدرها حاكم العراق الدمويّ، كان لا بدّ للإمام أن يتّخذ جميع الإجراءات الاحتياطية التي تجعله مع أصحابه في وضع أكثر اطمئناناً ومساعدةً على المقاومة والدفاع عندما ستبدأ المعركة.

شفقةٌ وإرشادٌ

أصبح «عمر بن سعد» في يوم عاشوراء ـ وهو يوم الجمعة وقيل يوم السبت ـ فعبّأ أصحابه و خرج فيمن معه من الناس نحو الحسين عليه السلام.

وخرج الإمام عليه السلام فيمن معه من الناس وعبّأ أصحابه أيضاً وصلّى بهم صلاة الغداة وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً، فجعل «زهير بن القين» في ميمنة أصحابه و«حبيب بن مظاهر» في ميسرة أصحابه وأعطى «العباس بن علي» أخاه رايته. وجعلوا البيوت في ظهورهم وأمر بحطب وقصب كان من وراء البيوت تحرق بالنار مخافة أن يأتوهم من ورائهم.

ثمَّ قرَّر الإمام الحسين عليه السلام، وفاءً لواجبه الذي يمليه عليه كونه زعيماً كبيراً رؤوفاً بالمسلمين رحيماً بهم يحمل على عاتقه مسؤولية خطيرة تجاه الناس، في مثل

(1) **تاريخ الطبري**، ج 4، ص 319 ـ 320، والشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 214 (أو ج2، ص 95).



هذه اللحظات التاريخية والحسّاسة قبل أن تبدأ المعركة بشكلٍ فعليّ، أن يجذب أفكار معسكر العدوّ إلى طرفه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً وأن يؤثّر في أرواحهم بكلماته وأن يوقظ ضمائرهم ويحذّر هؤلاء الناس التائهين الضالّين الذين جاء معظمهم لقتاله خلافاً لوجدانه خوفاً أو طمعاً. لقد كان قلب الإمام الرحيم يخفق محبّةً وشفقةً على أولئك المخدوعين الضائعين وكان يتألّم مثل أب حنون مشفق لضلال أولئك الناس الذين كانوا أسرى لأهواء رجال حكومة الوقت السفيهة.

أراد ابن رسول الله صلى الله عليه وآله أن يُلقِيَ خطبةً حسب مقتضى الأوضاع الجارية آخذاً في الاعتبار طريقة تفكير الناس، فيبيّن بعض الحقائق في تلك اللحظة من الزمن التي كانت نقطة تحول تاريخية، أمامَ عدّة آلاف من الأشخاص، كي يسجّل التاريخ كلماته وكي توضِّح للأجيال اللاحقة الوجه الحقيقي لتلك الواقعة الأليمة التي حملت كل تلك الخسائر والأضرار التي أوجدها رجال حكومة سفهاء متجبِّرون لاهثون وراء الحرب.

أراد ابن علي بن أبي طالب عليه السلام أن يعرّف نفسه لأولئك الناس المتبلبلين مضطربي الفكر بصورة أكثر مما يعرفونه من قبل، وأن يهديهم ـ ما وسعه ـ إلى سبيل الحق شفقةً عليهم، كي لا يتورَّطوا في جريمة محاربته ويلطخوا أيديهم بدمه.

أراد الحسين بن علي عليه السلام بإلقائه لخطبة قويَّةٍ مؤثِّرةٍ ومُزَلْزِلَة أن يوقظ ـ إذا أمكن ـ أفكار أولئك المسلمين المخدوعين لعلّه يحول دون وقوع الحرب.

لقد كان رجل السلم والإصلاح ذاك يسعى حتى في تلك اللحظة التاريخية التي اجتمعت فيها جميع عوامل الحرب إلى بذل كل وسيلة ممكنة قد تساعد على اجتناب حرب طاحنة لا فائدة منها بل هي نوع من الجنون الاجتماعي، ولكي يتم الحفاظ على الوجود الثمين لسبط النبي الذي كان ذخراً للإسلام وملاذاً للمسلمين.

خرج الإمام الحسين عليه السلام عليهم بزيٍّ جدِّه عليه السلام متقلِّداً سيف النبيّ لابساً عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله ورداءَه، واعتلى ناقته كي يكون في وضع مرتفع يتيح لجميع الناس رؤيته وليريهم في الوقت ذاته أنه ليس في نيته الحرب ـ لأن المحارب يمتطي عادة الجواد لا الناقة ـ بل يريد أن يخطب فيهم.

كان قادة قوَّات العدوّ يعلمون أنه لو ألقى الحسين بن علي عليه السلام بتلك الهيئة



والصورة الجذّابة التي تذكّر الناس بصورة النبيّ ﷺ خطبةً في الناس واستمع إليه الناس فإنه سيسخّر إلى حدٍّ كبير أفكار أولئك الذين كانوا يؤمنون برسول الله ﷺ ولربّما أحدث انقلاباً في أرواح سامعيه وأدّى إلى انفجار داخليٍّ وسط معسكر «عمر بن سعد».

فكان أولُ ما صنعه الأعداء دليلاً على صدق فراسته فيهم وعلى أنَّ رؤساءهم ومؤلّبيهم كانوا يشفقون أن يتركوا له آذان القوم فينفذ إلى قلوبهم ويلمس مواقع الإقناع من ألبابهم... لقد ضجُّوا بالصياح و الجلبة وأكثروا من العجيج والحركة ليحجبوا كلامه عن أسماعهم ويتّقوا أثر موعظته فيهم وهو بتلك الهيئة التي تغضي عنها الأبصار وتعنو لها الجباه.

ولكن الإمام صابرهم حتى ملُّوا وملَّ إخوانهم ضجيجهم هذا الذي يكشفون به عجزهم وخوفهم ولا يوجب الثقة بدعواهم عند إخوانهم[1]. فهدأوا بعد لحظات فسمعوه يقول:

«أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي وَلاَ تَعْجَلُوا حَتَّى أَعِظَكُمْ بِمَا يَحِقُّ لَكُمْ عَلَيَّ وَحَتَّى أُعْذِرَ إِلَيْكُمْ فَإِنْ أَعْطَيْتُمُونِي النَّصَفَ كُنْتُمْ بِذَلِكَ أَسْعَدَ وَإِنْ لَمْ تُعْطُونِي النَّصَفَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ فَأَجْمِعُوا رَأْيَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ.

ثُمَّ حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَرَ اللهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ وَعَلَى مَلاَئِكَةِ اللهِ وَأَنْبِيَائِهِ فَلَمْ يُسْمَعْ مُتَكَلِّمٌ قَطُّ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَبْلَغُ فِي مَنْطِقٍ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ:

أَمَّا بَعْدُ فَانْسُبُونِي فَانْظُرُوا مَنْ أَنَا؟ ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَى أَنْفُسِكُمْ وَعَاتِبُوهَا فَانْظُرُوا هَلْ يَصْلُحُ لَكُمْ قَتْلِي وَانْتِهَاكُ حُرْمَتِي؟

أَلَسْتُ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ وَابْنَ وَصِيِّهِ وَابْنِ عَمِّهِ وَأَوَّلِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُصَدِّقِ لِرَسُولِ اللهِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ؟

أَوَلَيْسَ حَمْزَةُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عَمِّي؟ أَوَلَيْسَ جَعْفَرٌ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ بِجِنَاحَيْنِ عَمِّي؟

(1) انظر عباس محمود العقاد، «أبو الشهداء»، ص 173، (أو ص 140 ـ 141 من طبعة القاهرة، 1960).



أَوَلَمْ يَبْلُغْكُمْ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ لِي وَلِأَخِي هَذَانِ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ فَإِنْ صَدَّقْتُمُونِي بِمَا أَقُولُ، وَهُوَ الْحَقُّ وَاللهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِباً مُنْذُ عَلِمْتُ أَنَّ اللهَ يَمْقُتُ عَلَيْهِ أَهْلَهُ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي فَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ لَوْ سَأَلْتُمُوهُ عَنْ ذَلِكَ أَخْبَرَكُمْ: سَلُوا «جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيَّ» وَ«أَبَا سَعِيدِ الْخُدْرِيَّ» وَ«سَهْلَ بْنَ سَعْدِ السَّاعِدِيَّ» وَ«زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ» وَ«أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ» يُخْبِرُوكُمْ أَنَّهُمْ سَمِعُوا هَذِهِ الْمَقَالَةَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِي وَلِأَخِي. أَمَا فِي هَذَا حَاجِزٌ لَكُمْ عَنْ سَفْكِ دَمِي؟

فَقَالَ لَهُ شِمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ هُوَ يَعْبُدُ اللهَ عَلى حَرْفٍ إِنْ كَانَ يَدْرِي مَا يَقُولُ!

فَقَالَ لَهُ حَبِيبُ بْنُ مُظَاهِرٍ: وَاللهِ إِنِّي لَأَرَاكَ تَعْبُدُ اللهَ عَلَى سَبْعِينَ حَرْفاً وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ صَادِقٌ مَا تَدْرِي مَا يَقُولُ قَدْ طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِكَ.

ثُمَّ قَالَ لَهُمُ الْحُسَيْنُ عليه السلام: فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ هَذَا أَ فَتَشُكُّونَ أَنِّي ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ؟ فَوَ اللهِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ابْنُ بِنْتِ نَبِيٍّ غَيْرِي فِيكُمْ وَلاَ فِي غَيْرِكُمْ.

وَيْحَكُمْ أَتَطْلُبُونِّي بِقَتِيلٍ مِنْكُمْ قَتَلْتُهُ أَوْ مَالٍ لَكُمْ اسْتَهْلَكْتُهُ أَوْ بِقِصَاصِ جِرَاحَةٍ؟[1]

فَأَخَذُوا لاَ يُكَلِّمُونَهُ.

فَنَادَى يَا شَبَثَ بْنَ رِبْعِيٍّ! يَا حَجَّارَ بْنَ أَبْجَرَ! يَا قَيْسَ بْنَ الأَشْعَثِ! يَا يَزِيدَ بْنَ

---

(1) اشتهر بين الناس أن أهل الكوفة أجابوا الإمام عن سؤاله هذا بقولهم: **«إنما نقاتلك بغضاً منّا لأبيك»**. ولم أجد هذه الجملة في أيٍّ من المصادر التاريخية المتوافرة، اللهم إلا في كتاب **«نور العين»** المليء بالأكاذيب ص 57، والكتاب المسمى بمقتل أبي مخنف المليء بالأساطير الذي طبع ملحقاً بالمجلد العاشر من **«بحار الأنوار»**. حيث جاءت تلك الجملة في ص 74 من كتاب مقتل أبي مخنف، طبع بغداد. ولكن هذا الكتاب كتاب مليء بالأكاذيب والافتراءات و كثير من المطالب التي جاءت فيه كذبٌ محضٌ وتتطابق مع المطالب التي جاءت في كتاب **«نور العين»** للإسفراييني مما يجعل القارئ يتصور أن تلك الأكاذيب نقلها كاتب أحد الكتابين عن الكتاب الآخر، أو أن مصدرهما واحد.

يقول المحدث النوري في كتابه **«اللؤلؤ والمرجان»** ص 156 حول هذا الكتاب: **«يشتمل هذا المقتل الموجود المنسوب لأبي مخنف على بعض المطالب المنكرة المخالفة لأصول المذهب ولا ريب أن الأعداء والجهال أدخلوها فيه تحقيقاً لبعض الأغراض الفاسدة»**.

وعلى كل حال إذا كان مصدر ومستند الجملة المشتهرة: **«نقاتلك بغضاً منّا لأبيك»** هو كتاب **«نور العين» للإسفراييني فقط**، وكتاب **«مقتل أبي مخنف»**، فإنهما مصدران غير موثوقين ولا يمكن التعويل عليهما. هذا ومن الجدير ذكره أنه مما لا ريب فيه أن ذلك الكتاب (أي مقتل أبي مخنف) هو غير مقتل أبي مخنف الذي ينقل عنه الطبري كثيراً في تاريخه، والذي هو كتاب قيِّمٌ ولكنه مفقود للأسف.



الْحَارِثِ! أَلَمْ تَكْتُبُوا إِلَيَّ أَنْ قَدْ أَيْنَعَتِ الثِّمَارُ وَاخضَرَّ الْجَنَابُ[1] وَإِنَّمَا تَقْدَمُ عَلَى جُنْدٍ لَكَ مُجَنَّدٍ؟!

فَقَالَ لَهُ قَيسُ بْنُ الأَشْعَثِ: مَا نَدْرِي مَا تَقُولُ؟ وَلَكِنِ انزِلْ عَلَى حُكْمِ بَنِي عَمِّكَ فَإِنَّهُمْ لَمْ يُرُوكَ إِلاَّ مَا تُحِبُّ.

فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: لاَ وَاللهِ لاَ أُعْطِيكُمْ بِيَدِي إِعْطَاءَ الذَّلِيلِ وَلاَ أَفِرُّ فِرَارَ الْعَبِيدِ. ثُمَّ نَادَى: يَا عِبَادَ اللهِ! إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ أَعُوذُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِساب»[2].

المرحلة الرابعة من الثورة

أوّلُ سَهم

قال الإمام الحسين عليه السلام كلّ ما رأى قولَهُ لازماً بمقتضى قيادته الروحية العالية، وَبَذَلَ كُلَّ ما تُوجِبُهُ رَحْمَتُهُ وَشَفَقَتُهُ لهداية أولئك التائهين الضالين.

أثّرت كلمات الإمام الحارّة الصادقة التي كانت تخرج من أعماق قلبه المتألّم في حوالى ثلاثين من جُنْد عُمَر بن سعد من أهل الكوفة وقلبت كيانهم فقالوا: أيعرض عليكم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث خصال فلا تقبلون واحدة؟! فتحولوا إلى الحسين فقاتلوا معه[3]، مفضّلين الموت تحت راية الحسين على العيش خاضعين لمأموري حكومة الظلم.

لما كان هؤلاء النفر الثلاثون قد اطّلعوا على المفاوضات التي أجراها الإمام عليه السلام مع «عُمَر بن سعد» للحيلولة دون وقوع القتال وعرفوا أن الإمام اقترح أن يُسمح له بالعودة بهدف إقرار السلم وحلّ الأمر سلمياً؛ اشتدَّ غَضَبُهُم لمّا رأوا مأموري

---

(1) الجَنَابُ: فِنَاءُ الدَّارِ، والنَّاحِيَةُ، وما قَرُبَ من مَحَلَّةِ القَوْمِ والجمع: أَجْنِبَةٌ وفي حديث الشَّعْبِيّ: «أَجْدَبَ بِنَا الجَنَابُ». ويقال: أَخْصَبَ جَنَابُ القَوْمِ أي ما حَوْلَهُمَ. (مختصر من تاج العروس) (المُتَرْجِمُ)

(2) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 216 (أو ج2، ص 97 ـ 98)، و تاريخ الطبري، ج4، ص 323.

(3) محب الدين أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري (694هـ)، «ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى» (القاهرة، مطبعة السعادة، 1356هـ) ص149. والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص 310. (المؤلف). قلت: والرواية مذكورة أيضاً في «تهذيب تاريخ ابن عساكر»، ج 4، ص 338. (المُتَرْجِمُ).



الحكومة يرفضون اقتراح ابن رسول الله ﷺ وقالوا: أيعرض عليكم ابن النبي اقتراح الصلح وأنتم ترفضون؟!

بهذا تركوا جيش ابن سعد معترضين بشدة على وحشية وسبعية مأموري الحكومة وانضموا إلى معسكر الإمام وبذلوا أرواحهم تحت رايته(1).

كان في طليعة الذين انتقلوا من معسكر العدو إلى معسكر الإمام: «الحرّ بن يزيد الرياحي»، وقد أحدث انتقاله هذا هزَّةً وتأثيراً عميقاً في روح المعسكر المعادي خصوصاً لدى الأفراد الذين كانوا تحت قيادته، لِـما كان يتمتَّع به من مقام وشخصية بارزة. كما أن أكثر الناس الذين كانوا قد قدموا إلى حرب الإمام متردّدين تحت وقع التهديد والترغيب والترهيب، تأثّروا بشدّة بكلام سبط النبيّ عليه السلام فازداد تردُّدُهم وحيرتُهم.

كان «عُمَر بن سعد» قد قبل هذه المهمة الخطيرة لحرب الإمام خلافاً لوجدانه فلمّا سمع خطبة الإمام المزلزلة اشتدّ اضطرابه وانزعاجه أكثر من الآخرين.

وكأنَّ «عُمَرَ بنَ سعد» أراد أن يخرج من اضطراب الفكر ويُنْهِي انزعاج الوجدان وذلك القلق الذي طال على دخيلته فأطلقه سهماً في الفضاء كأنه كان متشبِّثاً بصدره فاستراح منه بإطلاقه... فزحف إلى مقربةٍ من معسكر الحسين، وتناول سهماً فرماه عن قوسه إلى المعسكر وهو يصيح: اشهدوا لي عند الأمير أنني أول من رمى الحسين..(2).

بهذا ابتدأت المرحلة الرابع من ثورة الإمام الحسين عليه السلام.

لقد حاول ابن رسول الله ﷺ كثيراً ألا تقع الحرب وألا يصطبغ نُهُوضُهُ بلون الدم، ولكن مأموري الحكومة اليزيدية المعتدين لم يريدوا إنهاء الأمر بشكل سلميٍّ فأوقعوا تلك الحادثة الرهيبة حادثة كربلاء التي سوّدت وجه تاريخ الإسلام بل تاريخ الإنسانية.

ربّما لم تطل فترة المعركة كلها أكثر من ستّ ساعات ولكن معسكر «عُمَر بن سعد» أظهر من القسوة وانعدام الرحمة والسبعية والوحشية والأعمال غير الإنسانية ما

(1) ذخائر العقبى، ص149، سير أعلام النبلاء، ج3، ص310.
(2) عباس محمود العقاد، أبو الشهداء، ص 179. (أو ص 145).



يحتاج شرحه إلى مئات الساعات وما تُزلزل كتابته وقراءته القلوب وتتصدع له الأعصاب ويتألّم له الوجدان ويُبهت منه العقل.

وفي مقابل ذلك أبدى الحسين بن علي عليه السلام وأنصاره وأهل بيته من سموّ النفس والرجولة والشهامة والإيمان والإنسانية والتقوى والفضيلة وحبّ الحقيقة والتضحية وبذل الأرواح في سبيل الله وفي سبيل العقيدة والإيمان، ما يخضع أمامه كل إنسان، وما لا يملك معه كلّ محبٍّ للحقيقة إلا أن ينحني إجلالاً أمام عزّة النفس تلك وأمام حريّة الضمير وعظمة الروح التي ظهرت في الحسين وأصحابه وأهل بيته.

لقد كانت هذه المرحلة من نهوض الإمام مرحلة حرب اضطرارية ودفاع دموي وكانت أقصر مراحل الثورة من ناحية المدّة، أمّا من ناحية العمل فكانت أكثر المراحل عذاباً وألماً وتمزيقاً للكبد. وشرح تفاصيل تلك المعركة ووقائعها المحزنة التي تتصدّع لها القلوب وتتفتّت لها الأكباد يخرج عن هدف هذا الكتاب.

أَسْـرُ الناجين من المعركة

لا شك أن أَسْـرَ الذين بقوا أحياءً بعد معركة كربلاء من أهل بيت النبيّ وسَوْقَهم أسرى إلى الكوفة وإحضارَهم بذلك الوضع الذي يتقطّع له الفؤاد إلى مجلس «عُبَيْد الله ابن زياد» ثم السفر بهم تلك المسافات الطويلة إلى الشام والطواف بهم في الأزقة والشوارع أمام الناس ثم إحضارهم أمام يزيد وإقامة مأتم للشهداء في الشام، كان له أكبر الأثر في تعريف الناس بحقيقة حكومة «يزيد» المعادية للإسلام.

كما كان للخُطَب القارعة المؤثِّرة للإمام السجّاد عليه السلام وزينب الكبرى في الشام أثرٌ كبيرٌ أيضاً في مزيد من التعريف بالوجه الحقيقي الكالح لحكومة ابن معاوية وإزالة التهم التي كانت قد وجَّهَتْها إلى الإمام الحسين عليه السلام وتوعية الرأي العام تجاه آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ولكن من الضروري أن نذكّر هنا بنقطة هامة: إن أسر آل بيت الرسول والمزيد من افتضاح حكومة يزيد لم يكن جزءاً من أهداف ثورة الإمام بل كان من النتائج القهريّة لمعركة كربلاء.



خلطٌ بين هدف الثورة ونتائجها القهريّة

لعلّ البعض يظنّ أنّ أحد أهداف الإمام الحسين عليه السلام من اصطحابه لأهل بيته هو أن يقعوا بعد مقتله في الأسر مما سيزيد في فضح حكومة «يزيد» وفي زلزلة أركان حكمه. ولكن ينبغي أن نقول: إن هذا خلطٌ بين الهدف والنتيجة. فلم يكن هدف الإمام من اصطحابه لأهل بيته وأُسْرته البته أن يستخدم وقوعهم في الأسر لفضح حكومة «يزيد» بل إن أسر أهل بيت الإمام لا يرضيه ويخالف رغبته لأنه يخالف رضا الله ورضا النبي صلى الله عليه وآله.

ما يمكن قوله بشأن أهل بيت الإمام هو أنه لما سَافَر الإمام إلى مكة بهدف التوقّف في حرم الله وتقويم الأوضاع السياسية وتقدير قوّته العسكرية، ولم تكن مدّة إقامته في مكة معلومةً، فلكي يبقى مطَّلعاً عن كثب على أحوال أسرته وأهل بيته ويحافظ عليهم ويصونهم من كلِّ سوء اصطحبهم معه إلى مكة. وبعد أربعة أشهر وخمسة أيام استغرقها توقُّفُه في مكّة، انطلق الإمام نحو الكوفة عندما أحسّ بالخطر، ويتّضح من القرائن أنّ الإمام كان يريد البقاء في الكوفة وقيادة الناس وتسلم زمام الأمور فيها. ولمّا لم يكن مطمئناً إلى عدم تعرُّض أهله وآل بيته لأذى عمّال الحكومة لو أبقاهم في المدينة أو مكة، فضّل أن يُبْقِيَ أهلَه وأسرَتَهُ تحت نظره المباشر ليحافظ عليهم ويصونهم من كلِّ خطر ولهذا تحرّك مع جميع أبناء أسرته وأهله إلى الكوفة كي يستقرّوا جميعاً معه فيها.

إذن كان هدف الحسين بن علي عليه السلام من اصطحابه لأسرته أن يبقوا قريبين منه لكي يكون مُطَّلِعاً عن قُرْب على أحوالهم ويسعى ما استطاع أن يحافظ عليهم ويحرسهم من كلّ شرّ، وبعبارة أخرى: لقد كان مقصود الإمام من اصطحابه لأهله وأسرته أن لا يقعوا بيد العدوّ، وليس مقصوده أن يؤسروا بيد العدوّ كي يكون أسرهم وسيلة لفضح بني أمية!.

نعم، إن قسوة ووحشية عمال الحكم ولهثهم وراء الحرب وانعدام الحكمة لديهم هي التي أوجدت حادثة كربلاء الدموية التي كان من نتائجها الطبيعيّة وقوع أهل بيت الإمام في الأسر وكانت النتيجة الطبيعية لهذا الأسر مزيداً من العار والشنار على حكومة ابن معاوية الشائنة المفضوحة أساساً. ولا يجب أن نخلط بين هذه النتيجة القهرية وبين هدف الإمام من نهوضه وثورته.



الباب الرابع

أهداف الثورة




مكتبة
الفكر الجديد

نهوضٌ لأجل الإصلاح

لا شكّ أنّ هدف الإمام الحسين عليه السلام من نهوضه كان هدفاً إصلاحياً واسعاً استلهمه من روح الإسلام، و كان أساس ذلك الهدف حماية الإسلام والدفاع عنه.

وفيما يلي كلام الإمام نفسه في بيان الهدف من نهوضه:

1 ـ عندما اضطرَّ الإمام ـ في إثر العدوان الذي شنّه ضدَّه عمّال حكومة «يزيد» ـ إلى الخروج من المدينة، كتب كتاباً عُرف بـ«الوصية» أشار فيها إلى الهدف من نهوضه فقال:

«.. إنّي لم أَخرُجْ أشِراً ولا بطراً، ولا مُفسِداً ولا ظالماً، وإنّما خَرَجْتُ لِطَلَبِ الإصْلاحِ في أُمَّة جَدِّي مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ..»[1].

2 ـ وكذلك أشار إلى هدفه هذا في رسالته التي وجَّهَها إلى رؤساء البصرة يطلب منهم المساعدة العسكرية فقال: **«وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيِّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فإنَّ السُنَّة قَدْ أُميتَتْ وإنَّ البِدْعَةَ قَدْ أُحْيِيَتْ»**[2]. أي كأنه يقول: إنّ هدفي من القيام هو إزالة البدع وإحياء الإسلام وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم.

3 ـ وفي خطبته التي ألقاها بعد مواجهته للحُرِّ بن يَزِيد في المنزل الذي يُدعى «البيضة» بيّن الإمام هدفه من نهوضه بكلّ وضوح حين قال:

«أيها الناس! إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: مَنْ رَأَى سُلْطَاناً جَائِرَاً مُسْتَحِلاً لِـحُرَمِ اللهِ

---

(1) **مقتل الخوارزمي**، ج1، ص188 نقلاً عن **«ابن أعثم»**. ورغم أن هذه الرواية لم نجدها في أي مصدر آخر غير تاريخ ابن أعثم، إلا أنه لما كان مضمونها متوافقاً مع الأدلة الأخرى، ومطابقاً لروح نهضة الأنبياء وعين الحق، فهي رواية مقبولة.

(2) **تاريخ الطبري**، ج 4، ص 266.



نَاكِثاً لِعَهْدِ اللهِ مُخَالِفاً لِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَعْمَلُ فِي عِبَادِ الله بِالإِثْمِ والعُدْوَانِ فَلَمْ يُغَيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلا قَوْلٍ كَانَ حَقاً عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مُدْخَلَهُ.

ألا وإنّ هَؤُلاءِ قَدْ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّيطَانِ وَتَرَكُوا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ وَأَظْهَرُوا الفَسَادَ وَعَطَّلُوا الحُدُودَ واسْتَأْثَرُوا بِالفَيْءِ وَأَحَلُّوا حَرَامَ الله وحرَّمُوا حَلالَه، وأنا أحقُّ مَنْ غَيَّرَ، وقد أتَتْني كُتُبُكم وَقَدِمَتْ عليَّ رُسُلُكم بِبَيْعَتِكُمْ أَنَّكُمْ لا تُسْلِمُوني وَلا تَخْذُلُوني، فَإِنْ تَمَّمْتُمْ عَلَيَّ بَيْعَتَكُم تُصِيبوا رُشْدَكم، فَأَنَا الحُسَيْنُ بنُ عَلِيٍّ وابنُ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُول الله ﷺ، نَفْسِي مَعَ أَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِي مَعَ أَهلِيكُمْ فَلَكُمْ فِيَّ أُسْوَةٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَنَقَضْتُمْ عَهْدَكُمْ وَخَلَعْتُمْ بَيْعَتِي مِنْ أَعْنَاقِكُمْ فَلَعَمِري مَا هِيَ لَكُمْ بِنُكْرٍ! لَقَدْ فَعَلْتُمُوهَا بِأَبِي وَأَخِي وابنِ عَمِّي «مُسْلِم»، والمَغْرُورُ مَنِ اغْتَرَّ بِكُمْ فَحَظَّكُمْ أَخْطَأْتُمْ ونَصِيبَكُمْ ضَيَّعْتُمْ، وَمَن نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ.»[1].

رغم أن الإمام الحسين عليه السلام ألقى هذه الخطبة بعد مواجهته للحُرّ بن يزيد وبعد أن وقع تحت حصار قوّات العدوّ المسلّحة وانتفت إمكانيّة النصر في ذلك الوقت وانصرف الإمام عن إقامة الحكومة الإسلامية، إلا أنّ هناك عدّة أفكار أساسيّة تُستَفَاد من هذه الخطبة لا بد من الإشارة إليها:

1 ـ كان تغيير الحكومة الظالمة فريضة شرعية واجبة.

2 ـ لم تكن هناك طريقة لتحقيق هذا الهدف سوى إقامة حكم إسلامي.

3 ـ كانت الشروط اللازمة لإقامة الحكم الإسلامي متوافرة.

4 ـ كان هدف الإمام حماية الإسلام والدفاع عنه.

رغم أن المقصود الأساسيّ في هذا الباب هو البحث في أهداف ثورة الإمام، ولكن لكي تتضح جميع هذه الأقسام الأربعة سنقوم بتفسير كل خطبة الإمام وتوضيحها:

1 ـ النضال ضدّ الظلم واجبٌ شرعيٌّ

يقول الإمام: إنّما نهضتُ لأنّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ رَأَى سُلْطَاناً جَائِراً

(1) تاريخ الطبري، ج 4، ص 304.



مُسْتَحِلاً لِـحُرَمِ اللهِ نَاكِثاً لِعَهْدِ اللهِ مُخَالِفاً لِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَعْمَلُ فِي عِبَادِ الله بِالإِثْمِ وَالعُدْوَانِ فَلَمْ يُغَيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلا قَوْلٍ كَانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مُدْخَلَهُ». وقد قامت الحكومة اليزيدية على أساس الظلم والعدوان والاستئثار والفساد وتعطيل أحكام الإسلام وحدوده...، وطبقاً لأمر رسول الله ﷺ يجب على كلّ من كان قادراً أن ينهض لدفع الظلم وأن يجاهد لردّ العدوان، وأنا من ناحية قرابتي لرسول الله ﷺ وقيادتي للناس وإمامتهم يقع عليّ واجبٌ أكبر ومسؤوليةٌ أثقل (**وأنا أحقُّ مَن غيَّر**) لذا يلزم عليّ أن أبذل مزيداً من الجهد لنجاة الإسلام وإنقاذ المسلمين واجتثاث جذور الظلم والفساد.

2 ـ ضرورة إقامة الحكم الإسلامي

إنّ طريق القضاء على ظلم عمّال الحكم القائم وحماية الإسلام منحصرٌ في الوقت الحاضر بإقامة حكومة إسلامية، لأنّ عمّال الحكومة القائمة لا يكفُّون عن ظلمهم ولا يأبهون لِنُصْحِ الناصحين المشفقين بل يواصلون طرقهم الشيطانية (**ولزموا طاعة الشيطان**) إلى الحدّ الذي سلبوا فيه عنّي حصانة الدم ويريدون بقوَّة السيف أن ينتزعوا منِّي جَبْراً الموافقة على حكومتهم المعادية للإسلام ومنحها الشرعيّة. لذلك فإنَّ السبيل الوحيد لمنع اعتداءات تلك الحكومة أن تتجمّع القوّات المطالبة بالعدالة وتشكِّل قوَّةً ضاربةً تعمل على إقامة حُكْم قويٍّ عادل إذْ لا يمكن مواجهة القوَّة إلا بقوَّة مثلها. لذا فمن الضروري إقامة الحكومة العادلة اتّباعاً لأمر رسول الله ﷺ للتمكُّن من مقاومة الظلم والاستبداد.

3 ـ كانت الشروط متوافرة

كانت هناك قوّة كافية لإقامة الحكومة، لأن القوَّات المتطوِّعة التي تشكَّلت تحت إشراف ممثِّل الإمام الخاصّ شكَّلَت النواة المركزيّة لقوّة الحكومة المنشودة وكانت كافية للبدء ببناء حُكْمٍ إسلاميٍّ مئة بالمئة. فكان لسان حال الإمام يقول: عندما آتي إلى الكوفة سيُهرع جميع الذين يحبّون آل بيت الرسالة، من مختلف أطراف البلاد، لنصرتي، لأنني «الحسين بن فاطمة» ابن بنت رسول الله ﷺ، وأنتم يا شعب العراق الذين كنتم تنتظرونني بكل شوق وبايعتموني على الجهاد ودموع الفرح تفيض من



أعينكم عندما وضعتم أيديكم بيد موفدي وممثّلي (مسلم بن عقيل)، وكتبتم إليّ رسائل ابتداءً من طرفكم وتطوّعاً مِنْ قِبَلِكُمْ طلبتُمْ فيها منيّ أن أقبل تسلم زمام أموركم، وجاءتني رُسُلُكُمْ وأكّدوا لي أنّ القوات الشعبية مستعدّة تمام الاستعداد وتعهّدوا بأن يقاوموا معي حتى آخر رمق (**وَقَدِمَتْ عَلَيَّ رُسُلُكُمْ بِبَيْعَتِكُمْ أَنَّكُمْ لا تُسْلِمُونِي وَلا تَخْذُلُونِي**). فكانت الشروط اللازمة لإقامة الحكومة الإسلامية متوافرة، إذن، من جميع الجهات.

4 ـ هدفُنا الدفاع عن الإسلام

إن جميع ما قمنا به حتى الآن من مقاومة الظلم والسعي لإقامة حكومة إسلامية مئة بالمئة هو لأجل إحياء الإسلام الذي أُميتت أحكامه، فقد عطّل الحكم القائم حدود الإسلام وبدّل أحكام الدين (**وَأَحَلُّوا حَرَامَ اللهِ وَحَرَّمُوا حَلالَهُ**) وجعل القرآن ألعوبةً لأهواء ابن معاوية وأعوانه السفهاء، لذلك ولأجل تغيير هذا الوضع القائم وإنقاذ الإسلام والمسلمين من براثن الاستبداد الغاشم قمنا ونهضنا.

اتَّضح مما ذُكر أن هدف الإمام الحسين عليه السلام الأساسي من المقاومة والإقدام على إقامة الحكم الإسلامي كان الدفاع عن الإسلام. والدفاع عن الإسلام يعني الدفاع عن وجود الإسلام الكامل بكلّ الخيرات التي يمنحها لعالم البشرية. ونذكر هنا عدداً من تلك الخيرات ذات الجانب الاجتماعي كمثال على بركات تطبيق الإسلام:

1 ـ الدفاع عن استقلال السلطة التشريعية.

2 ـ الدفاع عن استقلال السلطة القضائية.

3 ـ الدفاع عن حرية القلم.

4 ـ الدفاع عن حرية التعبير عن الرأي.

5 ـ الدفاع عن العدالة في التصرّف في بيت المال العام.

6 ـ الدفاع عن الموقع الدولي للإسلام.

1 ـ الدفاع عن استقلال السلطة التشريعية

يحتاج كل مجتمع، صغيراً كان أم كبيراً، إلى ثلاث سلطات:

1 ـ سلطة تشريعية.



2 ـ سلطة قضائية.

3 ـ سلطة تنفيذية.

هدف السلطة التشريعية سَنُّ القوانين المفيدة طبقاً لحاجات المجتمع كي يتمتَّع الناس بمزايا القوانين الراقية.

وهدف السلطة القضائية إزالة الاختلافات التي تنشأ بين فئات الناس المختلفة، أو التي تنشأ بين الناس وبين جهاز الحكم، على أساس الحقّ والعدل.

أما السلطة التنفيذية فالهدف منها تنفيذ كل ما يصدر عن السلطة التشريعية والقضائية من أحكام.

في الإسلام عُهد بالسلطة التشريعية بعد وفاة رسول الله ﷺ إلى القرآن الكريم وَسُنَّة النبيِّ ﷺ وإرشادات عترته، أي إنه يجب على العلماء المتخصِّصين في القرآن والسُنَّة أن يستنبطوا ـ على أساس الاجتهاد الحرّ ـ المسائل التي تتطلَّبُها الحاجة من ذينك المنبعين ويقدِّموها للمجتمع، وَقَدْ أعْطَى الإسلام من يملكون أهلية استنباط الأحكام استقلالاً تامًّا، فلا يحقّ للسلطة القضائية ولا للسلطة التنفيذية أن تستخدم نفوذها للتأثير في أصحاب الفتوى والاستنباط. ويقوم الفقهاء المجتهدون بحريَّة مُطْلَقَة واستقلال كامل بدراسة وبحث القوانين الحقوقية والأنظمة الاجتماعية والمسائل الجديدة التي تظهر بتغيّر الزمان فيُعْمِلُون فيها أنظارهم بدقَّة وَيُفْتُونَ بشأنها على أساس الاجتهاد الحرّ وما يستنبطونه من القرآن والسنة ويقدّمون نتائج فتاويهم تلك إلى جهاز الحكم والناس.

لاشك أن من أكبر المفاسد الاجتماعية استخدام الدولة أي السلطة التنفيذية نفوذَها للتدخّل في عمل السلطة التشريعية وَسَلْب الحرية والاستقلال عنها، لأنّه عند ذاك تتوقّف الأدمغة المفكّرة والعالمة بالقانون عن سيرها التكاملي وتفقد حريتها وحرية التفكير لديها، فلا تستطيع أن تستنبط من الكتاب والسنة القوانين التي يحتاج إليها الناس على أساس الاجتهاد ومراعاة مصالح المجتمع. وهنا تصاب السلطة التشريعية بالشلل وتقع تحت رحمة مسؤولي السلطة التنفيذية الذين يكونون في أغلب الأحوال متطرّفين عجولين ومتهوّرين فَيَحْرِمُون المجتمع من مزايا القوانين الحرّة والراقية.



لقد أَسَرَتْ دولة بني أمية السلطة التشريعية وسلبت من العلماء المجتهدين حريّة الاجتهاد ونتجت من ذلك قوانين بلا روح وقرارات اعتباطية مجحفة، جعلت من الأفراد ذوي النظر والفهم أفراداً لا إرادة لهم، متزلّفين إلى الحكم يفتون حسب ما يهواه.

كان «عبدُ الله بن عمر»، الذي يُعدّ من الفقهاء أصحاب الفتوى لدى أهل السنة[1] ويتطلّع الناس إلى رأيه، و«عبدُ الله بن عباس» الذي كان في زمنه أيضاً من كبار العلماء المعروفين، والأفرادُ الآخرون الذين كانوا في مستواهما، يعيشون تحت ضغط حكومة «يزيد» التي صادرت حقَّهم في إبداء الرأي الشرعيّ وأجبرتهم تحت بريق السيف على الاستسلام بلا قيد ولا شرط ليزيد بن معاوية وأن يعتبروا خلافته خلافة شرعية إسلامية ويُعلنوا ذلك على الملأ.

في حين أن مسألة لا شرعية خلافة يزيد كانت مسألة جديدة تحتاج إلى إعمال النظر والاجتهاد وكان على أصحاب الفتوى أن يستنبطوا حكمها من القرآن والسنة.

لقد سلبوا حق الاجتهاد هذا من السلطة التشريعية فكانت إرادة «يزيد» فقط هي التي تضع القانون وهي التي تنفِّذَهُ أيضاً. كان القانون إرادة «يزيد» والاجتهاد الحرّ أهواء يزيد بن معاوية والسلطة التشريعية تبعاً لأهوائه ومصالحه الشخصية المفروضة على الأمة.

لقد واجه الحسين بن علي عليه السلام، الذي كان بحكم حديث «الثقَلَين»[2] شارح القرآن ومفسّر أحكامه والمرجع الذي يجب أن تمرّ القوانين التي يحتاج إليها المسلمون تحت نظره، مثل ذلك الوضع حيث سَلَبَتْهُ حكومة «يزيد» حقّه في إبداء الرأي الشرعيّ.

رغم أن الإمام الحسين عليه السلام كان صاحب الحقّ في إظهار الرأي الشرعي بشأن هذه المسألة الجديدة والخطيرة أي خلافة «يزيد»، وكانت فتواه هي التي تحدِّد واجب

(1) تاريخ اليعقوبي، ج2، ص228.

(2) روى الفريقان الشيعة والسنّة بحد التواتر عن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أنه قال: «إنّي تَارِكٌ فِيكُم الثَّقَلَينِ كِتَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِترَتِي أَهلَ بَيتِي». هذا الحديث حدَّد القانون و رجال القانون، والإمام الحسين عليه السلام من عترة النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ومن رجال القانون ورأيه في مسألة الخلافة رأي قطعيٌّ و واجب التنفيذ. ولمزيد من الاطلاع على هذا الحديث يُرْجَع إلى كتاب «المُرَاجَعَات» تأليف العلامة المجاهد السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي.



المسلمين في أكثر مسائل العهد حساسيّةً ألا وهي مسألة الحكومة الإسلامية؛ لكنهم رغم ذلك حرموا هذه الشخصية العظيمة من حقٍّ إبداء رأي الشرع حول هذه المسألة وأرادوا بقوّة السيف إرغام الإمام على الاعتراف بشرعية خلافة «يزيد» وسلطنته الاستبدادية بوصفها خلافة شرعية وإسلامية مئة بالمئة، وبهذا أصابت حكومة «يزيد» السلطةَ التشريعية بالشلل وسلبت رجال القانون وأصحاب النظر كلّ حقّ في إبداء رأيهم القانوني.

تنُصُّ سُنَّةُ رسول الله على أنه لا بدّ من احترام استقلاليَّة رجال القانون في إبداء نظرهم وأن يُتاح للحسين بن علي عليه السلام الذي كان سيد عترة رسول الله صلى الله عليه وآله ومن رجال القانون أن يُبدي رأيه القطعي بشأن مسألة الخلافة والحكومة الإسلامية ويوضّح للناس واجبهم في هذا المجال.

ولكن تلك الحكومة أماتت سنّة رسول الله هذه ولم تعترف بهذا الحقّ لرجال القانون.

في خطبته التي ألقاها الإمام الحسين عليه السلام في حضور «الحُرّ بن يزيد» وجنده، ضمن ذكره لانحرافات الحكم الظالم ذكّر الإمام بهذه الجملة: **«مخالفاً لِسُنَّةِ رسول الله»**[1].

إن الحسين بن علي عليه السلام الذي رأى نفسه في مواجهة هذا الوضع، رأى من واجبه ـ في المرحلة الثانية من نهوضه الذي كانت إمكانية الانتصار العسكري فيها ممكنة ـ أن ينهض لإقامة حكومة مستقلّة، إذْ وَجَدَ أنَّ الظروف قد أصبحت مساعدة على ذلك، حتى ينقذ الإسلام، وبالتالي يُنقذ السلطة التشريعية، في ظلّ قوة هذه الحكومة المستقلة، من ذلك الاستبداد وخَنْق الحريَّات.

وبذلك يتَّضح لنا أن حماية استقلالية السلطة التشريعية لا بدّ أن تكون جزءاً من أهداف الإمام الحسين عليه السلام الإصلاحية الواسعة.

2 ـ الدفاع عن استقلال السلطة القضائية

تشكّل السلطة القضائية عَصَباً هامّاً ورئيسيّاً في المجتمع، ففي كل مجتمع من

---

(1) تاريخ الطبري، ج 4، ص 304.



الطبيعيّ أن تقع نزاعات بين الأفراد، أو بين فئات الناس المختلفة وأحياناً بين فئات من الناس وجهاز الحكم، وعندئذٍ فلا بدّ من وجود سلطة مستقلّة حرّة هي السلطة القضائيّة تقوم بحلّ تلك النزاعات القانونية والسياسية في إطار القانون وتنشر الحقّ والعدل في المجتمع، وتسعى بكل جهدها، في ظلّ الشرع، لمنع أصحاب السلطة من الاعتداء على الآخرين، ولإعطاء كل ذي حقّ حقّه.

ففي الحكومة الإسلامية يتمتّع رجال القضاء بحصانة تمنع المسؤولين الحكوميين والعسكريين أن يتدخَّلوا في عملهم أو أن يُعمِلُوا نفوذَهم ويؤثّروا في قراراتهم، فلا يحقُّ لأيِّ مسؤولٍ حكوميٍّ أن يؤثّر في القاضي أو ينقضَ حُكْمَهُ.

فلقد منح الإسلامُ المؤسسةَ القضائيةَ الاستقلالَ الكاملَ والحريةَ إلى درجة أنه لو اشتكى أضعف فرد في المجتمع على أقوى فرد فيه كان على القضاء أن يدرس شكواه ويحاكم المتّهم حتى ولو كان من أكثر الأفراد نفوذاً في المجتمع، ويعاقبه إذا حُكِم عليه. في ظلّ هذا الاستقلال القضائي تُحفظ حقوق الضعفاء وفي كنف الأمن القضائي تُحفظ أموال الناس وأرواحهم وأعراضهم من اعتداءات المعتدين.

لكن حكومة بني أمية أخضعت مؤسّسة الإسلام القضائية لسيطرتها وجعلتها تحت نفوذها وسلبت من القضاة الشرعيين الاستقلال وحريّة الرأي محوِّلَةً جهاز القضاء إلى آلة فاقدة للإرادة الحرَّة وخاضعة لإرادة السلطة. ولما كانت القيادة العليا للقوات العسكرية والنظامية منحصرة بشخص الخليفة، كان جميع رجال القضاء أزلاماً لـ«يزيد» لا إرادة مستقلّة لهم.

كان «عُبَيْد الله بن زياد»، ممثّل «يزيد» المستبدّ قد جعل «شُرَيْح» القاضي، رغم كل سوابقه القضائية ومنزلته الاجتماعية ألعوبةً في يده لا إرادة لها. واستغلَّ نفوذ «شُرَيْح» الاجتماعي لتفريق الناس الذين اجتمعوا حول قصر إمارته تأييداً لـ «هانئ بن عروة»، وبدلاً من أن يبدي ذلك القاضي العابد للدنيا رأيه في إجرام «ابن زياد» قام بإنقاذه من غَضَب الناس وأَمَرَهم بالانصراف، فلمّا عَلِمَ «ابن زياد» أنهم قد انصرفوا أمر بهانئ، فأُتِيَ به السوقَ، وَضُرِبَتْ عُنُقُهُ هناك![1].

(1) الأخبار الطوال، ص 216، و مقتل الخوارزمي، ج1، ص 206.



وهكذا بدلاً من أن تكون المؤسَّسةُ القضائيةُ حافظةً لحقوق المجتمع أصبحت حافظةً للمصالح الشخصية لجهاز الحكم، وكانت تلك بدعة كبيرة قد راجت رغم مخالفتها لقوانين الإسلام وسنة النبي ﷺ.

لم يكن بوسع الإمام الحسين عليه السلام ـ وهو حافظ سنّة النبيّ الأكرم ﷺ ـ أن يسكت أمام هذا الانحراف الخطير والانتهاك الصريح لحرمة تشريعات الإسلام وسنّة رسول الله ﷺ. لذا أشار في كتابه، الذي وجّهه إلى رؤساء البصرة طالباً منهم العون العسكري، إلى رواج هذه البدعة فقال: **«فإن السنَّة قد أُميتَتْ وإن البدعة قد أُحْيِيَتْ»**[1].

لقد واجه الحسين بن علي عليه السلام حكومةً ابتلعت السلطة القضائية وسلبت عن ابن رسول الله ﷺ حصانة دمه، ولم يكن هناك أي مرجع قضائي ذي صلاحية يفصل في هذا الأمر، وإن وُجِد فلم يكن لديه أي سلطة تمكّنه من الدفاع عن ابن فاطمة ومن التصدّي للحكومة التي تنتهك القوانين وتمكّنه من إيقاف عمّال الحكومة المعتدين عند حدّهم.

لذا قرّر الإمام الحسين عليه السلام بحكم المسؤولية التي ألقيت على عاتقه في تلك الظروف التي رآها مواتية أن ينهض لإقامة حكومة عادلة مستقلة ليتصدى لهذا التسلُّط الغاشم ويقضي على تلك البدعة ويُنقذ استقلال السلطة القضائية وسائر قوانين الإسلام من براثن ذلك الاستبداد الأسود.

بهذا البيان يبدو واضحاً أن الدفاع عن استقلالية السلطة القضائية ـ التي تشكّل جزءاً من قوانين الإسلام الكفيلة بتأمين سعادة المجتمع ـ كان جزءاً من أهداف نهضة الإمام الحسين عليه السلام.

3 ـ الدفاع عن حرية القلم

تُعْتَبَرُ الأقلام التي تعكس أفكار العلماء وتضعها بين أيدي الناس إحدى الوسائل المُهِمَّة لتقدّم كل مجتمع، إذْ يمكن لأقلام العلماء أن توصل زبدة مطالعات وأبحاث العقول المفكّرة إلى أقصى نقاط البلاد وأن تجعل حتى أبعد المجتمعات تتمتع بثمار

---

(1) تاريخ الطبري، ج4، ص266.



جهود العلماء ودراساتهم. إن أقلام الكتّاب تلعب دور المرشد الشفيق في ما تقوم به من تنوير الأفكار وتوعية الناس بأهداف الحياة، وهداية المجتمع نحو التكامل. إذا كانت الأقلام الحيّة والقيّمة حرّة أمكنها أن تنوّر أفكار الناس وتعرّفهم بحقوقهم وأمكنها أن تساعد جهاز الحكم من خلال الانتقادات البنّاءة والإرشادات الصادقة على تطوير المجتمع وتقدّمه، وأمكنها أحياناً ـ بمنطقها القويّ ـ أن تمنع المسؤولين والرؤساء من الوقوع في الأخطاء والانحرافات.

إن الإسلام يؤمّن حريّة القلم عندما لا تُؤْذِي تلك الحريّة الإيمان والأخلاق وحقوق الناس، بل أكثر من ذلك يشجّع الإسلام الكتّاب على كتابة الحقائق وإرشاد المجتمع إلى الحدّ الذي ورد في الأثر: «**مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء**»[1].

في دنيا اليوم تَعْتبرُ الشعوبُ الحيّةُ والراشدةُ حريّةَ القلم والمطبوعات من أركان الحكم الديمقراطيّ. أما حكومة بني أميّة فقد سلبت ذلك الحقّ المشروع عن الشعب المسلم، وأُعْطِيَتْ الحريَّة فقط للأقلام التي تدافع عن المصالح الشخصية لمسؤولي ذلك الحكم الاستبدادي، وتقلب حقائق الإسلام رأساً على عقب لكي تؤيّد تصرفات أجهزة الحكومة وتحرف أفكار الناس.

---

(1) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج 4، ص 399، والأمالي، ص 168. والشيخ الطوسي، الأمالي ص 521، ولفظه عندهم: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وُزِنَ مِدَادُ الْعُلَمَاءِ بِدِمَاءِ الشُّهَدَاءِ، فَيَرْجَحُ مِدَادُ الْعُلَمَاءِ عَلَى دِمَاءِ الشُّهَدَاءِ».

أما في مصادر أهل السنة فأخرجه ابن عبد البر بهذا اللفظ من حديث أبي الدرداء بسندٍ قال عنه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء أنه ضعيف. وأورده السيوطي في «الفتح الكبير» وعزا مصادره إلى: الشيرازي في «الألقاب» عن أنس بن مالك، والمرهبي عن عمران بن حصين، وابن عبد البر في «فضل العلم» عن أبي الدرداء، وابن الجوزي في «العلل» عن النعمان بن بشير، وحكم بضعفه.

وقال العجلوني في كشف الخفاء: «حديث: مداد العلماء أفضل من دم الشهداء، المنجنيقي في رواية الكبار عن الصغار له عن الحسن البصري قوله، وعند ابن عبد البر في فضل العلم له من حديث سماك ابن حرب عن أبي الدرداء مرفوعاً: (يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء)، وللخطيب في تاريخه من حديث نافع عن ابن عمر رفعه: وزن حبر العلماء بدم الشهداء فَرَجَحَ عَلَيْهِم، وفي سنده محمد بن جعفر اتُّهِمَ بالوضع، ولكن هو عند الديلمي من حديث عبد العزيز ابن أبي رواد عن نافع به بلفظ: يوزن حبر العلماء ودم الشهداء فيرجح ثواب حبر العلماء على ثواب دم الشهداء. اهـ ذكره الألباني في ضعيف الجامع الصغير (6447) وَحَكَم بأنّه موضوع. (المُتَرْجِمُ).



إذا انطلقت أقلام الكتّاب المأجورين خلافاً لضمير أصحابها ووجدانهم وخلافاً للحقيقة، تُدَبِّج الكلمات في مدح رجال الحكم والإشادة بمناقبهم، لاسيما شخص الخليفة، فإنها تنال أفضل العطاء والجزاء. أما إذا كتبت طبقاً لوجدانها وضميرها الحقائق التي تنير أفكار الناس والتي تتصادم مع مصالح الحكم ومنافعه فإنها تُعاقَب أشدّ العقاب.

في تلك الأيام ذاتها التي تعرَّض فيها الحسين بن علي عليه السلام إلى عدوان الدولة عليه وملاحقتها له، تناولَ قلمَهُ القيّمَ وكَتَبَ كتاباً أرسلَ نسخاً منه على شكل تعميم وجَّهَهُ إلى رؤساء البصرة. وأشار في كتابه إلى التغييرات التي عرضت للحكم الإسلامي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وقال في هذا المجال: «**وقد بعثتُ رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه**»[1].

قام أحد رؤساء البصرة الذي خشي أن تكون هذه الرسالة دسيسة من حاكم البصرة في حينه «عُبَيْد الله بن زياد» بإرسالها هي ورسولها إليه، فقام «عُبَيْد الله بن زياد» بإعدام رسول الإمام الحسين عليه السلام دون محاكمة[2].

يمكننا أن نقدّر من هذه القصّة القصيرة إلى أيِّ حدٍّ كانت حكومة «يزيد» تعمل على كسر الأقلام الحية والمرشدة واغتيال الأفكار الحرّة.

طبقاً لفتوى حكومة «يزيد» المنتهكة للحريّات، لا يجوز لقلم الحسين بن علي عليه السلام أن يبقى حُرّاً يدعو الناس إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله لأن إحياء كتاب الله وسنة النبيّ يتعارض مع منافع حكومة بني أمية المستبدة ومصالحها.

لقد كان هذا التضييق الشديد والمنع من كتابة الموضوعات التي توقظ الناس من غفلتهم وترشدهم إلى حقوقهم أمراً مخالفاً لتعاليم الدين ولحرية القلم التي يكفلها الإسلام.

لقد عاش الإمام الحسين عليه السلام في مثل تلك الأوضاع واعتُدي عليه مِنْ قِبَلِ مثل تلك الحكومة ونهض في مثل تلك الظروف ليقاوم الظلم ويسعى لإقامة حكومة

(1) تاريخ الطبري، ج 4، ص266.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4، ص23.



إسلامية. لذا لا شك أن حماية حرية القلم كانت جزءاً من الأهداف الإصلاحية الواسعة لابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

4 ـ حماية حرية التعـبير عن الرأي

إحد عوامل التكامل في المجتمع كلمات وبيانات الخطباء والمتكلّمين الذين يشرحون الحقائق على أساس العقل والمنطق ويبيّنون للناس حقائق الحياة.

إذا سُمح للمتكلّمين بحرية الكلام أمكنهم أن يبيّنوا ـ دون خوف أو رعب ـ ما فيه صلاح الناس وما يساعد المجتمع الإنساني على الوصول إلى الكمال.

إن الإسلام يؤمّن حرية التعبير عن الرأي طالما لا يؤذِي الكلام سعادة الناس، بل أكثر من ذلك يعتبر الإسلامُ أن بيانَ الحقائقَ ضمن شروط خاصّة واجبٌ شرعيٌّ ويعتبر السكوت عن بيان الحقّ إثماً.

كلنا يعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم الفرائض الإسلامية بل بتعبير الحديث الشريف: «**أسمى الفرائض**»[1].

إذا رُوعِيَت أصول حرية التعبير عن الرأي التي قرّرها الإسلام تمكّن الخطباء المصلحون من تنوير أفكار الناس وبيان عوامل صلاح المجتمع وفساده والسير به بخطوات أسرع نحو التكامل، وتمكَّن المجتمع من الوصول المؤكَّد إلى الرشد والرقيّ في جميع شؤون الحياة.

من البديهي أن أحد الموضوعات التي يجب على أصحاب المنابر والخطباء أن يبيّنوها للناس بكل إخلاص وحسن نيّة وإرادة للخير وشفقة على الناس: الأخطاء ونقاط الضعف التي تبرز في أداء جهاز الحكم والتي لا تخلو منها حكومة، وذلك بحسن تشخيصهم للأمور بكل جدّيّة ومتانة، كما يجب على جهاز الحكم الخادم للشعب أن يتقبَّل تلك الانتقادات البنّاءة والخيِّرة بكل تواضع. وبذلك يتمّ إحياء حسّ التعاون والثقة بين الدولة والشعب فيتعاون الطرفان على تحقيق الأهداف العليا للحياة.

أما إذا استنكف الخطباء والعلماء عن بيان عيوب مؤسسات الحكم وبيان طريقة

---

(1) الكافي، ج5، ص55. طبع آخوندي.



علاجها، وتوقفوا عن تنوير أفكار الناس وإرشاد أجهزة الدولة بكل إخلاص وإشفاق، فإنه من الممكن أن يقع مسؤولو الحكم الذين يمتلكون بأيديهم القِوى المالية والإنسانية للشعب في انحرافات تجعل الشعب يفقد الثقة بأجهزة الدولة، وهذا يجرُّ إلى مفاسد عديدة لا تخفى على أحد. وفي مثل هذه الحالة يقع جزءٌ من المسؤولية على الخطباء العلماء الذين سكتوا عن بيان الحقائق.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا تَتْرُكُوا الأمْرَ بِالْـمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ فَيُوَلَّى عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلا يُسْتَجَابُ لَكُمْ**»[1].

لقد سلبت حكومة بني أميّة الناسَ حريّة التعبير عن الرأي وعطّلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم يَعُدْ العلماء المشفقون وصحابة النبيّ الأكرم الأجلاء الذين يعرفون ما يصلح للناس ويفسدهم يجرؤون على بيان ما يرونه صلاحاً للمجتمع.

عندما طلب معاوية بن أبي سفيان من «الأحنف بن قيس» أن يبدي رأيه بشأن ولاية عهد يزيد قال جملةً معبّرةً: «**نخافكم إن صدقنا، ونخاف الله إن كذبنا**»[2].

في حكومة بني أمية الاستبدادية كان لا يُسمح بحرية البيان إلا للخطباء المتزلفين الذين يجيدون المدائح للدولة المضادَّة للإسلام ويبتكرون لشخص الخليفة المناقب والفضائل.

كان «عُبَيْد الله بن زياد» والي يزيد على الكوفة يخطب في مسجدها ـ الذي كانت لا تزال تصدح بين أركانه تلك الخطب العظيمة التي بقيت عدّة سنوات تُلقى فيه من فم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في عهد خلافته ـ فيقول في مدح يزيد بن معاوية وبيان مناقبه:

«**وهذا أمير المؤمنين «يزيد» قد عرفتموه حسن السيرة ومحمود الطريقة ميمون النقيبة محسناً إلى الرعيّة معاهداً للثغور يعطي العطاء في حقّه، حتى قد أمنت السبل على عهده وأطفئت الفتن بعهده!**»[3].

(1) **نهج البلاغة**، ج2، ص 86، طبع مصر. (المؤلف). قلت: هذا الحديث مروي أيضاً عند أهل السنّة عن حذيفة بن اليمان قال: «**لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَحَاضُنَّ عَلَى الْخَيْرِ أَوْ لَيُسْحِتَنَّكُمْ اللهُ جَمِيعًا بِعَذَابٍ أَوْ لَيُؤَمِّرَنَّ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ ثُمَّ يَدْعُو خِيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ**» مسند أحمد (5، 390) ومصنف ابن أبي شيبة (8، 609) (المُتَرْجِمُ).

(2) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج3، ص 508.

(3) **مقتل الخوارزمي**، ج1، ص 242.



كان هذا الأجير الذي نذر نفسه لخدمة سيده «يزيد» يقول، مستنداً إلى منصبه الرئاسي، مثل ذلك الكلام الهراء والباطل و يَجْبَهُ به شيعة عليّ الذين كانوا يُجبَرون على سماع ترّهاته وكان دليله على صحّة قوله سيفه البتّار وأجساد الأحرار المصلوبة والمعلّقة على أعواد المشانق. أجل كان قلب الحقائق بهذا الشكل مسموحاً في حكومة «يزيد» وأما بيان الحقّ فكان ممنوعاً.

لقد ابتُلي الحسين بن علي عليه السلام بمثل جوّ التضييق هذا والخنق الشديد للحريّات الذي سلب من الناس حقّ إبداء الرأي، والذي جعل دولة يزيد تلاحق الحسين وتسعى لتصفيته لا لشيء إلا لأنه يعبّر عن رأيه بكل حرية.

استناداً إلى هذه القرائن يمكننا القول إن الدفاع عن حرية التعبير عن الرأي، التي تُعَدّ من تعاليم الإسلام التي تضمن خير وسعادة المجتمع، كان جزءاً من أهداف نهضة الإمام الحسين عليه السلام الإصلاحيّة متعددة الجوانب.

5 ـ الدفاع عن العدالة في توزيع الثروة وإنفاق المال العام

إن أحد أركان بقاء كل مجتمع هو المال العام الذي يتم تحصيله في كل بلد من خلال قوانين محدّدة وَيُجْمَع في الخزانة العامة للدولة. هذه الخزانة العامة هي ملك الشعب وجهاز الحكم هو وكيل الشعب المؤتمن على جمع هذا المال وحفظه وإنفاقه في مصالح الناس العامّة.

يقتضي العدل في موضوع الخزانة العامة أن لا تقوم مؤسسات الدولة تحت أي ذريعة بالاستفادة من الخزانة العامة في المصالح الشخصية لمسؤولي الدولة بل أن يكون رجال الدولة كالخادم الأمين المشفق لا يتصرّف في المال العام إلا ضمن مصالح المجتمع وما يحقق له الرقيّ والتكامل.

بل الأكثر من ذلك حتى عندما يقوم أولو الأمر الناشرون للعدل بين الناس بتأمين معيشتهم من مالهم الخاصّ، فإن الإسلام يطلب منهم أيضاً الابتعاد عن التبذير والإسراف في معيشتهم مراعاةً لحال الفقراء ويوصيهم بالحياة البسيطة المتواضعة.

رغم أن أمير المؤمنين عليه السلام خلال فترة حكومته لم ينفق من بيت المال ديناراً



واحداً على حياته الشخصية[1]، فإنه كان يعيش حياةً زاهدةً بسيطةً وعندما سُئل: **يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا أَنْتَ فِي خُشُونَةِ مَلْبَسِكَ وجُشُوبَةِ مَأْكَلِكَ؟ قَالَ: . . . إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ[2] بِضَعَفَةِ النَّاسِ كَيْلا يَتَبَيَّغَ[3] بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ.»**[4].

لقد أسرفت حكومة بني أمية منذ زمن خلافة عثمان في أمر بيت المال إسرافاً وتبذيراً كبيراً وأطلقت يد مسؤولي الدولة ليتصرّفوا في المال العام طبقاً لرغباتهم وأهوائهم. واستمرَّت هذه الحال زمن «معاوية» لاسيما خلال فترة ملكه التي دامت عشرين عاماً حيث أصبحت أموال بيت المال خزانة خاصة لعمال الحكومة وأعوانها والمخلصين للخليفة يسرفون في الإنفاق منها وتبذيرها إلى حدّ يفوق التصوّر وكانت الضرائب العامّة التي تُجبى من جيوب الناس تُنفق على إشباع شهوات الخليفة وأعوانه والمتزلّفين إليه مما جعل كثيراً من المقرّبين من الحكم يجمعون ثروات طائلة ويغرقون في النعم والملذات في حين كانت فئات المجتمع السفلى تعاني الفقر الأسود والموت الأصفر. وكان هذا التفاوت الطبقي الفاحش بكل مظاهره القبيحة والمشينة يهدّد المجتمع الإسلامي بالسقوط.

بعد موت «معاوية» أيضاً استمرّ إنفاق المال العام بتلك الصورة في حين كانت جماعات من المسلمين خصوصاً شيعة أمير المؤمنين عليه السلام تعاني أشدّ المعاناة من الفقر في حين كان القرد الخاص ليزيد يُلَبَّس الحرير الأحمر والأصفر، وتوضع على رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان بشَقَائق[5].

كان والي ولاية «سجستان» «عبّاد بن زياد» أخو «ابن زياد» يملك ألف غلام وقد منح غلمانه هؤلاء ما يعادل عشرة ملايين دينار على الأقل من بيت مال الدولة[6].

---

(1) وسائل الشيعة، الطبعة الجديدة، ج6، ص79 و80 و83.

(2) يقدروا أنفسهم: أي يقيسوا أنفسهم بالضعفاء ليكونوا قدوة للغني في الاقتصاد وصرف الأموال في وجوه الخير ومنافع العامة وتسليةً للفقير على فقره. (المُتَرْجِمُ)

(3) يتبيَّغ بالفقير فقره: أي حتى لا يهيج بالفقير ألم الفقر فيهلكه. (المُتَرْجِمُ)

(4) نهج البلاغة، الخطبة 209. (ص 325، طبع بيروت، 1980م)

(5) المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص 67.

(6) تاريخ الطبري، ج 4، ص 362.



وسرق والي خراسان «عبد الرحمن بن زياد» الأخ الثاني لابن زياد عشرين مليون درهم من بيت المال، وقد وهب له «يزيد» هذا المبلغ المتواضع (!) وسامحه فيه لقاء انصرافه عن تولي ولاية خراسان[1].

تلك كانت طريقة حكومة بني أمية التي يقودها ذلك الخليفة في التصرُّف ببيت مال المسلمين!

في خطبته التي ألقاها الإمام الحسين عليه السلام بقلبه المشفق تحت شعاع الشمس الحارقة أمام «الحُرّ بن يزيد» وجنوده، التي نقلناها في أوَّل هذا الباب، والتي أشار فيها إلى سبع نقاط ضعف في الحكومة القائمة أو بتعبير أصح إلى سبع مصائب عامة كانت حكومة بني أمية قد بَلَتْ بها الناس؛ ذكر الإمام هذه المصيبة المهلكة التي تعانيها البلاد فقال: **«واستَأثَرُوا بالفَيْء[2]»[3]، مبيّناً من خلال ذلك أحد أهداف ثورته.**

هذه الجملة بمعزل عن إشارتها إلى هدف ثورته تبيِّن بوضوح أن الحسين بن علي عليه السلام كان يتألَّم جدّاً من الظلم وفقدان العدالة في التصرّف بميزانية الدولة والمال العام.

لقد وجد الإمام الحسين عليه السلام نفسه في تلك الأوضاع وأصبح ملاحقاً من تلك الحكومة واضطرّ بحكم واجبه الإسلامي إلى تنظيم ثورته وأن يخطو جادّاً نحو إنقاذ المسلمين ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

بهذا نرى أن حماية العدالة في التصرّف في بيت المال كانت جزءاً من الأهداف الإصلاحية لثورة ابن رسول الله صلى الله عليه وآله.

6 ـ الدفاع عن مكانة الإسلام الدوَلِيّة

أحد الأمور التي تهتمّ بها الدول الحيّة هي مكانة البلاد الدولية والعالمية؛ فإذا

---

(1) تاريخ الطبري، ج 4، ص 234.

(2) الفيء في الأصل ما حصل للمسلمين من أموال الكفار من غير حَرْب ولا جِهاد. وأصل الفَيء: الرجوع. ومنه قيل للظّل الذي يكون بعد الزوال: فَيْء لأنه يَرْجع من جانب الغَرْب إلى جانب الشَّرق. ثم قيل «فيء المسلمين» لكل ما يحصل لبيت مال الدولة من أموال غير المسلمين كالجزية والخراج والأراضي المفتوحة والضرائب المختلفة، أو من المسلمين كخمس الركاز ومال من لا وارث له والجبايات. (المُتَرْجِمُ)

(3) تاريخ الطبري، ج 4، ص304.



استطاعت دولةٌ ما أن توجِدَ لنفسها مكانةً مهمّةً بين أقطار العالم وتكتسب احتراماً لدى جميع دول الدنيا فإنها تستطيع برأسمال هذا الاحترام والمكانة أن تخطو خطوات كبيرة في طريق الترقّي وتلعب دوراً مهماً في قافلة الحضارة العالمية أو على الأقل أن تصبح في عداد الدول الراقية والمتطوّرة.

هناك ثلاثة أمور تُعتبر من العوامل الأساسيّة للحصول على هذا الاحترام والمكانة العالميّة الرفيعة:

1 ـ قائد البلاد 2 ـ أسلوب الحكم 3 ـ تشريعات البلد وقوانينه.

أ ـ إذا كان رئيس البلاد قدوةً في العدالة والتقوى معروفاً بالخير ونقاوة النفس وسائر الفضائل الإنسانية فإنه إضافةً إلى قيادة بلاده نحو الرقّي والكمال، يجعل منها محطّاً لأنظار سائر بلاد العالم ويمنحها نفوذاً معنويّاً في ممالك الدنيا، ولا تخفى فوائد هذا النفوذ ومزاياه على أحد.

ب ـ كما أنه لو قام الحكمُ في بلد ما على أساس العدل والحرية وخدمة الناس واتبع في سياسته الخارجية منهج محبة الإنسان وحسن التفاهم والتعامل فإن سائر أقطار العالم ستعجب بهذا النهج في الحكم مما يجعلُ لهذا البلد مكانةً رفيعةً بين شعوب الدنيا.

ج ـ وكذلك عندما تكون القوانين السارية في البلاد مستندة إلى الواقعية الإنسانية وإلى حاجات المجتمع فإن سائر بلدان العالم ستقتبس من قوانين مثل هذا البلد وسيغدو قدوةً تحتذي بها سائر الدول المتعطّشة إلى السعادة والعدالة مما يؤهّله لدور الزعامة والقيادة في العالم، ويبوّئه مكانةً مرموقةً فيه.

إن الذين قاموا بدراسات حول الحضارة الإسلامية والعربية اعترفوا أن تقدّم الإسلام في بداية أمره كان إلى حدٍّ كبير بفضل تلك الأمور الثلاثة:

1 ـ الحاكم الأهل والكفء.

2 ـ أسلوب الحكومة الإسلامية التحرريّ العادل.

3 ـ قوانين الإسلام الحيَّة والراقية.

لقد اكتسب الإسلام في بداية عهده أي في عهد رسول الله ﷺ نــ...



وعالميةً رفيعةً بفضل امتلاكه لتلك الأمور الثلاثة ونالَ مَكَانَةً مَرْمُوْقَةً على الصعيد الدولي، واستطاع بفضل امتلاكه لهذا المنهج السامي أن يجعل لنفسه مكانةً كبيرةً في قلوب الشعوب الأخرى وتنامت شهرته العالمية ونفوذه الخارجي يوماً بعد يوم حتى قال بعض المحققين إنه لو تواصل سير الإسلام على ذلك المنوال لسخّر كلّ قارّة أوروبّا بل العالم بأسره.

نُقل عن الفيلسوف البريطاني «ويلز» أنه قال: **«لو سار الإسلام على المنوال نفسه الذي سار عليه في البداية وتقدّم على الوتيرة ذاتها لما لبث أن فتح العالم بأسره»**[1].

ولكن مع شديد الأسف حدثت في قيادة بلاد الإسلام في المرحلة الثانية من فترة خلافة عثمان انحرافاتٌ كثيرةٌ وذلك بسبب وقوع الخليفة تحت تأثير بني أمية الذين ينتمي إليهم، وبناءً عليه تغيّر أسلوب الحكم (فازدادت مظالم بعض الولاة وانتشرت أخبار فسادهم المالي) وتحوّلت حكومة نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله ذات العدل المطلق والمساواة التامة إلى حكومة مستبدَّة انتشرت فيها المظالم والأثرة إلى الحدّ الذي هُدِرَت فيه معظم القوى الفكريّة لرجال الإسلام الوطنيين في النزاعات الداخلية. وفي النهاية احترق الخليفة عثمان بن عفان بنار غضب الرعيَّة الهائجة وفُتِحَ بقَتْلِهِ باب فِتَن عديدة.

وكان من جملة تلك الفتن طغيان «معاوية بن أبي سفيان» تحت شعار الثأر لدم عثمان وما جرّه ذلك من سفكٍ للدِّماء حتى تكشّف جانبٌ من مقاصده الشيطانية بعد قضيّة التحكيم. وبعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام ساق «معاوية» قواتٍ مجهّزةً إلى حدود العراق لسحق القوات العراقية من أتباع الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، وفي النهاية استطاع من خلال زرع الاختلاف بين قادة قوات العراق وإعطاء الأموال الكثيرة واستعمال الحيل والمكائد السياسية أن يضع السبط الأكبر للنبي الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في ظرف جعله يرى أنه لا مناص أمامه من الإقدام على الصلح والاعتزال عن ميدان السياسة حقناً لدماء الأمة وحفظاً لمصلحة الإسلام.

عندما تسلم «معاوية» السلطة لم يكن له من هدف سوى استغلال الناس والسيادة عليهم وإقامة ملك إمبراطوري.

(1) حاشية كتاب **«عظمت حسين»** (أي عظمة الحسين)، ص74.



مُلْكٌ قام على أساس الاستبداد الغاشم وانتهاك القوانين وتقييد الحريات وسجن الأحرار.

مُلْكٌ مطلق العِنَان لا يَحْجُزُهُ شيءٌ عن القتل وسفك الدماء والحبس والنفي إحياءً لسنَّة كسرى وقيصر كما وصفه «مسلم بن عقيل» حين قال لِعُبَيْد الله بن زياد: «**إنَّ أباكَ قَتَلَ خِيَارَهُمْ وَسَفَكَ دِمَاءَهُمْ وَعَمِلَ فِيهِمْ أعْمَالَ كِسْرَى وَقَيْصَر**»[1].

علاوةً على ذلك قرّر معاوية قبول اقتراح «المغيرة بن شعبة» حاكم الكوفة الداهية الماكر بأن يجعل الخلافة الإسلامية مُلْكَاً وراثيّاً في أسرته، يتداول فيه أبناؤه مملكة الإسلام بعد وفاته كما قال أبو سفيان من قبل: «**يا بَنِي أُمَيَّةَ! تَلَقَّفُوهَا تَلَقُّفَ الكُرَة..**»[2]، وكان هذا العمل مخالفاً لبنود الصلح الذي عقده مع الإمام الحسن المجتبى عليه السلام[3]، ولكنه قام به رغم ذلك مستخدماً كمّ الأفواه وإغداق الأموال الطائلة[4] لتحقيق غرضه.

مات «معاوية» وجلس ابنه بعده على كرسيّ الخلافة بفضل التمهيد المحكم الذي هيّأه له أبوه، رغم أن «يزيد» كان غِرّاً عديم التجربة يُعاقر الخمرة ويُمارس الإثم والفسق.

من البديهي أنه لما قامت حكومة بني أمية على أساس الظلم والعدوان والاستبداد واتخذت تعاليم الإسلام لعباً، انهار ذلك الاحترام وتراجعت تلك المنزلة الدولية التي كسبها الإسلام في بداية أمره بين دول العالم.

يقول أحد الكُتّاب الإسلاميين: «قال أحد كبار علماء الألمان في الآستانة (اسطنبول) لبعض المسلمين وفيهم أحد شرفاء مكة: إنه ينبغي لنا أن نقيم تمثالاً من الذهب لمعاوية بن أبي سفيان في ميدان كذا من عاصمتنا (برلين)! قيل له: لماذا؟ قال: لأنه هو الذي حوَّل نظام الحكم الإسلامي عن قاعدته الديمقراطية إلى عصبية الغلب،

---

(1) تاريخ الطبري، ج 4، ص 282، و الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 196.

(2) ابن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة** (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ج9، ص53. (المُتَرْجِمُ)

(3) والذي نصَّ أحد بنوده على أن تكون الخلافة بعد معاوية شورى بين المسلمين. (المُتَرْجِمُ)

(4) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج3، ص503 ـ 511.



ولولا ذلك لعَمَّ الإسلامُ العالمَ كلَّه ولَكُنَّا نحن الألمان وسائر شعوب أَوْرُبّة عرباً مسلمين.»[1].

عَقْدٌ مُذِلٌّ

لم تتراجع بلاد الإسلام في زمن حكومة «معاوية» من حيث المكانة الدُّوَلِيَّة والنفوذ المعنويّ فحسب بل تراجعت أيضاً من ناحية القدرة العسكرية حيث أصبحت ذليلةً وضعيفةً أمام أوْرُوبّا واضطرَّت بناءً على اتفاقية هُدْنَةٍ عُقِدَت مع ملك الروم أن تدفع له إتاوةً سنويّةً باهظةً.

في سنة 60 هجرية أي السنة ذاتها التي نهض فيها الحسين بن علي عليه السلام بثورته، أبرم «معاوية» ـ الذي رأى نفسه ضعيفاً أمام عالم الغرب ومال إلى ترك الحرب ـ اتفاقيةً مذلّة مع قيصر الروم تضمّنت أربعة بنود:

«البند 1: هذا الصلح هدنة لمدة ثلاثين سنة بين الإمبراطور «قسطنطين» ملك جميع بلاد الفرنجة الشرقية والغربية وممالكها وملك الروم واليونان والغرب وغيرها وبين معاوية بن أبي سفيان خليفة وملك جميع بلاد العرب وفارس وطوران وما وراء النهر، وبين ولاة عهد وقادة الطرفين.

البند 2: يرسل «معاوية» وخلفاؤه كل سنة دون استثناء ثلاثين ألف سكة ذهبية و800 من أسرى النصارى و800 رأس خيل عربي إلى القسطنطينية.

البند 3: يلتزم الإمبراطور وخلفاؤه أن لا يقوموا خلال مدة 30 سنة بأي هجمات عل الأقاليم العربية الحالية.

البند 4: يرسل معاوية بن أبي سفيان المبلغ والأمور المذكورة أعلاه باسم إتاوة إلى بلاط الإمبراطور.».

وكان «يزيد» يرسل هذه الإتاوة مع شيء إضافي واستمرّ دفع هذا الخراج حتى زمن «الوليد بن عبد الملك»، الذي انتصر على الروم وتوقّف عن دفع الخراج لهم[2].

(1) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج 11، ص 260.
(2) اعتماد السلطنة، حجة السعادة، ص182 ـ 183.



هكذا كان «معاوية» وابنه ذليلين جبانين أمام الأجانب وكانا يرسلان حصيلة أتعاب الشعب المسلم على شكل مسكوكات ذهبية وخيول إلى بلاط ملك الروم لكي يكونا في مأمن من عدوانه وهجماته. ولكنهما كانا سبعين مفترسين على المسلمين المضطهدين حيث استخدما قوة السيف لقمع الشعب المسلم البريء الذي لا ملجأ له وجعلاه يعيش في سجن استبدادهما الكبير.

اليوم أصبح «يزيد بن معاوية» رئيس بلاد الإسلام العظيمة التي تضمّ تحت لوائها جزءاً كبيراً من قارّة آسيا وقارّة أفريقيا وقرّر أن يخنق نداءات الحرية المطالبة بالعدل والنابعة من روح الإسلام وأن يجبر الحسين بن علي عليه السلام على التسليم له بلا قيد ولا شرط.

لو لم يخرج في مثل تلك الظروف أي نداء من أي حنجرة ولو فرضنا ـ على سبيل الفرض المحال ـ أن الإمام الحسين عليه السلام استسلم بلا قيد ولا شرط ليزيد، فعندئذٍ كانت البلدان الأخرى ستتعرّف على الإسلام من خلال قالب «يزيد بن معاوية» لأنه عندما لا يكون لرئيس بلاد الإسلام أيّ معارض فسيعتبر في نظر الدنيا ممثلاً لروح الإسلام. عندئذٍ سيقول الأجانب:

مملكة الإسلام تعني مملكة الظلم والطغيان.

تعني المملكة التي تتقبّل الحكم الفردي والاستبدادي.

تعني المملكة التي لا تفقه شيئاً عن العدل والإنسانية والحريّة.

تعني المملكة التي تقوم فيها إرادة شابّ أنانيّ مغرور وحدها برسم مقدّرات الناس دون أن يكون هناك قواعد ولا قوانين.

تعني المملكة التي يقبل زعيم أسرة نبيّها رسمياً الحكومة المتنكّرة للعدل والقامعة للحريّات ويُقرّ لملكها يزيد بأنه زعيمه وقائده وقائد الإسلام!

لما رأى الإمام الحسين عليه السلام ـ الذي يتمتّع بأفق ورؤية أوسع بكثير مما لدى الناس العاديين ـ الإسلامَ في مثل هذا الوضع الخطير من ناحية المكانة العالمية قرّر انطلاقاً من مسؤوليته الكبرى تجاه الإسلام وتجاه الأجيال اللاحقة أن ينهض ويقاوم



عدوان حكومة «يزيد» وأن يسعى في تلك الظروف المساعدة إلى إقامة حكم إسلاميٍّ قويٍّ يُنقذ به الإسلام المسلمين من الاستبداد الغاشم.

كي تعلم الدنيا أنها يجب أن تنظر إلى الإسلام من خلال أفكار الحسين بن علي عليه السلام وفي قالب ابن رسول الله صلى الله عليه وآله لا في قالب «يزيد».

كي تعلم الدنيا أن الإمام الحسين عليه السلام قد ضحّى كل تلك التضحية لا لشيءٍ إلا لإيمانه وحبه للإسلام ولأجل حماية دينه والدفاع عنه.

كي تعلم الدنيا أن الإسلام استطاع تربية مثل هذا الابن البارّ الذي يناضل في سبيل دينه ـ أي في سبيل الدفاع عن الإنسانية والعدالة وفي سبيل الحرية والتقوى والفضيلة ـ ذلك النضال الباسل.

اتّضح مما ذُكر أنه يجب اعتبار الدفاع عن المنزلة العالمية والدولية الرفيعة للإسلام جزءاً من الأهداف الواسعة ومتعدّدة الجوانب لنهضة ابن رسول الله صلى الله عليه وآله.

رأيٌ خاطئٌ حول هدف الإمام الحسين عليه السلام من ثورته

تصوّر بعض الكتّاب أن هدف الإمام الحسين عليه السلام من ثورته كان فضح بني أمية من خلال إيجاد مشهد «المَظْلُومِيَّة» التي سيتعرّض لها هو وأهل بيته فيمهّد بهذه الوسيلة السبيل إلى سقوط حكومة الأسرة الأموية الظالمة، وترسيخ محبة بني هاشم (وبني العباس) في قلوب الناس نتيجةً لمظلُومِيَّة الإمام الحسين عليه السلام فيكون ذلك تمهيداً لتسلمهم زمام الحكم في المستقبل.

يقول هذا الفريق من الكتّاب: إن الحسين بن علي عليه السلام ذهب إلى مذبحه عالماً مختاراً وسعى إلى أَنْ يُقْتَلَ على نحو مُفْجِع ومثير للشفقة إلى أقصى حدٍّ ممكن لكي تؤثّر مصيبةُ مَقْتَلِهِ بهذه الصورة في القلوب أبلغ الأثر وتثير عاطفة الناس ضدّ بني أمية ولمصلحة بني هاشم.

«ماربين»[1] الألماني أحدُ الكُتّاب الذين أَبْدَوْا رأيهم حول نهوض الإمام الحسين عليه السلام وثورته وهدفه من تلك الثورة على النحو التالي:

(1) قال بعض الفضلاء إن الأصل الصحيح لهذا الاسم هو «مارتين» بالتاء، وأن تسميته بـ «ماربين» من الأخطاء الشائعة.



«ومقاصد الحسين عليه السلام كانت على علم وحكمة وسياسة وليس لها نظير في التاريخ، **فإنه لم يزل يوالي السَّعْيَ في تهيئة أسباب قَتْلِهِ نظراً لذلك المقصد العالي**، ولم نجد في التاريخ رجلاً ضحَّى بحياته عالماً وعامداً لترويج ديانته من بعده إلا الحسين عليه السلام.»[1].

ويقول أيضاً: «**ولكن لما لم يَكُنْ لَهُ قَصْدٌ إلا القَتْل مُقَدِّمةً لذلك المقصد العالي**، وإعلان الثورة المقدَّسة ضدَّ «يزيد»، رأى أن خير الوسائل إلى ذلك (**الانفراد والمظلومية**)، **فإنَّ أثر هذه المصائب أشدّ وأكثر في القلوب**»[2].

ويقول كذلك: «**نعم، إن الحسين عليه السلام، بمبلغ علمه وحسن سياسته بذل كمال جهده في إفشاء ظلم بني أميّة وإظهار عداوتهم لبني هاشم، وسَلَكَ في ذلك كل طريق**.»[3].

ويقول عن طفل الإمام الرضيع: «ولم يصرف نظره عن ذلك المقصد العالي مع تلك المصائب المحزنة والهموم المتراكمة وكثرة العطش والجراحات، وهو قصّة (عبد الله الرضيع). **فلما كان الحسين عليه السلام يعلم أنَّ بَنِي أميّة لا يرحمون له صغيراً، رفع طفله الصغير تعظيماً للمصيبة على يده أمام القوم، وطلب منهم أن يأتوه بشربةٍ من الماء، فلم يجيبوه إلا بالسَّهم**.»[4].

ويقول عن انقراض دولة بني أميَّة: «**ولم يَطُلْ العَهْدُ حتى نُزِعَت تلك السلطة من بني أميّة، وزالت السلطة والقدرة من آل يزيد في أقلّ من قرن، واندرست آثارهم على وجه لم يبقَ منهم عينٌ ولا أثرٌ . . . كلُّ ذلك نتيجة سياسة الحسين**»[5].

ويقول حول إحياء الإسلام بواسطة قَتْل الإمام: «**إنَّ الحُسَيْنَ قَدْ أَحْيَا بِقَتْلِهِ دِيْنَ جَدِّهِ وَقَوَانِينَ الإسْلام**»[6].

(1) مارتين، السياسة الحسينية، ص 33.
(2) المصدر نفسه، ص 25.
(3) المصدر نفسه، ص 26.
(4) المصدر نفسه، ص 29.
(5) المصدر نفسه، ص 36.
(6) المصدر نفسه، ص 22.



يمكن تلخيص بيانات هذا المستشرق الألماني بالنقاط التالية:

1 ـ أن الإمام الحسين عليه السلام لم يزل يوالي السَّعْيَ في تهيئة أسباب قَتْلِهِ.

2 ـ أن الإمام سعى إلى أن يكون قتله على أفجع صورة ممكنة.

3 ـ هو الذي أوجد مظلوميته بوصفها الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هدفه.

4 ـ كان هدف الإمام تحريك مشاعر الناس وعواطفهم ضد بني أمية كي يثوروا على حكمهم ويسقطوه ويوصلوا بني هاشم (أي بني العباس) إلى الحكم.

وكان هدفه أيضاً أن يُحيِيَ بِمَقْتَلِهِ دِيْنَ جَدِّهِ وقوانين الإسلام.

نقد الجملة الأولى

ينبغي أن نقول حول هذه الجملة: لا ندري من أين أتى هذا الرجل الألماني بهذه الفكرة من أن الإمام الحسين عليه السلام لم يزل يوالي السعيَ في تدارك أسباب قَتْلِهِ؟

أيُّ مؤرِّخ شيعيّ أو سنّيّ كتب أن الإمام سعى منذ سنوات إلى تهيئة مقدمات قَتْلِهِ؟

إذا استطاع «ماربين» أو الأشخاص الذين يُفكِّرون بمثل طريقته أن يأتينا بدليلٍ تاريخيٍّ واحدٍ على أن الإمام الحسين عليه السلام مَهَّدَ وَهَيَّأَ أسباب قَتْلِهِ قبل سنة أو قبل شهر أو أسبوع أو يوم أو حتى قبل ساعة من ثورته الباسلة فنحن مستعدون أن نقبل بقية كلام هذا المستشرق، المفتقر إلى الدليل، دون سؤال. إن هذا الكلام الذي قاله «ماربين» لم يَقُلْهُ أيُّ مؤرّخ.

الأمر المسلَّم به أن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن قد هيّأ لمقتله قبل عدوان حكومة يزيد عليه، وأما بعد عدوان الحكومة، فعندما كانت إمكانية النصر متوافرة ـ من ناحية العوامل الطبيعية ـ تحرّك الإمام نحو الكوفة لإقامة حكومة قوية بهدف نجاة الإسلام، وعندما انقلبت أوضاع الكوفة رأساً على عقب وانتفت إمكانية إقامة الحكومة، سعى الإمام بكل جهده للحيلولة دون وقوع الحرب والقتال. وبعد أن فرض عليه مأجورو الحكومة تلك الحرب غير الإنسانية وضدّ الإسلام، قام الإمام بحكم الضرورة والقانون والوجدان بالدفاع حتى آخر رمق وقاوم الظلم والعدوان.



إذن خلافاً لكلام «ماربين» لم يسعَ الإمام الحسين عليه السلام ـ سواء قبل عدوان حكومة يزيد عليه أم بعده ـ إلى تهيئة أسباب قَتْلِهِ ولم يعمل على التمهيد لهذا القَتْل.

وإذا كان مقصوده من مقولته: **«لم يزل الإمام يوالي السَّعْيَ في تهيئة أسباب قَتْلِهِ»** أنه كان يتوقّع من قبل أنه سيُقْتَلَ وتنبّأ بنيله الشهادة، فجوابه أن أمير المؤمنين عليه السلام كان قد تنبأ بالشهادة أيضاً وأعدَّ نفسَهُ لها ولكن هذا ليس معناه أنه كان يُعِدّ لأسباب قَتْلِهِ ويعمل على التمهيد له!.

نقد الجملة الثانية

بالنسبة إلى الجملة الثانية ينبغي أن نقول: إن الإمام الحسين عليه السلام لم يَسْعَ قط إلى أن يتمَّ قَتْلُه بأفجع صورة ممكنة، بل بذل كلَّ جهده للمقاومة وجاهد لحفظ أهل بيته من أن يصيبهم أيّ مكروه أو سوء حتى آخر لحظة. وإذا كانت الروايةُ التي تذكر أنه طلب الماء لطفله الرضيع صحيحةً، فإن هذا كان بهدف حفظ حياة الطفل البريء حتى لا يموت من العطش وليس لأجل أن يقوم الأعداء بقتل الطفل ويخلقوا بذلك مصيبةً مفجعةً حتّى تؤثّر مصيبتُه في القلوب أكثر! إذن إلى الحدّ الذي يتعلّق بالإمام الحسين عليه السلام بذل الإمام في جميع مراحل ثورته كلَّ جهده في سبيل الدفاع عن الدِّيْن والدفاع عن نفسه وأهل بيته. وكان يرى واجباً عليه أن يحافظ على حياته كي يبقى وُجُودُهُ الثمينُ محفوظاً ذُخْراً للإسلام والمسلمين.

نعم لقد كانت حكومة «يزيد» المتجبِّرة وعمَّالها القساة هم الذين أظهروا قمّة القسوة والوحشية والأعمال اللاإنسانية في حربهم للحسين عليه السلام إلى حدّ رَمْيِهم طفلاً رضيعاً بسهم قاتل، لا أن الإمام كان يسعى إلى أن يتصرّف أعداؤه تجاهه بأقسى ما يمكن ويستبيحوا ضدَّه أشدّ الأعمال وحشيّةً حتى تصبح مصيبته فاجعةً أكثر، كما تخيّل هذا المستشرق.

نقد الجملة الثالثة

وينبغي أن نقول بشأن الجملة الثالثة: لم يكن الحسين بن علي عليه السلام هو الذي أوجد «مَظْلُومِيَّتَه» بل بالعكس سعى حتى آخر نَفَس كي لا يقع عليه الظلم. لم يكن



منطق الحسين بن علي عليه السلام أن يقول هذه حنجرتي وهذا خنجركم فافعلوا بي ما شئتم! بل كان منطق الإمام هو أنه: لما كان قبولُ الظلم والذلّ وتأييد خلافة ابن معاوية المفروضة بالجبر على الناس أمراً فيه ضررٌ للإسلام ويعين على هضم حقوق المسلمين، فإني سأمتنع عن تأييدها وسأقاوم حتى آخر رمق في سبيل نجاة الإسلام.

بناء على ذلك لم يرحّب الإمام الحسين عليه السلام بالظلم الواقع عليه ولا جعل «المَظْلُومِيَّة» أكبر وسيلة للوصول إلى هدفه، بل ذهب إلى حد التضحية بروحه في سبيل دفع الظلم ومقاومته.

وكانت حكومة يزيد الجائرة هي التي بغت ظلماً وعدواناً على ابن رسول الله وأوجدت «مَظْلُومِيَّتَه».

نقد الجملة الرابعة

وحول الجملة الرابعة ينبغي أن نقول: يبدو أن هذا المستشرق الألماني قد خلط بين هدف الحركة والآثار القهرية التي تترتّب عليها. مثلاً إذا بنى إنسانٌ لنفسه بيتاً فهدفُهُ أن يسكن فيه، لكن المنزل سيفيد الناس طبعاً بأن يستظلوا بظلّه. فهنا لا يجوز أن نقول إن هدف بناء المنزل كان أن يستفيد الناس من ظلّه.

كان هدف الإمام الحسين عليه السلام من ثورته نجاة الإسلام والمسلمين. ولكن كانت لتلك الثورة آثارٌ قهريّةٌ وهي افتضاح حكومة بني أمية ـ المفضوحة أساساً ـ أكثر من قبل، وانتشار المحبّة والاحترام في قلوب النّاس تجاه بني هاشم بشكل عامّ وآل بيت النبيّ بشكل خاصّ، ومن خلال ذلك استطاع بنو العباس أن يستغلّوا شهادة الإمام الحسين عليه السلام لمصلحتهم أسوأ استغلال ويستفيدوا منها لأجل الوصول إلى السلطة.

وأما قوله: «إنَّ الحُسَيْنَ قَدْ أَحْيَا بِقَتْلِهِ دِيْنَ جَدِّهِ وَقَوَانِينَ الإِسْلام» فجوابه: إن الإمام السجّاد عليه السلام اعتبر أن مقتل أبيه الحسين عليه السلام أصابَ الإسلامَ بـ«ثُلْمَة عظيمة»[1].

ولا قيمة لكلام «ماربين» أمام كلام الإمام السجّاد عليه السلام.

---

(1) اللهوف على قتل الطفوف، ص 180.



نعم لما كانت ثورة الإمام العظيم تهدف إلى نجاة الإسلام واستُشهد في هذا السبيل فإن كل مسلم ذي وجدان يتألم لهذه الشهادة المفجعة ويبكي لها ويُحدث هذا في نفسه أثراً وشعوراً بأن واجبه أن يتبع طريق الإيمان هذا ذاته لإحياء الإسلام، وهذا أعظم أثر لثورة الإمام وشهادته، ولكن هذا الأمر ليس هو مقصود «ماربين».

فخلاصة الكلام: إن ما قاله «ماربين» اشتباهٌ مردودٌ، لذا حلّلْنا مقولاته تلك تحت عنوان «اشتباه». وكان الأفضل ألا يبدي ذلك المستشرق، أو بتعبير أصح ذلك الذي لا علم له بالشرق، رأيَه في مسائل ليس له تخصُّصٌ فيها، كي لا يُساء إليه ولا يُتْعِبَ غيره.

وبشكل عام هناك نقاط ضعف كثيرة فيما كتبه «ماربين» مما يبيِّنُ أنه لم يكن على اطلاع كاف على تاريخ الإسلام، فمثلاً قال في ص18 من كتابه: «**تمَّ قتل عثمان بواسطة تحريض بني هاشم ودعاياتهم ضدَّه**» وهذا قولٌ منافٍ للحقيقة.

احتمالٌ حول منشأ ذلك الرأي الخاطئ

يقول «ماربين» الألماني: «**حضرتُ في تركيا برفقة مترجمي مآتمَ للحسين بن علي وسمعتُ الخطباء يقولون كذا وكذا حول ثورة الإمام الحسين**»[1].

يُحتمل أن يكون بعض الخطباء الذين أشار إليهم من الأشخاص الذين اتّخذوا الخطبة في مراسم العزاء الحسيني مهنةً لهم دون أن يكون لهم تعمّق في فهم قضايا الدين فكانوا يطرحون فلسفة ثورة الإمام الحسين عليه السلام على أساس ذلك التصور الذي ذهب إليه «ماربين» (أي إن الإمام الحسين عليه السلام تحرّك من الأساس لأجل أَنْ يُقْتَلَ)، فسمع منه «ماربين» ذلك وكتبه في مذكّراته، ولمّا لم يكن له ـ احتمالاً ـ اطّلاعٌ وافٍ على ثورة سيد الشهداء عليه السلام فإنه استقى معلوماته مما سمعه من تلك الخطب معتقداً أن ما سمعه في مآتم الحسين حقائق قطعية عن تاريخ الإمام. وبعد أن عاد إلى أوْرُوبّا كتب ما سمعه للغربيين بوصفه تحفة أتى بها من الشرق، إذ كان من الرائج أن يسجّل الإنسان مذكرات سفره وينشرها.

---

(1) السياسة الحسينية، ص45.



ثم تُرْجِمَتْ كتابات «ماربين» حول ثورة الإمام إلى اللغات الشرقية فاعتبرنا نحن أن ما قاله هو من صادرات الغرب فتلقَّيْنَاهُ نحن وكأنّه خبرٌ مسندٌ بأسانيدَ مُحْكَمَة وتناقلته الأفواه وانتقل من كتاب إلى كتاب حتى تمسّك به بعضنا للأسف واستخدموه دليلاً على مقولاتهم ومكتوباتهم!

نقطةٌ هامَّةٌ

إذا تصوَّر بعض الناس أنّ الإمام الحسين عليه السلام أرادَ أنْ يُلْقِيَ بنفسه إلى القَتْل، وأن هذه الإرادة تحقَّقت على أيدي مأموري حكومة «يزيد»؛ ففي مثل هذه الصورة لن تُثار مشاعر الناس ضدَّ الحكومة، لأنها قد قامت بما كان الإمام يريده وبما كان يسعى إلى تحقيقه!

نعم إنما تُثار مشاعر الناس ضدَّ حكومة «يزيد» إذا علموا أن الحكومة الظالمة الجائرة قامت بما لم يكن الإمام يريده وبما يُخالف مرضاة الإمام، وأنها سفكت دم سبط النبي وأبنائه وأصحابه.

نقطةٌ أخرى

يقول الإمام الحسين عليه السلام: «فَلَكُمْ فِيَّ أُسْوَةٌ..»(1).

إذا قلنا مثل «ماربين»: إن الإمام أراد أن يُلْقِيَ بنفسه إلى القَتْلِ هو وحوالى 17 نفراً من أفضل رجالات بيت النبوّة وأكثر من خمسين من خيرة رجال الإسلام وأبناء القرآن، ويهيئ لأسباب قَتْلِهِ عَلَى أفجع صورة ممكنة إلى درجة جعل طفله الرضيع هدفاً لرمي العدوّ وَخطَّطَ لكي يقع أهلُ بيت الرسالة من النساء والأطفال أَسْرَى في أيدي الأراذل والأوباش يجرُّونهم من مكان إلى مكان. فهل مثل هذا العمل يمكن أن يكون أسوَةً للنّاس، وهل يجوز للمسلم أن يقتدي بالإمام في مثل هذا العمل وَيتَّبِعَهُ فيه؟!

تذكيرٌ

يقول شيخ الطائفة المرحوم الشيخ الطوسي قُدِّسَ سِرُّه: «ولي في هذه المسألة

(1) تاريخ الطبري، ج 4، ص304.



نظرٌ «أي في أنه هل يجوز بحق الإمام أن يؤمر بالذهاب عالماً عامداً إلى مَقْتَلِهِ أم لا يجوز»؟»[1].

ويقول أستاذه العالم الكبير المرحوم السيد المرتضى علم الهدى قُدِّسَ سِرُّه: **«إن ذلك لا يجوز لأن دفع الضرر عن النفس واجبٌ عقلاً وشرعاً، ولا يجوز أن يُتَعبَّد [الإمام] بالصبر على القبيح، وإنما يُتَعَبَّدُ بالصَّبْر على الحَسَن، ولا خلاف أن ما وقع مِنَ القَتْل كان قبيحاً، بل من أقبح القبيح.»**[2].

إذا كان الشيخُ الطوسيُّ رحمة الله عليه متردِّداً في هذا الأمر (أي جواز أن يُتَعَبَّدَ الإمامُ بالذهاب إلى مَقْتِله المعلوم عامداً أم لا)، وإذا كان السيد المرتضى رحمه الله يقول بصراحة: **«إن ذلك لا يجوز»**، فكيف يمكن الاقتداء بعمل يشك بعض العلماء في أصل جوازه ويقطع بعضهم بحرمته وعدم جوازه؟

وكيف يمكن ترجيح رأي «ماربين» الألماني على رأي علماء الشيعة الكبار؟!

هل كان قَتْلُ الإمام في مصلحة الإسلام؟

يُقَال أحياناً: إنَّ قَتْلَ الإمامِ الحسينِ عليه السلام أحيا الإسلامَ.

هنا يجب أن نَفْصِلَ موضوعَ قَتْل الإمامِ الذي كان من الجرائم الكبرى لحكومة «يزيد» عن موضوع نضال الإمام حتى الشهادة.

إذا قال قائلٌ: إن قَتْلَ الإمامِ - أي الجريمة الكبرى التي ارتكبتها حكومة «يزيد» - كانت لمصلحة الإسلام فإن هذا القول مردودٌ ومرفوضٌ تماماً لما يلي:

1 - إذا قُصِدَ بهذا القول أنَّ قَتْلَ ابن رسول الله صلى الله عليه وآله كان سبباً لعمل مسلمي الحجاز والعراق والشام وأفريقيا الشمالية مثلاً بأحكام الإسلام أكثر من قبل فإن هذا ليس صحيحاً أبداً لأنه كيف يمكن أن نصدِّق أن يؤدي قَتْلُ الإمام إلى عمل المسلمين بأحكام الدين على نحو أفضل، فيُكثروا من إقامة الصلاة ومن الصيام والجهاد ويلتزموا أكثر بتشريعات الإسلام الجزائية مثلاً؟!

---

(1) تلخيص الشافي، ج4، ص 190.

(2) المصدر نفسه.



2 ـ وإذا قُصِدَ أنَّ قَتْلَ الإمام أدَّى إلى نيل المسلمين لفتوحات إسلامية إضافيَّة وأنَّ مقتل الإمام كان مثلاً سبباً لفتح الأندلس في الغرب وسمرقند وبخارى في الشرق في زمن الوليد بن عبد الملك، فهذا أيضاً ليس بصحيح إذْ ما علاقة قَتْلِ الإمامِ بفتح الأندلس وسمرقند وهل كان وجود الإمام مانعاً لِتَقَدُّم المسلمين وانتصارهم فإذا قُتِلَ فُتح أمام المسلمين باب الانتصارات والفتوحات في الشرق والغرب؟!!

3 ـ وإذا قُصِدَ بأن قَتْلَ الإمام أدّى إلى إضعاف حكومة بني أمية فلم تَعُدْ قادرةً على التضحية بالإسلام في سبيل أهوائها الجاهلة، فهذا أيضاً لا يمكن قَبُولُه لأنَّ قَتْلَ الإمامِ أضعف حكومة بني أمية من جهةٍ وَقَوَّاها من جهة أخرى. فقد أضعفها لأنها أصبحت ممقوتةً ومكروهةً أكثر في الرأي الإسلاميِّ العامّ. ولكنه قوّاها من ناحية أنه أزاح من طريقها منافساً قوياً وكبيراً كالحسين بن علي عليه السلام وأدّى إلى قمع حركة أهل العراق ويأسهم من إقامة حكومة إسلامية واستيلاء الرعب الشديد والخوف على الناس.

ولا شكّ أنّ جانب قوّة الحكومة كان أقوى من جانب ضعفها بعد قَتْلِ الإمامِ، لأن قوّة الحكومة بعد شهادة الإمام وقمع حركة العراق أصبحت قوّةً ملحوظةً ومُرعبةً ومُخيفةَ، أمّا ضعف الحكومة فكان لعلّة النفور الشديد والكراهية التي استقرّت في قلوب الأحرار تجاهها وهذا النفور كان أمراً مخفيّاً غير مرئيٍّ محبوساً في صدور معظم الناس لا يجرؤون على الإعراب عنه. لذلك خلا الجو بعد حادثة كربلاء لحكومة بني أمية لتُمارس أعمالها اللاإسلامية دون مانع أو مزاحم بل واصلت تنفيذ برامج عملها الشيطانية بقدرة أكثر إرهاباً وأشدّ إرعاباً للناس. كما جرى عملياً في حادثة «الحرّة» وكذلك في الهجوم على مكة وانتهاك حرمة بيت الله.

ثم إن بني أمية أنفسهم امتلكوا زمن عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك إحدى أكبر الحكومات والممالك التي كانت على وجه الأرض آنذاك حيث وصل ملكهم إلى الأندلس في أوْرُوبّا[1] وإلى سمرقند وبخارى وجميع بلاد ما وراء النهر وجميع طخارستان في آسيا[2].

(1) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج 4، ص556.

(2) أبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص282.



4 ـ وإذا كان المقصود أن قَتْلَ الإمامِ ساعد على تشكّل جماعة الشيعة أكثر من قبل فينبغي أن نقول: بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام أصبحت جماعة الشيعة أقوى من جهة وأضعف من جهة أخرى. أصبحت أقوى لأن مشاعر الناس تحرَّكت لمصلحة مدرسة شيعة أهل البيت. وأصبحت أضعف لأن الشيعة فقدوا زعيماً كبيراً كالحسين بن عليّ عليه السلام وعدداً من أبرز الرجال والشخصيات الشيعية. وأدَّت حادثةُ «التوابين» ومَقْتَلُ عدّة آلاف من نخبة رجال الشيعة ومختاريهم إلى مزيد من الإضعاف للشيعة. كما أضعفت ثورة المختار ومقتله والمذبحة التي أودت بحياة ستة آلاف من أتباعه إلى إضعاف الشيعة أكثر وأكثر. وقد أدَّت ثورة زيد بن علي، إضافةً إلى المزيد من الخسائر في الأرواح بين صفوف الشيعة، إلى انقسامهم إلى فريقين: زَيْديَّة وغير زَيْديَّة.

كل تلك العوامل زادت من ضعف الشيعة، ولا شك أن جانب إضعاف الشيعة بعد حادثة كربلاء كان أكبر من جانب قوّتهم لأنّ ضعف الشيعة كانت علَّتُهُ مَقْتَلَ الإمام القائد واليأس من إقامة الحكومة الإسلامية، وهذا ضعفٌ كبيرٌ يدعو إلى اليأس ويعذّب الشيعة ويؤلمهم. ولكن في المقابل فإن مشاعر الشيعة الملتهبة التي قوّت بناء هذه الطائفة كانت إلى حدٍّ كبيرٍ مخفيّةً غير مرئيةٍ ولم يكن الناس يجرؤون في الغالب على البوح بها وإظهارها.

5 ـ وإذا كان المقصود أن قَتْلَ الإمامِ أدَّى إلى فضح آل أبي سفيان وانكشافهم على حقيقتهم وأن هذا الأمر أحيا الإسلام، فهذا أيضاً ليس بصحيح لأن فضيحة «معاوية» وابنه «يزيد» كانت واضحةً وليست بحاجة إلى كشف الستار عنها، بل لم يكن قد بقي ثمَّة ستار ليُكشف عن الفجائع والفضائح والبوائق التي ارتكبها عنصرا الفساد هذان. لقد كانت انتهاكات «معاوية» جهاراً نهاراً لأحكام الإسلام لا حصر لها. وقد بحثنا في باب ماهيّة ثورة الإمام في الجرائم التي ارتكبها «معاوية» ضدّ الإسلام، وأوضحنا كيف كان يرتكب تلك الأعمال ضدّ الدِّيْن جهرةً ودون استتار.

هل كان طغيان معاوية ضد عليّ عليه السلام مخفياً، وهل تمَّت حرب صفِّين التي سُفكت فيها دماء أكثر من 70 ألف شخص على نحو سريّ؟!

هل كان أمر «معاوية» بقَتْلِ شيعة أمير المؤمنين عليه السلام والإغارة عليهم في المدينة والأنبار واليمن أمراً سرّيّاً؟!



هل إقامة صلاة الجمعة يوم الأربعاء تمت على نحو مخفيّ؟!

هل تمَّ قَتْلُ «حجر بن عدي» و«عمرو بن الحمق» سِرّاً؟!

هل كان لعن أمير المؤمنين عليه السلام الذي أصدر فيه معاوية تعميماً على جميع أنحاء بلادِ الإسلام وتم تنفيذه عمليّاً، أمراً سرّيّاً ومخفياً؟! هل .... وهل....

يقول أمير المؤمنين عليه السلام حول هتك معاوية لكل حرمة: «**ظَاهِرٍ غَيُّهُ مَهْتُوكٌ سِتْرُهُ**»[1]، ويقول عنه في موضع آخر: «**فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيطَانُ**»[2].

هل يمكننا بعد هذا الكلام الصريح والواضح لعليّ عليه السلام حول هتك «معاوية» لكل ستر وافتضاحه أن يتصور أحد أن بوائق معاوية كانت مستورة غير مكشوفة؟!

فإذا كانت فضائح «معاوية» واضحة إلى ذلك الحدّ فهل يمكن لأحدٍ أن يتصوَّر أنّ فضائح ابنه «يزيد» كانت مخفيّةً مستورةً[3]؟!

6 ـ وإذا كان المقصود أن قَتْلَ الإمامِ وأسرَ أهل بيته أثارا مشاعر أهل الشام حتى نهضوا ضدَّ يزيد فأُحيي الإسلام بذلك، فهذا أيضاً لا يمكن قبوله لأن أهل الشام أصبحوا طوال الأربعين سنة التي حكمهم فيها معاوية ماديين وعبيداً للدنيا إلى درجة أنهم لو ضُربوا على رأسهم بمقامع من فولاذ لما استيقظوا من سباتهم العميق ولما ثاروا على «يزيد»!

كان أهل الشام هم أنفسهم الذين اعتدوا بأمر من «يزيد» على أهل المدينة وانتهكوا أعراضهم في وَقْعَة «الحَرَّة» بعد حادثة كربلاء، وكان أهل الشام هم أنفسهم الذين اعتدوا بأمر من «يزيد» على حرم الله في مكة المعظمة وسفكوا الدم الحرام في المسجد الحرام وانتهكوا حرمة بيت الله.

فهل يمكن لمثل هؤلاء أن يثوروا ضدَّ «يزيد» [4]؟!

---

(1) **نهج البلاغة**، رسالة رقم 39.

(2) **نهج البلاغة**، رسالة رقم 44.

(3) نعم لقد زادت جريمةُ قَتْلِ الإمام التي ارتكبتها حكومة «يزيد» من فضح آل أبي سفيان المفضوحين أساساً، ولكن زيادة الفضح هذه كانت نتيجة لجناية يزيد ولا يمكن اعتبارها هدفاً من أهداف ثورة الإمام.

(4) لم يكن أهل الشام فقط الذين لم يثوروا ضدَّ يزيد بل أهل الكوفة أيضاً لم يثوروا ضدَّه. قال السيد ابن طاووس قُدِّس سره عن أهل الكوفة: «ما عرفناهم أنهم غَضِبوا في أيام يزيد لذلك القتل الشنيع =



نقطةٌ هامّةٌ

علاوةً على كلّ ما ذُكر، وكما مرّ معنا في الباب الثاني، كان الإمام الحسين عليه السلام قد قرَّرَ بعد مواجهته للحرّ بن يزيد العودة إلى الحجاز وأصرّ على هذا الأمر إصراراً كبيراً إلى حدّ أنه منذ لقائه الحُرّ بن يزيد وحتى ابتداء القتال طرح اقتراح عودته وترك النزاع خمس مرّات على الأقل[1]، كما حذَّرَ قوات العدو يوم عاشوراء من قَتْلِهِ[2]، وبذل جهداً كبيراً للحيلولة دون وقوع الحرب وإراقة الدماء.

فهل كان الإمام الذي قرّر العودة إلى الحجاز واقترح أكثر من مرّة ترك النزاع وحذّر جيش ابن سعد من الإقدام على إراقة دمه، لا يريد أن يُحيِيَ الإسلامَ بِمَقْتَلِهِ؟ هل كان الإمام غيرَ رَاغِبٍ في إحياءِ الإسلام؟!

خلاصة الكلام

والخلاصة أننا لا نجد أيَّ معنى منطقي وصحيحٍ يمكن قبوله لمقولة: إنه بجريمة قتل يزيد للإمام الحسين عليه السلام أُحْيِيَ الإسلام:

1 ـ سواء كان إحياء الإسلام بمعنى العمل بأحكام الإسلام.

2 ـ أو كان إحياء الإسلام بمعنى الفتوحات الإسلامية.

3 ـ أو كان إحياء الإسلام بمعنى ضعف حكومة بني أمية.

4 ـ أو كان إحياء الإسلام بمعنى تشكّل الشيعة وتبلور مذهبهم.

5 ـ أو كان إحياء الإسلام بمعنى افتضاح آل أبي سفيان وانكشاف حقيقتهم.

6 ـ أو كان إحياء الإسلام بمعنى ثورة أهل الشام ضدّ «يزيد».

أجل، إن الحقيقة هي أن مقاومة الإمام الحسين عليه السلام ونضاله البطولي إلى حدّ الشهادة كانا في سبيل الإسلام ولإحياء أحكام القرآن. وهذا البرنامج العمليّ للإمام

= ولا خرجوا عليه ولا عزلوه عن ولايته». (كشف المَحَجّة لثمرة المهجة: تأليف السيد ابن طاووس، ص47) (أو في ص 96 في النسخة التي لديّ، ط2، تحقيق محمد حسُّون، قم، بوستان كتاب، 1375 هجرية شمسية/ الموافق 1996م).

(1) راجع فقرة «اقتراح الانصراف والعودة» في وسط الباب الثاني من هذا الكتاب.

(2) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 216.



سيبقى أبد الدهر مصباحاً مضيئاً ينيرُ دربَ البشر، وعلى الناس أن يستفيدوا من هذا العمل السامي والنهج الإنساني لأجل رفع راية الإسلام وتقدُّمه وتحقيق أهدافه ويعملوا طبقاً له.

تشبيهٌ خاطئٌ

يُقال أحياناً: كما يصل المرض لدى بعض الأفراد إلى حدٍّ يحتاج معه إلى مبضع الجرّاح، كذلك قد يصل الفساد في مجتمع حدّاً لا يُصْلِحُهُ إلا الحرب وسفك الدماء. وعندما رأى الإمام الحسين عليه السلام أن فساد المجتمع وصل إلى حدٍّ كبير لم يَعُدْ يُجْدِي مَعَهُ إلا إسالة الدم أقدم على ذلك العمل الكبير.

هنا يجب أن نقول: هل يستأصلُ الجرّاحُ بمداخلته الجِراحيَّة العِلاجيَّة العضوَ السالمَ أم العضوَ الفاسدَ؟ طبعاً يستأصل العضو الفاسد. فإذا قام الجرّاح باستئصال عضوٍ سالمٍ بدلاً من العضو الفاسد أو سبَّب بَتْرَ عضوٍ سالمٍ فإنه يُلام على ذلك ويتحمّل مسؤولية هذا الإثم العَمْديّ الذي ارتكبه.

فهل يصحّ أن نقول: إن الإمام الحسين عليه السلام لمّا رأى أن المجتمع عمّ فيه الفساد قام بعمل قدَّم فيه أكثرَ أفراد المجتمع صحّةً وقيمةً وعلى رأسهم الإمام ذاته إلى القَتْل والهلاك، ودليله على ذلك أنه أراد القيام بعمليّة جراحيّة للمجتمع الفاسد؟!!!

هل مَقْتَلُ الأفراد الأصحّاء والمصلحين وبقاء الفاسدين والمفسدين أَحْيَاءَ يُمْكِنُهُ أن يصلح المجتمع الفاسد؟!

إن الخطأ في هذا التشبيه هو أن صاحبه يتصوّر أن الإمام الحسين عليه السلام كان يهدف منذ بداية ثورته إلى إيجاد حادثة كربلاء، في حين أن الإمام لم ينهض لأجل إيجاد مثل تلك الحادثة الخاسرة والرهيبة. بل ما قام به الإمام كان مقاومةً في مواجهة الاستبداد وثورةً لنجاة الإسلام والمسلمين من خلال إقامة حكم إسلاميٍّ. وفي المقابل كان ما قام به عمّال الحكومة السفاحون هو قمع القوات الشعبية والإسلامية وَقَتْلُ ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الأوفياء.

فلا يجب أن نخلط بين ما قام به عمّال حكومة «يزيد» ضدّ الإسلامية وبين ما قام



به الإمام، كما لا يجوز أن نضع حادثة كربلاء الدموية في حساب الإمام الحسين عليه السلام فنكون قد ظلمنا سبط النبي صلى الله عليه وآله ظُلماً إضافياً.

تَصَوُّرٌ غريبٌ

يتصوّر البعض أن الإمام الحسين عليه السلام قرّر منذ بداية الأمر أَنْ يُقْتَلَ وَأَنْ يُؤْسَرَ أهلُ بيته ويساقوا مِنْ هذه المدينة إلى تلك وبعبارة أخرى: يرى هذا البعض أنّ أَسْرَ أهل بيت الحسين عليه السلام كان مطلوباً له منذ البداية وسعى إليه كثيراً وكان هدف الإمام من وقوع أهله في الأسر أن يفضح حكومة الوقت بهذه الطريقة!

فليت شعري هل يمكننا أن نقول: إن إدخال زينب الكبرى عليها السلام في جملة من أُدخلوا على ابن زياد «متنكرةً وعليها أرذل ثيابها فمضت حتى جلست ناحيةً من القصر وحفَّت بها إماؤها. فقال ابن زياد: مَنْ هذه التي انحازت ناحيةً ومعها نساؤها؟ فلم تُجِبْهُ زينبُ. فأعاد ثانيةً وثالثةً يسألُ عنها، فقال له بعض إمائها: هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله! **فأقبل عليها ابنُ زياد وقال لها: الحمدُ لِـلَّهِ الذي فضحكم وَقَتَلَكُم وأكذب أحدوثتكم.**»[1]، أقول: هل يمكننا أن نقول إن مثل هذا الأمر الذي يذيب قلب كلِّ ذي غيرةٍ حُزْناً وَكَمَداً، كان أمراً مطلوباً للإمام الحسين عليه السلام وسعى الإمام لتحقيقه؟!

هل يمكننا القول: إن أمر «ابن زياد» بضرب عنق الإمام السجّاد بجرم جرأته على الردّ على كلمته المتغطرسة التي ألقاها، حتى رمت زينب الكبرى بنفسها على الإمام السجّاد وقالت: «**والله لا أفارقُهُ فإنْ قَتَلْتَهُ فاقْتُلْنِي مَعَهُ**»[2]، ومثل تلك المشاهد التي يتفطَّر لسماعها قلبُ كلِّ مسلم فضلاً عن رؤيتها، كانت مطلوبةً للإمام وسعى لإيجادها؟!

هل يمكننا القول: إن السفر الإجباري ليتامى آل بيت النبي صلى الله عليه وآله كل تلك المسافات الطويلة وطي البيداء والفيافي تحت أشعة الشمس المحرقة وتحت رقابة

(1) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 225. (أو ج2، ص 115).

(2) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 226. (أو ج2، ص116 ـ 117).



القوات المسلحة الشيطانية دون استراحة أو توقف أو نوم أو طعام حُرٍّ مما تتفتَّتُ له أكباد كلِّ إنسان ذي عاطفة كان أمراً مطلوباً للإمام؟!

هل يمكننا القول: إن بنات وأخوات الإمام الحسين عليه السلام اللواتي أصبحن فُرْجَةً تشاهدُهُنَّ كلُّ عين دنيئة لأراذل الناس وأوباشهم مما ينتفض له قلب كلِّ إنسان ذي غيرة كان أمراً مطلوباً للإمام؟!

إذا كان ذلك مطلوباً للإمام فلماذا اشتكت زينب الكبرى عليها السلام من ذلك الأمر وقالت تذمّ يزيد: **«أَمِنَ العَدْلِ يا ابنَ الطُّلَقَاءِ تخديرُكَ حَرَائِرَكَ وَإماءَكَ وَسَوْقُكَ بَنَات رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله سَبَايَا قَدْ هُتِكَتْ سُتُورُهُنَّ وَأُبْدِيَتْ وُجُوهُهُنَّ تَحْدُو بهنَّ الأعداءُ من بَلَدٍ إلى بَلَدٍ وَيَسْتَشْرِفُهُنَّ أهلُ المناهل وَالمناقل وَيتصفَّحُ وُجُوهَهُنَّ القَرِيبُ وَالبَعِيدُ وَالدَّنِيءُ وَالشَّرِيفُ؟»**[1].

هل يمكننا القول: إنّ ذلك الرجل الشاميّ الذي أشار إلى فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام في مجلس يزيد وقال: **«يا أمير المؤمنين هَبْ لي هذه الجارية ـ (تقول فاطمة): يعنيني وكنتُ جارية وضيئةً ـ فأرعدتُ وظننتُ أن ذلك جائزٌ لهم فأخذتُ بثياب عمّتي زينب وكانت تعلم أنّ ذلك لا يكون، فقالت عمّتي للشاميّ: كذبتَ والله وَلَؤُمْتَ، والله ما ذلك لك ولا له.»**[2]، مما لا يُطيقُ سماعُهُ أيُّ مسلم، كان أمراً مطلوباً للإمام؟!!!

هل الإمام الذي قام يدافع عن أسرته وأهل بيته حتى بعد أن أثخنته الجراح وصاح في جيش العدوّ:

«وَيْلَكُمْ ! إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ وَكُنْتُمْ لاَ تَخَافُونَ الْمَعَادَ فَكُونُوا فِي أَمْرِ دُنْيَاكُمْ أَحْرَاراً ذَوِي أَحْسَابٍ. . . امنَعُوا رَحْلي وَأَهْلِي مِنْ طُغَامِكُمْ وجُهَّالِكُمْ»[3]، يرضى بأن يصبح مصير نسائه وبناته بيد الأراذل والأوباش يجرُّونَهُنَّ في الأزقّة والأسواق أمام أنظار عامّة الناس؟!

(1) السيد ابن طاووس، **اللهوف على قتلى الطفوف**، ص 163.
(2) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 228. (أو ج2، ص 121).
(3) **تاريخ الطبري**، ج 4، ص344.



كم هو طفوليٌّ أن يتصوّر أحدٌ أن الإمام الحسين عليه السلام كان يريد أن يقوم بعمل يحرّض فيه عمال الحكومة على أن يسوقوا أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله مِنْ مكان إلى مكان لكي يفضح بذلك بني أميّة!!!

أيُّ منطق عجيب هذا الذي يقول إنّ الإمام كان راضياً بكلِّ تلك القسوة والوحشيّة والأعمال اللاإنسانية واللاأخلاقية واللاإسلامية التي فُعِلَت بحقّ نسائه وأهل بيته!!!

إنَّ أَسْرَ أهلِ بيت النبيِّ صلى الله عليه وآله بذلك الوضع القاسي الذي يقطّع القلوب هو من الجرائم التي لا نظير لها والتي سوّدَت وجه تاريخ الإسلام بل تاريخ البشرية، والتي لا تُرْضي اللهَ ولا رسولَه صلى الله عليه وآله ولا الإمامَ الحسين عليه السلام ولا أيَّ مسلم على وجه الأرض، ولا تفيد في إحياء الإسلام بل هي ثُلْمَةٌ ومصيبةٌ حَلَّتْ بالإسلام كما جرى ذلك فعلاً.




مكتبة
الفكر الجديد

الباب الخامس

نتائج الثورة وآثارها



في هذا الباب يجب أن نبيِّن الآثار السيئة للعدوان الوحشيّ الذي قامت به حكومة يزيد ضدّ الإسلامية ضدّ ابن رسول الله ﷺ من جهة، ومن الجهة الأخرى علينا أن نوضّح أيضاً الآثار القيّمة لثورة الإمام الحسين عليه السلام الباسلة الشهمة.

الآثار السلبيّة لجريمة حكومة يزيد في قتل الإمام الحسين عليه السلام

أما بالنسبة إلى الآثار السلبيَّة لذلك العدوان الوحشي الذي قامت به حكومة «ابن معاوية» ضد الإمام والإسلام فهي كثيرةٌ نشير فيما يلي إلى بعضها:

1 ـ خسارةٌ لا تُعوّض.

2 ـ ذلُّ الناس.

3 ـ ثلمةٌ في الإسلام.

4 ـ خسارة علمية.

5 ـ وصمةُ عار.

1 ـ خسارةٌ لا تُعَـوّض

كلُّنا يعلم أن فاجعة كربلاء المؤسفة إضافة إلى ما أوقعته من خسائر مالية، ذهبت بحياة عدد من أشرف رجال الإسلام وأفضلهم ونخبتهم ممن كانوا ذخراً ثميناً لأمّة الإسلام بما يمتلكون من أرفع الصفات الإنسانية، إذْ كانوا نماذج كاملة لمدرسة القرآن، فذهبوا جميعاً طعمةً لحريق الحرب وحلَّ بِأُسَرِهِمْ الحزن والكَرْب وأصبحت بلا معيل ولا حامٍ.

والأهمّ من ذلك كلّه أن سبط النبيّ ﷺ وابن علي وفاطمة البارّ الذي كان ينبغي حقّاً أن يقود عالم الإنسانية نحو الرقيّ والتكامل وقع صريعاً يتشحَّطُ بدمه[1] بتلك

---

(1) جاء في لسان العرب (مادة شحط): «شَحَّطَ المقْتُولُ بدَمِهِ أَي اضْطَرَب فيه وشحَّطَه غيرُه به تَشْحِيطاً وفي حديث مُحَيِّصةَ: وهو يَتَشَحَّطُ في دمه، أَي يَتَخَبَّطُ فيه ويَضْطَرِبُ ويتمرّغُ». (المُتَرْجِمُ)



الطريقة المفجعة، وتعرّض بنات آل رسول الله صلى الله عليه وآله اللواتي كنّ مثال العفّة الإسلامية إلى هجوم عناصر متوحشة أغاروا عليهنّ ثم ساقوهنّ سبايا في الأزقّة والشوارع أمام المجالس العامّة وأمام أنظار المتفرّجين من الرجال الأجانب.

لا شكَّ أن هذا البغي الوحشي على أهل بيت الرسالة وجّه ضربةً كبيرةً إلى القيادة الإسلامية، وإهانةً وَقِحةً بحقّ المقام المقدّس لنبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله. ولا توجد خسارةٌ أكبر من أن يتعرّض أهل بيت الرسالة إلى العدوان والقتل والغارة. وكان المسؤول عن تلك الخسارة التي لا تُعوَّض حكومة ابن معاوية ضدّ الإسلاميَّة التي أوجدت تلك الفاجعة الرهيبة ببغيها وعدوانها.

2 ـ ذلّ الناس

في زمن حكومة يزيد بن معاوية الاستبدادية التي كانت تسلبُ جميعَ الناس حريّاتهم الأساسية وتغتالُ الحقَّ والعدلَ وتستغلُّ القوى المالية والبشرية للشعب، كان الأملُ الوحيدُ الـمُتَبَقّي للناس وجودَ شخصيَّةٍ كبيرةٍ وكفـءٍ مثل الحسين بن علي عليه السلام باعتباره القائد الوحيد الذي يستطيع عند توافر الظروف المساعدة أن يستفيد من نفوذه الاجتماعيّ وقاعدته الشعبية والمحبّة التي له في قلوب الناس لينهض ويضع حدّاً لطغيان حكومة الجور ويحرّر الناس من الظلم والقهر.

بعد موت معاوية انتعش أمل الناس الذين عاشوا عشرين عاماً تحت وطأة حكم ذلك المستبدّ الجائر السفّاح وكانوا يتطلّعون إلى يوم الخلاص والإصلاح، وَأَمِلُوا أن يتمكّن الإمامُ الحسين من الإسراع في النهوض ـ قبل أن يتمكّن يزيد بن معاوية من السيطرة على الوضع ـ لتغيير الأوضاع القائمة ونجاة الناس من ذلك الاستبداد وخنق الحريَّات. كان هذا الأمل يعتري بشكل أكثر شيعة أمير المؤمنين عليه السلام في العراق الذين تمركزت جميع آمالهم وأمانيهم في شخص الحسين بن علي عليه السلام؛ إذْ كانوا يؤمنون أن المصلح الوحيد الذي يستطيع أن يحقّق آمال الناس هو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله.

والآن بعد أن قُضِيَ على ذلك الأمل بسيف الاستبداد وسُفِك دم هذا الزعيم العظيم على أيدي عمّال دولة البطش والظلم، هل بقي للمظلومين ملجأٌ يلجؤون إليه؟



هل بقي أملٌ لطلاب الحريّة الذين أرهقتهم سياط الاستبداد وبلغ منهم الضيقُ كلَّ مبلغ؟ هل بقيت هناك وسيلة أخرى يمكنها أن تلجم طغيان حكومة الجور الأمويّة؟

هنا يجب أن نقول: لقد أصبح المسلمون بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام أكثرَ ذُلاً وهواناً تجاه حكومة «يزيد»، إذْ تبخّرت جميع آمالهم بمقتل الإمام وتبدَّلَ أملُهُم يأساً وعلموا أنهم قد هُزموا وأصبحوا بلا ملجأ[1].

قال «عبد الله بن مطيع» ـ السياسي المعروف الذي كان له دور مؤثّر في الانتفاضات التي اشتعلت ضد بني أمية ـ للإمام الحسين عليه السلام عندما التقاه على الطريق بين مكة والمدينة: **«لئن هلكتَ لنُسْتَرَقَّنَّ بعدَكَ»**[2].

وخرج الصحابيُّ المسنّ «زيد بن أرقم» غاضباً من مجلس «عُبَيْد الله بن زياد» وهو يقول: **«أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم؛ قَتَلْتُمْ ابنَ فاطمة وأمَّرْتُمْ ابنَ مرجانة، فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم، فرضيتم بالذلّ، فَبُعْداً لمن رضيَ بالذل»**[3].

وقد وقع ما توقَّعه «عبد الله بن مطيع» و«زيد بن أرقم» وأصبح الناس بعد حادثة كربلاء عبيداً أذلاء للحكومة.

«عن عمر بن بشر الهمداني قال: **قُلْتُ لِأَبِي إِسْحَاق: مَتَى ذَلَّ النَّاسُ؟ قَالَ: حِينَ قُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام، وَادُّعِيَ زِيَادٌ، وَقُتِلَ حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ**»[4].

والأكثر من ذلك، لقد أصاب الذلّ الذي نتج بن جريمة قَتْلِ الإمام التاريخية الكبيرة، أهلَ بيت الرسالة أنفسهم (والعياذ بالله)، وكان ذلك القَتْلُ محزناً لأهل بيت العصمة إلى أقصى حدٍّ، إلى درجة قول الإمام الرضا عليه السلام من شدَّة الأسى والحزن: **«إِنَّ الْمُحَرَّمَ شَهْرٌ كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يُحَرِّمُونَ فِيهِ الْقِتَالَ فَاسْتُحِلَّتْ فِيهِ دِمَاؤُنَا وَهُتِكَ فِيهِ**

---

(1) نعم بعد شهادة سيد الشهداء صلوات الله عليه كان الإمام السجّاد عليه السلام حجةَ الله وخليفةَ النبيّ صلى الله عليه وآله ومرشدَ الناس ومصباحاً منيراً في الدنيا المظلمة، ولكن الإمام السجّاد كان في ظروف لا تسمح له بالقيام بأي نشاط سياسي والنهوض لإلجام طغيان حكومة بني أمية المناهضة للإسلام.

(2) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج 4، ص 20.

(3) **تاريخ الطبري**، ج 4، ص 349.

(4) المَجْلِسِيّ، **بحار الأنوار**، ج 44، ص 271، الطبعة الجديدة. (المؤلّف). وأصله لدى الشيخ الصدوق، **الخصال**، تحقيق علي أكبر غفاري، 1، 181. (المُتَرْجِمُ).



حُرْمَتُنَا وَ سُبِيَ فِيهِ ذَرَارِيُّنَا وَنِسَاؤُنَا وَأُضْرِمَتِ النِّيرَانُ فِي مَضَارِبِنَا وَانْتُهِبَ مَا فِيهَا مِنْ ثَقَلِنَا وَلَمْ تُرْعَ لِرَسُولِ اللهِ حُرْمَةٌ فِي أَمْرِنَا. إِنَّ يَوْمَ الْحُسَيْنِ أَقْرَحَ جُفُونَنَا وَأَسْبَلَ دُمُوعَنَا وَأَذَلَّ عَزِيزَنَا . . .»[1].

فاتّضح مما ذُكر أن ذلّ الشعب المسلم أمام حكومة بني أمية الجبارة أكثر مما سبق كان من الآثار السيئة والسلبية التي نجمت عن ذلك العدوان الوحشي الظالم الذي استباحته دولة يزيد المعادية للإسلام ضدّ ابن النبيّ صلى الله عليه وآله.

3 ـ الثُلْمَة التي ثُلِمَتْ في الإسلام

كان الإمام الحسين عليه السلام زعيماً كبيراً للإسلام، وكان واجبه:

1 ـ بيان مبادئ الإسلام وأحكامه وتفسيرها.

2 ـ تمهيد الطريق لتقدّم الإسلام وازدياد نفوذه من خلال تبليغ سبط النبيّ صلى الله عليه وآله لتشريعاته وترويج قوانينه.

3 ـ هداية المسلمين وإرشادهم ورئاستهم السياسية وتشكيل القوى والفعاليات السياسية والاقتصادية المتعلّقة بسائر شؤون الحياة والتنسيق بينها كي تقوى أركان سعادة مجتمع المسلمين ويخطوَ خطوات أسرع نحو الرقيّ والتكامل.

كلُّ أمّةٍ تبغي السعادة تحتاج إلى أمرين: 1 ـ القانون. 2 ـ رجال القانون.

يجب أن يكون القانون كاملاً إلى حدّ تلبيته حاجات المجتمع كافة. ويجب على رجال القانون أن يؤمنوا به من جهة ويفهموه فهماً صحيحاً من الجهة الأخرى ولا يوفّروا جهداً في ترويجه والدفاع عنه.

عن زيد بن أرقم (رض) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وإنَّهما لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»**[2]. فهذا الحديث حدَّد القانون ورجال القانون. القانون هو كتاب الله. ورجال القانون هم عترة

---

(1) الشيخ الصدوق، **أمالي الصدوق**، ص 78. (المؤلّف). ومحمد بن أحمد الفتَّال النيشابوري (ـ 508هـ)، **روضة الواعظين وبصيرة المتّعظين**، ط قديمة، 1، 169. (المُتَرْجِمُ)

(2) **المستدرك للحاكم**، ج3، ص 148. (المؤلف). وقال بعده: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه. (المُتَرْجِمُ).



النبيّ ﷺ. ولما كان القانون بحدّ ذاته لا يملك لساناً ولا يستطيع أن يدافع عن نفسه، كان لا بدّ من أن يقوم رجال القانون بتفسيره ودعمه وترويجه.

بناء على ما تقدّم، بمقدار ما ينشط رجال الله الربّانيون العلماء العارفون بالدِّين في العمل على تقدّم الإسلام واعتلاء رايته، يتمّ إحياء الدين وتقدّمه. وبمقدار ما ينقص علماء الدين وتتضاءل فعاليتهم يضعف الدين.

وإذا مات العالم ثُلم في الإسلام ثلمة بمقدار فقدان شعاع شخصيته الدينية ونفوذه بين الناس، لذا فقد ورد في الأثر: «عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: «**إِذَا مَاتَ الْمُؤْمِنُ الْفَقِيهُ ثُلِمَ فِي الْإِسْلَامِ ثُلْمَةٌ لاَ يَسُدُّهَا شَيْءٌ**»[1].

من هذه المقدّمات يمكننا أن ندرك مدى الثُّلْمَة التي أُصيب بها الإسلام بمقتل ذلك القائد الكبير والمجاهد الصَّلْب الإمام الحسين عليه السلام.

ولإدراك هذه الحقيقة لا بد من الانتباه إلى هذه النقطة: إلى أي حدٍّ كان وجود الإمام الحسين عليه السلام ـ الذي يعدّ أكبر شخصية علمية وسياسية من أهل بيت الوحي والرسالة ـ مفيداً ومؤثراً في تقدّم الإسلام ورِفْعَتِه وعلوّ كلمته؟

من البديهيّ أن وجود الإمام مؤثّرٌ بمقدار إشعاع شخصيّته الإسلامية وقيادته الدينيّة والسياسيّة وأثرها في تقدّم الإسلام وشوكته ونفوذه، فبهذه النسبة كان قَتْلُ ذلك القائد الدينيّ الكبير والزعيم السياسيّ الإسلاميّ العظيم ضرراً كبيراً للإسلام والمسلمين وكان فقدانُه بتلك الصورة المؤلمة خسارةً جسيمةً لا تُعَوَّضُ أصابت عالم الإسلام.

قال عبدُ الله بن جعفر ضمن رسالةٍ كتبها إلى الإمام الحسين عليه السلام: «**إِنْ هَلَكْتَ الْيَوْمَ طُفِئَ نُورُ الأَرْضِ فإنّكَ عَلَمُ المهتَدِين وَ رَجاءُ المُؤْمِنِينَ**»[2].

من هنا نفهم لماذا قال الإمام السجّاد ضمن خطبةٍ له ألقاها خارج المدينة لدى عودته إليها: «**إنَّ اللهَ وله الحمدُ قد ابتلانا بمصائب جليلة وثُلْمَة في الإسلام عظيمة قُتِلَ أبو عبد الله الحسين عليه السلام وعترتُه وَسُبِيَ نِسَاؤُهُ وَ صِبْيَتُهُ**»[3].

---

(1) الكافي للكليني، ج 1، ص 38، طبع مكتبة الصدوق.
(2) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 200. (أو ج2، ص 69).
(3) اللهوف، ص180، و مثير الأحزان، ص 62.



اتّضح مما ذُكر أن من الآثار السيئة والمؤسفة لقَتْلِ الإمام الحسين عليه السلام بيد عمّال حكومة «يزيد» إصابة الإسلام بثلمة كبيرة لا يسدُّها شيء.

4 ـ خسارةٌ علميّةٌ

قال بعض كبار العلماء: «لم تُرْوَ أيُّ رواية عن الإمام الحسين عليه السلام في جميع فقه الشيعة، وبعضهم قال: رُوي عن الإمام الحسين حديثٌ واحدٌ فقط».

إنْ كان ما ذُكر صحيحاً فينبغي أن نقول إنّ علّة هذا الأمر هي أن الإمام الحسين اضطرَّ بسبب خنق الحريّات والتضييق الشديد الذي فرضته حكومة معاوية بعد وفاة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام إلى اعتزال الساحة السياسية وكانت مراجعة الناس له قليلة، وبعد موت معاوية تعرّض الإمام فوراً إلى العدوان والملاحقة وقام في إثر ذلك بنهضته التي انتهت بشهادته.

لو لم يستشهد الإمام في تلك الثورة وتمكّن من إعادة الخلافة الإسلامية إلى أهلها لكان سَيُلْقِي الخطب مثل أبيه في مسجد الكوفة ويُصدر المراسيم لعزل الحكام وتعيينهم، وكان سيوضّح في كل مناسبة حقائق القرآن والإسلام ويربّي تلاميذ كثراً في التفسير والحديث وسائر علوم الإسلام ويملأ الدنيا من علوم القرآن والحديث.

ليس «**نهج البلاغة**» سوى جزء بسيط من الآثار العلمية لأمير المؤمنين عليه السلام التي بقيت بين أيدي الناس بصورة خطبه ورسائله وكلماته القصار، ومن المعلوم أن القسم الأعظم من هذا الكتاب الثمين صدر عن الإمام عليّ عليه السلام زمن خلافته، حين كان مسؤولاً عن قيادة المجتمع وكانت تصدر منه في كل مناسبة خطبة أو رسالة أو كلمة حكيمة.

لو تسلم الإمام الحسين عليه السلام، مثل أبيه الكريم، زمام أمور الناس وَحَكَمَهُم عشرَ سنوات على الأقلّ لترك بعده عشرات نهج البلاغة ولخلّف آثاراً قيّمةً من الخطب والرسائل والأوامر والأخبار والأحاديث الإسلامية.

أو لو أن الإمام الحسين عليه السلام في المرحلة الثالثة من نهوضه استطاع ـ كما رغب هو ـ أن يترك النزاع ويعود إلى المدينة ثم يعيد الخلافة الإسلامية إلى أهلها بعد موت



يزيد أو على الأقل يعيش وضعاً مشابهاً لعيش الإمام السجّاد والإمام محمد الباقر عليهما السلام، لكان ـ في كلتا الحالتين ـ قد خلّف لنا آثاراً ثمينةً من العلوم الإسلامية.

ولكن مع كل أسف قُتِلَ ذلك الوجود المقدّس بسيف الظلم والاستبداد وحُرم عالم الإسلام من فيض وجوده.

إذن يجب أن نقول: إن العلّة الأساسية لعدم نقل أخبار في الفقه عن سيد الشهداء عليه السلام هو مقتله ذاته وهذا أيضاً من آثار جناية «يزيد».

ورد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة: **«وَأَصْبَحَ كِتَابُ اللهِ بِفَقْدِكَ مَهْجُوراً»**[1].

بديهيٌّ أنه إذا كان القرآن الكريم قد أصبح مهجوراً بمقتل الإمام عليه السلام فمن باب أولى أن تكون أخبار أهل البيت قد أصبحت مهجورةً أكثر بمقتله عليه السلام.

5 ـ وصمةُ عار

لا شكّ أن الهجوم الوحشيَّ على أهل بيت الوحي والرسالة في حادثة كربلاء كان وصمة عار في جبين حكومة «يزيد»، وبشكل غير مباشر وصمة عار في جبين الإسلام لا يمحوها شيء.

من السنن الاجتماعية الطبيعية أن تنال كلُّ حكومة محبَّةَ الناس وتحظى بموافقة الرأي العامّ بمقدار نصرتها للحقّ وتأييدها للعدل، وعلى العكس من ذلك تغدو مكروهةً مبغوضةً مِنْ قِبَلِ الناس بمقدار ظلمها وجورها، وتؤول في النهاية إلى السقوط. من هنا أصبحت حكومة «يزيد» المفروضة قهراً على الناس مكروهةً بعد فاجعة كربلاء أكثر بكثير مما كانت عليه من قبل وأصبح الناس يقبّحونها ويمقتونها بشدّة.

رغم أن التضييق الشديد وخنق الحريَّات لم يكونا يعطيان الناسَ فرصةَ إظهار نفورهم من تلك الحكومة ومقتهم لها بحرية إلا أن ذلك لم يكن قادراً على التقليل من سخط الناس ومقتهم لها بل كان يزيدهما.

---

(1) مفاتيح الجنان، ص452، المطبعة الإسلامية.



لم يكن عامة الناس وحدهم الذين تألّموا وحزنوا بعد تلك الحادثة المؤلمة فحسب بل حتى أزلام الحكومة والمقرّبون منها لم يستطيعوا أن يخفوا حزنهم لما جرى.

وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك

1 ـ بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام طلبَ «عُبَيْد الله بن زياد» من «عُمَر بن سعد» كتابه الذي كان قد أرسله إليه يأمره فيه بقتل الإمام، فامتنع «ابن سعد» من إعطائه ذلك الكتاب رغم مطالبة «ابن زياد» الشديدة وقال: مضيتُ لأمركَ وضاع الكتاب. «فقال عُبَيْد الله: لتجيئنَّ به. قال: ضاع. قال: والله لتجيئنّي به! قال: تُرِكَ والله يُقْرَأ على عجائز قريش اعتذاراً إليهنّ بالمدينة! أَمَا والله لقد نصحتُك في حسين نصيحةً لو نصحتُها أبي سعد بن أبي وقاص كنتُ قد أدّيت حقّه. قال عثمان بن زياد أخو «عُبَيْد الله بن زياد»: **صدَقَ والله لوددتُ أنه ليس من بني زياد رجلٌ إلا وفي أنفه خزامة إلى يوم القيامة وأن حسيناً لم يُقتَل! قال: فوالله ما أنكر ذلك عليه «عُبَيد الله»»**[1].

يمكننا من هذه الحادثة أن ندرك مدى تأسّف ومَقْت «عمر بن سعد» لقتل الإمام الحسين عليه السلام، بل يمكننا أن نلاحظ قلق «ابن زياد» نفسه مما حدث.

ربما كان عُبَيْد الله يعتقد أن السلطة قد تقع بيد آخرين يوماً ما فيحاكمونه استناداً إلى وثيقة الكتاب الذي كتبه إلى «عمر بن سعد» يأمره فيه بقتل الإمام. وربما تألَّم وجدانه (إذا افترضنا أن لديه وجداناً أصلاً) من تلك الجريمة النكراء وكان يريد محو آثار الجريمة البشعة تلك كي لا تحزنه ذكراها من جديد. وربما كانت علّة إصراره على الحصول على ذلك الكتاب كلا الأمرين. وعلى كل حال تبيّن هذه القصّة قلق حاكم الكوفة السفّاح.

2 ـ وبّخت «مرجانةُ» أمُّ حاكم العراق المستبد «عُبَيْد الله بن زياد» ابنَهَا بشدّة على قتله الحسين وقالت: «**يا خبيث! قتلت ابنَ رسول الله؟! والله لا ترى الجنة أبداً**»[2].

(1) **تاريخ الطبري**، ج 4، ص 375.

(2) سبط ابن الجوزي، **تذكرة الخواص**، ص 259.



3 ـ «لما أقبل وفد أهل الكوفة برأس الحسين دخلوا مسجد دمشق فقال لهم مروان بن الحكم: كيف صنعتم؟ قالوا: ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلاً فأتينا والله على آخرهم وهذه الرؤوس والسبايا. فوثب مروان فانصرف وأتاهم أخوه يحيى بن الحكم فقال: ما صنعتم؟ فأعادوا عليه الكلام. فقال: **حُجِبْتُم عن محمّدٍ يوم القيامة، لن أجامعكم على أمر أبداً. ثم قام فانصرف.**»[1].

4 ـ ويحيى بن الحكم أخو مروان بن الحكم هو نفسه الذي قال بحسرة وأسى عندما رأى رأس الإمام المبارك بين يدي «يزيد»:

لَـهَـامٌ بِـأَدْنَـى الـطَّـفِّ أَدْنَـى قَـرَابَــةً مِنِ ابْنِ زِيَادٍ الْعَبْدِ ذِي الْحَسَبِ الْوَغْلِ
سُـمَـيَّـةُ أَمْسَـى نَـسْـلُـهَـا عَـدَدَ الْـحَـصَـى وَبِنْتُ رَسُولِ اللهِ أَمْسَـتْ بِلاَ نَسْـلِ[2].

5 ـ عندما دخلوا على يزيد ووضعوا الرأس بين يديه وحدّثوه الحديث سمعت الحديثَ «هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز» وكانت تحت يزيد بن معاوية فتقنّعت بثوبها وخرجت فقالت: يا أمير المؤمنين! أرأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله؟! قال: نعم، فاعولي عليه وحدّي على ابن بنت رسول الله وصريحة قريش. عَجَّلَ عليه ابنُ زياد فَقَتَلَهُ قَتَلَهُ اللهُ![3].

من هذا الانزعاج الشديد من قتل الإمام الحسين عليه السلام الذي نلاحظه حتى لدى المقرّبين من جهاز الحكم يمكننا أن نفهم مدى ازدياد سخط الناس ومقتهم لحكم «يزيد» المفروض عليهم قهراً بعد حادثة كربلاء، وإلى أي حدّ كانت تلك الجريمة الفظيعة والجناية الكبرى مُرْوعةً وبشعةً في نظر المسلمين.

تلك كانت بعض الآثار السيئة لعدوان حكومة «يزيد» الوحشية على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفيما يلي نذكر بعض الدعايات التخريبية التي شنّتها حكومة بني أميّة ضدّ الإمام

---

(1) تاريخ الطبري، ج 4، ص355 ـ 356.
(2) تاريخ الطبري، ج 4، ص352. و الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 227. (أو 2، 120)، لكن البيت الثاني لديه كالتالي: أُمَيَّةُ أَمسَى نَسْلُهَا عَدَدَ الْحَصَى ** وَبِنْتُ رَسُولِ اللهِ لَيسَ لَهَا نَسْل. (المُتَرْجِمُ)
(3) تاريخ الطبري، ج 4، ص356.



بعد شهادته وردّ فعل الأئمّة عليهم السلام تجاهها. ثم نشير بعد ذلك إلى الآثار المثمرة لثورة سيد الشهداء الباسلة صلوات الله عليه:

جوٌّ مسمومٌ

سَعَتْ حكومةُ بني أمية المعادية للإسلام إلى شنّ دعايات واسعة بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام تتّهمه فيها بأنه كان باغياً معتدياً وطاغياً (والعياذ بالله).

وبما أن حكومة بني أمية كانت تقوم بتلك الدعايات المسمومة بإمكانياتها الواسعة وتستخدم في ذلك أموال خزانة البلاد العامة بلا حساب، فمن الطبيعي أن تؤثّر تلك الدعايات تأثيراً كبيراً في شرائح مختلفة من الناس وأن تنجح في خلق رأي عامٍّ سيئ الظنّ بالإمام ج وتسميم الجو الفكري المحيط بالناس.

وضع الأحاديث

إضافةً إلى ما سبق، قام عددٌ من عبيد الدنيا الذين باعوا ضمائرهم بوضع الأحاديث بأمرٍ من رجال الحكم في فضائل يوم عاشوراء (يوم قتل الحسين بن علي) واعتباره يوم عيد وبركة وأن مَن اعتبره كذلك أعطاه الله جزيل الثواب:

«عن عبد الله بن الفضل قال: قلت للصادق عليه السلام: يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ! فَكَيْفَ سَمَّتِ الْعَامَّةُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ يَوْمَ بَرَكَةٍ؟ فَبَكَى عليه السلام ثُمَّ قَالَ: لَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ عليه السلام تَقَرَّبَ النَّاسُ بِالشَّام إِلَى يَزِيدَ فَوَضَعُوا لَهُ الْأَخْبَارَ وَأَخَذُوا عَلَيْهِ الْجَوَائِزَ مِنَ الْأَمْوَالِ، فَكَانَ مِمَّا وَضَعُوا لَهُ أَمْرُ هَذَا الْيَوْمِ وَأَنَّهُ يَوْمُ بَرَكَةٍ لِيَعْدِلَ النَّاسُ فِيهِ مِنَ الْجَزَعِ وَالْبُكَاءِ وَالْمُصِيبَةِ وَالْحُزْنِ إِلَى الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ وَالتَّبَرُّكِ وَالاسْتِعْدَادِ فِيهِ. حَكَمَ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُم.»[1].

ومن بين كلّ تلك الأحاديث الموضوعة نكتفي بذكر الحديث التالي نموذجاً:

«يوم عاشوراء يوم تاب الله على آدم، واستوت سفينة نوح على الجودي يوم عاشوراء، وَ رَدَّ اللهُ الملك على سليمان يوم عاشوراء، وفلق البحر لموسى يوم

(1) بحار الأنوار، ج 10، ص 162، سطر 7. (أو ج 98، ص 104 من الطبعة الجديدة). (المؤلّف). وأصله لدى الشيخ الصدوق، علل الشرائع، 1، 226 ـ 227. (المُتَرْجِمُ)



عاشوراء، وغرَّق فرعون ومن معه يوم عاشوراء، وبعث زكريّا رسولاً يوم عاشوراء، وتاب اللهُ على يونسَ يوم عاشوراء، وأخرج يونسَ من بطن الحوت يوم عاشوراء، ورفع الله إدريس مكاناً عليّاً يوم عاشوراء، وكشف ضُرَّ أيُّوب يوم عاشوراء، وأخرج يوسف من الجبِّ يوم عاشوراء، وكسا هارون قميص الحياء يوم عاشوراء، و ألهم يحيى الحكمة يوم عاشوراء. إن يوم عاشوراء سبعون عيداً فمن وسَّع على عياله فيه وسَّع الله عليه إلى مثلها في السَّنَة.»[1].

وغنيٌّ عن القول أنه عندما يُروى على لسان رسول الله ﷺ أن يوم عاشوراء يوم عيد فإن المسلمين الذين لا علم لهم بحقيقة الأمر سيعتبرون يوم عاشوراء يوم عيد دينيٍّ فعلاً ولن يمضيَ جيلٌ إلا وقد أصبح أكثر الناس - الذين لا علم لهم بحقيقة الأمر - يبتهجون في هذا اليوم ويجعلون الفرح فيه واجباً دينيّاً!.

ومن الواضح أن مثل تلك الدعايات المسمومة توجِّه ضربةً غير مباشرة إلى المقام المقدّس للحسين بن عليّ عليه السلام الذي استُشهد يوم عاشوراء لأن الناس سيقولون في أنفسهم: إن الشخص الذي يُعَدُّ يومُ قَتْله عيداً دينيّاً ويومَ بركةٍ لا بدّ أن يكون شخصاً خارجاً عن دِين الله (والعياذ بالله).

ومن الواضح أيضاً أنه في البيئة التي يُلعَنُ فيها والدُ هذا الحسين على المنابر في سائر أنحاء بلاد الإسلام فإن تشويه الحسين وإدانته يصبحان أمراً سهلاً في الرأي العام.

ردّ فعل الأئمّة عليهم السلام

في مثل ذلك الجّو المسموم الذي كانت تُحَرَّض فيه أفكار كثير من الناس ضدّ سيّد الشهداء عليه السلام ويُعتَبَرُ الاحتفالُ والفرحُ في يوم مَقْتَلِهِ موجباً لنيل الحسنات، قام

---

(1) **مقتل الخوارزمي**، ج 2، ص 3 ـ 4. (المؤلف). قلتُ (المُتَرْجِمُ): ومن الأمثلة على ما وضعه الرواة الوضّاعون المتزلّفون إلى بني أمية في فضل يوم عاشوراء مما هو مشهور بين عوام الناس ولا يزالون يعملون به حتى اليوم (!) حديث: **«مَنْ وَسَّعَ على نفسه وأهله يوم عاشوراء وَسَّعَ الله تعالى عليه سائر سنته!»** (**كنز العمال**، ح ٢٤٢٥٨) و**«من اكتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم يَرْمَدْ أبداً!»** (**كنز العمال**، ح ٣٥١٩٩). وقد ذكر ابن الجوزي في كتابه **«الموضوعات»** هذه الأحاديث ونحوها وبيَّن وضعها. وقال: **«والاكتحال يوم عاشوراء لم يرو عن رسول الله ﷺ فيه أثر وهو بدعة ابتدعها قتلة الحسين عليه السلام.»** انظر **الموضوعات** لابن الجوزي: ج 2، ص 200 ـ 204. (المُتَرْجِمُ)



أئمة أهل البيت عليهم السلام بتوعية أفكار الناس في جوّ خنق الحريات الشديد ذاك، لإبطال مفعول دعايات بني أمية المسمومة.

كانت وسائل الدعاية والتبليغ التي استخدمها أئمة أهل البيت عليهم السلام لتنوير أفكار الناس وتوعيتهم عدّة أمور:

1 ـ كانوا يشجِّعون الشعراء الذين ينظمون القصائد في ذكر مصيبة الحسين عليه السلام ويشجِّعون الذي يقرؤون تلك الأشعار والمراثي[1].

2 ـ خلافاً لما كانت تبثُّه الحكومة الأمويّة من دعايات، كان الأئمّة عليهم السلام يُعْلِنُون أنّ يوم عاشوراء يوم حزن ومصيبة وعزاء، ويمنعون شيعتهم بشدّة من الفرح في ذلك اليوم وادّخار الطعام له، ويعتبرون أن من كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه جعل الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة يوم فرحه وسروره . . ، وأن من أفضل الأعمال في ذلك اليوم إقامة مجالس العزاء (المآتم) والبكاء والإبكاء وأن من فعل ذلك نال عظيم الأجر والجزاء[2]. وكان الأئمة أنفسهم يُحْيُون مجالس العزاء في يوم عاشوراء[3].

3 ـ أوصى الأئمّة بشكل خاص بزيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء وصاغوا عبارات الزيارة بأنفسهم وعلَّمُوها الناس.

وعلاوة على زيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء أوصى الأئمّة بزيارته في أيّام أخرى ومناسبات مختلفة أيضاً كزيارته يوم الأربعين ويوم عرفة و...و...، وأثنوا ضمن الزيارات التي علّموها للناس أعظم الثناء على ذلك الإمام المعصوم المظلوم ووصفوه بأعلى الصفات، وبهذه الوسيلة تجلّت الحقيقة الحسينية بأعلى الصفات الإنسانية وأرقى الكمالات البشرية.

غُصَّةٌ قاتلةٌ

من الغصص والهموم القاتلة نجاح دعايات حكومة بني أمية المسمومة في تلويث

(1) انظر بحار الأنوار، ج 10، ص 164 ـ 165.
(2) بحار الأنوار، ج 10، ص 165.
(3) بحار الأنوار، ج 10، ص 164.



الأفكار وتحريضها ضدّ الإمام الحسين عليه السلام إلى درجة أن شرائح واسعة من المسلمين البسطاء المؤمنين بجَدّ الحسين كانوا يظنّون أن الإمام (والعياذ بالله) خارجٌ على الإسلام مما جعل من الضروري إثبات أن الإمام الحسين عليه السلام كان مسلماً حقاً لم يكن خارجاً على الإسلام!

مضمون بعض الزيارات هو أن الإمامَ الحسين عليه السلام وابنَ رسول الله صلى الله عليه وآله : كان يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويعبد الله ما دام حيّاً، أي إنه كان يؤدّي الواجبات المفروضة على كلّ مسلم:

«أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلاَةَ وَ آتَيتَ الزَّكَاةَ وَأَمَرْتَ بِالمَعْرُوفِ وَنَهَيتَ عَنِ الْـمُنْكَرِ وَأَطَعْتَ اللهَ حَتَّى أَتَاكَ الْيَقِينُ»[1].

يا للعجب! الآن أصبحنا نحتاج لإثبات أن الحسين بن علي عليه السلام كان فرداً مسلماً يعمل بتعاليم الإسلام!!!

يا للعجب! أصبح علينا أن نُفْهِمَ الناسَ أن ابن فاطمة الزهراء عليها السلام جاهد في سبيل الدين وعبد الله مخلصاً ما دام حياً!!!

من هنا نستطيع أن ندرك إلى أي درجة استطاعت الدعايات المغرضة التي كانت تبثُّها أجهزةُ حكومة بني أميّة أن تسمّم أفكار الناس حول ذلك الإمام المجاهد الصامد وتحرّضها ضدّه.

التاريخ يكرِّر نفسه

لقد وُجد مثل هذا الجوّ المسموم ضدّ أمير المؤمنين عليه السلام في فترة خلافته بعد نشأة الخوارج. كلُّنا يعلم أنه بعد ظهور الخوارج قامت هذه المجموعة المتعصّبة العنيدة ببثّ دعايات شديدة ضدّ أمير المؤمنين عليه السلام إذْ كان الخوارج يقولون: لقد كفر عليٌّ عليه السلام (والعياذ بالله) لأنه قَبِلَ التحكيم وعليه أن يتوب عن كفره ويرجع عنه حتى نكفّ عن محاربته!.

أوه! كم كان مؤلماً أن يسمع أمير المؤمنين عليه السلام بعد كل سوابقه المشرقة

(1) **مفاتيح الجنان**، ضمن زيارة يوم عرفة، ص 451، طبع المطبعة الإسلامية.



وتضحياته في سبيل تقدّم الإسلام مَنْ يعتبرُه كافراً، ويريدُ منه أن يتوب عن كفره ويرجع عنه!!!

لقد باح عليّ عليه السلام في إحدى المناسبات بذلك الألم المضني فقال: «**أَبَعْدَ إِيمَانِي باللهِ وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكُفرِ؟! لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وما أَنَا مِنَ الْـمُهْتَدِينَ**»[1].

أوه! كم كانت تلك التهمة مرّة على الإمام وصعبة!

لقد حَرَفَتْ الدعاياتُ الواسعةُ التي شُنَّت ضدّ الإمام الحسين عليه السلام بعد شهادته أفكارَ الناس عن سبط النبيّ صلى الله عليه وآله إلى حدٍّ كبير إلى درجة أن الناس أصبحوا يتصوّرون أن يوم شهادته يوم عيد وبركة!

بهذا أعاد الزمان نفسه مع الإمام الحسين عليه السلام وكرَّر بحقِّه ما جرى لأبيه، وكان على أئمّة أهل البيت عليهم السلام أن ينهضوا لتبديد غيوم الدعايات المسمومة في ذلك الجوّ الملوّث كي يفسحوا في المجال لظهور شمس الحقيقة الحسينية لتتجلى كما هي على حقيقتها.

النتائج الإيجابيَّة لنهوض الإمام

الآن نشير إلى بعض النتائج الإيجابية المفيدة لنهوض الإمام الحسين عليه السلام البطولي:

1 ـ مدرسةٌ مُتَنَقِّلةٌ

أدَّت النشاطات الحثيثة التي قام بها أئمة أهل البيت عليهم السلام بغرض إبطال مفعول الدعايات المسمومة ضدّ الإمام الحسين عليه السلام وإحياء اسمه، إلى تعريف العالم بالمدرسة الحيّة لسيّد المجاهدين وما تتمتّع به من أَلَقٍ خاصّ، وبمرور الزمان كان إشعاع شمس الحقيقة الحسينية يزداد وتتَّسع دائرته إلى الحدّ الذي أصبحت فيه شخصيّة سيد الشهداء (صلوات الله عليه) العظيمة حديث المجالس، و هامت قلوب عشّاق

(1) نهج البلاغة، خطبة رقم 58.



السموّ الإنسانيّ بتلك الشخصيّة ونفذت محبّة الإمام إلى أعماق أرواح طلاب الحقيقة وسويداء قلوبهم.

لقد أبرزت جاذبية شخصية الإمام الحسين عليه السلام العظيمة مدرَسَتَه بصورة مدرسة ناشطة ومتنقِّلة إلى الحدّ الذي يمكن أن نقول فيه:

إذا تمَّ تبليغ أحكام الإسلام في عالم التشيّع، وإذا شُرِحَتْ الأخلاق والعقائد الدينية وبُيِّنَتْ للناس، وإذا وصل نداء القرآن إلى أقصى قريةٍ وتردَّد صداه حتى بين عشائر البَدْوِ الرُّحَّل؛ فإنَّ كلَّ ذلك تمَّ ببركة المجالس التي تُعْقَدُ باسم سيد الشهداء عليه السلام وتحت لواء حضرته، والتي يُقْبِلُ الناسُ على حضورها بكلِّ حماسة وشوق منقطع النظير ويستمعون فيها إلى حقائق الإسلام ويرتوون من معين الفيض الحسيني.

2 ـ تربة الإمام شفاء للمرضى

إحدى الثمرات والبركات التي أكرم الله تعالى بها الإمام الحسين عليه السلام تعويضاً لشهادته هي أنه جعل تربته وسيلةً لشفاء المرضى[1].

وهنا أصرف النظر عن جميع الروايات التي وردت في هذا الباب وأكتفي بنقل هذه الحكاية:

روى خالي، العالمُ الزاهد الورع حجة الإسلام والمسلمين الحاج الشيخ «**محمد حسن عالم نجف آبادي**» قُدِّسَ سِرُّهُ، لي القصّةَ التاليةَ، قال:

«مرضتُ مرضاً شديداً أثناء دراستي العلوم الشرعية في النجف الأشرف في عهد مرجعية المرحوم آية الله الآخوند الخراساني قُدِّس سره، وطال مرضي وكان بعض الطلاب الذين يسكنون معي في الحجرة يقومون بتمريضي والعناية بي. وبعد مدّة اشتدّ مرضي إلى درجة يئس معها الأطباء من شفائي وانقطعوا عن معالجتي وكنتُ لشدّة الحمَّى أغيب عن الوَعْيِ حيناً وأعود إليه طوراً. سمع بعض الأصدقاء ممّن كان يعمل على تمريضي أنَّ لَدَى المرحوم العالم الزاهد آية الله السَّيِّد الحاج «علي محمّد نجف

---

(1) بحار الأنوار، ج 10، ص 150. (المؤلف). لعلَّ المؤلّف يشير إلى ما جاء في بحار الأنوار ج 48، ص 225 من الطبعة الجديدة: «.. فإن كل تربة لنا محرمة إلا تربة جدّي الحسين بن علي عليه السلام فإنَّ الله عزَّ وجلَّ جعلها شفاء لشيعتنا وأوليائنا»، وأمثالها من الروايات وهي كلها واهية ضعيفة. (المُتَرْجِمُ)



آبادي» قُدِّس سرُّه مقداراً من التربة الأصلية لحضرة سَيِّد الشهداء عليه السلام، فذهب إليه وطلب منه مقداراً من تلك التربة ليعطوها لي عَلِّي أشفى مما بي. قال السَّيِّد إن ما عندي هو تربةٌ بمقدار حبة عدس وقد تركتُها لتوضع في كفني بعد موتي. فقال صديقي: لقد يئسنا من كل مكان ولجأنا إليك وأنت تمتنع الآن عن إعطائنا التربة التي بحوزتك ومريضنا في حالة احتضار وسيموت. رقّ قلب آية الله السَّيِّد الحاج آقا «علي محمد» لحال مريضنا وأعطاه تلك التربة التي كانت أعزّ عليه من روحه. أتوا بالتربة وحلّوها بالماء ووضعوها في حلقي وكنتُ في حينها غائباً عن الوعي فما لبثتُ أن فتحتُ عينيَّ فجأةً ورأيتُ أن أصدقائي المحيطين بفراشي جالسين فدقَّقْتُ بهم النظر ولم أعرفهم. حكوا لي قصة التربة التي وضعوها في حلقي، فبدأت أشعر بالنشاط والقوة شيئاً فشيئاً ثم جلستُ ولما رأيتُ نفسي نشطاً أكثر نهضتُ ووقفتُ ولما أيقنتُ أنني قد شفيتُ ببركة تربة الإمام الحسين عليه السلام المقدّسة شعرتُ بالسعادة تغمرني وقلتُ لأصدقائي دون مجاملة أرجوكم أن تخرجوا من الحجرة لأنني أريد قراءة زيارة عاشوراء، فخرج الأصدقاء من الحجرة فأغلقتُ بابها وبدأتُ بكل سعادة ودون الإحساس بأي ضعف بقراءة زيارة حضرة سيد الشهداء عليه السلام[1].

كان المرحوم الحاج الشيخ «محمد حسن عالم نجف آبادي» قُدِّسَ سِرُّهُ يروي لنا تلك القصَّة وهو يبكي إلى درجة أن البكاء كان يقطع أحياناً كلامَهُ.

اشتهرت قصّة شفاء المرحوم الشيخ «محمد حسن عالم نجف آبادي» بواسطة التربة المقدَّسة لمقام الإمام الحسين عليه السلام وشاعت في النجف الأشرف وتناقلتها المحافل والمجالس في كل مكان وبقيت في الأذهان إلى مدّة طويلة حتى أنه قبل أن ينتقل المرحوم آية الله «البروجردي» قُدِّس سِرُّه إلى «قُمْ» زاره أحد علماء أصفهان في مدينته «بروجرد»، وخلال حواره معه حول علماء أصفهان ذكر «البروجردي» اسم

(1) لقد ثبت في الطب النفسي أن اقتناع الإنسان بشيء ما وإيمانه به، يمكن أن يمنحه تأثيراً جسمياً مادياً فعلياً عليه، وهذا هو الأساس في إعطاء الأدوية الوهمية Placebo لبعض المرضى النفسيين وإحداثها تأثيراً حقيقياً فيهم. وهذا في نظري هو الذي يفسر حالات شفاء بعض الناس بالتربة أو بزيارة مشاهد الأئمة والصالحين ونحو ذلك من الأمور التي ليس لها أساس شرعي صحيح ولا مقبول في الإسلام والتي يحدث مثلها لأتباع الملل والنحل كافَّة! (المُتَرْجِمُ)



الحاج الشيخ المرحوم حجة الإسلام «محمد حسن عالم النجف آبادي» وسأله هل تعرفه؟ قال: أجل، أعرفه جيداً إنه ذلك الشخص ذاته الذي شُفِيَ بواسطة تربة حضرة سيد الشهداء عليه السلام أثناء تحصيلنا في النجف الأشرف!». حَشَرَهُ اللهُ مع الإمام الحسين عليه السلام.

3 ـ ازدياد شعبيَّة الإمام

أحد الآثار المباركة والمفيدة للثورة البطولية للحسين بن علي عليه السلام ازدياد شعبية الإمام ازدياداً كبيراً، فقد ترسَّخت شعبيته بعد حادثة كربلاء وضربت أطنابها في أعماق قلوب الناس وأرواحهم.

إذا كان الحسين بن علي عليه السلام قد عُرِفَ قبل ثورته بوصفه إمامَ زمانه وسبط النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأكبر شخصية من آل بيت الوحي والرسالة، فإنه عُرِفَ بعد كربلاء بوصفه أرفع نموذج للفتوَّة والشهامة والتضحية في سبيل الحقيقة، وبوصفه أكمل الرجال المجاهدين وَسيّد الأحرار، وَحُفِرَتْ في ذاكرة الناس صورة تضحيته وتمرّغه بالدم والتراب بسبب دفاعه عن الإسلام.

من الذي يسمع بأن الحسين بن علي عليه السلام قُتِلَ بسيف الاستبداد أمام أعين أهل بيته بسبب دفاعه عن القرآن فلا ينشدُّ قلبه إليه ويضطرم حبَّاً به؟ من الذي يطّلع على تضحية سبط النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في سبيل الدّين وعِشْقَاً لِـلَّهِ فلا تهيج عواطفه ولا يخفق قلبه حبَّاً للإمام؟ كلُّ ذي شعور أيّاً كان وطنه وأيّاً كانت عقيدته يحترق قلبه ألماً عندما يسمع أن أكبر شخصية علمية وسياسية من آل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم استُبِيح دمُهُ وتضرَّج بدمائه بسيف حكومة القهر والطغيان لا لشيء إلا لدفاعه عن الإنسانية وعن حقوق الناس، ويحترم من أعماقه بطل التضحية والفداء وينجذب قلبُهُ نحوه ويهيمُ بحبّه، وكلّما سمع اسمَه أكثر وتذكّر نهوضَه البطولي، ازدادت محبَّتُهُ لنبراس المجاهدين عُمْقَاً وَتَأَصُّلاً.

إنها سنّة طبيعيّة لا تتبدّل أن تنجذب أرواح الناس وقلوبهم نحو الإنسان الذي يُقتل في سبيل الدفاع عن الحقّ والعدل.

نقطةٌ هامَّةٌ

ولكن يجب أن نعلم أن تلك الشعبيّة والمحبّة كانتا من الآثار الطبيعية لمجاهدات



الإمام البطولية ولم تكونا هدفاً لها. بالطبع لم يكن انتشار تلك الشعبية خافياً عن بصيرة الإمام النافذة بل تنبّأ في وقت سابقٍ بأنه سيصبح محبوباً أكثر لدى الناس وستزداد شعبيته وكرامته في نظرهم كثيراً بعد شهادته. لذا قال يوم عاشوراء عندما اشتدّت هجمات العدوّ عليه: «**وأيْمُ اللهِ إنّي لأرجو أن يُكْرِمَنِي الله بِهَوَانِكُمْ ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون**»[1].

يشير الإمام في هذه الكلمة إلى سنتين طبيعيتين:

1 ـ وَهَنُ الجهة التي أقدمت على قتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله.

2 ـ عزةّ الإمام وشعبيته أكثر من قبل بعد أن وقع صريعاً مضرَّجاً بدمائه واسْتُشْهِدَ مدافعاً عن الحقّ والحقيقة.

هنا أيضاً يجب أن نذكّر ثانيةً بأن «ماربين» الألماني لما رأى أن الإمام الحسين عليه السلام قد ازدادت شعبيته بعد شهادته تصوّر أن الإمام ألقى بنفسه إلى القَتْل كي يثير مشاعر الناس ويحرّكها نحوه لكي يحبّوه أكثر من قبل، هذا مع أن ذلك التصوُّر ناجمٌ أيضاً عن خلط الهدف بالنتيجة الطبيعية، لأن ازدياد شعبية الإمام وشدَّة انجذاب قلوب الناس إليه أكثر من قبل، بعد استشهاده، سنّة طبيعيةٌ وثمرةٌ من ثمار ثورته الكريمة الباسلة ولم تكن الهدف الذي نهض لأجله الحسين بن علي عليه السلام وقام بثورته.

4 ـ دروسٌ عَمَلِيَّةٌ

إحد الآثار القيّمة لثورة الإمام الحسين عليه السلام أنه قدَّم بثورته لعالم الإسلام بل للإنسانية جمعاء دروساً عَمَلِيَّةً ثمينةً، ولا شكَّ أن الدروسَ العمليَّةَ أشدُّ تأثيراً بكثير من دروس اللسان والقلم وأعمقُ نفوذاً في القلوب.

يمكن للمجتمع الإسلامي بل لمجتمع الإنسانية بأسره أن يتعلّم دروساً خاصّةً من كلِّ مرحلة من مراحل ثورة الإمام وأن يستفيد من مدرسة الحسين بن علي عليه السلام الخالدة على الدوام ما يحقّق سعادة المجتمع. وفيما يلي نشير إلى الدروس العمليّة التي يمكن استفادتها من المراحل الأربع لثورة الإمام:

(1) تاريخ الطبري، ج 4، ص346.



أ - عندما يريد عبيد الدنيا أن يفرضوا على الناس بقوّة السيف الموافقة على حكومة غير شرعية، فعلى الناس أن لا يقبلوا هذا الإجبار ويقاوموه. وإذا كان هناك أمل بتشكّل قوات شعبيّة قادرة على التصدّي لحكومة الظلم ومقارعتها فعليها أن تبدأ نشاطها في هذا المجال بعد تقويم الأوضاع السياسية والقوات الشعبية كي تبدأ مسيرة النضال ضدّ الظلم والفساد حتَّى القضاء عليهما إذا كان ذلك ممكناً.
وذلك مثلما فعل الإمام الحسين عليه السلام عندما رفض البيعة ليزيد وهاجر إلى مكة وبدأ تقويم الأوضاع السياسية وتقدير قوة الجماهير الشعبية للنهوض بها إلى مقاومة حكومة يزيد.

هذا درسٌ نتعلّمه من ثورة الإمام في مرحلتها الأولى.

ب - إذا تبيَّن بعد تقويم حالة القوّات الشعبيّة أنَّ الرأيَ العامَّ الجارفَ راغبٌ في تغيير الحكم وأنَّ هناك قوّةً كافيةً لإقامة حُكْمٍ إسلاميٍّ؛ فلا بدّ عندئذٍ من النهوض بكلِّ شهامةٍ من أجل تشكيل حكومةٍ عادلةٍ، كما فعل الإمام الحسين عليه السلام عندما نهض بكلِّ بسالة وهمَّة عالية لإقامة حُكْم إسلاميٍّ، بعد تلقِّيه تقرير «مسلم بن عقيل» الذي أخبره بتوافر القوَّة الكافية لتشكيل الحكومة ورأى إمكانية إحراز النصر العسكري، لِيَجْتَثَّ من خلاله جذور الظلم والفساد، ولم يستمع للأقوال المثبِّطَة من هذا وذاك.

فهذا درسٌ نتعلَّمه من ثورة الإمام في مرحلتها الثانية.

ج - إذا اتّضح أنه لم تَعُدْ هناك أيّة إمكانيّة للنصر العسكريّ، فيجب بذل كلّ الجهد لحفظ السلام وَمَنْع الحرب كي تبقي القوّات الموجودة مخزوناً احتياطيّاً يمكن الاستفادة منه في فُرَصٍ أخرى لبدء نشاط أوسع لما فيه مصلحة الإسلام.
وذلك مثلما فعل الحسين بن علي عليه السلام عندما واجه «الحُرّ بن يزيد» وانتفت إمكانية النصر العسكري وزالت إمكانية إقامة حكم إسلامي، فبذل الإمام كل جهده للعودة إلى الحجاز ولمنع وقوع القتال، وكرَّر، منذ مواجهته «الحُرَّ بن يزيد» وحتى وقوع المعركة، خمسَ مرّات على الأقل اقتراحه السلميّ بأن تُتاح له العودة من حيث أتى، كما سبق شرحه في الباب الثاني من هذا الكتاب.



فهذا درسٌ نتعلَّمه من ثورة الإمام في مرحلتها الثالثة.

د ـ إذا وقع قائد الثورة تحت محاصرة العدوّ وأرادوا منه أن يستسلم لهم بلا قيدٍ ولا شرطٍ وكان يعلم أنه لو استسلم لهم فإنهم سينزعون سلاحه وَيُذِلُّونَهُ ثم يقتلونه قَتْلاً مُهيناً، ففي هذه الحالة لا ينبغي الاستسلام للعدوّ بل تجب المقاومة الشجاعة والدفاع الشهم، فإما أن يُفْضِي ذلك إلى النصر، ولو كان احتماله واحداً بالمئة، وإما إلى الشهادة بكلِّ عزّة وافتخار، كما فعل الإمام الحسين عليه السلام بعد أن حاصرته قوّات العدوّ وعلم أنه لو استسلم لهم فسيقتلونه بكل إذلال، فنهض عندئذ إلى المقاومة الشجاعة والدفاع الباسل ونال في النهاية شرف الشهادة.

فهذا درسٌ نتعلّمه من ثورة الإمام في مرحلتها الرابعة.

5 ـ درسٌ في العزَّة والكرامة

إضافةً إلى الدروس التي ذُكرت يمكننا أن نتعلّم أيضاً من ثورة الإمام الحسين عليه السلام درساً بليغاً في عزّة النفس وكرامتها.

يتبيَّنُ من مطالعة تاريخ ثورة الإمام أنه أصبح ـ بعد وقوعه تحت حصار قوات «ابن زياد» ـ أمامَ خيارين: إما أن يقبل خلافة «يزيد»، وإما أن يستسلم ويخضع ذليلاً لابن زياد، وكان الخيار الثاني يعني أيضاً قبول خلافة «يزيد» مع أمر إضافيّ أرادوا فرضه على الإمام.

عندما اقترحوا على ابن رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة قبول خلافة «يزيد» كانوا يريدون منه أن يستسلم لإرادة «يزيد» فقط، ولم يكن هناك كلامٌ عن الاستسلام لإرادة «ابن زياد». ولكن عندما وقع الإمام تحت حصار قوَّات «عُبَيْد الله بن زياد» في صحراء كربلاء المحرقة، كانوا يريدون أن يفرضوا عليه، إضافةً إلى قبول خلافة «يزيد»، مذلَّة الاستسلام بلا قيدٍ ولا شرطٍ لابن زياد كي يصدر في حقّه ما شاء من الأوامر حتى ولو كان الأمر بإعدامه.

ولقد وضَّح الإمام في إحدى خطبه يوم عاشوراء هذا الأمر بقوله: «**ألا وإنَّ**



الدعِيّ ابنَ الدعِيّ قَدْ رَكَزَ[1] بَيْنَ اثْنَتَيْنِ: بَيْنَ السِّلَّةِ[2] وَالذِّلَّةِ وَهَيْهَاتَ مِنَّا الذِّلَّة»[3].
فكان المطروحُ إذن أن يستسلم الحسين بن عليٍّ عليه السلام لابن زياد ذليلاً صاغراً، أي حتى لو أقرَّ ابنُ عليٍّ عليه السلام ـ على فرض المحال ـ بخلافة يزيد في كربلاء، ما كانوا ـ رغم ذلك ـ ليتركوه حُرّاً في العودة إلى وطنه المدينة مثلاً، بل كان المطلوب منه بعد إعطائه البيعة ليزيد، أن يسلِّم نفسَه لإرادة «ابن زياد». وبناءً على ذلك فمنذ اللحظة التي وقع فيها الإمام الحسين عليه السلام تحت محاصرة قوّات «عُبَيْد الله بن زياد» أصبحت مقاومتُهُ ذاتَ جانبين، فكان يقاوم ما يريدون فرضه عليه من قبول خلافة «يزيد» المضادَّة للقرآن، وكان يقاوم في الوقت ذاته ما يريدون فرضه عليه من الإذلال والمهانة، ويسعى للحفاظ على كرامته وعزَّة نفسه. وقد تجلّت عزّة النفس هذه بصورة أكبر في المراحل الأخيرة من نضال الإمام.

لقد كانت مقاومة الحسين بن علي عليه السلام لنظام «يزيد» الدكتاتوري في جميع مراحلها مقاومةً بطوليَّةً وشجاعةً، ولكن مقاومة الإمام الباسلة والمفعمة بعشق الله من صبيحة عاشوراء وحتى لحظة استشهاده كانت شامخةً ومحيّرةً ومدهشةً، لا نبالغ إذا قلنا إنه لا يوجد أيُّ قلمٍ أو لسانٍ يمكنه أن يعطيها حقَّها من الوصف والبيان.

عندما وقع الحسين بن علي عليه السلام تحت الحصار الشديد لقوّات «ابن زياد» المسلَّحة وأصبح معسكر العدوّ المعتدي جاهزاً للإجهاز على الحسين عليه السلام وإنهاء أمره.

وعندما كان لمعان سيوف ثلاثين ألف جندي يأخذ بالأبصار ويزلزل القلوب.

---

(1) رَكَزَ: مجازٌ بمعنى ثَبَتَ على أمْرٍ ما، مِنْ رَكَزَ الرُّمْحَ غَرَزَهُ في الأرْضِ مُنْتَصِباً وَثَبَّتَهُ. ومنه المَرْكَزُ: أي المكان الذي أُمِرَ الجُنْدُ أَن يَلزَمُوه وأن لا يَبرَحُوه. (المُتَرْجِمُ)

(2) السَلُّ: اِنْتِزاعُكَ الشَّيْءَ وإخراجُهُ في رِفْقٍ سَلَّهُ يَسُلُّهُ سَلاًّ وفي حديثِ حَسَّانَ: لأَسُلَّنَكَ منهم كَما تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ العَجِينِ. وسَيْفٌ سَلِيلٌ: مَسْلُولٌ وقد سَلَّهُ سَلاًّ.. ويُقالُ: أَتَيْنَاهُم عِنْدَ السَّلَّةِ ويُكْسَرُ أي عند اسْتِلالِ السُّيُوفِ. فالمقصود من السِّلَّة هنا سَلُّ السيوف أي شهر السيوف علينا وقتلنا. (المُتَرْجِمُ)

(3) **مقتل الخوارزمي**، ج2، ص7 (المؤلِّف). أو ج2، ص 9 ـ 10 (ط3، قم، بتحقيق محمد السماوي 1425هـ/ 2005م)، وابن شعبة الحرَّاني، **تحف العقول**، ص241، والسيد ابن طاووس، **اللهوف على قتلى الطفوف**، ص97، وابن نما الحلي، **مثير الأحزان**، ص55، واللفظ لما في كتاب **اللهوف**. (المُتَرْجِمُ)



وعندما كان كُلُّ وجود الإمام يحترق من ألم العطش حتى اصفرَّت الدنيا أمام عينيه وأظلمت.

وعندما أصاب نساءَ الإمام وأطفالَه في الخيام الجَزَعُ والهلعُ، وكانوا يبكون لوعةً وأفئدتهم تحترق ألماً.

وعندما أصبح أهله وعياله وأسرته أمام مستقبل مجهول وألمّ بهم القلق المُضني وأصبحوا يتوقَّعون الوقوع في الأسر في كلٍّ لحظة.

وعندما كان صوت أنين وآهات وعويل نساء وأطفال الحسين العطشانين الحائرين يقطِّع قلبَ الإمام المفْعَم بالمحبَّة والعَطْف، ويفتِّتُ كبده.

في مثل تلك الأوضاع والأحوال المُرَوِّعة التي تنخلع لها قلوب أعتى الرجال وأشدّهم شكيمةً، وفي مثل تلك المِحَن التي يركع لها أقوى الشجعان، وفي وسط أعاصير الفدائح والمصائب تلك، يقول الحسين بن علي (ع): **هَيهَاتَ مِنَّا الذِّلَّة**[1]. ويقول: «**لا والله! لا أُعْطِيهِمْ بِيَدِي إعْطَاءَ الذَّلِيلِ ولا أُقِرُّ إقْرَارَ العَبِيدِ**»[2].

أوَّه! ما أعظم عزَّة النفس وحريَّة الروح هذه التي ظهرت من ابن رسول الله صلى الله عليه وآله!

يا أللهُ! ما أرفع عظمة الروح وسموّ النفس ونبوغ الذات المحيِّر الذي ظهر من ابن فاطمة عليها السلام!

إنه درس الكرامة وعزَّة النفس الذي نتعلَّمه من مدرسة سيد الأحرار الحسين بن علي عليه السلام.

با چنين حُسْن و ملاحت اگر اينان بشرند ... زِ آب وخـاک دگـر وشـهـر ديـار دگـرنـد

(إنْ كان هؤلاء ـ بكل هذا الحسن والجمال ـ بشراً ... فـإنَّـهـم مـن طـيـنـة أخرى وديـار ثـانـيـة!)

سلامُ عُشَّاق الحريَّة والكرامة الحارّ عليك يا بطل الحريّة الذي لم تقبل الذلّ والهوان و تمرّغتَ وتضرَّجْتَ بدمائك وأنت تقاوم بكل شهامة وافتخار.

---

(1) **مقتل الخوارزمي**، ج2، ص 7.

(2) **تاريخ الطبري**، ج4، ص323، و الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 216.



سلامُ عشّاق الحقّ والعدل الحارّ عليك يا ملاكاً بصورة بشر، يا من ثَبُتَّ حتى آخر رمقٍ إلى أن لفظت آخر أنفاسك وقدَّمت الروح لبارئها وأنت تجاهد في سبيل هدفك المقدَّس.

سلامُ عاشقي الحُرِّيَّة والإنسانية يُهْدَى إلى عظمتك وجلالك أيها الإمام الربَّانيّ والرجل الملائكيّ الذي ترتفع من وجودك المبارك إلى الأبد تلك الصيحةُ الخالدةُ:

هَيهَاتَ مِنَّا الذِّلَّة.




مكتبة
الفكر الجديد

الخاتمة في نقد وتمحيص
الروايات المخالفة لما ذكرناه

وعدتُ في آخر الباب الأول من الكتاب الحاضر (ص 130) أن أُرْجِئَ تمحيص الروايات التي أدَّت إلى انتشار التصوُّر بأنّ (الإمام الحسين عليه السلام إنَّما تحرك نحو الكوفة منذ البداية بِقَصْد أَنْ يُقْتَلَ) إلى آخر الكتاب، وقد آنَ الأوان لاستعراض جميع الروايات التي كان لها دورٌ أساسيٌّ في انتشار مثل ذلك التصوُّر، ودراستها وتمحيصها. وفيما يلي أهم تلك الروايات:

1 ـ قصَّة الرؤيا التي حَلُمَ بها الإمام الحسين عليه السلام جوارَ قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

2 ـ رواية: «**وأخْرُجُ بِأقْوَامٍ للشَّهَادَةِ..**».

3 ـ رواية: «**أنْزَلَ اللهُ النَّصْرَ..**».

4 ـ خطبة: «**خُطَّ الموتُ على وُلْدِ آدَمَ..**».

5 ـ رواية: «**إنَّ اللهَ قَدْ شَاءَ أَنْ يَرَاكَ قَتِيلاً..**».

6 ـ حديث أم سلمة.

7 ـ **قصّة الملائكة.**

8 ـ **قصّة الملائكة والجنّ.**

9 ـ رواية: «**مَنْ لَحِقَ بِي اُسْتُشْهِدَ**».

10 ـ رواية: «**عَمْرو بن لَوْذَان**».

11 ـ رواية: «**أبي هِرَّةَ الأزْدِيّ**».

وفيما يلي نقوم بدراسة و تمحيص هذه الروايات واحدة واحدة.

وقبل البدء بذلك ينبغي أن نقول: ليس غرضنا من هذا البحث أن نقول إن الإمام



لم يكن له أيُّ علم مسبق بشهادته، بل هدفنا من البحث أن نرى هل تدلُّ هذه الروايات على أن الإمام تحرَّك لأجل أَنْ يُقْتَلَ أم لا تدلُّ على ذلك؟

1 ـ قصَّة الرؤيا

يَتَصَوَّرُ كثيرٌ من الناس أنّ الإمام الحسين عليه السلام رأى رؤيا وهو جالس إلى جوار قبر النبيّ صلى الله عليه وآله ظهر له فيها جدُّه رسول الله وأمره أن يخرج لأجل أَنْ يُقْتَلَ، لذلك تحرّك من المدينة منذ البداية بهدف أن يصل إلى مَقْتَلِهِ.

ولكي نحقِّق في هذا الأمر رجعنا إلى جميع الوثائق التاريخية المتوافرة وقارنّا بين عبارات الكتب التي نقلت تلك الرؤيا لكي نعرف أيَّ كتاب أثَّر في الكتب الأخرى، وفيما يلي نتيجة تلك الدراسة المتعبة:

كلام المؤرّخين

كَتَبَ المؤرِّخون: «أن والي المدينة الوليد بن عتبة استدعى إليه - بأمر من يزيد ابن معاوية - الإمامَ الحسين عليه السلام وعبدَ الله بنَ الزبير، لثلاث أيام بقين من شهر رجب سنة 60 للهجرة، ليأخذ منهما البيعة ليزيد، فصار الحسين عليه السلام إلى الوليد فوجد عنده مروان بن الحكم فنعى الوليد إليه معاوية فاسترجع الحسين عليه السلام ثم قرأ كتاب «يزيد» وما أمره فيه من أخذ البيعة منه له، فقال له الحسين إني لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سرّاً حتى أبايعه جهراً فيعرف الناس ذلك، فقال الوليد له: أجل. فقال الحسين (ع): فتصبح وترى رأيك في ذلك. فقال له الوليد انصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس....

فأقام الحسين عليه السلام في منزله تلك الليلة وهي ليلة السبت لثلاث بقين من رجب سنة ستين واشتغل الوليد بن عتبة بمراسلة ابن الزبير في البيعة ليزيد وامتناعه عليه وخرج ابن الزبير من ليلته عن المدينة متوجهاً إلى مكّة، فلمّا أصبح الوليد سرّح في أثره الرجال فبعث راكباً من موالي بني أمية في ثمانين راكباً فطلبوه فلم يدركوه فرجعوا.

فلما كان آخر نهار يوم السبت بعث الوليدُ من جديد الرجالَ إلى الحسين بن علي عليه السلام ليحضروه ليبايع ليزيد فقال لهم الحسين أصبحوا ثم ترون و نرى فكفُّوا تلك الليلة



عنه ولم يلحُّوا عليه فخرج عليه السلام من ليلته وهي ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب متوجهاً نحو مكة ومعه بنوه وإخوته وبنو أخيه وجُلُّ أهل بيته.»[1].

[(1) **تاريخ الطبري**، ج 4، ص252، (2) **الأخبار الطوال** لأبي حنيفة الدينوري، ص 209، (3) **الإرشاد** للمفيد، ص180، (4) **إعلام الورى** للطبرسي، ص221، (5) **روضة الواعظين** للفتال النيشابوري، ص171، (6) **الكامل في التاريخ** لابن الأثير، ج4، ص 16، (7) **تذكرة الخواص** لسبط ابن الجوزي، ص236، (8) **الفصول المهمّة**[2]، **ص165**، (9) **تاريخ البداية والنهاية** لابن كثير، ج8، ص147. (10) **تاريخ ابن خلدون**، ج3، ص 44، (11) **أنساب الأشراف** للبلاذري، ج4، ص14.].

يُسْتَفاد مما جاء في جميع تلك الكتب التاريخية أن الإمام الحسين عليه السلام لم يستطِع ـ بعد إحضاره إلى قصر الأمير لأخذ البيعة منه ليزيد ـ أن يبقى في المدينة أكثر من ليلةٍ واحدةٍ، وقد أمضى تلك الليلة في بيته، طبقاً لما يرويه علماء الشيعة الكبار (أمثال الشيخ المفيد والطبرسي والفتَّال النيشابوري)، ثم هاجر في الليلة التالية إلى مكة.

بل إن بعض المؤرّخين يذكر أن الإمام بعد أن أُحْضِرَ لأخذ البيعة منه، لم يبقَ في المدينة حتى ليلة واحدة بل خرج في تلك الليلة ذاتها إلى مكة[3].

رواية ابن الأعثم

ولكن ابن أعثم الكوفي المتوفَّى سنة 314 هـ يروي في هذا الصدد (كما ينقل عنه الخوارزمي) روايةً مخالفةً فيما يلي خلاصتها، يقول:

(1) هذا المتن مختصرٌ من كتاب **الإرشاد** للشيخ المفيد، ، وما جاء في المصادر الأخرى مطابق له بألفاظ مقاربة. (المُتَرْجِمُ)

(2) لم يوضِّح المؤلِّف هويَّة هذا الكتاب واسم مؤلفه، ولكن من الواضح أنه عنى به كتاب «**الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة**» لابن الصبَّاغ المالكيّ المكّيّ (المتوفى 855هـ) إذ إنه ذكر تفاصيل قصة خروج الإمام الحسين وتاريخه كما جاء في المتن. (طبع قم، 1422هـ، تحقيق سامي الغريري، ج2، ص776 ـ 784) (المُتَرْجِمُ).

(3) **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص 229، و**تهذيب تاريخ ابن عساكر**، ج4، ص 328، و**الاستيعاب في معرفة الأصحاب** لابن عبد البر، ج1، ص 381، حيث يذكرون أن الإمام الحسين عليه السلام و«عبد الله بن الزبير» خرجا من ليلتهما إلى مكّة خُفْيةً في اليوم ذاته الذي أُحْضِرَا فيه لأجل البيعة.



«بعث والي المدينة «الوليد بن عتبة» بأمْرٍ من «يزيد» إلى الحسين بن علي عليه السلام كي يأخذ منه البيعة ليزيد. . . فلما حضر الحسين وعلم بما يريدونه منه قال: إن مثلي لا يعطي بيعته سرّاً، وإنما أحبُّ أن تكون البيعة علانيةً بحضرة الجماعة، ولكن إذا كان من الغد ودعوت الناس إلى البيعة دعوتنا معهم فيكون أمرنا واحداً، فقال له الوليد: أبا عبد الله! لقد قلتَ فأحسنت في القول. . . فانصرِفْ راشداً على بركة الله حتى تأتيني غداً مع الناس! فقال مروان بن الحكم: أيها الأمير! إنه إذا فارقك في هذه الساعة لم يبايع فإنك لن تقدر منه ولا تقدر على مثلها، فاحبسه عندك ولا تدعه يخرج أو يبايع وإلا فاضرب عنقه. قال: فالتفت إليه الحسين وقال: ويلي عليك يا بن الزرقاء! أتأمر بضرب عنقي، كذبت والله. . . . الخ، قال: ثم أقبل الحسين على الوليد بن عتبة وقال: أيها الأمير! إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومحل الرحمة وبنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب خمر قاتل النفس المحرمة معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع لمثله، ولكن نصبح وتصبحون وننتظر وتنتظرون أيُّنا أحق بالخلافة والبيعة. . .

قال: وأصبح الحسين من الغد فخرج من منزله ليستمع الأخبار، فإذا هو بمروان ابن الحكم قد عارضه في طريقه، فقال: أبا عبد الله! إني لك ناصح فأطعني ترشد وتسدد، فقال الحسين: وما ذلك؟ قُلْ حتى أسمع! فقال مروان: أقول إني آمرك ببيعة أمير المؤمنين يزيد فإنه خير لك في دينك ودنياك، قال: فاسترجع الحسين وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد. ثم أقبل الحسين على مروان وقال: ويحك! أتأمرني ببيعة يزيد وهو رجل فاسق! لقد قلتَ شططاً من القول يا عظيم الزلل! لا ألومك على قولك لأنك اللعين الذي لعنك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنت في صلب أبيك الحكم بن أبي العاص. . .، قال: فغضب مروان بن الحكم من كلام الحسين ثم قال: والله! لا تفارقني أو تبايع ليزيد بن معاوية صاغراً[1]. . . قال: فقال له الحسين: ويلك يا مروان! إليك عني فإنك رجس . . . وأبشر يا بن الزرقاء بكل ما تكره من الرسول عليه السلام يوم تقدم على ربك . . . .

(1) إنها منتهى السفاهة أن يطلب مروان ـ رغم أنه لم يكن والياً ـ من الحسين أن يبايع يزيد أمامه مرغماً وبالقوة في زقاق من أزقة المدينة رغم أن مثل هذه البيعة لا قيمة لها ولا فائدة منها.



قال: فمضى مروان مغضباً حتى دخل على الوليد بن عتبة فأخبره بما سمع من الحسين ابن علي. قال: فعندها كتب الوليد إلى يزيد بن معاوية يخبره بما كان من أهل المدينة وما كان من ابن الزبير (وأنه فَرَّ إلى مكَّة ولم يبايع). . ، ثم ذكر له بعد ذلك أمر الحسين ابن علي أنه ليس يرى لنا عليه طاعة ولا بيعة. قال: فلما ورد الكتاب على يزيد غضب لذلك غضباً شديداً وكتب إلى الوليد بن عتبة كتاباً قال له فيه: «. . . وذر عبد الله بن الزبير فإنه لن يفوتنا ولن ينجو منا أبداً ما دام حيّاً، وليكن مع جوابك إليَّ رأسُ الحسين ابن علي. .» [ربما كان يحتاج الأمر إلى 20 يوماً لتصل رسالة والي المدنية إلى دمشق وتعود منها إلى المدينة][1]، فلما ورد الكتاب على الوليد بن عتبة وقرأه تعاظم ذلك وقال: لا والله لا يراني اللهُ قاتلَ الحسين بن علي! . . . قال: وخرج الحسين بن علي من منزله ذات ليلة وأتى إلى قبر جده ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله! أنا الحسين بن فاطمة، أنا فرخك وابن فرختك وسبطك في الخَلَف الذي خلفت على أمتك فاشهد عليهم يا نبيَّ الله أنهم قد خذلوني وضيعوني وأنهم لم يحفظوني، وهذه شكواي إليك حتى ألقاك ـ صلى الله عليك وسلّم. ثم وثب قائماً وصفّ قدميه ولم يزل راكعاً وساجداً. قال: وأرسل الوليد بن عتبة إلى منزل الحسين لينظر هل خرج من المدينة أم لا، فلم يصبه في منزله فقال: الحمد لله الذي لم يطالبني الله عز وجل بدمه! وظنَّ أنه خرج من المدينة. قال: ورجع الحسين إلى منزله مع الصبح، فلمَّا كانت الليلة الثانية خرج إلى القبر أيضاً فصلَّى ركعتين، فلمّا فرغ من صلاته جعل يقول: اللهم ! إن هذا قبر نبيِّك محمد وأنا ابن بنت محمَّد وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهم ! وإنِّي أحبُّ المعروف وأكره المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحقِّ هذا القبر ومن فيه ما اخترت من أمري هذا ما هو لك رضاً. قال: ثم جعل الحسين يبكي حتى إذا كان في بياض الصبح وضع رأسه على القبر فأغفى ساعةً، فرأى النبيَّ ﷺ قد أقبل في كبكبة من الملائكة عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه حتى ضمّ الحسين إلى صدره وقبّل بين عينيه وقال: **يا بُنَيَّ! يا حسين! كأنك عن قريب أراك مقتولاً مذبوحاً بأرض كربٍ وبلاءٍ من عصابةٍ من أمَّتي وأنت في ذلك عطشان لا تُسقَى وظمآن**

(1) في وقعة «الحرَّة» استغرق ساعي بريد بني أمية الذي أوصل رسالتهم إلى الشام مدة 24 يوماً لأجل الذهاب والإياب. (**تاريخ الطبري**، ج4، ص370 ـ 371).



لا تُرْوَى وهم مع ذلك يرجون شفاعتي، ما لهم لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة! فما لهم عند الله من خلاق، حبيبي يا حسين! إن أباك وأمك وأخاك قد قدموا عليَّ وهم إليك مشتاقون، وإن لك في الجنة درجات لن تنالها إلا بالشهادة. قال: فجعل الحسينُ ينظر في منامه إلى جده ﷺ ويسمع كلامه وهو يقول: يا جدّاه! لا حاجة لي في الرجوع إلى الدنيا أبداً فخذني إليك واجعلني معك إلى منزلك!(1). قال: فقال له النبيُّ ﷺ: يا حسين! **إنه لا بدَّ لك من الرجوع إلى الدنيا حتى تُرْزَقَ الشهادة وما كتب اللهُ لك فيها من الثواب العظيم**... قال: **فانتبه الحسين من نومه فزعاً مذعوراً فقصَّ رؤياه على أهل بيته وبني عبد المطلب**، فلم يكن ذلك اليوم في شرق ولا غرب أشدّ غمّاً من أهل بيت الرسول ﷺ ولا أكثر منه باكياً وباكيةً. وتهيّأ الحسين بن علي (في الليلة الثالثة) وعزم على الخروج من المدينة ومضى في جوف الليل إلى قبر أمّه فصلّى عند قبرها وودَّعها، ثم قام عن قبرها وصار إلى قبر أخيه الحسن ففعل مثل ذلك ثم رجع إلى منزله. وفي وقت الصبح (من اليوم التالي) أقبل إليه أخوه محمّد بن الحنفيّة ونصحه بعدم الخروج.. (فشكره على نصحه الصادق) ثم هاجر إلى مكّة في الليلة التالية، ...

وعندما أراد الخروج دعا الحسين بدواة وبياض وكتب فيه وصيةً لأخيه محمّد بن الحنفية قال له فيها: .... **وَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِراً وَلاَ بَطِراً وَلاَ مُفْسِداً وَلاَ ظَالِماً، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الإِصْلاَحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي ﷺ أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَسِيرَةِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَسِيرَةِ الخُلَفَاء الرَّاشِدِينَ المَهْدِيينَ رضيَ اللهُ عَنهُمْ..**»(2).

(1) هناك عدة إشكالات في هذه الجملة: (ألف) ـ إذا كان الإمام عليه السلام يعلم أنه سيستشهد فكيف يمكنه أن يطلب من جده أن يرحل عن الدنيا في هذه الحال وهو نائم؟ (ب) ـ إذا توفي الإمام في هذه اللحظة وهو نائم فمن الذي كان سينهض إلى النضال ضد حكومة يزيد؟ (ج) ـ إذا توفي الإمام في أثناء نومه ذاك فإن جميع نبوءات رسول الله ﷺ حول استشهاد الإمام ستغدو كاذبة!! (د) ـ هل كانت روح النبيّ ﷺ داخل القبر حتى يطلب منه الإمام أن يأخذه معه إلى منزله؟!

(2) **مقتل الخوارزمي**، ج1، ص 180 ـ 189، و رواية ابن الأعثم مفصّلة جداً أخذت حوالي 9 صفحات من كتاب «مقتل الخوارزمي» وما أوردناه في المتن اختصارٌ وتلخيصٌ شديدٌ لها. (المؤلِّف). وأضيفُ أن رسالة الإمام الحسين عليه السلام لمحمد بن الحنفية هذه رواها المَجْلِسِيّ في البحار، ج44، ص 329 ـ 330 وذكر في بداية القصة مصدره فيها بالعبارة التالية: «قَالَ الشَّيْخُ الْمُفِيدُ فِي الْإِرْشَادِ: رَوَى الْكَلْبِيُّ وَالْمَدَائِنِيُّ وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَصْحَابِ السِّيرَةِ». (المُتَرْجِمُ)



إن هذا الذي ذكره ابن الأعثم حول رؤيا الإمام مردودٌ ولا يصحُّ لعدّة أسباب:

1 ـ توجب طبيعة الأمور أن تقوم حكومة «يزيد» المفروضة بالإكراه بالتعجيل بأخذ البيعة من الإمام بأسرع وقت ممكن، قبل انتشار خبر موت «معاوية»، وأن لا يُعطَى ـ بعد امتناعه عن البيعة أوّل مرَّةٍ ـ مُهْلَةً طويلةً في المدينة دون أن يتمَّ التعرّض له وحمله على البيعة. ولهذا السبب بالذات تمَّ إرسال المأمورين قرب الغروب في ذلك اليوم ذاته لأجل إحضار الإمام للبيعة وقد طلب منهم الإمام إمهاله الليلةَ فقط[1].

2 ـ بعيدٌ جداً عن عقل الإمام الحسين عليه السلام ودرايته أن لا ينتبه إلى شدّة عمل عمّال الحكومة اليزيدية وأن يكون غافلاً عن مخططاتهم الشيطانية ويتوقّف في المدينة بكل راحة بال حتى تذهب رسالة حاكم المدينة إلى الشام ويعود جوابها بأمر يزيد بقتل الإمام، فيتوقف رغم ذلك عدة أيام أخرى في المدينة ويذهب في ليلتين إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وفي الليلة الثالثة إلى قبر أمه وأخيه فيعطي بذلك الفرصة للعدوّ أن يقوم بسدّ جميع الطرق وسلب الإمام إمكانيةَ أيَّة حركة إصلاحية. بل كان الإمامُ متيقِّظاً تماماً إلى شدّة عمل عمّال الحكومة وحتى أنّه أخذ في أوَّل لقاءٍ له مع حاكم المدينة عدداً من الأفراد المسلّحين ليرافقوه ويحفظوه من الأخطار المحتملة[2]. بناءً عليه كان من الضروري أن يخرج على الفور من المدينة التي كانت منطقة خطر.

3 ـ طبقاً لما كتبه المؤرِّخون الموثوقون الذين ذكرنا أسماء أحد عشر فرداً منهم، لم يستطع الحسين بن علي عليه السلام، بعد أن أحضروه لأخذ البيعة منه، وطلب منهم أن يمهلوه تلك الليلة فقط أن يبقى في المدينة أكثرَ من ليلة واحدة، لأنه كان تحت ضغط حاكم المدينة الذي أرسل مأموريه مرّتين بعد ذلك لإحضار الإمام، وقد أمضى تلك الليلة (حسب ما رواه الشيخ المفيد في **الإرشاد**، ص180، والطبْرَسِي في **إعلام الورى**، ص221، والفتال النيشابوري في **روضة الواعظين**، ص171) في بيته، وخرج في الليلة التالية إلى مكة (وعلى أحد

(1) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 180.

(2) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 179.



الأقوال خرج إلى مكة في الليلة الأولى ذاتها)؛ فمتى وجد الإمام إذن الفرصة حتى يذهب كتاب حاكم المدينة إلى الشام ثم يرجع جوابه وبعد ذلك أيضاً يبقى الإمام عدّة أيام في المدينة ويذهب لزيارة قبر جدِّه في ليلتين وإلى زيارة قبر أمّه وأخيه في ليلة أخرى؟!

اتضح مما ذُكر أنه من السذاجة بمكان أن يقبل الإنسان ما ذكره ابن أعثم بشأن الرؤيا التي رآها الإمام الحسين بجوار قبر رسول الله صلى الله عليه وآله .

كتابُ «تاريخ ابن أعْثَم» والكُتُبُ الأخرى

ذَكَرَتْ بعضُ الكتب التي أُلِّفَتْ بعد «تاريخ ابن أعثم» أو في زمن معاصرٍ له المطالبَ عينَها التي ذكرها «ابن أعثم» حول الرؤيا التي رآها الإمام الحسين عليه السلام بشيء من الاختلاف في اللفظ، دون أن تشير إلى نقاط الضعف فيها. وفيما يلي نشير إلى بعض هذه الكتب:

1 - روى الشيخ الصدوق في **أماليه** (ص92 ـ 93) قسماً من المطالب التي ذكرها ابن أعثم حول رؤيا الإمام بشيء من الاختلاف، بسنده عن «محمد بن عمر البغدادي» قال حدثنا «أبو سعيد الحسن بن عثمان بن زياد التستري» من كتابه وذكر سنده.

هذا الراوي «أبو سعيد الحسن بن عثمان التستري» **كذّابٌ**[1]، ومعلومٌ ما هي قيمة النقل عن كتاب راوٍ كذّاب[2].

---

(1) **الغدير** ج5، ص196، طبع النجف، 1367.

(2) هناك في رواية هذا الراوي الكذاب (أبو سعيد التستري)، نقاط ضعف أخرى نشير إلى بعضها فيما يلي:

أ ـ ذكر أن والي المدينة حين وفاة «معاوية» كان «مروان بن الحكم» (الأمالي ص92) هذا في حين أن والي المدينة كان حينها «الوليد بن عتبة».

ب ـ ذكر أن «يزيد» عيّن «عتبة بن أبي سفيان» والياً على المدينة بدلاً من عمه «مروان بن الحكم» (**الأمالي** ص92) في حين أن مروان لم يكن والياً على المدينة أصلاً حتى يعزله يزيد، كما لم يقم يزيد بتعيين عتبة بن أبي سفيان مكانه.

ج ـ ذكر أن والي المدينة الجديد أراد أن ينفّذ أمر يزيد بشأن مروان بن الحكم ففرّ الأخير من المدينة (**الأمالي** ص٩٢) هذا في حين أن والي المدينة قام بدعوة مروان بن الحكم ليستشيره بشأن أخذ البيعة من الإمام الحسين عليه السلام وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر، ولم يذكر أي تاريخ أن مروان فرّ من المدينة.

د ـ ذكر أن الإمام الحسين عليه السلام خرج بعد رؤيته ذلك الحلم من المدينة نحو العراق مباشرة (**الأمالي** ص٩٣) في حين أن الإمام إنما خرج من المدينة إلى مكة.



2 ـ ذكر «ابن شهرآشوب» في «المناقب» (ج 4، ص88) الرؤيا التي نسبها ابن أعثم إلى الإمام الحسين عليه السلام بشكل مجمل (تاريخ ابن أعثم هو أحد مصادر كتاب المناقب)[1].

3 ـ جاء في كتاب «روضة الصفاء»[2] المطالبُ عينُها التي ذكرها ابن أعثم حول رؤيا الإمام (ويُشار إلى أن صاحب روضة الصفاء ذكر «تاريخ ابن أعثم» ضمن قائمة مصادره التاريخية).

4 ـ ذكر «الكاشفي» في كتابه «روضة الشهداء»[3] المليء بالأساطير في الصفحة 158 وما بعدها رواية ابن أعثم حول رؤيا الإمام مع إضافات أخرى ومبالغات أضافها من عنده (يُذكر أن «تاريخ ابن أعثم» من مصادر كتاب «روضة الشهداء»).

5 ـ أورد «محمَّد بن أبي طالب الحسيني الموسوي» في كتابه «تسلية المجالس»[4]، ـ كما ينقل عنه المجلسي في المجلد العاشر من بحار الأنوار (ص172) ـ عينَ عبارات ابن أعثم بشأن رؤيا الإمام وأسقط منها فقط عبارة «الخلفاء الراشدين».

---

(1) عبارة المناقب هي التالية: «فكان الحسين عليه السلام يصلي يوماً إذ وَسَنَ فرأى النبيّ صلى الله عليه وآله في منامه يخبره بما يجري عليه». وعادةُ ابن شهرآشوب أنه يلخّص نصوص التاريخ وينقلها بالمعنى، وهنا قام في أغلب الظن بتلخيص رواية ابن أعثم ومقصوده من «يوماً» مطلق الزمان وليس النهار الذي يقابل الليل، كقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن/ 29]، ولا يُفهم مما ذكره ابن شهرآشوب أن الإمام تلقى من رسول الله في تلك الرؤيا أمراً بالذهاب إلى مقتله سواء كان ما ذكره منقولاً من تاريخ ابن أعثم أم من مصدر آخر.

(2) اسم الكتاب الكامل: «روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفا» بالفارسية، وهو كتاب تاريخي كبير في 6 مجلدات، تأليف: محمد مير خواند بن خاوند شاه بن محمد الخوارزمي الحسيني (المتوفّى سنة 903هـ)، ويشتمل على أحوال الأئمّة الاثني عشر وأحوال الخلفاء وملوك فارس. (انظر «الذريعة»: ج11، ص 296). (المُتَرْجِمُ)

(3) كتاب «روضة الشهداء» بالفارسية، كتاب مشهور من تأليف الواعظ الحسين بن علي الكاشفي البيهقي المتوفى حدود 910هـ، واحتمل بعضهم أنه أول مقتل فارسيٍّ شاعت قراءته بين الفرس حتى عُرِفَ قارئُهُ بـ«روضة خوان» ثم تُوُسِّعَ في هذا العنوان إلى هذا الزمان حتى يُقال بالفارسية لكل قارئ لمراثي الأئمة «روضة خوان». وقد طبع الكتاب في إيران والهند مراراً. (انظر «الذريعة»: ج ١١، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥). (المُتَرْجِمُ)

(4) كتاب: «تسلية المجالس» تأليف السيد العالم محمد بن أبي طالب بن أحمد الحسيني الحائري، (كان حياً في القرن العاشر الهجري)، وهو كتاب كبير في مقتل الحسين عليه السلام، ينقل عنه العلامة المجلسي في المجلد العاشر من بحار الأنوار كثيراً، وقد أشار إليه في أول مجلّدات البحار عند ذكر مآخذه فقال: «وكتاب مقتل الحسين المسمى بتسلية المجالس وزينة المجالس للسيد النجيب العالم... إلى آخر كلامه». (المُتَرْجِمُ)



ولما كانت عباراته مطابقة تماماً لعبارات ابن أعثم فليس هناك من شكٌّ أَنَّهُ نقلها مِنْ تاريخه إمَّا مباشرةً وإما عبر واسطة، وإما أن مأخذهما أي الحسيني الموسوي وابن أعثم كان واحداً، وفي كلتا الحالتين تتَّجهُ إلى الرواية الإشكالات السابقة ذاتها.

ونقل صاحب «نَفَس المَهمُوم»[1] (ص37)، وصاحب «ناسخ التواريخ» (ص170) عبارات «محمَّد بن أبي طالب الموسوي» عينها التي هي عين عبارة ابن أعثم.

6 - رغم أن كتاب «قمقام»[2] نقل في الصفحات 219و220 عين ما ذكره الشيخ المفيد في كتابه «الإرشاد» من أن الإمام الحسين عليه السلام بعد إحضاره لأجل البيعة أمضى الليلة الأولى في منزله وهاجر في الليلة التالية سرَّاً إلى مكة، إلا أن صاحب كتاب «قمقام» ذكر في الصفحة 221 و 222 المطالب التي رواها ابن أعثم من أن الإمام بعد أن أُحضر لأجل البيعة ذهب ليلتين إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي الليلة الثانية رأى تلك الرؤيا، دون أن ينتبه إلى أنه لا يمكن أن تكون كلا الروايتين صحيحتين، ولا ريب في رجحان رواية الشيخ المفيد على رواية ابن أعثم.

7 - نقل ابن الفيض الكاشاني في كتابه «معادن الحكمة» (ج2، ص41) رواية ابن أعثم ذاتها حول رؤيا الإمام دون أن يشير إلى مصدر النقل.

هكذا نلاحظ كيف أثّر «تاريخ ابن أعثم» في الكتب اللاحقة وكيف راجت واشتهرت الرواية التي ذكرها حول رؤيا الإمام الحسين عليه السلام بين الكتّاب والناس.

لا شك أن ما رواه الآخرون الذين نقلوا رواية ابن أعثم ذاتها إمّا من كتابه مباشرة وإما عبر واسطة وإما من المصدر ذاته الذي نقل عنه ابن أعثم، لن تكون له قيمةٌ واعتبارٌ

---

(1) اسم الكتاب الكامل: «نَفَسُ المهموم في مَقْتَلِ الحسين المظلوم» تألف المحدِّث الشيخ عبَّاس بن محمد رضا القمّي صاحب كتاب الأدعية الشهير «مفاتيح الجنان»، والمتوفى عام 1359 هـ. (المُتَرْجِمُ)

(2) اسم الكتاب الكامل: «قمقام زخّار وصمصام بتّار» بالفارسية، في مقتل الحسين وجملة من أحواله من الولادة إلى الشهادة، تأليف فرهاد ميرزا ابن ولي العهد عباس ميرزا ابن فتح علي شاه القاجار، المتوفى بإيران 1305هـ (انظر الذريعة، ج17، ص 121). (المُتَرْجِمُ)



أكثر من قيمة واعتبار رواية ابن أعثم ذاتها (التي بيّنّا عدم صحّتها لما فيها من الإشكالات).

من هو ابن أعثم؟

هنا لا بأس أن نتحدث قليلاً عن هوية «ابن أعثم» ونمط تفكيره كي ندرك أكثر قيمة مكتوباته.

كان «ابن أعثم» من أهل السنة، مؤمناً وملتزماً بعقائد أهل السنة، وكان يظهر أيضاً ولاءً ومحبةً لأهل بيت النبيّ ﷺ، ولذلك عدّه أهل السنة «شيعياً»[1]. وهذا اصطلاح كانوا يطلقونه على السنّيّين الذين يميلون إلى أهل البيت وليس مقصودهم من كلمة «شيعي» أنه كان من الشيعة الاثني عشرية، ولهذا كانوا يعتبرون سفيان الثوري وأمثاله شيعةً[2].

وعلى كل حال، ما يُستفاد من مجموع القرائن هو أن «ابن أعثم» كان من الكتّاب الذين يعكسون أفكار وعقائد أهل السنة خلال تدوينهم للمطالب التاريخية، وكان من الذين لا يمتنعون من الكذب والبهتان في سبيل ترويج أفكاره وعقائده. وفيما يلي نموذجان على ذلك:

1 ـ لأجل ترويج وتصويب نهج الخلفاء روى عن قول «محمد بن الحنفية» أنه قال خلال حواره مع الإمام الحسين عليه السلام: «**فإن بايعك الناس وتابعوك قُمْتَ فيهم بما كان يقومه فيهم رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدون المهديُّون من بعده**»[3].

2 ـ وكذلك لأجل ترويج طريقة الخلفاء نقل عن الإمام الحسين عليه السلام أنه كتب ضمن كتابه الذي سلّمَهُ ـ عندما أراد مغادرة المدينة إلى مكّة - إلى محمَّد بن

(1) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج2، ص 230. (المؤلف) قال صاحب معجم الأدباء عنه: «أحمد بن أعثم الكوفي أبو محمد الأخباري المؤرخ، كان شيعياً، وهو عند أصحاب الحديث ضعيف وله كتاب التاريخ إلى آخر أيام المقتدر، ابتدأه بأيام المأمون، ويوشك أن يكون ذيلاً على الأول، رأيت الكتابين.». (المُتَرْجِمُ).

(2) **قاموس الرجال**، ج1، ص13.

(3) **مقتل الخوارزمي**، ج1، ص 187.



الحنفيّة: «أسير بسيرة جدّي محمّد ﷺ وسيرة أبي علي بن أبي طالب وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم»[1].

وتوجد مثل هذه الأكاذيب والافتراءات في مكتوبات «ابن أعثم» ولذلك قالوا عنه: **ليس موثوقاً لدى علماء الحديث**[2].

اتّضح مما مرّ أنه لا يمكن قبول رواية «ابن أعثم» حول رؤيا الإمام.

والآن لو فرضنا أن قصة رؤيا الإمام الحسين عليه السلام لرسول الله التي قيل إنها وقعت بجوار قبره ﷺ صحيحة كما ذكرها «ابن أعثم»، فإنه ليس في ذلك ما يدلّ على أن الإمام تلقّى في تلك الرؤيا أمراً بالخروج إلى القَتْل لأن مضمون الرؤيا هو أن رسول الله ﷺ قال للإمام الحسين عليه السلام **«سوف تُقتل في المستقبل»**، وهذا خبرٌ كرَّر رسولُ الله ﷺ الإخبار به خلال حياته قائلاً: إن حُسَيْنِي سوف يُقتل. ومن الواضح تماماً أنه لا يُستفاد من هذا الإخبار الأمر والتكليف حتى يُقال إن الإمام الحسين عليه السلام أُمر في رؤياه أن يخرج إلى مَقْتَلِهِ.

تذكيرٌ

عندما انطلق الإمام الحسين عليه السلام نحو الكوفة قال لـ «**عبد الله بن جعفر**»: «**إنِّي رأيتُ رسول الله** ﷺ **في المنام و أمرني بما أنا ماضٍ له!** فقالا له: فما تلك الرؤيا؟ قال: ما حدَّثْتُ أحداً بها ولا أنا محدِّثُ أحداً حتى ألقى ربي جلَّ وعزَّ»[3].

ينبغي أن نعلم أن هذه الرؤيا غير تلك الرؤيا التي رواها ابن أعثم والدليل على ذلك أمران:

1 ـ تتضمَّن هذه الرؤيا أمراً من رسول الله ﷺ في حين أن الرؤيا التي رواها «ابن أعثم» لا تتضمَّن أمراً (بل مجرّدَ إخبار).

2 ـ لم يروِ الإمام ما سمعه من جدِّه في الرؤيا لأيِّ أحد، في حين أن ما رواه «ابن

---

(1) **مقتل الخوارزمي**، ج1، ص 189.

(2) المحدِّث الحاج الشيخ عبّاس القمّي (1359هـ)، **الكُنَى والألقاب**، ج1، ص210.

(3) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 200 (أو ج2، ص 69)، و **تاريخ الطبري**، ج4، ص292.



أعثم» جاء فيه أن الإمام أخبر أهل بيته وبني عبد المطلب بتفاصيل رؤياه وما سمعه فيها من جدِّه!.

تنبيهٌ

إن قصدنا مما ذكرناه هو أن رؤيا الإمام عليه السلام على النحو الذي رواه «ابن أعثم» لا يمكن أن تكون صحيحة، وهذا لا يمنع أن يكون الإمام قد غفا غفوةً إلى جوار قبر رسول الله صلى الله عليه وآله أو في منزله فرأى جدّه وتلقى منه أمراً كما أشار الشيخ الصدوق في أماليه إلى هذا المعنى (ص70). فما جاء في أمالي الصدوق أمران: 1 ـ الأمر بخروج الإمام من المدينة. 2 ـ الإخبار بشهادة الإمام.

ولا يُفهَم من حديث الأمالي أن الإمام تلقَّى أمراً بإلقاء نفسه إلى الموت، بل الذي يُفهم هو أنه تلقَّى أمراً بالخروج من المدينة لكي ينجو من الخطر. وأما الإخبار بشهادته فهو مثل إخبار رسول الله صلى الله عليه وآله أثناء حياته بشهادة الحسين عليه السلام عدّة مرّات.

2 ـ حديث: «وَأَخْرُجْ بِأقْوَامٍ لِلشَّهَادَةِ..»

1 ـ روى المرحوم الكُلَيْنِيُّ في «الكافي» ضمن حديث عَنْ «أَبِي جَمِيلَةَ» عَنْ «مُعَاذِ ابْنِ كَثِيرٍ» عَنْ أَبِي عَبْدِ الله الصادق عليه السلام قَالَ: «إِنَّ الْوَصِيَّةَ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى مُحَمَّدٍ كِتَاباً لَمْ يُنْزَلْ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله كِتَابٌ مَخْتُومٌ إِلاَّ الْوَصِيَّةُ .... وَ كَانَ عَلَيْهَا خَوَاتِيمُ قَالَ فَفَتَحَ عَلِيٌّ عليه السلام الْخَاتَمَ الأَوَّلَ وَمَضَى لِمَا فِيهَا ثُمَّ فَتَحَ الْحَسَنُ عليه السلام الْخَاتَمَ الثَّانِيَ وَمَضَى لِمَا أُمِرَ بِهِ فِيهَا **فَلَمَّا تُوُفِّيَ الْحَسَنُ وَمَضَى، فَتَحَ الْحُسَيْنُ عليه السلام الْخَاتَمَ الثَّالِثَ فَوَجَدَ فِيهَا أَنْ قَاتِلْ فَاقْتُلْ وَتُقْتَلُ وَاخْرُجْ بِأَقْوَامٍ لِلشَّهَادَةِ لاَ شَهَادَةَ لَهُمْ إِلاَّ مَعَكَ**... الحديث»[1].

2 ـ وروى الكُلَيْنِيُّ أيضاً في حديثٍ آخر: «...وَكَانَ عَلَى الْكِتَابِ خَوَاتِيمُ مِنْ ذَهَبٍ فَدَفَعَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَأَمَرَهُ أَنْ يَفُكَّ خَاتَماً مِنْهُ وَيَعْمَلَ بِمَا فِيهِ فَفَكَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام خَاتَماً وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ عليه السلام فَفَكَّ خَاتَماً وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام **فَفَكَّ خَاتَماً فَوَجَدَ فِيهِ**

(1) أصول الكافي، ج 1، ص 279 ـ 280.



أَنِ اخْرُجْ بِقَوْمٍ إِلَى الشَّهَادَةِ فَلَا شَهَادَةَ لَـهُمْ إِلاَّ مَعَكَ وَاشْرِ نَفْسَكَ لِـلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَفَعَلَ. . . الحَديث»[1].

نظراً إلى أن رواة الأخبار كانوا ينقلون الأحاديث بالمعنى فإن هناك احتمالاً قوياً أن يكون الحديثان في الأصل حديثاً واحداً وَقَعَ في نقله شيء من التغيير في الألفاظ مِنْ قِبَلِ الرواة.

الراوي «**أبو جميلة**» المذكور في سند الحديث الأول هو «**المفضّل بن صالح**» ذاته الذي يقول عنه العلامة الحلّيُّ قُدِّس سرُّه: «**كذّاب يضع الحديث**»[2].

والحديث الثاني سنده مجهول، طبقاً لما ذكره المرحوم المجلسي في كتابه «**مرآة العقول**» (ج1، ص200).

ربّما يتصوَّر من يلاحظ هذين الحديثين (أو الحديث الواحد) أن الإمام الحسين عليه السلام خرج منذ بداية الأمر بهدف أَنْ يُقْتَلَ. ولكن الموضوع المهمّ هنا أن نعلم هل يحدِّدُ هذا الحديث واجبَ الإمام خلال كلِّ فترة إمامته التي طالت أحد عشر عاماً أم يحدِّدُ واجب الإمام في زمنٍ خاصٍّ من مدَّة إمامته؟

لمعرفة الجواب لا بدّ أن نجعل عمل الإمام ذاته مفسّراً للحديث، لأن الإمام عَمِلَ على كلِّ حال بالأمر الإلهيّ لذا فعمله أفضل تفسيرٍ للحديث؛ بناءً عليه يجب أن نطبّق هذين الحديثين على ما حدث في الخارج ونعلم في أيِّ وقت خرج الإمام الحسين عليه السلام مع أصحابه لأجل الشهادة؟

1 ـ من الواضح أن الإمام الحسين عليه السلام لم يخرج إلى الشهادة بعد وفاة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بل بقي عشر سنوات في حالة سِلْمٍ مع معاوية.
فإذن لم يخرج الحسين إلى الشهادة مادام «معاوية» حياً.

2 ـ وبعد موت «معاوية» لجأ إلى حرم الله في مكة المكرمة عندما أصبح تحت ضغط الحكومة التي تريد أخذ البيعة منه ليزيد وأقام اتصالات مع أهل العراق.
ففي هذه الفترة أيضاً لم يخرج إلى الشهادة.

(1) **أصول الكافي**، ج1، ص 281.

(2) **خلاصة الرجال**، ص258.



3 ـ وبعد تلقّيه تقرير «مسلم بن عقيل» من جهة وإحساسه بالخطر في مكة من الجهة الأخرى، خرج من مكة لينجو من الخطر، وكذلك ليسخّر الكوفة.

ففي هذه الفترة أيضاً لم يخرج إلى الشهادة.

4 ـ وبعد مواجهته للحُرّ بن يزيد وإلى ما قبل ابتداء الحرب كان سعي الإمام منصباً على ترك النزاع وأن لا تُراق الدماء وكانت مساعي الإمام المخلصة في هذا السبيل أوضح من الشمس في رابعة النهار[1].

ففي هذه الفترة أيضاً لم يخرج إلى الشهادة.

نعم عندما بدأ العدوُّ هجومَه على الإمام يوم عاشوراء، أصدر ـ بحكم الاضطرار ـ الأمرَ بالدفاع ونهض وأصحابه الأوفياء لمنازلة العدوّ التي انتهت بشهادته وشهادة أصحابه المضحّين.

فمضمون هذين الحديثين ينطبق على يوم عاشوراء، ولا يدلُّ على أن الإمام خرج لأجل أَنْ يُقْتَلَ، بل يفيد أن الإمام بعد تعرّضه لهجوم العدوّ قام إلى الجهاد ومواجهة العدوان واستُشهِد وأصحابه في هذا السبيل.

بناءً عليه وانطلاقاً من عمل الإمام الذي برز في الخارج لا يُستفاد من ذينك الحديثين أن الإمام الحسين عليه السلام تلقّى أمراً من الله أن يخرج منذ بداية أمره لأجل أَنْ يُقْتَلَ هو وأصحابه.

3 ـ رواية: «أَنْزَلَ اللهُ النَّصْرَ..»

روى الكُلَيْنِيُّ في الكافي: «عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ عَنْ عَبْدِ الْملِكِ بْنِ أَعْيَنَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: **«أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى النَّصرَ عَلَى الحُسَيْنِ عليه السلام حَتَّى كَانَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ثُمَّ خُيِّرَ النَّصْرَ أَوْ لِقَاءَ اللهِ فَاخْتَارَ لِقَاءَ اللهِ تَعَالَى»**[2].

قد يتصوّر البعض، استناداً إلى هذه الرواية، أن قصد الإمام كان أَنْ يُقْتَلَ، ولكن

---

(1) راجع فقرة «اقتراح الانصراف والعودة» في وسط الباب الثاني من هذا الكتاب.

(2) أصول الكافي، ج 1، ص 260.



يجب أن نعلم أن هذه الرواية لا تصل إلى مرتبة الحجّيّة ولا يمكن الاحتجاج بها لعدّة أسباب:

1 ـ أولاً لهذه الرواية ما يعارضها وهي ما رواه «**لُوط بن يَحْيَى**»: «**قال عقبة بن بشير الأسديّ: قال لي أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين: إن لنا فيكم يا بني أسد دماً. قال قلت: فما ذنبي أنا في ذلك رحمك الله يا أبا جعفر! وما ذلك؟ قال: أتى الحسينُ بصبيٍّ له فهو في حجره إذ رماه أحدكم يا بني أسد بسهم فذبحه، فتلقّى الحسينُ دَمَهُ فلمّا ملأ كفَّيه صبَّه في الأرض ثم قال: ربِّ! إن تك حبست عنّا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير وانتقم لنا من هؤلاء الظالمين.**»[1].

فخلافاً لرواية الكافي التي تدلّ على أن النصر جاء إلى الإمام الحسين عليه السلام من السماء، تدلُّ رواية «**لُوط بن يَحْيَى**» هذه على أن الله حبس عنه النصر من السماء.

رواية الكافي، طبقاً لما ذكره العلامة المجلسيّ قُدِّسَ سِرُّهُ في «**مرآة العقول**» (ج1، ص189) رواية حسنة، والرواية الحسنة مقبولةٌ إلى حدٍّ ما ولكن لا تصل إلى درجة الرواية الصحيحة. ورواية «**لُوط بن يَحْيَى**» مقبولةٌ إلى حدٍّ ما أيضاً لأن «**لُوط بن يَحْيَى**» طبقاً لما ذكره النجاشي في رجاله (ص245) ثقةٌ، و«**عقبة بن بشير**» الأسديّ الراوي الآخر في سند الحديث مثله مثل «**أبان بن عثمان**» يُعَدُّ من أصحاب الإجماع الذي تُروى عنه الرواية. (الكافي ج4، ص205، حديث 4) لذا فهي روايةٌ موثوقةٌ إلى حدٍّ ما.

وعلى كلّ حال حتى وإن لم يكن سند رواية «**لُوط بن يَحْيَى**» بقوّة سند رواية الكافي، إلا أن لسندها من القوَّة ما يكفي لمعارضة رواية الكافي وإسقاطها من الحجيّة.

2 ـ يلزم من رواية الكافي أن يكون عمل سيد الشهداء صلوات الله عليه مخالفاً لسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله لأن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قَبِلَ النصرَ الغيبيَّ من الله في معركة بدر، وأنقذ الإسلام من الخطر، أما الإمام الحسين عليه السلام - طبقاً لرواية الكافي ـ فإنه لم يقبل

---

(1) **تاريخ الطبري**، ج4، ص342، وقد روى الشيخ المفيد في «**الإرشاد**» هذه الرواية أيضاً باختلاف يسير في اللفظ في ص 221.



النصرة من السماء؛ ومن البديهي أنه لا يمكننا أن ننسب إلى سيد الشهداء صلوات الله عليه مخالفة سيرة رسول الله ﷺ .

3 ـ يلزم من رواية الكافي أن الإمام لم يرغب في إحياء الإسلام بمعونة القوّات التي أرسلها الله من السماء، فكأنّه لم يكن راضياً بإحياء الإسلام! فهل يمكن أن ننسب إلى ابن رسول الله مثل هذه النسبة ؟!

نُقْطَةٌ هَامَّةٌ

لا يمكننا أن نقول هنا: كما أن الله تعالى لم يُرِدْ نَصْرَ الإسلام بطرائق غيبيّة وغير طبيعية فكذلك لم يُرِدْ الإمام أن ينقذ الإسلام من الخطر باستخدام طرائق غيبيّة؛ لأن هذا القياس غير صحيح فاللهُ تعالى ليس فرداً مكلَّفاً أما الإمام عليه السلام فهو مُكَلَّفٌ إنقاذ الإسلام من الخطر ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وقد نهض لتحقيق هذا الهدف بالذات، وتحمَّل كلّ تلك المشقَّات في هذا السبيل.

أَضِفْ إلى ذلك أنه يُسْتَفادُ من رواية الكافي أن الله أراد أن يُحْيِيَ الإسلام بنصرٍ غيبيٍّ ولكن الإمام لم يُرِدْ ذلك!

فأنصفوا أيها القراء الكرام! هل يمكن أن نثبت أن الإمام تحرّك لأجل أَنْ يُقْتَلَ بمثل تلك الرواية التي فيها كلّ نقاط الضعف هذه؟.

تذكيرٌ

سندرس من هنا فصاعداً الروايات التي أشار فيها الإمام عليه السلام بنحوٍ ما إلى شهادته، ولكن لكي نفهم الكلام الذي قاله في هذا الصَّدَد بشكل صحيح لا بدَّ أن نفترض أننا نعيش في الزمن ذاته الذي قال فيه تلك الكلمات، أي قبل وقوع حادثة كربلاء، ثم نتحرّك خطوةً خطوةً معه ونُصْغِي إلى كلامه، ونضع نصب أعيننا، ونحن نتحرَّك معه، أن رسول الله ﷺ تنبَّأ بشهادة سيد الشهداء صلوات الله عليه وأخبر بها على نحو الإجمال وأنَّ الإمام كان يعلم أن وقوع الاصطدام العسكري في حركته أمر محتملٌ، وأنه في أي اصطدام عسكري هناك دائماً احتمالٌ للنصر أو الهزيمة.

إذن يجب أن نُجَرِّد أذهاننا من التفكير بأنَّنا نعيش الآن بعد وقوع حادثة كربلاء كي



لا يؤثِّر الوقوعُ الخارجيُّ لشهادة الإمام في تفكيرنا ـ منذ البداية ـ ويجعلنا نقطع بشهادته في ذلك السفر، مما قد يخلق في أذهاننا تصوُّراً بأن الإمام خرج منذ البداية لأجل أَنْ يُقْتَلَ، لأنه إذا وُجِد في ذهننا مثل هذا التصوُّر منذ البداية فمن الطبيعي أننا سنطبِّق ما في ذهننا على كلام الإمام، أي سنفهم كلامه على ضوء هذا التصوُّر، أما إذا جرَّدنا ذهننا من ذلك التصوُّر فسوف نستطيع أن ندرك مفهوم كلام سيد الشهداء عليه السلام على حقيقته.

4 ـ خطبة: «خُطَّ الموتُ على وُلْدِ آدَمَ»

جاء في كتاب «اللهوف» لابن طاووس أن الإمام الحسين عليه السلام خطب في مكة خطبةً قبل أن يتحرَّك نحو الكوفة قال فيها:

«خُطَّ الموتُ على وُلْدِ آدم مَخَطَّ القِلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخيرٌ لِي مَصرعٌ أَنَا لاَقِيهِ، كأني بأوصالي تتقطَّعها عُسْلانُ[1] الفَلَوَات بين النواويس وكربلاء فيملأنَ منِّي أَكْرَاشَاً جُوْفَاً[2] وأَجْرِبَةً[3] سُغْبَاً[4]، لا مَحِيصَ عَنْ يَوْم خُطَّ بالْقَلَم. رِضَا اللهِ رِضَانَا أَهْلَ البَيْتِ نَصْبِرُ عَلَى بَلائِهِ وَيُوَفِّينَا أَجْرَ الصابرين. لَنْ تَشُذَّ عَنْ رسول الله صلى الله عليه وآله لحمتُهُ وَهِيَ مجموعةٌ لَهُ في حَظِيرَةِ القُدْسِ تَقَرُّ بهم عينُه، وَيُنْجَزُ بِهِمْ وَعْدُهُ. مَنْ كان باذلاً فينا مُهْجَتَهُ وَمُوَطِّناً على لِقَاءِ اللهِ نَفْسَهُ فَلْيَرْحَلْ مَعَنَا، فَإِنَّنِي رَاحِلٌ مُصْبِحَاً إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.»[5].

يمكن لمن يلاحظ هذه الخطبة أن يتصوَّر أن الإمام الحسين عليه السلام تحرّك من مكة منذ البداية بقصد أن يصل إلى مذبحه ومقتله في كربلاء، وليس بقصد أن يصل إلى الكوفة ويمتنع عن بيعة يزيد ويقيم حكومةً فيها.

---

(1) عُسْلان جمع: «الْعَاسِلُ»: وهو الذِّئْبُ. وَيُجْمَعُ أيضاً بـ: عُسَّلٌ وعَواسِلُ. (المُتَرْجِمُ)

(2) أي بطوناً مجوَّفةً من الجَوَفُ بفتحتين مصدر قولك شيءٌ أَجْوَفُ وشيءٌ مُجَوَّف أي فيه تجويف. (المُتَرْجِمُ)

(3) أجربة: جمع الجِراب: الوِعاءُ المَعْرُوف وقيل هو المِزْوَدُ... والجمع أَجْرِبةٌ وجُرُبٌ وجُرْبٌ غيره والجِرابُ وِعاءٌ من إِهاب الشَّاءِ لا يُوعَى فيه إلا يابسٌ. (المُتَرْجِمُ)

(4) سُغْباً: أي جائعةً، من السَّغَب: الجوع. (المُتَرْجِمُ)

(5) اللهوف، ص 53.



ولكن يجب هنا أن نأخذ في الاعتبار الظروف والأحوال التي قيلت فيها تلك الخطبة كي ندرك معناها الصحيح:

بعد عدَّة أشهر من دراسة الإمام الحسين عليه السلام وتحليله الدقيق لمقدار قوّة الحكم القائم من جهة وتقويمه للقوَّة المتوافرة له من الجهة الأخرى، وصل إلى نتيجة مفادها أن عوامل النصر متوافرة[1]، وأنه لو تمَّ تسخير الكوفة في مثل تلك الظروف المساعدة وإقامة الحكومة الحسينية لأمكن إنقاذ الإسلام في ظلِّ قوَّتها وإحياء سنَّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

ولكن من الجهة الأخرى كان معلوماً للإمام الحسين أن مأموري الحكومة القائمة لن يقفوا مكتوفي الأيدي، بل هم يراقبون جميع تحرُّكاته، وبالتالي هناك إمكانيةٌ كبيرةٌ لوقوع اصطدام مسلَّح بهم، لذا يجب على الذين ينضمُّون إلى حركته أن يكونوا جاهزين بكلِّ عزم وجدِّيَّة لجميع الاحتمالات ومستعدّين للبذل والتضحية، ويجب قبل أيِّ شيء آخر أن يكون زعيم الثورة وقائدها ذاته مستعداً للتضحية.

في مثل تلك الظروف تكلَّم الإمام الحسين عليه السلام عن التضحية والفداء وقال: «**خُطَّ الموتُ على وُلْدِ آدم مَخَطَّ القِلادة على جيد الفتاة**» أي إنّ الموت مصيرُ كلِّ حَيٍّ وكلُّ النّاس سيموتون، وأنا أيضاً قُدِّرت عليَّ الشهادةُ «**وخيرٌ لِي مَضرعٌ أَنَا لاقِيهِ**» فأنا مستعدٌّ للتضحية في سبيل إحياء الإسلام، فإذا انتصرنا في هذا الجهاد فهذا ما نتمنَّاه وما نأمله من إعادة الخلافة الإسلامية إلى أهلها كي نُحْيِيَ الإسلام بهذه الوسيلة وسيكون ذلك نعمة كبرى من الله يجب علينا شكرها: «**فَإِنْ نَزَلَ القَضَاء بِمَا نُحِبُّ فَنَحْمَدُ اللهَ عَلَى نَعْمَائِهِ وَهُوَ المسْتَعَانُ عَلَى أَدَاءِ الشُّكْرِ..**» أما إذا لم نتمكّن من الظفر على العدوّ ونزلت بنا تلك الشهادة التي قُدِّرت علينا، واستُشْهِدْتُ «**بين النواويس وكربلاء**» فأنا مستعدٌّ لذلك ولا مفرَّ من قَدَرِ الله و«**لا مَحِيصَ عَنْ يَوْم خُطَّ بالْقَلَم**». ونحن راضون بكل ما يرضاه الله، إذن من كان مستعدَّاً للتضحية فلينطلقْ معنا: «**مَنْ كَانَ بَاذِلاً فينا مُهْجَتَهُ... فَلْيَرْحَلْ معنا**».

تذكيرٌ

ينبغي أن نعلم أنه ليس معنى الجملة الأخيرة أن كلَّ من سيرحل معنا سيُراق دم

(1) راجع فقرة: «**توافر عوامل النَّصر**» من الباب الأول من هذا الكتاب، في الصفحات 59 إلى 77.



قَلْبِهِ حتماً، بل الجملة كناية عن الاستعداد للتضحية. ففي اللغة العربية يُقْصَدُ من عبارة «**بَذْل المُهجَة**» الكناية عن الاستعداد للنضال حتى الموت. جاء في فضائل الإمام محمد الباقر عليه السلام: «**وكان أصدقَ الناس لهجةً وأحْسَنَهُمْ بَهجةً وأبْذَلهم مُهجَةً**»[1]. ومعنى الجملة الثالثة أن الإمام الخامس كان أكثر الناس استعداداً لبذل نفسه في سبيل الله.

كما أن عبارة «**إعارة الجُمْجُمَة**» كنايةٌ عن الاستعداد للتضحية. فقد جاء في كلام أمير المؤمنين عليه السلام لابنه «**محمَّد بن الحنفِيَّة**» لمّا أعطاه الراية يوم الجمل: «.. **أَعِرِ اللهَ جُمْجُمَتَكَ**..»[2]، أي كن جاهزاً لتقديم رأسك في سبيل الله. وقد جاهد «**محمَّد بن الحنفِيَّة**» وضحَّى وكان مستعداً أن يجود برأسه في سبيل الله ولكنه لم يُقْتَل ولم يذهب رأسه في تلك المعركة.

بثُّ روح التضحية والفداء

كانت ولا تزال طريقةُ القادة العسكريين دائماً أن يتحدَّثوا عن «**الموت**» قبل القتال لِبَعْثِ روح الحماسة والتضحية في جنودهم، وهدفهم هو حضُّ الجُنْد على الاستعداد للقتال باستبسال والتضحية إلى حدِّ الموت.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في معرض تشجيع جنوده على قتال معسكر «معاوية»: «**فَالْموْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ وَالحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ**»[3].

ومن البديهي أن عليّاً عليه السلام لم يقصد من الجملة الثانية أن يقول لأصحابه عليكم أن تقدِّموا أنفسكم جميعاً للقَتْل، لأنه لو قُتِلَ جميع جنوده فلن يكونَ هناك أيّ معنى لقوله «**قاهرين**». بل معنى كلامه أنكم إذا انتصرتم ستكون لكم حياةٌ كريمةٌ وَحُرَّةٌ ولو كان ثمن ذلك شهادة بعضكم.

وأصلاً عندما تتهيَّأُ الأرضيةُ للنضال تكون كلمة «**الموت**» شعار المناضلين، كما قال «**زهير بن القين**» عندما صمَّم أن يُهْرَعَ إلى نُصْرَةِ الإمام: «.. **فَإِنِّي قَدْ وَطَّنْتُ نَفْسِي عَلَى الموْتِ مَعَ الحُسَيْنِ**»[4].

---

(1) ابن شهر آشوب، **مناقب آل أبي طالب**، ج4، ص208.

(2) **نهج البلاغة**، خطبة رقم 11.

(3) **نهج البلاغة**، الخطبة 51.

(4) الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص 223.



وذكر المؤرخون كذلك أنه بعد وصول خبر شهادة «**مسلم بن عقيل**» إلى الإمام الحسين عليه السلام، أخبر أصحابه بذلك الخبر ثم قال: «من أراد منكم الانصراف فلينصرف». وإنما قال ذلك لأنه علم أنه عندما تتَّضح الحقيقة «**لم يَصْحَبْهُ إلا مَنْ يُرِيدُ مَوَاسَاتَهِ والموتَ مَعَهُ**» (تاريخ الطبري، ج4، ص301)، ومعناه أنه لن يبقى معه إلا من هو مستعدٌّ للنضال حتى الموت، وليس معناه أبداً أنه لن يبقى مع الإمام إلا من يريد أن يُلْقِيَ بِنَفْسِهِ إلى القَتْل.

كذلك عندما دعا رسول الله ﷺ أصحابه للبيعة يوم «**الحُدَيْبِيَة**» أخذ منهم البيعةَ على «**الموت**»، رغم أنه لم يقع قتال بعد ذلك. ومن المعلوم أن الرسول الأكرم ﷺ لم يُرِد القول: عليكم يا أصحابي أن تُقَدِّمُوا أنفسكم للقَتْل، بل كان مقصوده بعث روح الحماسة والروح القتاليَّة المستعدّة للجهاد حتى الموت في نفوس أصحابه، لأن مثلَ هذه الروح المستبسلة أكبرُ عونٍ على انتصار المجاهدين.

كذلك عندما يقول الإمام الحسين عليه السلام: «**مَنْ كان باذلاً فينا مُهجَتَهُ وَمُوَطِّناً على لقاء الله نَفسَهُ فَلْيَرْحَلْ معنا**» فإنما يقصد أن يبعث في نفوس أنصاره أكبر قدر ممكن من روح التضحية والفداء والشهامة[1].

بناءً عليه فإن جملة «**مَنْ كان باذلاً فينا مُهجَتَهُ**» تنطبق حتى على الذين رافقوا الإمام ولم ينالوا الشهادة، مثل أبناء الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: الحسن بن الحسن، وعَمْرو بن الحسن، و زيد بن الحسن الذين كانوا مستعدِّين للتضحية والفداء لكنهم لم يُقْتَلوا في تلك المعركة[2].

نُقْطَةٌ هَامَّةٌ

لا ينبغي أن نتصوَّر أن جملة: «**كأنّي بأوصالي تَتَقَطَّعُهَا عُسْلانُ الفَلَوَاتِ بَيْنَ النواويس وكربلاء.. الخ**» تخبر بالضرورة بأمر سيقع في مستقبل قريب، لأن رسول الله ﷺ كان قد قال عن الإمام الحسين عليه السلام قبل خمسين عاماً من شهادته: «... **كأنّي بِهِ**

(1) قال أحد العلماء المعاصرين الكبار: إن مقصود الإمام من تلك العبارة أخذ «**البيعة على الموت**» من أصحابه تماماً مثل بيعة الرضوان في **الحُدَيْبِيَة**.

(2) **اللهوف**، 128 ـ 129.



وَقَدْ اسْتَجَار بِحَرَمِي وَقُرْبِي فَلا يُجَارُ، فَأَضُمُّه في مَنامه إلى صَدْري وَآمُرُهُ بالرِّحْلَةِ عَنْ دَارِ هِجْرَتِي وأبَشِّرُهُ بالشهادة فَيَرْتَحِلُ عَنها إلى أَرْضِ مَقْتَلِهِ ومَوْضِعِ مَصْرَعِهِ أرضِ كربٍ وَبَلاءٍ وقَتْلٍ وَفَنَاءٍ، تَنْصُرُهُ عصابَةٌ مِنَ المسلمينَ، أولئك من سادة شهداء أُمَّتي يومَ القيامة، كأنّي أنظر إليه وقد رُمِيَ بِسَهْمٍ فَخَرَّ عَنْ فَرَسِهِ صَرِيعاً ثُمَّ يُذْبَحُ كما يُذْبَحُ الكَبْشُ مَظْلُومَا. . . الحديث»[1]. والإمام الحسين عليه السلام أعاد في خطبته تلك هذا المطلبَ ذاتَه الذي قاله عنه النبيُّ صلى الله عليه وآله من قبلُ بعبارة أخرى فقال: «**كأني بأوصالي تَتَقَطَّعُهَا عُسْلانُ الفَلَوَاتِ**. . .».

بناءً عليه فحتى لو فرضنا أن الإمام استطاع تسخير الكوفة وإقامة الحكومة الإسلامية وتمكّن من إحياء الإسلام كما كان يتمنّى ويرغب، ثم بعد عشرين عاماً من ذلك أُسْتُشْهِدَ، لكانت خطبته هذه منطبقةً على الواقع وكان قولُه: «**ما أولهني إلى أسلافي . . .وخيرٌ لي مَصْرعٌ أَنَا لاَقِيهِ** [أي شهادةٌ قُدِّرَتْ عَلَيَّ]، **وَكَأنّي بأوصالي تتقطّعُها عُسْلانُ الفَلَوَات. . . وَلا مَحِيصَ عَنْ يَوْمٍ خُطَّ بالْقَلَمِ. . . الخ**» صحيحاً تماماً.

وهنا من المناسب أن نذكُر أن هذه الخطبة المنسوبة إلى الحسين عليه السلام لم تُذكَر في أيٍّ من المصادر التاريخية المعروفة مثل:

(1) تاريخ اليعقوبي. (2) الأخبار الطوال. (3) الإمامة والسياسة. (4) تاريخ الطبري. (5) العقد الفريد. (6) مروج الذهب. (7) مقاتل الطالبيين. (8) الإرشاد للمفيد. (9) إعلام الورى للطبرسي. (10) روضة الواعظين لابن فتّال. (11) الكامل في التاريخ لابن الأثير. (12) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي. (13) تهذيب تاريخ ابن عساكر. (14) البداية والنهاية لابن كثير.

سؤالٌ

ثمّة سؤالٌ يردُ إلى الذهن هنا يقول: لقد جاء في زيارة الأربعين: «**وقد بذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة**»[2]. أفلا يُفْهَمُ من هذه الجملة أن

(1) أمالي الصدوق، ص 70 ـ 71.

(2) كتاب «مفاتيح الجنان» للشيخ المحدِّث عباس القمّيّ، ص 468.



الإمام الحسين عليه السلام كان يريد من البداية أن يُرَاقَ دمُهُ في سبيل الله وتحرَّك بهذا القصد أي بهدف أَنْ يُقْتَلَ؟

ونقول في الإجابة عن ذلك: ألا يصحّ أن نقول بحقٍّ «**حمزةَ**» رضوان الله عليه: إنه «**بذل مهجته في الله ليستنقذ عباده من الشرك والجهالة**»؟ لا شك أن مثل هذه الجملة صادقةٌ تماماً بشأن حمزةَ، ولكن ليس معناها أن حمزةَ خرج من البداية وانطلق نحو جبهة القتال بقصد أن يُرَاقَ دَمُهُ وَ يُقْتَلَ! بل خرج ليجاهد المشركين ويبطل باطلهم ويقضي على قوَّتهم، ولكنه استشهد في هذا الجهاد وقدَّم دمه في سبيل الله ساعياً لإنقاذ الناس من الشرك.

فكذلك يجب أن نقول عن الإمام الحسين عليه السلام: لقد انطلق من مكة نحو الكوفة بهدف إقامة الحكومة الإسلامية والقضاء على حكومة الظلم والقهر، وبهدف إحياء الإسلام، ولكن حكومة الوقت حاربته فاستشهد في سبيل ذلك الهدف المقدَّس، وقدَّم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دَمَهُ في سبيل الله ولنجاة الناس من الضلال. وبناء عليه فلا يُفْهَمُ من جملة: «**وقد بذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة**» أن الإمام الحسين عليه السلام خرج منذ البداية بهدف أَنْ يُقْتَلَ.

تذكيرٌ

كتب «**عبد الله بن جعفر**» للإمام الحسين عليه السلام بعد حركته من مكة: «**أما بعد فإني أسألك بالله لما انصرفت حين تنظر في كتابي فإني مشفقٌ عليك من الوجه الذي توجَّهْتَ له أن يكون فيه هلاكُكَ واستئصالُ أهل بيتك**»[1].

من هذا يتّضح أن «**عبد الله بن جعفر**» لم يفهم من خطبة «**خُطَّ الموتُ**» أن سيد الشهداء عليه السلام يريد أن يذهب عالماً عامداً إلى مَقْتَلِهِ في كربلاء ليستشهد هناك، لأنه لو فهم ذلك لما كان هناك معنى لأنْ يطلب منه الانصراف إشفاقاً عليه من أن يُقتل في تلك الوجهة التي توجّه إليها! بديهيٌّ أنَّ «**عبد الله بن جعفر**» الذي كان من ملازمي الإمام المقرّبين منه، كان مطلعاً أكثر من الآخرين على خطبة «**خُطَّ الموتُ**» وعلى المقصود منها، لذا يجب أن نجعل فهمه قرينةً نفسّر في ضوئها خطبة الإمام.

---

(1) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 200، (أو ج2، ص68).



5 ـ حديث: «إنَّ اللهَ قَدْ شَاءَ أنْ يَرَاكَ قَتِيْلاً»

يقولون: عندما خرج الإمام الحسين عليه السلام من مكة بقصد العراق قال لأخيه **«محمد بن الحنفية»** إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي: **«أُخرُجْ فإن الله قد شاءَ أن يراك قتيلاً»**.

قبل أن نبحث في المعنى الصحيح لهذا الحديث يجب أن نقوم بدراسة كاملة للمصادر التاريخية والحديثية لنعرف المصدر الأصلي له.

بعد التفحُّص الكامل وصلنا إلى نتيجة هي أن هذا الحديث لم يُذكر في أيِّ مصدرٍ تاريخيٍّ أو حديثيٍّ من المصادر المتوافرة بين أيدينا حتى النصف الثاني من القرن الهجري السابع، ثم ظهر في كُتُب المَقَاتل بدءاً من النصف الثاني للقرن الهجريّ السابع واشتهر منذ ذلك الحين.

وفيما يلي نذكر المصادر التاريخية والحديثية الأصلية مرتّبة حسب تاريخ ظهورها والتي لم تذكر قط هذه الرواية:

1 ـ الإمامة والسياسة.	تأليف ابن قتيبة الدينوريّ	متوفى 276 هـ
2 ـ الأخبار الطوال.	أبي حنيفة الدينوريّ	290 هـ
3 ـ تاريخ اليعقوبي.	ابن واضح	بعد 292 هـ
4 ـ تاريخ الطبري.	محمد بن جرير	310هـ
5 ـ العِقد الفريد.	ابن عبد ربّه	328 هـ
6 ـ الكافي.	الكُلَيْنِيُّ	329 هـ
7 ـ مروج الذهب.	المسعوديّ	346هـ
8 ـ مقاتل الطالبيين.	أبي الفرج الأصفهاني	356 هـ
9 ـ الإرشاد.	الشيخ المفيد	413 هـ
10 ـ روضة الواعظين.	ابن فتّال النيشابوريّ	508هـ
11 ـ إعلام الورى بأعلام الهدى.	أمين الإسلام الطبرسيّ	548هـ
12 ـ مقتل الخوارزمي.	أخطب خوارزم	568هـ
13 ـ تهذيب تاريخ ابن عساكر.	علي بن حسن الشافعيّ	571هـ
14 ـ الكامل في التاريخ.	ابن الأثير الجزريّ	630 هـ
15 ـ تذكرة الخواص.	سبط ابن الجَوزيّ	654 هـ



ففي هذه المراجع الخمسة عشر التي أُلِّفَتْ قبل النصف الثاني للقرن السابع الهجري لا توجد رواية: «**أُخْرُجْ فإنَّ الله قد شاءَ أن يراك قتيلاً**». بعد ذلك نجد هذا الحديث مدرجاً في كتاب «**اللهوف**» تأليف المرحوم «**السيد رضيّ الدين بن طاووس**» المتوفى سنة 664هـ، ثم نجده مذكوراً فيما أُلِّف بعد ذلك من الكتب أمثال «**بحار الأنوار**» و«**ناسخ التواريخ**» و«**نَفَس المهموم**» وغيرها، وقد اشتهر في الأزمنة الأخيرة كثيراً. وبديهيٌّ أن ما ذكرته الكتب المتأخّرة منقولٌ، إما مباشرةً وإما عبر واسطة، من كتاب «**اللهوف**» الذي أُلِّف في أواسط القرن السابع.

وفيما يلي نذكر ما جاء في كتاب «**اللهوف**» بعين ألفاظه، ثم نبحث فيه:

«وَرَوَيتُ مِنْ كِتَابِ أَصْلِ الأَحْمَدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عُمَرَ بْنِ بُرَيْدَةَ الثِّقَةِ (وَعَلَى الأَصْلِ أَنَّهُ كَانَ لِمُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ الْقُمِّيِّ) بِالإِسْنَادِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: سَارَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ إِلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أَرَادَ الْخُرُوجَ صَبِيحَتَهَا عَنْ مَكَّةَ فَقَالَ: يَا أَخِي! إِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ مَنْ قَدْ عَرَفْتَ غَدْرَهُمْ بِأَبِيكَ وَأَخِيكَ وَقَدْ خِفْتُ أَنْ يَكُونَ حالُكَ كَحَالِ مَنْ مَضَى فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُقِيمَ فَإِنَّكَ أَعَزُّ مَنْ فِي الْحَرَمِ وَأَمْنَعُهُ فَقَالَ: يَا أَخِي قَدْ خِفْتُ أَنْ يَغْتَالَنِي يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ فِي الْحَرَمِ فَأَكُونَ الَّذِي يُسْتَبَاحُ بِهِ حُرْمَةُ هَذَا الْبَيْتِ. فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ: فَإِنْ خِفْتَ ذَلِكَ فَصِرْ إِلَى الْيَمَنِ أَوْ بَعْضِ نَوَاحِي الْبَرِّ فَإِنَّكَ أَمْنَعُ النَّاسِ بِهِ وَلاَ يَقْدِرُ عَلَيْكَ. فَقَالَ: أَنْظُرُ فِيمَا قُلْتَ. فَلَمَّا كَانَ فِي السَّحَرِ ارْتَحَلَ الْحُسَيْنُ عليه السلام فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ الْحَنَفِيَّةِ فَأَتَاهُ فَأَخَذَ زِمَامَ نَاقَتِهِ الَّتِي رَكِبَهَا فَقَالَ لَهُ: يَا أَخِي! أَلَمْ تَعِدْنِي النَّظَرَ فِيمَا سَأَلْتُكَ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَمَا حَدَاكَ عَلَى الْخُرُوجِ عَاجِلاً؟ فَقَالَ: أَتَانِي رَسُول اللهِ صلى الله عليه وآله بَعْدَ مَا فَارَقْتُكَ فَقَالَ: يَا حُسَيْنُ! اخْرُجْ فَإِنَّ اللهَ قَدْ شَاءَ أَنْ يَرَاكَ قَتِيلاً! فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ فَمَا مَعْنَى حَمْلِكَ هَؤُلاَءِ النِّسَاءَ مَعَكَ وَأَنْتَ تَخْرُجُ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ؟ قَالَ فَقَالَ لَهُ: قَدْ قَالَ لِي: إِنَّ اللهَ قَدْ شَاءَ أَنْ يَرَاهُنَّ سَبَايَا! وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَمَضَى.»[1].

بهذا نرى أن المصدر الأصلي والوحيد لهذه الرواية التي تقول: «**إنَّ اللهَ قَدْ شَاءَ أن يَرَى الحسين قَتِيلاً**» والتي شاعت بعد القرن السابع الهجري، هو كتاب «**اللهوف**» فقط لا غير[2].

(1) السيد رضي الدين بن طاووس، **اللهوف على قتلى الطفوف**، ص 55.

(2) جاء في كتاب «**إثبات الوصيَّة**» ص 139، أن محمداً بن الحنفيَّة قال للإمام الحسين عليه السلام: «**اللهَ اللهَ في حرمِ رسولِ اللهِ، فقال له: أبى اللهُ إلا أن يكنَّ سبايا**». ومن المحتمل أن الكتاب الذي كان لدى مؤلف «**اللهوف**» كان أيضاً لدى مؤلف كتاب «**إثبات الوصية**»، و نقل تلك الجملة عنه بالمعنى.



فلِنَنْظُرْ الآن ما قيمة ما ذكره كتاب «**اللهوف**» وما مقدار صحته؟

كما لاحظنا أورد صاحب «**اللهوف**» تلك الرواية بدون أي سند فلا ندري من هم رواة تلك القصة؟ ولا نعلم أيَّ شيء عن الكتاب الذي نُقِلَتْ عنه تلك الرواية؟ وبالتالي فلا يمكننا أن نعرف درجة صحتها، وإلى أي حدٍّ يمكننا الوثوق بها والاعتماد عليها؟!

لهذه الرواية ما يعارضها

أَضِفْ إلى ما ذُكر أن لرواية «**اللهوف**» ما يعارضها وهي رواية «**أبي مِخْنَف**» عن حارث بن كعب الوالبيّ عن الإمام السجّاد عليه السلام، وأوردها المرحوم الشيخ المفيد في «**الإرشاد**» ولفظها: «**إنّي رأيتُ رؤيا فيها رسولُ الله** صلى الله عليه وآله **وَأُمِرْتُ فيها بأمرٍ أنا ماضٍ له، عليَّ كانَ أوْ لِـيَ!**[1] فقالا له: فما تلك الرؤيا؟ قال: ما حدَّثْتُ أحداً بها ولا أنا محدِّثٌ أحداً حتى ألقى ربِّي.»[2].

فمن هذه الرواية يظهر أن الإمام لم يذكر لأحد الأمرَ الذي أمره به رسول الله صلى الله عليه وآله في حين أن خبر «**اللهوف**» يذكر أن الإمام ذكر ذلك الأمر لمحمد بن الحنفية، وهذا تعارضٌ بَيِّنٌ بين رواية «**أبي مخنف**» والمفيد في «**الإرشاد**» من جهة، وبين رواية «**اللهوف**» من الجهة الأخرى، ويلزم من هذا التعارض تساقط الروايتين إن لم يكن هناك ما يرجّح إحداهما على الأخرى وبالتالي فإن رواية «**اللهوف**» دون رواية «**أبي مخنف**» و«**الإرشاد**» لا تساوي شيئاً:

رواية «أبي مخنف» و«الإرشاد» ـ رواية «اللهوف» = صفر.

كلامٌ في معـنى الرواية

رغم أن رواية «**اللهوف**» ساقطةٌ من الاعتبار لفقدانها السند ولمعارضة روايات أخرى لها، إلا أننا لأجل أن نمحّص الرواية من جميع جوانبها سنذكر شيئاً من الكلام حول معناها:

---

(1) من هذه الجملة: (عليَّ كان أو لِيَ) يتبيَّن أن الأمر الذي أمره به رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كان فيه احتمال النصر والهزيمة كليهما.

(2) **تاريخ الطبري**، ج4، ص292، و الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 200.



لكلمة «شاء» في الرواية احتمالان: 1 ـ أن تكون بمعنى المشيئة التشريعية 2 ـ أو تكون بمعنى المشيئة التكوينية.

إذا كان المقصود من «شاء الله» المشيئة التشريعية

إذا قُصد من كلمة «شاء الله» التشريع فهذا لا يصحُّ[1] لأن قتل الإمام وأسر أهل بيته إثمٌ كبيرٌ والله لم يشرّع أيَّ إثم. فالله لم يرد أن يكذب الناس ولكنهم يكذبون ولم يرد الفتنة في الأرض والفساد ولكن الناس يفعلون ذلك، ولم يرد أن يقتلوا الإمام الحسين عليه السلام ولا أن يأسروا أهل بيته ولكن الناس فعلوا ذلك. وقَتْل الحسين بن علي عليه السلام كما قال الإمام السجاد عليه السلام «**ثُلمةٌ كبيرةٌ في الإسلام**»[2] ولا شكَّ أنَّ الله لا يريد، أي لا يأمر، بإيجاد ثُلمةٍ كبيرةٍ في الإسلام.

أجل، لقد أراد «يزيد» و«ابن زياد» أن يريا الإمام الحسين عليه السلام قتيلاً خلافاً لمشيئة الله (التشريعية)، لأنه لو أراد اللهُ ـ تشريعاً - أن يرى الإمام قتيلاً فلماذا نهى عن قتله؟

فإن قال قائلٌ: إن الموت قتلاً في سبيل الدِّين مطلوب من الله، فجوابه: أن الموت قتلاً ليس مطلوباً من الله بل المطلوب الدفاع عن الدِّين وحماية الإسلام الذي ينتهي أحياناً بالقَتْل فالذي يريده الله هو الدفاع عن الدِّين لا الموت[3].

---

(1) إذا كان المقصود من كلمة «شاء الله» التشريع فمعناها الأمر والتكليف فعندئذ لا بد أن يتعلق أمر الله بواحد من الأمور الثلاثة التالية:
أ ـ أن يتعلّق أمر الله بقتل الإمام ولا شك أن هذا باطل لأن الله لا يأمر أبداً بقتل الإمام.
ب ـ أن يتعلّق أمر الله بالمقتل ذاته بمعنى خروج الروح من الجسد، وهذا أيضاً باطلٌ لأنَّ مقتل الإنسان انفعال وليس فعلاً والتكليف يتعلّق بالفعل لا بالانفعال.
ج ـ أن يتعلّق الأمر بمقدّمات المقتل أي إن الله أمر الإمام أن يدفع قاتله إلى قتله وهذا أيضاً باطل لأنه كما يحرم دفع شخص إلى قتل آخر يحرم دفعه إلى قَتْل ذات الدَّافِع. فلا يمكن أن تكون «شاء» بمعنى التشريع.

(2) ابن طاووس، **اللهوف**، ص180، وابن نما، **مثير الأحزان**، ص62.

(3) طبعاً لا ينبغي أن نقول إذا كان القتل ليس مطلوباً لله فلماذا أمر بذبح إسماعيل عليه السلام؟ لأن ذلك الأمر كان امتحاناً ولم يرِد الله قط ذبح إسماعيل بل أراد بقاءه لكي يخرج من نسله الوجود المقدّس لخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله ولذلك حال دون قتله بعد أن نجح إبراهيم في ذلك الامتحان العظيم.



ولتوضيح هذا الأمر نقول: هل صفعُ المظلومِ على وجهه أمرٌ مطلوبٌ؟ بالطبع لا، فالشرع لا يأمر أن يُقَدِّمَ الإنسانُ خدَّه للظالم ليصفعه عليه.

هل قَتْلُ المظلوم مطلوبٌ؟ بالطبع لا، فلا يطلب الشرع أن يقدِّم المظلومُ نفسَه للقَتْل بهدف أن يقوم الظالم بِقَتْلِهِ.

هل قَتْلُ الإمام مطلوبٌ؟ بالطبع لا، إذن ليس مطلوباً أن يعرِّض الإمام نفسه إلى القَتْل بهدف أَنْ يقوم عدوُّه بقتله. فمثل هذا الأمر ليس مطلوباً لِلَّهِ ولا لرسوله ولا للإمام ولا لأهل الإيمان.

لا شكّ أن مقام الذي يدافع عن الإسلام حتى القَتْل أعلى وأرفع ولكن ذلك ليس بسبب مقتله بل لأنه بَلَغَ بِدِفَاعِهِ حَدَّ الكمال، ولذلك استحقَّ أجراً أكثر، فالأجر والثواب الزائد هما لقاء الدفاع الأكمل الذي هو مطلوبٌ لِلَّهِ وليس مقابل الموت قتلاً أي خروج الروح من الجسد[1].

نقطةٌ هامَّةٌ

ينبغي أن نعلم أن الآيات التي وردت في باب الجهاد [بمعناه القتاليّ] دعت جميعاً إلى قَتْلِ العدوّ والقضاء عليه ولم يأت في أيٍّ منها دعوة المسلمين إلى أن يُقتَلوا.

لذلك إذا فرضنا أن هناك مسلماً لم يذهب إلى جبهة الحرب إلا بهدف أن يضع نفسه في ميدان المعركة في معرض القَتْل ويمكِّنَ عدوَّه من قَتْلِهِ دون أن يبذل جهداً للقضاء على العدوِّ وتقوية المسلمين فإن مثل هذا المسلم إذا قُتل على يد العدوّ لن يكون له أيُّ أجر لأنه لم يقدّم أيَّ نَفْعٍ للإسلام. بل ربما أمكن القول إن مثل هذا الشخص قام بالانتحار بشكل غير مباشر، وأضعفَ قوَّةَ المسلمين بانتحاره هذا بأن جعلها تفقد فرداً من أفرادها، كما زاد من قُوَّة العدوّ.

نعم، إذا بذل المسلم جهده في قتال العدوّ وتقوية الإسلام حتى قُتِل، فإنه يكون

(1) أما ما نقوله في الدعاء «اللهم ارزقنا الشهادة» فالمقصود منه «اللهم وفّقنا أن نجاهد في سبيل دينك إلى حدّ التضحية بالروح» أي أن نبلغ بجهادنا حدّ الكمال كي ننال أكمل الأجر وليس معناه أننا نطلب من الله الموت أي خروج الروح من البدن.



قد نال بموته مقام الشهادة الشامخ، لأنه ناضل حتى أعلى درجة من درجات الجهاد وهي بذل الروح.

وينبغي أن نعلم أن مثل هذا المسلم المجاهد ينال أجراً عظيماً، حتى ولو لم يُقتل في المعركة. فلو ذهب مُسْلمانِ إلى ميدان المعركة وقاتلا وَقَتَلَ كلٌّ منهما عشرةً من الأعداء ثم قُتِلَ أحدهما ولم يُقتَل الآخر فإنّ كليهما يكون قد نال مقاماً شامخاً وأجراً عظيماً.

وقد بيَّن القرآن الكريم هذه الحقيقة صراحةً حين قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ إِلَّآ بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة/ 111].

فهذه الآية تدلُّ على أن من يُقاتل في سبيل الله فيَقْتُل ومن يُقاتل في سبيل الله فيُقْتَل، كلاهما قد جاهد بنفسه ونال ثواب الجنة.

ومثله قوله تعالى: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء/ 74].

بهذا نرى أن من يُقتَل في سبيل الله وَمَنْ يَغْلِب كلاهما أجره عظيم في نظر القرآن. فالأجر العظيم هو لقاء بذل الجهد في مقارعة العدو وتقوية الإسلام وليس لقاء مقتل الإنسان.

نعم، يمكننا أن نقول من يُقْتَل في أثناء الجهاد في سبيل الله ينل لطفاً خاصّاً من الله لأنه حُرِمَ من الحياة ولكن هذا لأن الحرمان من الحياة كان لأجل النضال في سبيل الله وتقوية الإسلام، لا أن الحرمان من الحياة بحدّ ذاته وخروج الروح من الجسد كان مطلوباً لِـلَّهِ من ناحية التشريع أي إن الله أمر به.

إذن ليس هناك أي معنى في أن يأمر رسول الله ﷺ الإمام الحسين عليه السلام قائلاً اذهب وقدّم نفسك للقَتْل لأنّ اللهَ أراد أن يراك قتيلاً! بل لو أراد رسول الله ﷺ أن يأمر الإمام الحسين عليه السلام لوجب أن يقول له: اذهب للدفاع عن الإسلام سواء انتصرت أم استشهدت لأن الله أراد أن يراك محامياً عن الدِّين ومدافعاً عن الإسلام، ومثل هذا لا يحتاج إلى أمر جديد لأن الدفاع عن الإسلام واجبٌ على كل مسلم. ولأجل هذا عندما



تتوافر شروط الانتصار للإمام الحسين بنسبة تزيد على الخمسين بالمئة، فإنه يتحرَّك بعزم قاطع لأجل نجاة الإسلام من خلال إعادة الخلافة إلى أهلها.

إن كان المقصود من «شاء الله» المشيئة التكوينية

قبل فحص إمكانية أن تكون «شاء الله» بمعنى المشيئة التكوينية لا بدّ من مقدّمة توضيحيّة مختصرة:

كلُّ ظواهر العالم مرادةٌ تكوينياً لِـلَّهِ، أي إن الله تعالى قدّر، على أساس قانون العلّة والمعلول، عِلَلَ كلِّ ظاهرة توجد بوجودها ظاهرةٌ أخرى. ومن البديهيّ أن أفعال العباد حسنةً كانت أم سيئةً غير مستثناةٍ من هذا القانون، فهذا القانون يشمل الصلاة كما يشمل قَتْلَ النَّفس، فَكُلُّهَا مُرَادةٌ لِـلَّهِ تكوينيّاً، نهاية ما في الأمر أن الأفعال الحسنة مرادة بمشيئة الله التشريعية كما هي مرادة بمشيئته التكوينية، فالصلاة التي تقع في الخارج مرادةٌ بمشيئة الله التكوينية لوقوع عللها الوجودية، ومرادةٌ بالأمر التشريعي لأن الله أمر بإقامة الصلاة. أما الأفعال القبيحة مثل قَتْلِ النفس المحرَّمة فليست مرادةً لِـلَّهِ بالأمر التشريعي لأن الله تعالى يبغضها ولا يرضاها ولكنها مرادةٌ لِـلَّهِ بمشيئته التكوينية لأنه عندما توجد علل القَتْل يوجد القَتْل في الوقت ذاته الذي يكون فيه هذا القَتْل مورداً لِنَهْيِ الله.

بناءً عليه فإن قَتْلَ الإمام مرادٌ بمشيئة الله التكوينية وفي الوقت ذاته موردٌ لِنَهْيِ الله التشريعي إذ لا يمكن لما يبغضه الله أن يقع ملاكاً لأمر تشريعي لأن ملاك الأمر التشريعي يجب أن يكون محبوباً لِـلَّهِ وفيه مصلحة العباد لا مبغوضاً لِـلَّهِ. فلا يمكن لأحد أن يقول إن رسول الله أَمَرَ الإمام الحسين عليه السلام أن يذهب للقَتْل، بملاك أن الله أراد مَقْتَلَه بمشيئته التكوينية، لأن مثل هذا لا يصح إذ إن قتلَ النفس مبغوضٌ لِـلَّهِ من ناحية التشريع ولا يمكن أن يقع ملاكاً لأمر تشريعي.

نعم، إذا صرفنا النظر عن كلمة «أخرج» يمكن لكلمة «شاء» أن تكون بمعنى المشيئة التكوينية لأنه في هذه الصورة يكون معنى جملة «شاء أن يراك قتيلاً»: إنَّ اللهَ قدَّرَ عليك القتل، وهذا عين التنبُّؤ السابق بشهادة الإمام. وقد كَرَّرَ رسولُ الله تلك النبوءة زَمَنَ حياته عدَّة مرات.



خلاصة البحث

خلاصة البحث أن حديث «**إن اللهَ شاءَ أنْ يراكَ قتيلاً**»، لا سند له أوّلاً، وله ما يعارضه ثانياً، لذا فهو ساقطٌ من الاعتبار.

إضافةً إلى أن كلمة «**شاءَ اللهُ**» في الحديث لا يمكن أن تكون بمعنى المشيئة التشريعية التي تدل على الأمر بفعل الشيء، ولكن، إذا صرفنا النظر عن كلمة «**اخرُجْ**» أمْكَنَ أن تكون المشيئةُ مشيئةً تكوينيّةً بمعنى النبوءة السابقة بشهادة الإمام.

لذلك لا يمكن أن نفهم من هذا الحديث أن الإمام الحسين عليه السلام تلقّى أمراً من رسول الله صلى الله عليه وآله بالذهاب لأجل أَنْ يُقْتَلَ.

تذكيرٌ:

يقول صاحب كتاب «**اللهوف**»: «**ومَمّا يُمْكِنُ أنْ يَكونَ سَبَباً لحَمْلِ الحسين عليه السلام لِحَرَمِهِ مَعَهُ وعِيَالِهِ أنَّه عليه السلام لَوْ تَرَكَهُنَّ بالحجازِ أو غيرها من البلاد كان يزيد بن معاوية قَدْ أَنفَذَ لِيَأخُذُهُنَّ إليهِ وَصَنَعَ بِهِنَّ مِنَ الاستيصَالِ وَسَيِّئِ الأعمالِ مَا يَمْنَعُ الحسينَ عليه السلام مِنَ الجِهَادِ وَالشهَادَةِ وَيَمْتَنِعَ عليه السلام بِأَخْذِ يزيد بن معاوية لهنَّ عَنْ مَقَامَاتِ السَّعَادَةِ**.»[1].

يتّضح من كلام صاحب «**اللهوف**» هذا أنه لا يثق بالحديث السابق وإلا لكان قد استدلَّ به وقال: إن علّة اصطحاب الإمام لأهل بيته أنه كان يريد أن يراهم أسرى لأن: «**الله قد شاء أن يراهنّ سبايا**»، لا أن يقول الإمامُ: إنما اصطحبت أهلي معي كي لا يأخذهنّ يزيد بن معاوية أسرى!.

وشائع جداً أن يذكر علماء الحديث في كتبهم روايات لا يعتقدون أنفسهم بصحتها، كما فعل المرحوم الصدوق في «عيون أخبار الرضا» ج2، ص 238[2].

سؤالٌ

الذين يعتقدون أن الإمام قرأ في الصحيفة السماوية أنه أُمِرَ بالذهاب إلى كربلاء

---

(1) **اللهوف**، ص 74.

(2) وكما فعل العلامة المجلسي قُدِّسَ سِرُّهُ عندما أراد أن يذكر قصّةً جاء ضمنها: «**أخذ فاطمة الزهراء عليها السلام للحسنين بين ذراعيها بعد وفاتها**» فقال قبل نقل القصة: والكتاب الذي أنقل عنه هذه القصة غير معتمد. (**بحار الأنوار**، ج 10، ص 50).



لأجل أَنْ يُقْتَلَ، ورأى في المدينة الرؤيا التي أمره رسولُ الله صلى الله عليه وآله فيها بذلك الأمر ذاته، هل يقولون إنَّ النبيَّ الأكرم صلى الله عليه وآله ظهر للإمام الحسين عليه السلام مرَّتين أخريين في عالم الرؤيا ليكرِّر عليه الأمر ذاته الذي كان قد قرأه في الصحيفة السماوية وأمره به في رؤياه في المدينة أن «اخرج فإنْ الله قد شاء أن يراك قتيلاً»؟!

فأيُّ حاجة كانت لتكرار ذلك الأمر؟ وهل كان الإمام (والعياذ بالله) متردِّداً في العمل بالأمر الذي قرأه في الصحيفة السماوية وتلقّاه في رؤياه بجوار القبر المطهّر لرسول الله صلى الله عليه وآله ؟ أم كان مقصِّراً في تنفيذ ذلك الأمر حتى احتاج أن يؤكَّد عليه الأمر به وَيُكَرَّر؟!

6 ـ حديث أمّ سلمة

جاء في بعض الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ شِبْهَ تراب أحمر وقال لأمّ سلمة: خذيه فاحفظيه فَوَضَعَتْهُ في قارورةٍ وشدَّت رأسها[1]، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأمّ سلمة: «..**وهذه التربة التي يُقْتَلُ عليها، فضعيها عندك فإذا صارت دماً فقد قُتِلَ حبيبي..**»[2].

وفي رواية أخرى أن النبيَّ صلى الله عليه وآله قال: «**يا أمّ سلمة! خذي هذه التربة إليكِ، فإنّها إذا تغيَّرت وتحوَّلت دماً عبيطاً فعند ذلك يُقْتَلُ ولدي الحسين.**»[3].

وفي رواية أخرى عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أتاني جبريل فأخبرني أنَّ أمَّتي ستقتل ابني هذا (أي الحسين) وأتاني بتربة من تربته حمراء**»[4].

وفي رواية أخرى: «**أنه دخل الحسينُ بن عليٍّ عَلَى النبيِّ وهو يوحَى إليه فنزل الوحيُ على رسول الله وهو منكب على ظهره، فقال جبرئيل: تحبه؟ قال: ألا أحبُّ ابني! فقال: إن أمتك ستقتله من بعدك، فمدَّ جبرئيل يده فإذا بتربة بيضاء فقال: في هذه التربة يُقْتَلُ ابنُك هذا..**»[5].

---

(1) بحار الأنوار للمجلسي، ج 10، ص 155. (أو ج44، ص 239 من الطبعة الجديدة).
(2) بحار الأنوار للمجلسي، ج 10، ص 151. (أو ج 44، ص 225 من الطبعة الجديدة).
(3) مقتل الخوارزمي، ج1، ص 163.
(4) مقتل الخوارزمي، ج1، ص 159.
(5) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج 4، ص 55.



وفي خبر آخر: «**إن جبرئيل أتاني بالتربة التي يُقْتَلُ (الحسين) عليها وأخبرني أن أُمَّتي تقتله**»[1].

القاسم المشترك بين هذه الروايات هو أن رسول الله أُري في وقت سابق شيئاً، تراباً أو غيره، مأخوذاً من موضع شهادة الإمام الحسين عليه السلام، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله روى ذلك مرَّةً أو أكثر.

وهذا الموضوع غير قابل للشكّ من ناحية الوثائق التاريخية والحديثية.

وبديهيٌّ أنّ هذا المطلب يتعلّق بزمن حياة رسول الله صلى الله عليه وآله أي قبل خمسين عاماً من حادثة كربلاء، ولكن هناك روايةٌ أخرى تُنْسَبُ إلى أمّ سلمة تذكر أن هذا الموضوع حدث زمن قيام الإمام الحسين عليه السلام أي حدث بعد خمسين عاماً من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، لذا لا بد من التحقيق في الأمر ونقل هذه الرواية ثم تمحيصها:

رواية كتاب «إثبات الوصية»

يروي كتاب «إثبات الوصية» الذي لا يُعرَفُ مؤلِّفُهُ[2] حديثاً عن «أمّ سلمة» على النحو التالي:

---

(1) **مقتل الخوارزمي**، ج1، ص 158.

(2) في شهر شعبان من سنة 1388 هـ ذهبتُ عندما كنت في طهران إلى زيارة العلامة المجاهد آية الله الأميني صاحب كتاب «**الغدير**». وسألته هل كتاب «**إثبات الوصية**» من تأليف **المسعودي** صاحب كتاب «**مروج الذهب**»؟ فقال: لا ليس كتاب «**إثبات الوصية**» من تأليف المسعودي. وأورد عدّة أدلة على كلامه لا مجال لذكرها هنا.

طبقاً لوجهة النظر هذه فإن كتاب «**إثبات الوصية**» الذي تنسبه كتب الرجال إلى «**المسعودي**» صاحب «**مروج الذهب**» غير كتاب «**إثبات الوصية**» الذي بين أيدينا. ويتّضح من مطالعة الكتاب الأخير أن مؤلفه رجل ساذج مغفل لم يكن يمتنع عن ذكر مطالب غير معقولة وغير موثوقة، فمثلاً يقول في الصفحة 137 من كتابه: «**في اليوم ذاته الذي ولد فيه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام انعقدت نطفة الإمام الحسين عليه السلام!**».

ويقول في ص138 أيضاً: «**لما مات إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله قال جبرائيل للنبيّ: لو شئت لأحيا الله إبراهيم وجعله نبيّاً بعدك!**».

ويوجد في الكتاب كثيرٌ من مثل هذه المطالب الركيكة والباطلة مما لا مجال لذكره، وقصة أمّ سلمة التي نقلناها في متن الكتاب أعلاه واحدةٌ من هذه المطالب الركيكة الباطلة في الكتاب المذكور، والتي لا يمكن الاعتماد عليها، وقد نقلها الآخرون عنه دون أن ينتبهوا إلى نقاط ضعفها الكثيرة.



«لما عزم (الحسين بن عليّ) عَلَى الخروج من المدينة أتته أمّ سلمة رضي الله عنها فقالت: يا بُنَيّ! لا تُحزِنّي بخروجك إلى العراق فإنّي سمعت جدَّك يقول: يُقتَلُ ولدي الحسين بأرض العراق في أرضٍ يُقال لها كربلاء. فقال لها: يا أُمّاه! وأنا والله أعلم ذلك وإنّي مقتولٌ لا محالة وليس لي من هذا بُدٌّ، وإني والله لأعرف اليومَ الذي أُقتَلُ فيه وأعرف من يَقتُلُنِي وأعرف البقعةَ التي أدفنُ فيها وإني أعرف من يُقتَلُ من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي، وإن أردتِ يا أمّاه أريك حفرتي ومضجعي. ثم أشار عليه السلام إلى جهة كربلاء فانخفضت الأرض حتى أراها مضجعه ومدفنه وموضع عسكره وموقفه ومشهده، فعند ذلك بكت أمُّ سلمة بكاءً شديداً وسلَّمَتْ أمرَهُ إلى الله! فقال لها: يا أُمّاه! قد شاء الله عزَّ وجلَّ أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظُلْماً وعُدْوَاناً، وقد شاء أن يرى حَرَمِي ورهطي ونسائي مشرّدين وأطفالي مذبوحين مظلومين مأسورين مقيَّدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولا معيناً. وفي رواية أخرى قالت أمُّ سلمة: وعندي تربةٌ دفعها إليَّ جدُّك في قارورةٍ، فقال: والله إني مقتولٌ كذلك، وإن لم أخرج إلى العراق يقتلوني أيضاً، ثم أخذ تربةً فجعلها في قارورةٍ وأعطاها إيَّاها وقال: اجعليها مع قارورةِ جدِّي فإذا فاضتا دَمَاً فاعلَمِي أنّي قَدْ قُتِلْتُ.» (إثبات الوصية، ص 139).

وقد روى هذه الرواية ذاتها كلٌّ من «قطب الدين الراوندي» (ـ 573 هـ) في كتابه «الخرائج والجرائح»، والمجلسيّ في «بحار الأنوار» (ج10، ص175) باختلاف يسير في الألفاظ.

وقبل أن نبحث في معنى رواية «إثبات الوصية» نذكر ابتداءً أن هذه الروايةَ مردودةٌ من ناحية السند ولا يصحّ صدورها:

أولاً: لأنه لا سند لها.

وثانياً: لأن هذه الرواية تُصَوِّر «أمَّ سلمة» رغم إيمانها الصحيح وسوابقها الحسنة امرأةً عديمة الإيمان بصحّة نبوءة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لأنها تذكر أنها قالت للإمام الحسين: «لا تُحزنّي بخروجك إلى العراق» فكأنّها تريد أن لا تتحقّق نبوءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشأن مقتل الإمام!

فهل من الممكن للنبوءة التي أُخبر بها حتى أنبياء السلف وكرّر نبيُّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم الإخبار بها عدّة مرّات أن يظهر كذبها فلا تتحقَّق؟!



لقد نسبت الرواية إلى «أمّ سلمة» رغبتها بأن تمنع وقوع شهادة الإمام. أفلم تكن «أمّ سلمة» تؤمن بأن نبوءة رسول الله ﷺ ستقع حتماً؟!

معنى الحديث

هناك احتمالان للمعنى المقصود في رواية «**إثبات الوصية**»:

1 ـ أن نقول: إن مضمون الرواية يدلُّ على أن الإمام أخبر بزمن ومكان شهادته فحسب، وليس فيها ما يفيد أنه قصد أن يتحرَّك نحو مكان مَقْتَلِهِ في كربلاء.

2 ـ أن نقول: إن مضمون الرواية يفيد أن الإمام تحرّك من مكة ذاتها بهدف أن يصل إلى مكان مَقْتَلِهِ في كربلاء.

وعلى الاحتمال الثاني فإن هذه الرواية تناقض قول الإمام وفعله لأنها إذا قصدت أن الإمام تحرّك نحو كربلاء بالذات لكي ينزل فيها في اليوم المحدّد وفي الأرض المحدّدة ويُقتَل في الساعة المحدَّدة فإن هذا يتناقض مع ما هو مُسَلَّم به من أن الإمام الحسين عليه السلام إنما تحرّك من مكّة قاصداً الكوفة لا كربلاء، إذْ إنه لو تحرّك من مكة قاصداً موضع قَتْلِهِ في كربلاء:

1 ـ فلماذا أرسل «مسلم بن عقيل» إلى الكوفة؟!

2 ـ ولماذا تحرك استناداً إلى رسالة «مسلم»؟ فمسلم أرسل تقريراً عن استعداد الكوفة لاعن كربلاء.

3 ـ ولماذا قال لعبد الله بن الزبير: «والله لقد حدَّثت نفسي بإتيان الكوفة ولقد كتب إليَّ شيعتي بها»؟ (**تاريخ الطبري**، ج4، ص288).

4 ـ ولماذا قال «**ابن عباس**» للإمام لا تذهب إلى الكوفة؟ (**الأخبار الطوال** ص221).

5 ـ ولماذا قال «**عبد الله بن مطيع**» للإمام لا تذهب إلى الكوفة؟ (**الإرشاد للمفيد**، ص201).

6 ـ ولماذا كتب الإمام خلال سفره نحو الكوفة رسالةً إلى أهلها يخبرهم بوصوله الوشيك إليهم؟ (**تاريخ الطبري**، ج4، ص297).

7 ـ ولماذا تشاور مع أصحابه بعد تلقيه خبر مقتل «مسلم» بشأن مواصلة الطريق نحو الكوفة أو العودة؟ (**الإرشاد**، ص203).



8 ـ ولماذا قال لـ «**عمرو بن لوذان**»: «**إني ذاهب إلى الكوفة**»؟ (**الإرشاد** ص204).

9 ـ ولماذا قال الإمام للحُرّ بن يزيد وعسكره: «**فإن تعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم ومواثيقكم أقدم مصركم** (أي الكوفة).»؟ (**تاريخ الطبري**، ج4، ص 303، **والأخبار الطوال** ص224).

كلُّ كلام نطق به الإمام وكلُّ تحرُّك قام به كان لأجل الكوفة لا كربلاء.

وكذلك لو كان الإمام قد ذهب قاصداً كربلاء:

10 ـ فلماذا قال الإمام أمام «الحُرّ بن يزيد» وأصحابه، بعد أن انقلبت الأوضاع في الكوفة، دعوني أعد من حيث جئت؟ (**الإرشاد**، ص205).

11 ـ ولماذا أراد التحرك نحو الحجاز بعد أن يئس من الحصول على موافقة «الحُرّ» كي يعود إلى المدينة؟ (**تاريخ الطبري**، ج4، ص304).

اتّضح مما ذُكر أن رواية «**إثبات الوصية**» و«**الخرائج**» و«**البحار**» **روايةٌ باطلةٌ سنداً ومتناً ولا اعتبار لها** لأنها:

1 ـ لا سند لها. 2 ـ تطعن في إيمان أم سلمة. 3 ـ مضمونها ـ طبقاً للاحتمال الثاني لمعناه ـ يتناقض مع قول الإمام الحسين عليه السلام وفعله.

نقطةٌ هامَّةٌ

يذكر متن الرواية الباطلة لكتاب «**إثبات الوصية**» أن الإمام الحسين عليه السلام أجرى ذلك الحوار مع أمّ سلمة عندما أراد أن ينطلق من مكة نحو الكوفة، فطبقاً لهذه الرواية جرى ذلك الحوار المفترض بين الإمام وأمّ سلمة في مكة لا في المدينة.

أما كتاب «**الخرائج**» للراوندي فقد ذكر رواية «**إثبات الوصية**» عينها باختلاف يسير في اللفظ حيث جاء فيه: «**أنه** عليه السلام **لما أراد العراق قالت له أمّ سلمة: لا تخرج إلى العراق فإنّي سمعتُ رسولَ الله** صلى الله عليه وآله **يقول**: **يُقْتَلُ** ابني الحسين بأرض العراق وعندي تربة دفعها إليَّ في قارورة... الخ الحديث»[1].

---

(1) **الخرائج والجرائح** للراوندي، (طبعة 1301 هـ)، ص 26. (أو ج1، ص 253 من الطبعة الجديدة).



والنص ذاته جاء في «**بحار الأنوار**» (ج10، ص175، طبع أمين الضرب، والطبعة الحجرية لعام 1332بخط الميرزا صمد التبريزي، ص175) باختلاف بسيط وعبارته:

«وجدت في بعض الكتب أنه عليه السلام لما عزم على الخروج أتته أمّ سلمة فقالت: لا تُحْزِنّي بخروجك إلى العراق فإنّي سمعتُ جدَّك يقول: يُقْتَلُ ولدي الحسينُ بأرض العراق... الحديث».

بديهي أنه لما كان حوار الإمام المفترض مع «أم سلمة» قد جرى حول سفره إلى العراق فيجب أن نقول إن ذلك الحوار المدَّعَى ـ طبقاً لرواية «**الخرائج**» و«**البحار**» ـ جرى في مكة لا في المدينة، لأن الإمام لما هاجر من المدينة إلى مكة لم يكن قد اتّخذ بعدُ أيَّ قرار بالسفر إلى العراق، إذْ إنه اتخذ ذلك القرار بعد تلقّيه التقرير المطَمْئِن لمسلم بن عقيل، أما قبل ذلك التقرير فكان قرار الإمام أن لا يذهب إلى الكوفة إذا لم تكن الظروف مساعدة فيها، ولذلك أمر مسلم لما أرسله لدراسة أوضاع الكوفة بالعودة والانصراف إذا وجد أن الأوضاع فيها غير مشجّعة[1].

إلى هنا الموضوع واضح.

ولكن في طبعة أخرى لبحار الأنوار (طبعة عام 1270هـ) رُويت تلك الرواية بلفظ مختلف قليلاً كما يلي: **«وجدت في بعض الكتب أنه عليه السلام لما عزم على الخروج من المدينة أتته أمّ سلمة رضي الله عنها فقالت: يا بني لا تُحْزِنّي بخروجك إلى العراق فإنّي سمعتُ جدَّك يقول: يُقْتَلُ ولدي الحسينُ بأرض العراق... الحديث».**

في هذه الطبعة التي كانت مليئة بالأخطاء ولم يكن فيها ترقيم للصفحات أُضيفت عبارة «**من المدينة**» وربما كان ذلك خطأً من النُسَّاخ لأن هذه الإضافة ليست موجودة في رواية «**إثبات الوصية**» ولا في «**الخرائج**» ولا في الطبعتين اللتين أشرنا إليهما لكتاب «**البحار**».

ولكن الرواية ذاتها وردت في كتاب «**نَفَس المهموم**» (ص39) نقلاً عن «**البحار**» وذُكرت فيها عبارة «**من المدينة**». مما يبيِّن أن مؤلِّف «**نَفَس المهموم**» نقل الرواية من

(1) **الأخبار الطوال**، ص210.



طبعة «**البحار**» الحجرية لعام 1270هـ أو من طبعة مشابهة ولم يرجع إلى الطبعتين الأخريين للبحار.

فإذا رجع شخصٌ إلى كتاب «**نَفَس المهموم**» أو إلى طبعة البحار القديمة ولم يرجع إلى الطبعتين الأحدث للبحار ولا إلى كتاب «**الخرائج**»، ولا إلى كتاب «**إثبات الوصية**» فإنه سيتصوَّر أن الإمام الحسين عليه السلام قصد التوجه إلى العراق منذ لحظة خروجه من المدينة وأنه خرج بهدف أَنْ يُقْتَلَ هناك. هذا في حين أن منشأ هذا التصوُّر هو عبارة «**من المدينة**» التي ربّما يكون الناسخ قد أضافها سهواً. وحتى لو فرضنا أن مؤلف «**البحار**» هو الذي كتب عبارة «**من المدينة**» فلا يمكن التعويل عليها لأنها نُقلت من كتاب لا يُعرف اسمه ولا اسم مؤلِّفه.

تذكيرٌ

لما كان موضوع إلقاء الإنسان ذاته إلى القَتْل بصورة مفجعة مخالفاً للعقل الجماعي للناس وكان جميع العقلاء يحكمون بأن الظاهر أن مثل هذا العمل يُعدّ عملاً سفيهاً لا يقوم به عاقل، لذا لا بدّ أن يستند مثل هذا العمل إلى التعبّد والتكليف الإلهي الخاصّ، وإثبات أن الإمام قد أُمِر بمثل ذلك العمل يحتاج إلى دليل أقوى بكثير من حديث أم سلمة الذي لا سند له!. وبعبارة أخرى إن إثبات مثل هذا الأمر المخالف لعقل الناس الاجتماعي ليس مطلباً تاريخياً يمكن الاكتفاء فيه بنقل المؤرخين أو الاعتماد فيه على حديث لا سند له بل هو بمثابة حكم تشريعي فقهي أو أعلى من ذلك ويحتاج إلى دليل قاطع يقبله جميع العلماء. والحديث موضع البحث ليس لا دليلاً محكماً ولا مقبولاً لدى جميع العلماء ومجرَّد نقل رواية في كتب الحديث لا يدلُّ على أن جميع العلماء الذين أوردوا تلك الرواية في كتبهم يعتقدون بمضمونها.

وكذلك مسألةُ عِلْمِ الإمام عليه السلام بمكان شهادته وزمانها مسألةٌ كلاميّةٌ واعتقاديّةٌ لا يمكن إثباتها بخبر الآحاد حتى ولو كان في غاية الصحّة، دون ملاحظة الأخبار المعارضة وآيات القرآن الكريم مثل: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [القمان/34]، هذا فضلاً عن أن يكون دليلها خبراً لا سند له ويتعارض مع عمل الإمام وقوله.



7 ـ قصّة الملائكة

روَى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (الشيعيّ الإماميّ) في كتابه «**دلائل الإمامة**» عن رجل من أهل السنَّة اسمه «**أبو محمَّد سُفيَان بن وكيع**» عن أبيه «**وكيع**»، عن الأعمش، قال: قال لي أبو محمد الواقدي و زُرَارَة بن جلح: «لقينا الحسين بن علي (عليهما السلام) قبل أن يخرج إلى العراق بثلاث ليال، فأخبرناه بضعف الناس في الكوفة، وأن قلوبهم معه وسيوفهم عليه، **فأومأ بيده نحو السماء ففتحت أبواب السماء ونزل من الملائكة عددٌ لا يحصيهم إلا الله، وقال: لولا تقارب الأشياء وحبوط الأجر لقاتلتهم بهؤلاء، ولكن أعلم يقيناً أنّ هناك مصرعي ومصرع أصحابي**[1] **لا ينجو منهم إلا ولدي علي** عليه السلام»[2].

كلمة «**مصرع**» معناها مكان القتل كما جاء في حديث «**اللهوف**»: «**وخيرٌ لِي مَصْرعٌ أَنَا لاَقِيهِ**»، وقال أهل اللغة: «**مصارع القوم حيث قُتِلوا**»[3]، وكلمة «**أصحاب**» بمعناها الأخصّ لا تشمل الأبناء والعبيد، ولكنَّها تشملهم بمعناها الأعم، وفي هذه الرواية جاءت الكلمة بمعناها الأعمّ، لأنه تمّ استثناء علي بن الحسين عليه السلام من الأصحاب فإذن كلمة «**أصحابي**» تشمل غلمانَ الإمام وأبناءَه.

قد يتصوَّر أحدهم انطلاقاً من هذه الرواية أن الحسين بن علي عليه السلام خرج من مكة بقصد أَنْ يُقْتَلَ، ولكن يجب أن نعلم أن هذه الرواية لا تصحّ ولا يمكن الاعتماد عليها لما يلي:

1 ـ أحد رواتها «**سفيان بن وكيع [بن الجرَّاح]**» متَّهمٌ بالكذب[4].

2 ـ لهذه الرواية ما يعارضها وهي رواية «**لوط بن يحيى**» عن «**عقبة بن بشير**»

---

(1) هذا لفظ الرواية كما نقلها صاحب كتاب «**اللهوف**» ص 53 (أو ص 62)، أما لفظ «**دلائل الإمامة**» فهو: «**ولكن أعلم علماً أن من هناك مصعدي وهناك مصارع أصحابي، لا ينجو منهم إلا ولدي علي**».

(2) **دلائل الإمامة**، ص 74 (المؤلف). قلتُ: والرواية ذاتها مذكورة في نوادر المعجزات: ج107، ص1، **واللهوف**: ص 62، **وإثبات الهداة**، ج ٥، ص ٢٠٦، ح ٦٨، **ومدينة المعاجز**، ص 238. (المُتَرْجِمُ)

(3) **أقرب الموارد**، ج١، ص٦٤٤.

(4) **ميزان الاعتدال**، للذهبي (ـ 748هـ) (تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت، دار المعرفة)، ج2، ص173.



الأسدي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال: لما أصاب ابن الإمام الحسين عليه السلام سهمٌ يوم عاشوراء قال: «**ربِّ! إنْ تَكُ حَبَسْتَ عنَّا النصرَ من السماءِ فاجْعَلْ ذلكَ لما هو خيرٌ وانتقِمْ لنا مِنْ هَؤلاءِ الظالمين**»[1]، التي تثبت أن الله حبس النصر من السماء عن الإمام على عكس رواية صاحب «**دلائل الإمامة**» التي تذكر أن الله أنزل من السماء ملائكةً لا يحصي عددهم إلا الله لنصرة الإمام!.

3 ـ جاء في هذه الرواية أنه لا ينجو من أصحاب الإمام سوى الإمام السجّاد (علي بن الحسين) عليه السلام مع أن الأفراد التالين قد نجوا أيضاً من الموت في واقعة كربلاء وبقوا أحياءً:

1 ـ الحسن بن الحسن (**الطبري**، ج4، ص 359).

2 ـ عمرو بن الحسن[2] (**الطبري**، ج4، ص 359).

3 ـ زيد بن الحسن (**اللهوف**، ص129، و**مقاتل الطالبيين**، ص 119)

4 ـ غلام بن عبد الرحمن بن عبد ربه الأنصاري (**الطبري**، ج4، ص 321).

5 ـ الضحّاك بن عبد الله المشرقي (**الطبري**، ج4، ص 339).

6 ـ عقبة بن سمعان (**الطبري**، ج4، ص 349).

7 ـ مرقع بن ثمامة الأسدي (**الطبري**، ج4، ص347).

8 ـ مسلم بن رباح مولى عليّ (**تهذيب ابن عساكر**، ج4، ص 338).

9 ـ القاسم بن عبد الله بن جعفر (**سير النبلاء**، ج3، ص 302).

10 ـ محمد بن عقيل (**سير النبلاء**، ج3، ص 203).

رغم أن هناك قولاً بأن «**عمرو بن الحسن**» قُتِلَ مع الإمام (**الإرشاد**، ص 176)، وقولاً بأن «**زيد بن الحسن**» لم يأت مع الإمام إلى كربلاء أصلاً، ولكن حتى الثمانية الباقون، بل حتى لو بقي نصفهم فقط، لكان ذلك كافياً في بيان أن جملة: «**لا ينجو منهم إلا ولدي علي** عليه السلام» غير صحيحة. لهذه العلل الثلاث لا يصحّ الحديث المذكور ولا يمكن الاعتماد عليه.

---

(1) **تاريخ الطبري**، ج4، ص342. و الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 221.

(2) **تاريخ الطبري**، ج4، ص 342، والشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 221.



أضف إلى ذلك: ما معنى أن يقول الإمام: «**لولا تقارب الأشياء وحبوط الأجر لقاتلتهم بهؤلاء**»؟ فهل القضاء على الأعداء وإحياء الإسلام بمعونة ملائكة الله محبطٌ للأجر؟!

سؤالٌ يجب على الراوي الكذّاب لهذه الرواية «**سفيان بن وكيع**» أن يجيب عنه.

رواية «اللهوف»

نقل صاحب كتاب «**اللهوف**» هذه القصة أيضاً (في ص54) مع أنه نفسه روى بقاء «الحسن بن الحسن» و«زيد بن الحسن» و«عمرو بن الحسن» في ص128 ـ 129، أحياءً بعد كربلاء، وهذا تناقض واضح!

8 ـ قصّة الملائكة والجنّ

ينقل صاحب كتاب «**اللهوف**» عن كتاب باسم «**مولد النبيّ ومولد الأوصياء**» روايةً منسوبةً إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال:

«لَمَّا سَارَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام مِنْ مَكَّةَ لِيَدْخُلَ الْمَدِينَةَ لَقِيَهُ أَفْوَاجٌ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ الْمُسَوِّمِينَ وَالْمُرْدِفِينَ فِي أَيْدِيهِمُ الْحِرَابُ عَلَى نُجُبٍ مِنْ نُجُبِ الْجَنَّةِ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَقَالُوا: يَا حُجَّةَ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ بَعْدَ جَدِّهِ وَأَبِيهِ وَأَخِيهِ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَدَّ جَدَّكَ رَسُولَ اللهِ بِنَا فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ، وَإِنَّ اللهَ أَمَدَّكَ بِنَا. فَقَالَ لَهُمْ: الْمَوْعِدُ حُفْرَتِي وَبُقْعَتِيَ الَّتِي أُسْتَشْهَدُ فِيهَا وَهِيَ كَرْبَلاَءُ فَإِذَا وَرَدْتُهَا فَأْتُونِي. فَقَالُوا: يَا حُجَّةَ اللهِ! إِنَّ اللهَ أَمَرَنَا أَنْ نَسْمَعَ لَكَ وَنُطِيعَ فَهَلْ تَخْشَى مِنْ عَدُوٍّ يَلْقَاكَ فَنَكُونَ مَعَكَ. فَقَالَ: **لاَ سَبِيلَ لَهُمْ عَلَيَّ وَلاَ يَلْقَوْنِي بِكَرِيهَةٍ أَوْ أَصِلَ إِلَى بُقْعَتِي**.

وَأَتَتْهُ أَفْوَاجٌ مِنْ مُؤْمِنِي الْجِنِّ فَقَالُوا لَهُ: يَا مَوْلاَنَا! نَحْنُ شِيعَتُكَ وَأَنْصَارُكَ فَمُرْنَا بِمَا تَشَاءُ، فَلَوْ أَمَرْتَنَا بِقَتْلِ كُلِّ عَدُوٍّ لَكَ وَأَنْتَ بِمَكَانِكَ لَكَفَيْنَاكَ ذَلِكَ. فَجَزَاهُمْ خَيْراً وَقَالَ لَهُمْ: أَمَا قَرَأْتُمْ كِتَابَ اللهِ الْمُنْزَلَ عَلَى جَدِّي رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِي قَوْلِهِ ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ فَإِذَا أَقَمْتُ فِي مَكَانِي فَبِمَا يُمْتَحَنُ هَذَا الْخَلْقُ الْمَتْعُوسُ؟ وَبِمَا ذَا يُخْتَبَرُونَ؟ وَمَنْ ذَا يَكُونُ سَاكِنَ حُفْرَتِي؟ وَقَدِ اخْتَارَهَا اللهُ تَعَالَى يَوْمَ دَحَى الأَرْضَ وَجَعَلَهَا مَعْقِلاً لِشِيعَتِنَا وَمُحِبِّينَا تُقْبَلُ أَعْمَالُهُمْ وَصَلَوَاتُهُمْ وَيُجَابُ



دُعَاؤُهُمْ وَتَسْكُنُ شِيعَتُنَا فَتَكُونُ لَهُمْ أَمَاناً فِي الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ، وَلَكِنْ تحضـرُونَ يَوْمَ السَّبْتِ وَهُوَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ. (وَفِي غَيْرِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ يَوْمُ الْجُمُعَةِ) الذِي فِي آخِرِهِ أُقْتَلُ...»[1].

قد يتصوَّر من يقرأ هذه الرواية أن الإمام الحسين عليه السلام تحرَّك من مكة بقصد أنْ يُقْتَلَ، ولكن يجب أن نعلم أن هذه الرواية غير صحيحة ولا يُعْتَمَدُ عليها لعدَّة أسباب:

1 ـ لا سند لها.

2 ـ الرواية تفيد أن الإمام الحسين عليه السلام عمل بما يخالف سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله لأن النبيَّ صلى الله عليه وآله قَبِلَ مساعدة الملائكة في معركة بدر[2]، وأنقذ الإسلام بذلك، في حين تَدَّعِي هذه الرواية أن الإمام الحسين عليه السلام لم يقبل مساعدة الملائكة مخالفاً عمل جدِّه.

ونحن نعلم أنَّ عملَ رسول الله صلى الله عليه وآله بحكم آية: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب/ 21] قدوةٌ للمؤمنين، وأن سيد الشهداء صلوات الله عليه أجدرُ من أيِّ أحد آخر بأن يعمل بسيرة نبي الله صلى الله عليه وآله ويقبل النصرة الإلهية وينقذ الإسلام.

3 ـ تنسب الرواية إلى الإمام قوله: «**لا سبيل لهم عليَّ ولا يلقوني بكريهة أو أصل إلى بقعتي.**» وهذا مخالفٌ للحقيقة لأنه قبل أنْ يصل الإمام إلى كربلاء قَدِمَ «الحُرُّ بن يزيد» لجلب ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وقد آلم ذلك الأمرُ الإمامَ كثيراً وأزعجه وأخاف أسرته وأرعبهم، وفي النهاية حيل بين سبط النبي صلى الله عليه وآله والعودة إلى الحجاز وكان ذلك من أكبر المظالم التي وقعت على الإمام الحسين عليه السلام قبل أن يصل إلى كربلاء، وأفضلُ دليل على عظم هذا الظلم أن «الحُرَّ بن يزيد» ذاتَه كان يشكُّ في أنَّ توبته ستُقبل أم لا؟ ولذلك سأل الإمام: هل لي من توبة؟ وكان ذلك الظلم الكبير مقدِّمة للمظالم الأخرى التي انتهت بشهادة الإمام. فكيف تَنْسِبُ هذه الروايةُ إلى الإمام قوله: «**لا سبيل لهم عليَّ ولا يلقوني بكريهة أو أصل إلى بقعتي.**»؟!

---

(1) **اللهوف**، ص 58 ـ 59.

(2) سورة الأنفال، الآية 9.



4 ـ لهذه الرواية ما يعارضها وهو الحديث الذي يقول إنه عندما أصاب الأعداء ابن الحسين الرضيع بسهم قاتل: **«تلقّى الحسينُ دمَه فلمّا ملأ كفيه وصبّه في الأرض ثم قال: ربِّ! إنْ تَكُ حبستَ عنّا النصرَ مِنَ السَّماءِ فَاجْعَلْ ذلك لما هو خير»**[1]. فهذا الحديث يدل على أن الله حبس عن الإمام النصر السماوي بعكس رواية الملائكة والجن التي تفيد أن النصر الغيبي لم يُحبس عنه.

5 ـ كلُّنا يعلم أن الإمام الحسين عليه السلام أرسل «مسلم» إلى الكوفة ليُقيّم له قوة الأنصار كما أرسل إلى رؤساء البصرة يطلب منهم المعونة العسكرية[2]. فهل من الممكن للإمام الذي كان يحتاج إلى كلِّ مساعدةٍ لأجل حماية الإسلام وإحياء سنَّة النبيِّ صلى الله عليه وآله أن يرفض الجند الذين أرسلهم الله لنصرته من السماء كي يتيح للأعداء أن يسيطروا على الوضع ويقمعوا طلاب العدالة والحق ويواصلوا هتك الإسلام وانتهاك أحكامه؟!

هل يمكن أن ننسب مثل هذا الأمر إلى زعيمٍ عظيمٍ وإمامٍ مجاهدٍ نَذَرَ كلَّ ما يملك لأجل الإسلام؟!

6 ـ تدلُّ هذه الرواية على أن الإمام عمل بما يخالف ما يريده الله ويحبُّه، لأنه لو فرضنا أن اللهَ أرسل إلى الإمام الحسين عليه السلام الملائكةَ أنفسهم الذين كان قد أرسلهم غير مرَّة لنُصرة النبيّ صلى الله عليه وآله، كي يتمكّن الإمام بمعونتهم من إنقاذ الإسلام من الخطر فرفض الإمام مساعدةَ الله هذه، أفلا يكون قد تصرَّف خلافاً لما كان اللهُ يريده! فهل يمكن أن ننسب إلى الإمام مثل ذلك؟!

تذكيرٌ

لم يكن المرحوم الشيخ المفيد قُدِّسَ سِرُّهُ يعتمد على رواية الملائكة والجن التي نقلها صاحب **«اللهوف»** لأن هذه الرواية تفيد أن الإمام الحسين عليه السلام ذهب بِنِيَّةِ أَنْ يُقْتَلَ في حين أن الشيخ المفيد يقول: **«وأما علم الحسين بأن أهل الكوفة خاذلوه فلسنا نقطع على ذلك إذْ لا حجَّة عليه من عقل ولا سمع»**[3]. إذن لم يكن المرحوم الشيخ المفيد يحتجُّ بمثل هذه الرواية.

(1) **تاريخ الطبري**، ج 4، ص342، والشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 221.
(2) **اللهوف**، ص32 حتى 37.
(3) **البحار**، الطبعة الجديدة، ج42، ص 258.



تذكيرٌ ثانٍ

هناك مطلبان في رواية الملائكة والجن يحتاج كل منهما إلى دليل قطعي كالقرآن والحديث المتواتر:

1 - خرق العادة.

2 - أن الإمام ألقى بنفسه إلى القَتْل وهو أمر يخالف عقل الناس الاجتماعيّ.

ونعلم أن إثبات خرق العادة وإثبات ما يخالف ظاهرُهُ العقلَ الاجتماعيَّ يحتاج إلى دليل قاطع لا إلى رواية فيها كل نقاط الضعف الست التي ذكرناها!

نقل «نور العين»

نقل أبو إسحاق الإسفرائيني قصة الملائكة والجن هذه أيضاً باختلاف يسير في ص23 - 24 من كتابه «نور العين»(1) الـمُضِلّ المليء بالأساطير.

9 - حديث: «مَنْ لَحِقَ بِي اُسْتُشْهِدَ»

قال صاحب كتاب «اللهوف»: وذكر محمد بن يعقوب الكليني في كتاب الرسائل عن محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن أيوب بن نوح عن صفوان عن مروان بن

---

(1) «نور العين» كتاب مليء بالأكاذيب كتبه أبو إسحاق الإسفرائيني (من أهل السنة) المتوفى سنة 417 أو 418هـ بلغة عربية ركيكة جداً وحرّف فيه الحقائق التاريخية. يقول الصاحب بن عباد عن أبي إسحاق: «كان رجلاً محروقاً» (لغت نامه دهخُدا، ص2322). ولكي نعرف حقيقة هذا الكذاب ننقل من كتابه بعض المطالب كنموذج: 1 - يقول: دُفِن علي عليه السلام في محراب مسجد الكوفة. (ص5). 2 - يقول: كان «معاوية» أكثر لطفاً من أبيه مع الحسين عليه السلام. (ص5). 3 - يقول: إن «معاوية بن يزيد» قال: الخلافة للحسين وأبيه ونحن عبيد الحسين وأبيه، فدعوا الخلافة لأهلها (ص7). 4 - يقول: كتب الإمام لأهل الكوفة: يصلي بكم «مسلم» في مسجد الكوفة ويحكم فيكم «النعمان بن بشير» حتى أصل إليكم!. (ص15). 5 - يقول: ذهب «مسلم» إلى منزل «النعمان بن بشير» ووضع النعمان رسالة الإمام على رأسه ووافق «مسلم» فكان «مسلم» يصلي الجماعة ويقضي بين الناس و«النعمان» يحكم! (ص16). 6 - يقول: قال الإمام لأخته سكينة: سمعتُ من جدي أن الحسين يُقتل ولكن ربما يكون هذا حسيناً آخر غيري! (ص17). 7 - يقول: قال «عبد الله بن الزبير» للإمام الحسين عليه السلام: خذني معك إلى الكوفة وأنا سآتي بألفي رجل شجاع لعونك، وشيّع الإمام حتى أبواب مكة وودعه باكياً وعاد. (ص19). 8 - يقول: زوّر «ابن زياد» رسالة باسم «مسلم» وكتب فيها للإمام: عجّل بالقدوم إلى الكوفة. (ص37). 9 - يقول: قام قوم من الجن بدفن أجساد شهداء كربلاء! (ص66). 10 - يقول: ضرب يزيد وجهه بيديه ندماً وقال: ما لي وللحسين؟! (ص85). ومئات الأكاذيب الأخرى.



إسماعيل عن «**حمزة بن حمران**» عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**ذكرنا خروج الحسين** عليه السلام **وتخلّف «ابن الحنفية» عنه، فقال أبو عبد الله** عليه السلام: **يا حمزة! إني سأحدّثك** بحديث لا تسأل عنه بعد مجلسنا هذا، إن الحسين عليه السلام لما فصل متوجّهاً أمرَ بقرطاسٍ وكتب: **بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن عليّ إلى بني هاشم، أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ مَنْ لَحِقَ بِي مِنْكُمْ اسْتُشْهِدَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي لَمْ يَبْلُغِ الْفَتْحَ. وَالسَّلَام**»[1].

هناك عدّة وجوه لمعنى هذا الحديث:

1 ـ أن نقول: إن المقصود كل من لحق بالإمام من بني هاشم سوف يُستشهد مثل أبناء عبد الله بن جعفر، ولكن الحديث لا يذكر شيئاً عن شهادة الإمام نفسه وأصحابه أو عدم شهادتهم (وهذا هو المعنى الظاهر للحديث).

2 ـ أن نقول: إن المقصود أن كل من لحق من بني هاشم بالإمام سيُقتل وكذلك الإمام وأصحابه سيُستشهدون (من باب أن حكم اللاحق والملحوق واحد). وهذا الوجه لا ينطبق مع الواقع إذ بقي بضعة نفر من أصحاب الإمام من بني هاشم وغيرهم أحياء كما أشرنا إلى ذلك سابقاً.

3 ـ أن نقول: إن المقصود أن أكثرية بني هاشم سواء كانوا لاحقين أم ملحوقين سيُستشهدون وأما شهادة الإمام أو عدمها فالحديث ساكت عنها لأنه من المحتمل أن يكون الإمام جزءاً من الأقلية وجزءاً من الأكثرية. كما أن هذا الاحتمال صادق بحقّ كل فرد من أصحاب الإمام.

4 ـ أن نقول: إن المقصود أن بني هاشم، لاحقين كانوا أم ملحوقين، مُعَرَّضُون للاستشهاد، إذ هناك إمكانية لوقوع اقتتال، ولكن الحديث صامتٌ بالنسبة إلى شهادة الإمام عليه السلام ذاته أو عدمها أو شهادة كل فرد من بني هاشم أو عدمها.

5 ـ أن نقول: إن كلمة «أُستُشهِد» خبر بمعنى الإنشاء ومراد الإمام منها الاستنصار ببني هاشم وفي الوقت ذاته بعث روح الشهامة والاستعداد للتضحية في نفوسهم، ومعنى «أُستُشهِد» هو أن كل من لحق بي ينبغي أن يكون مستعداً للنضال حتى الشهادة، فمراد الإمام تشجيع بني هاشم على اللحاق به لذا قال

(1) **اللهوف**، ص 57، و**دلائل الإمامة**، ص 77، و**كامل الزيارات**، ص 75، باختلاف يسير في اللفظ.



في آخر الرسالة: «وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي لَمْ يَبْلُغِ الْفَتْحَ» أي لم يبلغ الانتصار.
ومعنى الكلام: لمّا كان بقاؤكم في المدينة لا يفضي إلى النصر ويجعلكم تعيشون تحت القهر والظلم فالأفضل لكم أن تكونوا جاهزين للجهاد وتساعدوني في ثورتي على أمل أن نتغلّب على العدوّ.

نُقْطَةٌ هَامَّةٌ

بما أن الكلام كان في مجلس الإمام الصادق عليه السلام حول عدم مرافقة «محمد بن الحنفية» للإمام الحسين عليه السلام فمن المحتمل أن يكون الإمام الصادق أراد أن يقول: لقد طلب سيد الشهداء عليه السلام من محمد بن الحنفية ومن سائر بني هاشم النصرة لكنهم رغم ذلك امتنعوا عن نصرته، وربما أراد أن ينتقد من خلال ذلك فرقة «الكيسانية» قائلاً إن من جعلتموه إماماً هو شخصٌ امتنع عن نصرة إمامه.

خلاصة الوجوه

يُعتبر الوجه الأول من الوجوه الخمسة المعنى الحقيقي للحديث. ولا يمكن قبول الوجه الثاني، أما الوجوه الثلاثة الباقية فيمكن قبولها بنوع من التأويل.

فبهذه الاحتمالات في معنى الحديث هل يمكن أن نقبل أحدها على نحو مؤكَّد؟ وهل يمكننا أن نستفيد من هذا الحديث أن الإمام الحسين عليه السلام تحرّك بهدف أَنْ يُقْتَلَ؟ وهل يمكن إثبات مثل هذا المطلب المخالف للعقل الجماعي للناس بمثل هذا الحديث؟ أتركُ لكُم الحُكم.

10 ـ حديث: «عَمْرو بن لَوْذَان»

يروي الشيخ المفيد في «الإرشاد» أنه لما وصل الإمام الحسين عليه السلام إلى «بطن العقبة» وهو في طريقه إلى الكوفة «لقيه شيخٌ من بني عكرمة يُقال له «عَمْرو بن لَوْذَان» فسأله أين تريد؟ فقال له الحسين عليه السلام: الكوفة. فقال الشيخ: أنشدك اللهَ لمّا انصرفت، فوالله ما تُقْدِمُ إلا على الأسنّة وحدِّ السيوف، وإن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مئونة القتال و وَطَّؤوا لك الأشياء فَقَدِمْتَ عليهم كان ذلك رأياً، فأمّا على هذه الحال التي تذكر فإني لا أرى لك أن تفعل. فقال له: يا عبدَ الله! ليس يخفَى عَلَيَّ



الرأيُ، ولكنّ اللهَ تعالى لا يُغْلَبُ عَلَى أمره، ثُمَّ قال عليه السلام: والله لا يَدَعُونِي حتّى يستخرجوا هذه العُلْقَةَ مِنْ جَوْفِي فإذا فَعَلُوا سَلَّطَ اللهُ عَلَيهِمْ مَنْ يَذُلُّهم حتّى يكونوا أذلّ فِرَقِ الأمَم.»[1].

لأجل أن ندرك المعنى الصحيح لهذه الرواية لا بد من توضيح مختصر في البداية:

إذا كان هناك مسلم يعتقد بعالم ما بعد الموت ويخرج من بيته بقصد مجاهدة العدوّ، وإذا فرضنا أن رسول الله ﷺ قال له: أنت ستنتقل من هذه الدنيا إلى ذلك العالم بالشهادة وليس بالموت العادي، فإن منطق ذلك المسلم الذي خرج لمحاربة العدوّ هو: سأبذل كل جهدي في محاربة العدو لأهزمه وأنصر الإسلام، فإذا انتصرتُ في هذا النضال وقضيت على العدوّ وبقيتُ حياً فَبِهَا وَنِعْمَتْ، وما أحسنَ أن يُقطع دابر العدوِّ ويرتفع شأن الإسلام وتعتلي رايته. وإذا قُتِلتُ في هذا الجهاد أكون قد وصلت إلى سعادة الشهادة التي تنبّأ رسولُ الله بها لي.

فهل يمكن أن نقول: إن هذا الشخص ذهب لأجل أَنْ يُقْتَلَ؟ بالطبع لا، ذلك لأنه استخدم كل ما أُوتي من قوّةٍ ليهزم العدوَّ ولم يعمل قط بنيَّةِ أَنْ يُقْتَلَ، بل سعى إلى حفظ حياته في زمن المعركة ذاته كي يبقى حياً ويكون نصيراً لقوات الإسلام. كل ما في الأمر أن الشهادة كانت أملاً في قلبه وكان منطقه: إذا قُتلت بيد العدوّ فلن أكون خاسراً أو مغبوناً لأنني سأصل إلى سعادة الشهادة.

مثالٌ واضحٌ

يقول أمير المؤمنين عليه السلام -من جهة ـ حول جهاده ضدَّ معاوية: **«وسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الأَرْضَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ المَعْكُوسِ والْجِسْمِ المَرْكُوسِ»**[2].

ويقول من جهة أخرى: **«لَوْ لا طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ وتَوْطِينِي نَفْسِي عَلَى المَنِيَّةِ لأَحْبَبْتُ ألا أَلْقَى مَعَ هَؤُلاءِ يَوْماً وَاحِداً ولا أَلْتَقِيَ بِهِمْ أَبَداً»**[3].

(1) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 204. (أو ج2، ص 76).
(2) نهج البلاغة، الرسالة رقم 44.
(3) نهج البلاغة، الرسالة رقم 35.



هل كان عليٌّ عليه السلام خلال حربه لمعاوية يعمل لأجل القضاء عليه، وفي الوقت ذاته يعمل لأجل أَنْ يُقْتَلَ هو أيضاً؟ إنْ كان أمير المؤمنين عليه السلام يعمل لأجل أَنْ يُقْتَلَ لما أمكنه أن يطهّر الأرض من وجود معاوية، في حين أنه يقول بصراحة: «**وسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الأَرْضَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ المَعْكُوسِ**».

الحقيقة هي أن أمير المؤمنين عليه السلام عندما عزم على مجاهدة معاوية حشد كلَّ قِواه للقضاء عليه ومحوه من الأرض، وكانت جميع نشاطاته في هذا المجال منصبَّةٌ على تحقيق هذا الهدف، ولم يسعَ قط للوصول إلى الموت قتلاً والشهادة.

نعم، لا ريب أن أمنية الشهادة كانت موجودة دائماً في قلب الإمام لاسيما أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله كان قد بشّره بها من قبل. وبما أن احتمال الشهادة في الحرب موجود لذا قال الإمام: «**لَوْ لا طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ وتَوْطِينِي نَفْسِي عَلَى المَنِيَّةِ لأَحْبَبْتُ أَلا أَلْقَى مَعَ هَؤُلاءِ يَوْماً وَاحِداً**».

فقول الإمام «**لَوْ لا طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ**» إشارة إلى تلك الأمنية ومعنى كلامه: أنني لو انتصرت في الحرب على معاوية وتمكنت من القضاء عليه فَنِعِمَّا ذلك، وما أحسن تطهير الأرض من ذلك العنصر الرِّجس، وإذا قُتلتُ كان ذلك من سعادتي أيضاً فلطالما تمنَّيتُ الشهادة.

فهل من الصحيح إِذَنْ أن يقول أحدٌ إن ما أراده أمير المؤمنين عليه السلام من عبارته الثانية أنه ذاهب إلى الحرب لأجل أَنْ أُقْتَلَ؟!

كذلك لما وجد الإمام الحسين عليه السلام أن الظروف مساعدة (كما بيناه سابقاً في ص57 ـ 67) انطلق من مكة نحو الكوفة لأجل أن يمتنع عن البيعة ولأجل إعادة الخلافة الإسلامية إلى أهلها وكان منطقه: «**نحن أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المُدَّعِيْنَ مَا لَيسَ لَـهُمْ**»[1]. ونزل إلى الميدان بكل شجاعة وبطولة لأجل أن يغيِّر حكومة الظلم بقوّة الأنصار المتطوعين وكان شعاره: «**أنا أحقُّ مَنْ غَيَّرَ**»[2]. وتقدّم إلى

---

(1) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج4، ص 47، و الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 205.

(2) **تاريخ الطبري**، ج 4، ص 304.



الميدان بكل شهامة تلبيةً لنداء طلاب الحرية واستغاثة المظلومين المضطهدين وإنقاذاً للمسلمين من براثن القهر والاستبداد وكان منطقه: **«فأَضْرَخْنَاكُمْ مُوْجِفِينَ»**[1].

ولكن في الوقت ذاته لما كان وقوع الاصطدام المسلّح محتملاً وكانت شهادة الإمام التي كان رسول الله ﷺ قد بشَّره بها محتملة في ذلك السفر قال: **«خُطَّ الْمَوْتُ عَلَى وُلْدِ آدَمَ مَخطَّ الْقِلَادَةِ عَلَى جِيدِ الْفَتَاةِ وَمَا أَوْلَهَنِي إِلَى أَسْلَافِي اشْتِيَاقَ يَعْقُوبَ إِلَى يُوسُفَ. .»**[2]. وقال أيضاً: **«سأمضي وما بالموتِ عارٌ عَلَى الفَتَى. .»**[3]، وكان يقول: **«فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ»**[4] ونحوها من العبارات.

وقصد الإمام الحسين عليه السلام من أمثال تلك العبارات هو أنني لو انتصرت في هذا الصراع وأعدتُ الخلافة الإسلامية إلى أهلها واجْتَثَثْتُ جذور الظلم فما أحسن ذلك وما أسعدني بوصولي لهدفي المقدس، وإن قُتلتُ في ذلك الصراع فلن أكون خاسراً ولا مغبوناً، كيف وقد نلت سعادة الشهادة التي طالما انتظرتها.

تفسير هذا الحديث

انطلاقاً من قول الإمام: **«فإِنْ نَزَلَ الْقَضَاءُ بِمَا نُحِبُّ فَنَحْمَدُ اللهَ عَلَى نَعْمَائِهِ»**[5]، ومن قوله: **«فأَضْرَخْنَاكُمْ مُوْجِفِينَ»**[6]، يكون تفسير المقصود من إجابة الإمام عن اقتراح **«عَمرو بن لَوْذَان»** هو التالي:

انطلاقاً من اطلاعي العميق على مجريات الأحداث وعلى أوضاع الكوفة السياسيَّة بفضل التقرير الدقيق الذي وافاني به موفدي إليها، وصلتُ إلى الرأي الصحيح الذي يقضي بأنه من الواجب عليّ أن أجاهد في هذه الظروف المواتية لإعادة الخلافة الإسلامية إلى أهلها. فإن انتصرتُ في هذا الجهاد وأحييتُ الإسلام المنتهك بقوّة الخلافة فما أحسن ذلك؟ وإن قُتِلْتُ في هذا السبيل فهي الشهادة ذاتُها التي قُدِّرت عليَّ

---

(1) **الاحتجاج، للطبرسي**، ج2، ص 24.
(2) **اللهوف**، ص53.
(3) **تاريخ الطبري**، ج 4، ص 305.
(4) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج4، ص 50.
(5) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص 199.
(6) الطبرسي، **الاحتجاج**، ج 2، ص 24.



وأنبأني بها جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله من قبل قائلاً إنك ستُقتَل على أيدي بني أمية، ولا يمكن الفرار من قدر الله، ولكن الله لا يُغلَب على أمره.

فاتّضح إذن أن حديث «عمرو بن لوذان» لا يدل على أن الإمام الحسين عليه السلام تحرّك من الأساس لأجل أن يصل إلى مقْتَلِهِ فحسب، ولكن بعض الناس لكونهم عاشوا في زمن ما بعد وقوع حادثة كربلاء يَتَّجِهُ ذهنهم لا شعورياً منذ البداية إلى استشهاد الإمام ولا ينتبهون إلا إلى كلماته التي تحدَّث فيها عن شهادته في حين أن الإدراك الصحيح للموضوعات المتعلّقة بثورة الإمام يستلزم أن يجعل الإنسان نفسه شعورياً في الزمن السابق على وقوع حادثة عاشوراء ثم يلاحظ جميع العبارات وينتبه إلى جميع التصريحات التي نطق بها الحسين عليه السلام أي ينتبه إلى كلامه بشأن إقامة الحكم الإسلامي وإسقاط حكومة الظلم وإلى كلامه بشأن شهادته أيضاً ثم يتدبّر كل تلك الكلمات ويحلِّلها حتى يتمكَّن من الوصول إلى فهم واقعيٍّ لكلمات الإمام والأمور المتعلِّقة بثورته.

11 ـ حديث: «أبي هِرَّةَ الأزْدِيّ»

روى السيد «ابن طاووس» في كتابه «اللهوف» أن الإمام الحسين عليه السلام لَقِيَ أثناء سيره من مكة إلى الكوفة رجلاً من الكوفة يُكَنّى «أبا هِرَّةَ الأزدِيّ» قد أتاه فسلَّم عليه ثم قال يا ابن رسول الله! ما الذي أخرجك عن حرم الله وحرم جدِّك رسول الله؟ فقال: الحسين عليه السلام: **«ويحك يا أبا هِرَّة إنَّ بني أمية أخذوا مالي فصبرتُ وشتموا عرضي فصبرتُ وطلبوا دمي فهربتُ، وأيمُ اللهَ لَتَقْتُلُنِي الفئةُ الباغيةُ وَلَيُلْبِسَنَّهُمْ اللهُ ذُلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً وَلَيُسَلِّطَنَّ اللهُ عليهم من يَذُلُّـهُم حتى يكونوا أذلَّ من قوم سبأ إذْ مَلَكَتْهُمْ امرأةٌ فَحَكَمَتْ فِي أمْوَالِهِم وَدِمَائِهِمْ.»**[1].

قد يتصوَّر أحدهم انطلاقاً من إخبار الإمام بشهادته الذي يظهر في هذا الحديث أنه خرج من البداية بهدف أَنْ يصل إلى مَقْتَلِهِ. ولكن يجب الانتباه إلى أن هذا الإخبار ليس سوى ترديد لنبوءة رسول الله صلى الله عليه وآله بشهادة الإمام الحسين عليه السلام دون تحديد زمانها

---

(1) **اللهوف على قتلى الطفوف**، ص 62.



ولا مكانها. ومن المعلوم أن التنبؤ بالشهادة ليس معناه أن يُلْقِيَ الإمامُ بنفسه إلى القَتْل، كما أن رسول الله ﷺ لما قال لعمار بن ياسر: «**تقتُلُكَ الفئةُ الباغيةُ**»، فليس معناه أن «عمار بن ياسر» إذا قال ـ وهو ذاهبٌ إلى معركة صفين ـ إن رسول الله أخبرني أنه ستقتلني الفئة الباغية فمعناه أنه يريد أن يذهب لأجل أَنْ يُقْتَلَ.

أضف إلى ذلك أن الإمام لو كان قد تحرَّك بهدف أَنْ يُقْتَلَ فلماذا قال في حديث أبي هِرَّةَ هذا ذاته: «**وطَلَبُوا دَمِي فَهَرَبْتُ**»؟

رواياتٌ أُخْرَى

لقد أخبر الإمام عليه السلام طوال نهضته عن شهادته بشكل إجمالي، لا في الرواية السابقة فحسب بل في روايات أخرى أيضاً[1]، ولكنه لم يحدِّد في أيٍّ من تلك الإخبارات زمان شهادته ومكانها، وقصده من تلك الإخبارات هو ما مرَّ معنا في تفسير حديث «عمرو بن لوذان» وخلاصته أنه عندما توضع بيانات الإمام هذه إلى جانب بياناته الأخرى حول إعادة الخلافة إلى أهلها مثل: **أنا أحقُّ مَنْ غَيَّرَ**. و **نحن أهل بيت محمد أولى بولاية هذا الأمر عليكم**، ونحوها، فإننا نفهم من مجموع ذلك أن قصد الإمام هو عين مفاد الآية الكريمة: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة/ 52]، بمعنى أننا في هذا النهوض والجهاد لن يكون أمامنا إلا أحد أمرين كلاهما خير وسعادة: إما النصر على العدوّ وإما الشهادة التي تنبأ لي رسول الله ﷺ بها من قبل.

ولهذا السبب ذكر الإمام في سفره أحياناً شهادة «يحيى بن زكريا» إذْ كان قصده أنني لو استُشهدتُ في هذا النضال أكون قد سلكت الطريق الذي سلكه يحيى بن زكريا عليه السلام.

حُلُمَان

1 ـ في الفترة التي وقع فيها الإمام الحسين عليه السلام تحت محاصرة قوّات «الحُرّ بن يزيد» المسلحة عندما كان في طريقه إلى الكوفة، خفق وهو على ظهر فرسه خَفْقَةً ثم انتبه وهو يقول: «**إِنَّا لِـلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ وَالْحَمْدُ لِـلَّهِ رَبِّ**

---

(1) تاريخ الطبري، ج4، ص289.



الْعَالَمِينَ»، ففعل ذلك مرتين أو ثلاثاً فأقبل إليه ابنه عليُّ بن الحسين عليه السلام عَلَى فَرَسٍ فقال: مِمَّ حَمِدْتَ الله واسترجعت؟ فقال: يا بُنَيَّ! إني خَفَقْتُ خَفْقَةً فعنَّ لي فارسٌ على فرس وهو يقول: **القومُ يَسِيرُونَ وَالمنَايَا تَصِيرُ إِلَيْهِمْ! فَعَلِمْتُ أنها أَنْفُسُنَا نُعِيَتْ إِلَيْنَا**. فقال له: يا أبت! لا أراك الله سوءاً ألسنا على الحق؟ قال: بلى والذي إليه مرجع العباد. قال فإننا إذاً لا نبالي أن نموت محقِّين. فقال له الحسين عليه السلام: جزاك الله من وَلَدٍ خير ما جزى ولداً عن والده»[1].

2 ـ وقد نُسِبَتْ رؤيا أخرى إلى الإمام في كتاب «**كامل الزيارات**» (ص75) ذكر فيها استشهاده أيضاً.

هنا نقول: كان من الممكن أن يتحقَّق تأويل الحلمين عاجلاً أو يتأخَّر تحقُّقه عدّة سنوات أخرى، كما تأخَّر تحقُّق رؤيا يوسف عليه السلام سنوات طويلة.

مكان شهادة الإمام

جاء في بعض الأخبار التنبُّؤ بأن محلّ شهادة الإمام أرضٌ باسم «**كربلا**» (**بحار الأنوار**، ج10، ص 155، و تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي، ص 250).

ولكن جاء في بعض الأخبار الأخرى أن الإمام قال أثناء حوار له مع «عبد الله بن الزبير»: لا أريد البقاء في مكة لأنني لا أريد أن تُستَحَلَّ بي حُرْمَةُ حرم الله «**ولأَنْ أُقْتَلَ وبيني وبين الحرم باعٌ أحبّ إليَّ مِنْ أَنْ أُقْتَلَ وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ شِبْرٌ، ولأَنْ أُقْتَلَ بالطفّ أحبّ إليَّ مِنْ أَنْ أُقْتَلَ بِالحرمِ**»[2].

فهذا الخبر الأخير يدلُّ على أن الإمام عليه السلام كان يحتمل أن يُقتل في حرم الله لذا تجنّب البقاء في مكة؛ فكيف نجمع بين هذه الأخبار وبين الأخبار التي فيها التنبُّؤ باستشهاد الإمام في «كربلاء»؟

(أقول في الجواب عن هذا الإشكال): ربما أمكن القول إن الإمام الحسين عليه السلام أُخبر سابقاً بأن شهادته ستكون في كربلاء ولكن هذا الخبر يُعتبر من الأخبار التي يمكن

(1) الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ص207. (المؤلف) (أو ج2، ص 82). **وتاريخ الطبري**، ج4، ص308. (المُتَرْجِمُ)

(2) جعفر بن محمد بن قولويه (ـ 367هـ)، **كامل الزيارات**، ص 72.



أن تكون محلاً لـ «البِدَاء» أي إنها تَقْبَلُ المحوَ والإثباتَ، لذا كان من الممكن أن تقع شهادة الإمام في مكة مما جعل الإمام يتجنّب البقاء فيها.

تذكيرٌ

يُستفاد من هذه الأخبار أن الإمام الحسين عليه السلام خرج من مكة كي لا يسفك دمه في حرم الله. ولكن لا يستفاد منها أنه تحرّك كي يُقتل في «كربلاء» لأن قصد الإمام من هذه الأخبار هو أن بني أمية يريدون سفك دمي، فإذا بقيتُ في مكة ربما فعلوا ذلك في حرم الله وانتهكوا بذلك حرمة بيت الله لذا فإني أخرج من مكة حتى إذا كان دمي سيُراق أكون بعيداً عن الحرم حتى ولو بمقدار ذراع.

وبناء على ذلك فتفسير كلام الإمام في حواره مع «عبد الله بن الزبير» هو: إنني الآن في حال صراع مع حكومة «يزيد» وفي كل صراع من هذا القبيل هناك احتمال للنصر واحتمال للشهادة وعلى كلا الاحتمالين لا بد لي من مغادرة حرم الله حتى إذا ما قُتِلْتُ في تلك المعركة وسُفك دمي لا يقع ذلك في حرم الله ولا تُنتهك بي حُرْمَةُ بيته.

نقطتان

1 - أحد أقدس الواجبات المنوطة بأعناقنا إحياء آثارِ علماء الشيعة الكبار وآرائهم لاسيما أولئك الذين لهم منزلة علمية متميِّزة ورفيعة وخصوصاً أولئك الذين كانوا قريبين من عهد الأئمة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين. لذا سعينا في كتابنا هذا أن نشرح على نحو مفصّل تحقيقَيْ عالمين كبيرين يتمتّعان بالميِّزتين المذكورتين، وهما عالما الشيعة الكبيران المرحوم **«السيد المرتضى علم الهدى»** والمرحوم**«الشيخ الطوسي»** قُدِّسَ سِرُّهُما في كتابيهما: **«تنزيه الأنبياء»** و**«تلخيص الشافي»** على الترتيب، فيما ذكراه حول نهضة الإمام الحسين عليه السلام المقدَّسة، كي نضع بين أيدي أبناء اللغة الفارسية ذلك التحقيق التاريخي لذينك العالمين بأسلوب جديد وعصري، فما جاء في كتابنا هذا هو قول ذينك العالمين الكبيرين ذاته.

2 - وهدفي من إحياء بحث هذين العالمين الكبيرين هو الهدف ذاته الذي أراداه من كتابة نتيجة بحثهما في هذا الموضوع، كل ما في الأمر أنني أردتُ أن أُتيح



للناطقين بالفارسية إمكانية الاستفادة من الآثار العلمية لحاملي لواء التشيّع هذين.

ولمزيد من استحضار رأيهما أنقل فيما يلي نص المرحوم السيد المرتضى والشيخ الطوسي رضوان الله عليهما:

رأيُ العالمين الشيعيين الكبيرين: المرحوم السيد المرتضى والمرحوم الشيخ الطوسيّ قُدِّسَ سِرُّهما حول ثورة الإمام الحسين عليه السلام

(مسألةٌ): «فإن قيل: قد بيَّنْتُمْ أعذارَ الحسن عليه السلام فما أعذارُ الحسين عليه السلام لأنه فعل ضدَّ ما فعله وكيف يمكنكم الجمع بين أفعالهما؟

1 ـ ما العذر في خروجه عليه السلام من مكة بأهله وعياله إلى الكوفة المستولي عليها أعداؤه، والمتأمِّرُ فيها مِنْ قِبَلِ يزيد منبسط اليد والأمر والنهي، وقد رأى عليه السلام صنيع أهل الكوفة بأبيه وأخيه، وأنهم غدارون خوَّانون.

2 ـ وكيف خالف ظنُّه ظنَّ جميع أصحابه في الخروج لأن ابن عباس رحمة الله عليه أشار بالعدول عن الخروج وقطع على العطب فيه، وابن عمر لما ودعه يقول: أستودعك الله من قتيل. وأخوه محمد بن حنفيَّة مثل ذلك إلى غير ما ذكرناه ممن تكلم في هذا الباب.

3 ـ ثم لما علم بقتل «مُسْلِمِ بنِ عَقِيلٍ» وقد أنفذه رائداً له، كيف لم يرجع وقد علم الغدر من القوم وتفطن بالحيلة والمكيدة؟

4 ـ ثم كيف استجاز أن يحارب بنفر قليل لجموع عظيمة خلفها، لها مواد كثيرة؟

5 ـ ثم لما عرض عليه ابن زياد الأمان وأن يبايع يزيد، كيف لم يستجب حقناً لدمه ودماء من معه من أهله وشيعته ومواليه؟. وَ لِـمَ ألقى بيده إلى التهلكة وبدون هذا الخوف سلَّم أخوه الحسنُ عليه السلام الأمرَ إلى معاوية، فكيف يجمع بين فعليهما بالصحة؟

قيل لهم (الجواب):

أ ـ قد علمنا أن الإمام متى غلب على ظنه أنّه يصل إلى حقّه والقيام بما فُوِّضَ إليه بضرب من الفعل، وجب عليه ذلك وإن كان فيه ضرب من المشقَّة يُتَحَمَّلُ مثلُها



تَحَمَّلَهَا، وأبو عبد الله عليه السلام لم يَسِرْ طالباً للكوفة إلا بعد توثُّقٍ من القوم وعهود وعقود، وبعد أن كاتبوه عليه السلام طائعين غير مكرهين ومبتدئين غير مجيبين.

وقد كانت المكاتبة من وجوه أهل الكوفة وأشرافها وقرائها، تقدّمت إليه في أيام معاوية وبعد الصلح الواقع بينه وبين الحسن فدفعهم وقال في الجواب ما وجب. ثم كاتبوه بعد وفاة الحسن عليه السلام ومعاوية باق فوعدهم ومنّاهم، وكانت أيّاماً صعبةً لا يُطمع في مثلها.

فلمّا مضى معاوية وأعادوا المكاتبة بذلوا الطاعة وكرَّروا الطلب والرغبة ورأى عليه السلام من قوَّتهم على من كان يليهم في الحال من قبل يزيد، وتسلّحهم عليه وضعفه عنهم، ما قوَّى في ظنّه أن المسير هو الواجب، تعيَّن عليه ما فعله من الاجتهاد والتسبب، ولم يكن في حسابه أن القوم يغدر بعضهم، ويضعف بعضهم عن نصرته ويتَّفق بما اتفق من الأمور الطريفة الغريبة. فإن «مسلم بن عقيل» لما دخل الكوفة أخذ البيعة على أكثر أهلها، ولما وردها «عُبَيْد الله بن زياد» وقد سمع بخبر مسلم ودخوله الكوفة وحصوله في دار «هانئ بن عروة المرادي» على ما شُرِحَ في السِّيَر، وحصل «شريك بن الأعور» بها جاءه ابن زياد عائداً وقد كان شريك وافق مسلم بن عقيل على قتل ابن زياد عند حضوره لعيادة شريك، وأمكنه ذلك وتيسَّر له، فما فعل واعتذر بعد فوت الأمر إلى شريك بأن ذلك فتكٌ، وأن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «إن الإيمان قَيَّدَ الفتكَ». ولو كان فعل مسلم بن عقيل من قتل ابن زياد ما تمكن منه، ووافقه شريك عليه لبطل الأمر، ودخل الحسين عليه السلام الكوفة غير مدافع عنها، وحَسَرَ كلُّ أحد قناعه في نصرته، واجتمع له من كان في قلبه نصرته وظاهره مع أعدائه.

وقد كان «مسلم بن عقيل» أيضاً لما حبس «ابنُ زياد» «هانئاً» سار إليه في جماعة من أهل الكوفة، حتى حصره في قصره وأخذ بكظمه، فأغلق «ابنُ زياد» الأبواب دونه خوفاً وجُبناً حتى بثَّ الناس في كلِّ وجه يرغِّبون الناس ويرهِّبونهم ويخذّلونهم عن ابن عقيل، فتقاعدوا عنه وتفرّق أكثرهم، حتى أمسى في شرذمة، ثم انصرف وكان من أمره ما كان.

وإنما أردنا بذكر هذه الجملة أن أسباب الظفر بالأعداء كانت لائحةً متوجهةً، وأنَّ الاتفاق السيِّئَ هو الذي عكسَ الأمرَ وقلبه حتى تمّ فيه ما تمّ.



وقد همَّ أبو عبد الله عليه السلام ـ لما عرف بقتل مسلم بن عقيل، وأُشير عليه ـ بالعود، فوثب إليه بنو عقيل وقالوا: والله لا ننصرف حتى ندرك ثأرنا أو نذوق ما ذاق أبونا. فقال عليه السلام: لا خير في العيش بعد هؤلاء. ثم لحقه «الحُرّ بن يزيد» ومن معه من الرجال الذين أنفذهم «ابنُ زياد»، ومنعه من الانصراف، وسامه أن يقدمه على «ابن زياد» نازلاً على حكمه، فامتنع. ولما رأى أن لا سبيل له إلى العود ولا إلى دخول الكوفة، سلك طريق الشام سائراً نحو يزيد بن معاوية لعلمه عليه السلام بأنه على ما به أرأف من «ابن زياد» وأصحابه، فسار عليه السلام حتى قدم عليه «عُمَر بن سَعْد» في العسكر العظيم، وكان من أمره ما قد ذكر وسطر.

فكيف يُقال: إنه ألقى بيده إلى التهلكة؟ وقد رُوِيَ أنه عليه السلام قال لعمر بن سعد: اختاروا مِنّي:

1 ـ إمّا الرجوع إلى المكان الذي أقبلت منه،

2 ـ أو أن أضع يدي في يد يزيد ابن عمي ليرى فيَّ رأيه،

3 ـ وإما أن تسيروني إلى ثغر من ثغور المسلمين، فأكون رجلاً من أهله لي ما له وعَليَّ ما عليه. وإن «عُمَرَ» كتب إلى «عُبَيْد الله بن زياد» بما سئل فأبى عليه وكاتبه بالمناجزة وتمثل بالبيت المعروف وهو:

الآن قد علقت مخالبنا به يرجو النجاة ولات حين مناص

فلما رأى عليه السلام إقدام القوم عليه وأن الدين منبوذٌ وراء ظهورهم وعلم أنه إن دخل تحت حكم ابن زياد تعجل الذل وآل أمره من بعد إلى القتل، التجأ إلى المحاربة والمدافعة بنفسه وأهله ومن صبر من شيعته، ووهب دمه ووقاه بنفسه. وكان بين إحدى الحُسْنَيين: إما الظفر فربّما ظفر الضعيف القليل، أو الشهادة والميتة الكريمة.

ب ـ وأما مخالفة ظنه عليه السلام لظن جميع من أشار عليه من النصحاء كابن عباس وغيره، فالظنون إنما تغلب بحسب الإمارات، وقد تقوى عند واحد وتضعف عند آخر. ولعلَّ ابن عباس لم يقف على ما كوتب به عليه السلام من الكوفة، وما تردَّد في ذلك من المكاتبات والمراسلات والعهود والمواثيق، وهذه أمور تختلف أحوال الناس فيها ولا يمكن الإشارة إلا إلى جملتها دون تفصيلها. فأما السبب في أنه عليه السلام لم يعد بعد



قتل مسلم بن عقيل، فقد بينا وذكرنا أن الرواية وردت بأنه عليه السلام هم بذلك، فمنع منه وحيل بينه وبينه.

ج ـ فأما محاربة الكثير بالنفر القليل، فقد بيَّنا أن الضرورة دعت إليها وأنَّ الدين والحزم ما اقتضى في تلك الحال إلا ما فعله.

د ـ ولم يبذل «ابن زياد» لعنةُ الله عليه من الأمان ما يوثق بمثله. وإنما أراد إذلاله والغضِّ من قدره بالنزول تحت حكمه، ثم يفضي الأمر بعد الذلِّ إلى ما جرى من إتلاف النفس. ولو أراد به عليه السلام الخيرَ على وجه لا يلحقه فيه تبعة من الطاغية يزيد، لكان قد مكَّنه من التوجُّه نحوه واستظهر عليه بمن ينفذه معه. لكن الترات البدريّة والأحقاد الوثنيَّة ظهرت في هذه الأحوال.

وليس يمتنع أن يكون عليه السلام في تلك الأحوال مجوِّزاً أن يفيء إليه قوم ممن بايعه وعاهده وقعد عنه، ويحملهم ما يرونَ من صبره واستسلامه وقلّة ناصره على الرجوع إلى الحق دِيْنَاَ أو حَمِيَّةً، فقد فعل ذلك نفرٌ منهم حتى قتلوا بين يديه شهداء. ومثل هذا يُطْمَعُ فيه وَيُتَوَقَّعُ في أحوال الشدّة.

فأما الجمع بين فعله عليه السلام وفعل أخيه الحسن عليه السلام فواضحٌ، لأن أخاه عليه السلام سلَّم كفَّاً للفتنة وخوفاً على نفسه وأهله وشيعته، وإحساساً بالغدر من أصحابه. والحسينُ عليه السلام لما قَوِيَ في ظنّه النصرة ممن كاتبه وتوثّق له، ورأى من أسباب قوة أنصار الحقّ وضعف أنصار الباطل ما وجب عليه الطّلب والخروج، فلمّا انعكس ذلك وظهرت أمارات الغدر فيه وسوء الاتّفاق رام الرجوع والمكافَّة والتسليم كما فعل أخوه، فمنع من ذلك وحيل بينه وبينه، فالحالان مُتَّفقان، إلا أن التسليم والمكافَّة عند ظهور أسباب الخوف لم يُقبلا منه، ولم يُجَبْ إلى الموادعة، وطُلِبَ نَفْسُهُ عليه السلام فَمَنَعَ منها بجهده حتى مضى كريماً إلى جنة الله ورضوانه.».

(تنزيه الأنبياء، للسيد المرتضى، ص 179 إلى 182. و تلخيص الشافي للشيخ الطوسي، ج 4، ص 182 ـ 188، باختلاف يسير بينهما).

كان ذلك نصّ رأي عالمي الشيعة النابغين الكبيرين المرحوم السيد المرتضى وشيخ الطائفة الشيخ الطوسي رضوان الله عليهما الذي أظهراه قبل عشرة قرون في حلِّ لغز ثورة الإمام الحسين عليه السلام.



تذكيرٌ

لما كان المرحوم الشيخ الطوسي قُدِّسَ سِرُّهُ ـ الذي نقلنا بحثه في هذا المجال من كتابه «تلخيص الشافي» ـ قد ارتكز على أن الإمام عليه السلام لم يكن يتصوَّر أن تنقلب أوضاع الكوفة ويضعف أهل الحق ويُقتَل، فإنه ذَيَّلَ كلامَه بسؤال آخر يطرحه أهل السنة فقال:

«فإن قيل: أليس في أصحابكم من قال: إن الحسين عليه السلام كان يعلم ما ينتهي إليه أمره، وإنما تعبَّد بالجهاد والصبر على القتل، أيجوز ذلك عندكم أم لا؟ «أي أيجوز عندكم أن يُتَعَبَّدَ الإمامُ بإلـقاء نفسه عالماً عامداً إلى القَتْلِ»».

ثم أجاب عن هذا الإشكال بقوله: **«قيل: اختلف أصحابنا في ذلك، فمنهم من أجاز ذلك وقال: لا يمتنع أن يَتَعَبَّد بالصبر ممن فعله على مثل ذلك، لأن ما وقع من القتل، وإن كان ممن فعله قبيحاً، فالصبر عليه حسنٌ والثواب عليه جزيلٌ... ومنهم من قال: إن ذلك لا يجوز، لأن دفع الضرر عن النفس واجب عقلاً وشرعاً ولا يجوز أن يَتَعَبَّد بالصبر على القبيح، ولا خلاف أن ما وقع من القتل كان قبيحاً، بل من أقبح القبيح... [فلا يجوز أن يلقي الإمام بنفسه إلى القتل] وهذا المذهب هو الذي اختاره المرتضى رحمة الله عليه في هذه المسألة. ولي في هذه المسألة نظر»**[1].

وهنا يجب أن نعلم أن التردُّدَ في هذه المسألة الذي أعرب عنه المرحوم الطوسي في جملته الأخيرة كان حول جواز أن يُتَعَبَّدَ الإمام بإلقاء نفسه إلى القَتْل عالماً عامداً، أما في المسألة السابقة فلم يكن لدى الطوسيّ أيُّ تردّد فيها بل أبدى رأيه القاطع بأن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن في حسابه أن تنقلب أوضاع الكوفة، وأن القوم يغدر بعضهم ويضعف بعضهم عن نصرته[2]، كما قال في تلخيص الشافي (ج 3، ص86): **«على أن الحسين عليه السلام أظهر الخلاف [ليزيد] لما وجد بعض الأعوان عليه وطمع في معاونة من خذله، وقعد عنه**[3]**، ثم إن حاله آلت - مع اجتهاده عليه السلام واجتهاد من اجتهد**

(1) تلخيص الشافي للشيخ الطوسي، ج4، ص189 ـ 190.

(2) تلخيص الشافي، ج4، ص183.

(3) مراد الطوسي من عبارته ـ التي تبدو مشوَّشة ـ أن الإمام الحسين إنما نهض إلى مخالفة يزيد آملاً بمعونة الأعوان الذين وعدوه بنصرته في مجهادته لـ«يزيد» ولكنهم عندما جدَّ الجدُّ خذلوه وقعدوا عنه. (المُتَرْجِمُ)



معه في نصرته ـ إلى ما آلت إليه». ويقول أيضاً في كتابه المذكور (ج1، ص252): **«ولم نوجب أن يكون [الإمام] عالماً بما لا تعلُّق له بالأحكام الشرعية»**.

تنبيهٌ

وهنا يجدر أن ننتبه أيضاً إلى أن المرحوم السيد المرتضى لما كان لا يجيز أن يُلْقِيَ الإمام بنفسه عالماً عامداً إلى القَتْلِ فإنه أي ـ السيد المرتضى ـ حين يقول: **«ولم يكن في حسابه أن القوم يغدر بعضهم، ويضعف بعضهم عن نصرته، ويتَّفق ما اتَّفق من الأمور الطريفة الغريبة»**[1]، فإنما يُعرِب عن عقيدته الحقيقية لا أنه قال ذلك الكلام خلافاً لعقيدته وعقيدة الشيعة من باب مُحاجَّة أهل السنة فقط.

رأي الشيخ المفيد

«سُئِلَ الشيخُ المفيد قدَّسَ اللهُ رُوحَهُ في المسائل العكبرية: **الإمامُ عندنا مجمعٌ على أنه يعلم ما يكون، فما بال أمير المؤمنين عليه السلام خرج إلى المسجد وهو يعلم أنه مقتول وقد عرف قاتله والوقت والزمان؟ وما بال الحسين بن علي عليهما السلام سار إلى الكوفة وقد علم أنهم يخذلونه ولا ينصرونه وأنه مقتول في سفرته تلك؟ وَلِـمَ لَـمَّا حُصِرُوا وعرف أن الماء قد مُنِعَ منه وأنه إن حفر أذرعاً قريبةً نبع الماء لم يحفر وأعان على نفسه حتى تلف عطشاً؟ والحسنُ عليه السلام وادَعَ معاويةَ وَهَادَنَهُ وهو يعلم أنه ينكث ولا يفي ويقتل شيعة أبيه عليه السلام؟؟، فأجاب الشيخ رحمه الله عنها بقوله:**

وأما الجواب عن قوله: «إن الإمام يعلم ما يكون» فإجماعنا أن الأمر على خلاف ما قال، وما أجمعت الشيعة على هذا القول، وإنما إجماعهم ثابت على أن الإمام يعلم الحُكْمَ في كلِّ ما يكون دون أن يكون عالماً بأعيان ما يحدث ويكون على التفصيل والتمييز، وهذا يسقط الأصل الذي بنى عليه الأسئلة بأجمعها، ولسنا نمنع أن يعلم الإمام أعيان ما يحدث، ويكون[2] بإعلام الله تعالى [له] ذلك، فأمّا القول بأنه يعلم كلَّ ما يكون فلسنا نُطلقه ولا نصوِّب قائله، لدعواه فيه من غير حجَّة ولا بيان. والقول: بأن أمير المؤمنين عليه السلام كان يعلم قاتِلَه والوقت الذي كان يُقْتَلُ فيه فقد جاء الخبر

(1) السيد المرتضى، تنزيه الأنبياء، ص 179 ـ 180.

(2) أي: ويكون علمه. (المُتَرْجِمُ)



متظاهراً أنه كان يعلم في الجملة أنه مقتول، وجاء أيضاً بأنه يعلم قاتله على التفصيل، فأمّا علمه بوقت قَتْلِهِ فلم يأتِ عليه أثرٌ على التحصيل، ولو جاء به أثرٌ لم يلزم فيه ما يظنُّه المعترضون، إذْ كان لا يمتنع أن يتعبَّدَه اللهُ تعالى بالصبر على الشهادة والاستسلام للقتل، ليبلغه بذلك علوّ الدرجات مالا يبلغه إلا به، ولعلمه بأنه يطيعه في ذلك طاعةً لو كلَّفها سواه لم يردَّها، ولا يكون بذلك أمير المؤمنين عليه السلام ملقياً بيده إلى التهلكة، ولا مُعيناً على نفسه معونةً تُسْتَقْبَحُ في العقول. وأما علم الحسين عليه السلام بأن أهل الكوفة خاذلوه، فلسنا نقطع على ذلك، إذْ لا حُجَّةَ عليه من عَقْلٍ ولا سَمْعٍ...».

(العلامة المجلسي، **بحار الأنوار**، الطبعة الجديدة، ج 42، ص 257 ـ 258).

اتَّضح مما مرَّ أن الشيخ المفيد رضوان الله عليه يقول أيضاً مثل السيد المرتضى والشيخ الطوسي قُدِّسَ سِرُّهُما: إن الإمام لم يكن يعلم أنه يُسْتَشْهَدُ في هذا السفر، وكان هذا القول مشهوراً بين علماء الشيعة لمدة 3 قرون، ولم أجد منذ زمن الشيخ المفيد وحتى القرن السابع الهجري (زمن تأليف كتاب «اللهوف») عالماً شيعيّاً بارزاً واحداً يخالف رأيه في هذه المسألة رأي هؤلاء العلماء الثلاثة الكبار. ولكن صاحب كتاب «**اللهوف**» (في ص20) أبدى رأيه المخالف للمشهور بين الشيعة إذ قال إن الإمام الحسين عليه السلام كان يعلم يقيناً أنه سيُستشهد في هذا السفر بالذات (هذا مع أن الحديثين اللذين استدل بهما على مدعاه ليس فيهما سوى التنبؤ بأصل الشهادة على نحو الإجمال وليس فيهما ما يشير إلى زمن وقوعها)، وتبعه بعد ذلك آخرون وتحوَّلَ هذا القول غير المشهور شيئاً فشيئاً إلى قول مشهور.

نُقْطَةٌ هَامَّةٌ

ينبغي أن نعلم أن علماء الشيعة متَّفِقُون على أن علم النبيِّ والإمام بالغيب رغم وسعته فإنه محدود وليس علماً غير متناهٍ (وقد نبّه إلى ذلك صاحب الغدير، ج5، ص47، طبع النجف). ومعنى محدودية علمهم عدم اطلاعهم على بعض المغيَّبات، مثل عدم معرفة النبي صلى الله عليه وآله متى تقوم القيامة[1]، وهذا لا يُنْقِصُ من مقامهم أبداً وقد جاء

(1) قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف/ 187].



في الخبر «**إن لِلَّهِ تعالى علمين: علماً أَظْهَرَ عَلَيْهِ ملائِكَتَهُ وَأنبياءَهُ وَرُسُلَهُ، فما أَظْهَرَ عَلَيْهِ ملائِكَتَهُ وَرُسُلَهُ وَأنبياءَهُ، فقد علمناه، وعلماً استأثر به**» (الكافي، ج1، ص255)، وفي خبر آخر: «**يُبسط لنا العلم فنعلم، ويُقبض عنّا فلا نعلم**»، (الكافي ج1، ص256). فلا ينقص قدر الإمام أن لا يطلعه الله على علم الغيب في بعض الموارد، كأن لا يخبره بزمن شهادته.

نعم يكون نقصاً في الإمام أن يقوم بعمل محرّم أو فيه شبهة، ويقول السيد المرتضى قُدِّسَ سِرُّهُ: «**لا يجوز للإمام أن يذهب لِيُلْقِيَ بنفسه إلى القَتْل**» ويقول الشيخ الطوسي قُدِّسَ سِرُّهُ: «**ولي في هذه المسألة نظر**»[1].

فإذا كان الإمام الحسين عليه السلام قد ذهب لأجل أَنْ يُقْتَلَ عالماً عامداً يكون قد ارتكب إما عملاً فيه شبهة ـ حسب قول الشيخ الطوسي ـ ، وإما عملاً محرماً ـ حسب قول السيد المرتضى ـ . وعندئذ لا يتنزّل الإمام بهذا العمل عن مقام العصمة فحسب بل يسقط من العدالة أي يصبح أدنى من إمام جماعة!!!

بناء عليه يجب على الذين يقولون إن الإمام ذهب لِيُلْقِيَ بنفسه إلى القَتْل عاملاً عامداً أن ينتبهوا إلى ما قاله هذان العالمان الكبيران للشيعة ولا يتسرّعوا في إصدار الحكم في هذه المسألة خشية أن ينسبوا إلى مقام الإمام ما لا يليق به وأن يُنْقِصُوا من قَدْرِهِ ومرتبته.

رأي ابن شهرآشوب

يقول العالم الشيعي الكبير المرحوم «ابن شهرآشوب» حول معرفة النبيّ والإمام بعلم الغيب ما نصه:

«**النبيّ والإمام يجب أن يعلما علوم الدين والشريعة ولا يجب أن يعلما الغيب وما كان وما يكون، لأنّ ذلك يؤدّي إلى أنّهما مشاركان للقديم تعالى في جميع معلوماته ومعلوماته لا تتناهى، وأيضاً يجب أن يكونا عالمين لأنفسهما وقد ثبت أنهما عالمان بعلم محدَث والعلم لا يتعلّق على التفصيل إلا بمعلوم واحد، ولو علما ما لا يتناهى**

(1) الشيخ الطوسي، تلخيص الشافي، ج 4، ص 190.



لوجب أن يعلما وجود ما لا يتناهى من المعلومات وذلك محال، ويجوز أن يعلما الغائبات والكائنات الماضيات أو المستقبلات بإعلام الله تعالى لهما شيئاً منها. وما رُوِيَ أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يعلم أنه مقتول وأنّ قاتله ابن ملجم فلا يجوز أن يكون عالماً بالوقت الذي يقتله فيه على التمييز لأنه لو علم ذلك لوجب عليه أن يدفعه عن نفسه ولا يُلْقِي بيده إلى التهلكة، وإنّ هذا في علم الجملة غير واجب»[1].

عدَّةُ نقاطٍ:

1 ـ مسألة علم الإمام من المسائل الاعتقادية التي لا يُعتبر فيها رأيُ أيِّ مجتهد أو فتوى أيِّ فقيهٍ حُجَّةً على الآخرين يلزمهم اتّباعها (رسالة توضيح المسائل، المسألة رقم 1).

2 ـ لما كانت مسألة علم الإمام الحسين عليه السلام أو عدم علمه باستشهاده في ذلك السفر مختَلَفاً فيها بين العلماء فإن أياً من الرأيين لا يعدّ من ضروريات المذهب، فيمكن للفرد الشيعي أن يأخذ برأي المرحوم السيد المرتضى ويقول إن الإمام لم يكن يعلم بذلك، كما يمكنه أن يأخذ برأي صاحب **«اللهوف»** ويقول: إن الإمام كان يعلم بذلك. كما يمكنه أن يتوقَّف في المسألة ولا يأخذ بأيٍّ من الرأيين كما توقَّف المرحوم الشيخ الأنصاري في مسألة مقدار معلومات الإمام. (**«الرسائل»** ص224، طبع رحمة الله).

3 ـ ليس هناك أيُّ ثمرة عَمَليّة من البحث في مسألة اعتقادية خلافية لا يعدّ طرفاها من ضروريات المذهب، بل لها ثمرة عِلْميَّة واعتقادية فقط وهي عقيدة غير ضروريَّة لأنها ليست من أصول الدين ولا من فروعه ولا من ضروريات المذهب.

4 ـ إن الثمرة العَمَلِيَّة المهمّة وذات القيمة هي أن نشخِّص برنامج عمل ثورة الإمام، لأننا لو أدركنا برنامج عمل ثورة الإمام إدراكاً صحيحاً كان لذلك نتائج مفيدة، كما أننا لو لم نتمكَّن من إدراكه كان لذلك نتائج مضرّة جداً.

فواجبنا هو أن نسعى لفهم صحيح لخطَّة الإمام وبرنامج عمله، وهو الأمر الذي سعى كتابنا الحالي إلى الكشف عنه.

---

(1) ابن شهرآشوب، متشابه القرآن ومختلفه، ص211.



أرجو أن يلقى هذا السعي القبول مِنْ قِبَلِ صاحب الولاية الكبرى حضرة سيد الشهداء سلام الله عليه و مِنْ قِبَلِ طلاب الحقيقة.

يا ابن رسول الله ﷺ!

يا نور عين عليّ عليه السلام!

يا ثمرة فؤاد فاطمة عليها السلام!

يا رمز الفضائل الإنسانية!

يا خلاصة الكمالات البشرية!

أيها الإنسان السماوي!

أيها الملاك الأرضي!

يا معشوق القلوب!

يا قائد الأحرار!

أيها الإمام المجاهد!

أيها الشهيد المضرّج بدمه!

قسماً بدمك المقدّس، إن ما كتبتُهُ حول ثورتك العظيمة والإنسانية كان عصارة قلب سطرتُ بها صفحات هذا الكتاب، قلبٌ يخفق عشقاً لك، ويهيم حبّاً بك، فلا أملكُ شيئاً أستطيع تقديمه لمحضرك الشامخ سوى عصارة قلبي.

إنه هديةٌ رخيصةٌ أقدِّمها إلى مولىً غالٍ وبضاعةٌ مزجاةٌ في سوق الجواهر والمأمول من سعة صدرك يا مولاي هو القبول.

السلام عليك يوم وُلدتَ ويوم قُتلتَ ويوم تُبعثُ حيّاً.



ثلاثة رجاءات

1 ـ أرجو من القرّاء المحترمين الذين أعجبتهم أفكار هذا الكتاب ومبانيه أن لا يستخدموا أفكاره الجديدة للطعن في تصوّرات الناس بل يطرحوها بوصفها آراء مطروحة في ساحة النقاش الفكري تاركين للناس حرية قبولها أو ردّها.

2 ـ أرجو من القرّاء الأعزّاء الذين يسمعون من خطباء محترمين مطالب تخالف الأفكار الجديدة التي طُرحت في هذا الكتاب أن لا يبادروا إلى الاعتراض عليهم بل إما أن يلزموا الصمت وإما أن يطرحوا الأفكار الجديدة لهذا الكتاب على نحو المشاركة في السعي إلى توضيح الحقيقة كي لا يُكَدِّروا خاطرَ الخطباء المحترمين.

3 ـ أرجو من ذوي النظر الذين يتَّفقون مع المطالب الجديدة المطروحة في هذا الكتاب أو يختلفون معها أن يكتبوا لي آراءهم ويرسلوها إلى عنواني:

قم ـ آبشار ـ كوي فاضل، رقم 26، كي نحصل على إحصاء للآراء الموافقة والمخالفة ونستفيد منها.

باب العلم مفتوح والاجتهاد حرّ

إحدى مزايا الإسلام احترامه لحرية الفكر ودعوته إلى البحث في المسائل العلميَّة المختلفة واحترامه لحريَّة العقيدة بل إيجابه للاستقلال في الاعتقاد، إذ لا يرى في رأيِ أيِّ فقيه أو مجتهد في مسائل العقيدة (مثل مسألة علم الإمام) أي حجِّيَّة على الآخرين بمن في ذلك مقلدو ذلك الفقيه أو المجتهد.

إن حريَّة الفكر هذه ووجوب البحث والاجتهاد في المسائل العقائديَّة هي التي حفظت حقائق الإسلام حيّةً إلى الأبد، وهذا هو الهدف الذي وُجدت لأجله الحوزات (أي الجامعات) العلميَّة في أنحاء العالم كي يدرس فيها طلاب الشريعة الفروعَ المختلفةَ للعلوم الإسلامية ويبحثوا ويجتهدوا فيها بكل حُرِّيَّةٍ و دون أيِّ حَجْرٍ عليهم.

إن أحد أسباب فشل علماء الدين المسيحي وخراب سمعتهم هو أنهم كانوا دوماً



ضدَّ العلم والتحقيق والبحث المتجدِّد، بعكس علماء الدين في الإسلام الذين لم يقفوا قط ضدّ العلم والبحث والتحقيق.

إن العلماء الأفاضل لن يسمحوا للاستبداد الديني وخنق الأفكار أن يُلقي بظلاله المشؤومة على طلاب الشريعة الشباب ولن يسمحوا لمدرسة الإمام الصادق عليه السلام التي ضمنت بشكل كامل حرية الفكر والبحث، أن تتلوث بذلك المرض أي مرض مصادرة الحريات الفكرية والدينية وخنقها. إن العلماء الأفاضل واليقظين سيدافعون عن ميراث الإمام الصادق عليه السلام هذا بكل قواهم وشعارهم يقول: **«باب العلم مفتوح والاجتهاد حرّ»**.

انتباهٌ، انتباهٌ

نسأل الذين يقولون إن الإمام الحسين عليه السلام بعد مواجهته للحرّ بن يزيد، عندما أعرب له عن رغبته في الانصراف، لم يكن يقصد العودةَ حقيقةً بل قال ذلك على نحو التظاهر ولإتمام الحجة فقط: هل تعتبرون أن «الحُرّ بن يزيد» لم يكن آثماً في منعه الإمام من العودة؟

لأنه إذا كان الإمام لا يريد حقيقةً العودة إلى الحجاز فإن منع «الحُرّ بن يزيد» له من العودة لن يكون إثماً حقيقياً بل سيكون مجرد إثم في النيَّة، مثل من يشرب كأساً من الماء ظناً منه أنه خمر فلا يكون شربه إثماً ولكن الإثم يكون بقصده ونيته فقط وهو الذي يسمى في الفقه بـ«التجرّي» فهل يقولون إن «الحرّ» لم يرتكب الإثم بل ارتكب التجرّي فقط؟!

إذا كان الأمر كذلك فهل كان كلام «الحر» عندما قال للإمام: «هل لي من توبة؟» اشتباهاً وخطأً؟ لأنه لم يأثم حتى يحتاج إلى توبة، وكان على الإمام أن يقول للحر إنك لم ترتكب الإثم بل قصدت ارتكابه فقط، لأنني لم أكن أقصد حقيقةً العودة!

فعندئذ كيف تفسّرون إجابة الإمام للحر بقوله: أجل إن توبتك ستُقبل؟



تذكيرٌ

رغم أن علم النبيِّ والإمام واسعٌ إلى درجة يعجز عن إدراكها عامّة الناس، ورغم أن رسول الله ﷺ علَّم أمير المؤمنين ألف ألف باب من العلم (الكافي، ج 1، ص 239، والخصال للصدوق، ص 642 إلى 652)، ورغم أن الوجود المقدَّس للمعصوم ينطوي على بحر زخَّار من العلوم الإلـهية؛ رغم كل ذلك، يبقى ذلك العلم محدوداً بحدود ما علَّمه اللهُ إيَّاه. وعلة محدوديَّة علم المعصوم أنَّ وجوده محدودٌ، وكلُّ من كان وجودُهُ محدوداً كانت جميع أموره محدودةً أيضاً، والله تعالى وحده هو صاحب الوجود اللامحدود الذي يحيط بكل شيء إحاطة مطلقة بلا استثناء، كما صرَّح بذلك صاحب تفسير «الميزان» (ج 8، ص388). ومن المناسب هنا أن نذكر قائمةً بالمواضِع التي صرَّح فيها علماء الشيعة في كتبهم، على نحو مباشر أو غير مباشر، بمحدوديَّة علم المعصوم كي يتمكَّن أهل المطالعة من مراجعتها بسرعة و دون تضييع للوقت:

1 ـ «**أوائل المقالات**»، للشيخ المفيد، ص38، طبع تبريز.

2 ـ «**تنزيه الأنبياء**»، للسيد المرتضى، ص178 حتى 180، طبع عبد الرحيم.

3 ـ «**تلخيص الشافي**»، للشيخ الطوسي، ج 4، ص182 حتى 188.

4 ـ تفسير «**مجمع البيان**» للطبرسي، ج 2، ص 289، في تفسير آية وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ.

5 ـ تفسير «**منهج الصادقين**»، للمولى فتح الله الكاشاني، ج 1، ص418، المطبعة العلمية، في تفسير آية وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ.

6 ـ «**بحار الأنوار**»، ج42، ص259 نقلاً عن العلامة الحليّ.

7 ـ **شرح نهج البلاغة**، لابن ميثم البحراني، ج 3، ص209، في شرح الخطبة رقم 148.

8 ـ شرح نهج البلاغة، للملا صالح القزويني، ص220.

9 ـ «**الدرّة النجفية في شرح نهج البلاغة الحيدرية**»، للدنبلي الخوئي، ص182.

10 ـ «**الرسائل**»، للمرحوم الشيخ الأنصاري، ص 224، طبع رحمة الله، نقلاً عن المرحوم الشيخ الحرّ العاملي.



11 ـ **«القوانين»**، للمرحوم الميرزا القمي، ص226، طبع أحمد، في بحث العام والخاصّ.

12 ـ حاشية السيد علي على القوانين، ص 226.

13 ـ **«جواهر الكلام»**، للمرحوم الجواهري، ط جديدة، ج 1، ص182، في بحث الكرّ.

14 ـ **«كفاية الأصول»**، للمرحوم الآخوند الخراساني، ج 1، ص373.

15 ـ حاشية المرحوم المشكيني على الكفاية، ج 1، ص374.

16 ـ **«متشابه القرآن ومختلفه»**، لابن شهر آشوب قُدِّس سره، ص211.

17 ـ **«أصل الشيعة وأصولها»**، لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء، ص93، طبع النجف.

18 ـ **«شيعه چه مى گويد؟»** (بالفارسية) أي ماذا تقول الشيعة؟ ص 121 ـ 130.

19 ـ **«المسائل العكبرية»**، للمرحوم الشيخ المفيد، كما نقل عنه ذلك المجلسي في بحار الأنوار، ج 42، ص 258.

20 ـ **«الشيعة والتشيع»**، لمحمد جواد مغنية، ص42.

21 ـ **«مجمع البيان»**، للطبرسي، ج 5، ص 205، في تفسير الآية 123 من سورة هود.

22 ـ **«مجمع البيان»**، للطبرسي، ج3، ص 261، في تفسير الآية 109 من سورة المائدة.

23 ـ **«الفصول المختارة»** للشيخ المفيد، ص 80.

24 ـ **«الغدير»**، للعلامة الشيخ عبد الحسين الأميني، ج 5، ص47، طبع النجف.

25 ـ **«الميزان»**، ج 8، ص 388.

26 ـ **«الفصول في الأصول»**، ج2، ص 58، بحث حجّيّة تقرير المعصوم.

27 ـ **«حاشية الآشتياني»** على رسائل المرحوم الشيخ الأنصاري، ج2، ص60.

28 ـ **«الإقبال»** للسيد ابن طاووس رحمه الله خلال دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة: **«إلـهي أنا الجاهل في علمي..»**.

يتبيَّنُ من كلمات علماء الشيعة المذكورة في المواضع المشار إليها أنهم متَّفقون جميعاً على أن هناك علماً مختصاً بالله تعالى لا يشاركه فيه أحد حتى النبيّ والإمام.



مراجع الكتاب ومصادره

تمّت الاستفادة من الكتب التالية على ثلاثة أنحاء:

استفدنا من بعضها كمراجع و مصادر.

واستفدنا من البعض الآخر كمراجع أحياناً، ولأجل البحث والنقد أحياناً أخرى.

واستفدنا من بعضها الآخر لغرض البحث والنقد فقط.

الكتب التي استفدنا منها كمراجع ومصادر:

1 ـ **السيرة النبوية**، ابن هشام، 218هـ، مصر، 1375هـ.

2 ـ **الطبقات الكبرى**، محمد بن سعد، 230هـ، بيروت، 1376هـ.

3 ـ **الإمامة والسياسة**، ابن قتيبة الدينوري، 276هـ، مصر، 1377هـ.

4 ـ **أنساب الأشراف**، البلاذري، 279هـ، مصر، د.ت.

5 ـ **الأخبار الطوال**، أبو حنيفة الدينوري، 290هـ.

6 ـ **تاريخ اليعقوبي**، ابن الواضح، بعد 292هـ، النجف، 1384.

7 ـ **قرب الإسناد**، عبد الله بن جعفر الحميري، (القرن 3 هـ)، طهران، 1370هـ.

8 ـ **المقالات والفرق**، سعد بن عبد الله الأشعري، 301هـ، طهران، مطبعة الحيدري.

9 ـ **تاريخ الطبري**، أبو جعفر محمد بن جرير، 310هـ، القاهرة، 1358هـ.

10 ـ **العقد الفريد**، ابن عبد ربه الأندلسي، 328هـ، مصر، 1353هـ.

11 ـ **رجال الكشي**، أبو عمرو الكشي، (القرن 4 هـ)، النجف، مطبعة الآداب.

12 ـ **الكافي**، محمد بن يعقوب الكليني، 328 أو 329هـ طهران، 1381هـ.

13 ـ **مروج الذهب**، المسعودي، 346هـ، بيروت، دار الأندلس.

14 ـ **مقاتل الطالبيين**، أبو الفرج الأصفهاني، 354هـ، القاهرة، 1348هـ.

15 ـ **كامل الزيارة**، جعفر بن قولويه، 347هـ، النجف، 1354هـ.

16 ـ **الخصال**، الشيخ الصدوق، 381هـ، طهران، 1379هـ.

17 ـ **تحف العقول**، ابن شعبة الحرّاني، (القرن 4 هـ)، النجف، 1385هـ.

18 ـ **المستدرك**، الحاكم النيسابوري، 405هـ.

19 ـ **نهج البلاغة**، الشريف الرضي، 406هـ، مصر، مطبعة الاستقامة.

20 ـ **الإرشاد**، الشيخ المفيد، 413هـ، أصفهان، 1364هـ



21 ـ **تنزيه الأنبياء**، السيد المرتضى، 436هـ، طبع، عبد الرحيم.
22 ـ **الرجال**، أبو العباس النجاشي، 450هـ، طهران، مركز نشر كتاب.
23 ـ **تلخيص الشافي**، الشيخ الطوسي، 460هـ، النجف، 1383هـ.
24 ـ **الاستيعاب**، ابن عبد البر القرطبي، 463هـ، مصر، 1358هـ.
25 ـ **روضة الواعظين**، الفتال النيسابوري، 508هـ، النجف، 1386هـ.
26 ـ **إعلام الورى**، أمين الإسلام الطبرسي، 548هـ، طهران، 1379هـ.
27 ـ **مجمع البيان**، أمين الإسلام الطبرسي، 548هـ، المطبعة الإسلامية، 1373هـ.
28 ـ **الاحتجاج**، أحمد بن أبي طالب الطبرسي، (القرن 6 هـ)، النجف، 1384هـ.
29 ـ **تهذيب تاريخ ابن عساكر**، علي بن حسن بن هبة الله، 571هـ.
30 ـ **متشابه القرآن ومختلفه**، ابن شهر آشوب، 588هـ، طبع، 1369هـ.
31 ـ **معجم الأدباء**، ياقوت الحموي، 626هـ.
32 ـ **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير الجزري، 630 هـ، بيروت، 1385هـ.
33 ـ **تذكرة الخواص**، سبط ابن الجوزي، 654هـ، النجف، 1383هـ.
34 ـ **شرح نهج البلاغة**، ابن أبي الحديد، 655هـ، مصر، 1378هـ.
35 ـ **كشف المحجّة**، ابن طاووس (رضي الدين)، 664هـ، النجف، 1370هـ.
36 ـ **مثير الأحزان**، ابن نما الحلّي (محمّد بن جعفر)، 645هـ.
37 ـ **ذخائر العقبى**، محب الدين الطبري، 694هـ، القاهرة، 1356هـ.
38 ـ **خلاصة الرجال**، العلامة الحلي، 726 هـ، النجف، 1381هـ.
39 ـ **كشف الغمّة**، الإربلي، 693، قم، 1381هـ.
40 ـ **سير النبلاء**، الذهبي، 748 هـ، مصر، دار المعارف.
41 ـ **ميزان الاعتدال**، الذهبي، **748 هـ، مصر، 1382هـ.**
42 ـ **البداية والنهاية**، ابن كثير، 774 هـ، مصر، مطبعة السعادة.
43 ـ **تاريخ ابن خلدون**، عبد الرحمن بن خلدون، 808 هـ، لبنان، دار الكتاب.
44 ـ **الصواعق المحرقة**، ابن حجر الهيثمي المكي، 973هـ، مصر.
45 ـ **وسائل الشيعة**، الشيخ الحر العاملي، 1104هـ، چاپ إسلاميه.
46 ـ **بحار الأنوار**، العلامة المجلسي، 1111هـ.
47 ـ **حجة السعادة**، اعتماد السلطنة، 1310هـ.
48 ـ **اللؤلؤ والمرجان**، المحدِّث النوري الطبرسي، 1320هـ، انتشارات نور.
49 ـ **تفسير المنار**، محمد رشيد رضا، 1356هـ، مصر، 1373هـ.
50 ـ **عظمت حسين**، أبو عبد الله الزنجاني، 1360هـ، تبريز، 1374هـ.
51 ـ **الكُنَى والألقاب**، المحدّث عبَّاس القمّي، 1359هـ، النجف، 1376هـ.
52 ـ **أبو الشهداء**، عباس محمود العقاد، القاهرة، مطبعة السعادة.



53 ـ **الغدير**، العلامة عبد الحسين الأميني، 1390هـ، طهران، 1372هـ.
54 ـ **الحسين في طريقه إلى الشهادة**، السيد علي الخطيب، (معاصر)، بغداد، 1377هـ.
55 ـ **قاموس الرجال**، العلامة الششتري، (معاصر)، مركز نشر كتاب.
56 ـ **رسالة «بحث كوتاه در باره علم امام»(أي بحث مختصر حول علم الإمام)**، العلامة محمد حسين الطباطبائي، قم، دار التبليغ، 1391هـ.

الكتب التي استفدنا منها أحياناً كمراجع وأحياناً للبحث والنقد

1 ـ **دلائل الإمامة**، الطبري الشيعي، القرن 4 هـ.
2 ـ **الأمالي**، الشيخ الصدوق، 381هـ، أمين الضرب، 1380هـ.
3 ـ **العواصم من القواصم**، أبو بكر ابن العربي، 504هـ، القاهرة، 1375هـ
4 ـ **مقتل الخوارزمي**، أخطب خوارزم، 568هـ، النجف، 1367هـ.
5 ـ **المناقب**، ابن شهر آشوب، 588هـ، قم، مطبعه علميه.
6 ـ **مطالب السؤول**، ابن طلحة الشافعي، 652هـ.
7 ـ **اللهوف على قتلى الطفوف**، السيد ابن طاووس، 664هـ، أصفهان 1366هـ.
8 ـ **معادن الحكمة**، علم الهدى كاشاني، 1115هـ، طهران، 1388هـ.
9 ـ **نَفَس المهموم**، المحدث القمّي، طهران، 1350هـ.

الكتب التي اقتبسنا منها بعض المطالب بغرض البحث والنقد فقط

1 ـ **كتاب التفسير**، منسوب إلى الإمام الحسن العسكري (ع)، 315هـ.
2 ـ **تاريخ فتوح ابن أعثم الكوفي**، ابن أعثم، 314هـ، نقلاً عن مقتل الخوارزمي.
3 ـ **إثبات الوصيّة**، منسوب إلى المسعودي، ؟، النجف، المطبعة الحيدرية.
4 ـ **نور العين**، أبو إسحق الإسفرائيني، 417هـ، بومبي، 1299هـ.
5 ـ **مقتل الحسين المنسوب إلى أبي مخنف**، مجهولُ المؤلِّف، ؟، بغداد، 1966م.
6 ـ **الخرائج والجرائح**، قطب الدين الراوندي، 573هـ، 1301هـ.
7 ـ **مقدمة التاريخ**، ابن خلدون، 808هـ، مصر.
8 ـ **روضة الشهداء**، كاشفي، 910هـ، طهران، 1334 هـ شمسي.
9 ـ **روضة الصفاء**، محمد بن خاوند شاه، 903هـ.
10 ـ **قمقام**، حاج فرهاد ميرزا، طهران.
11 ـ **السياسة الحسينية**، ماربين (أو مارتين) الألماني، طهران، 1328هـ.
12 ـ **ناسخ التواريخ**، سپهر، طهران، 1307هـ.
13 ـ **مجلة رسالة الإسلام**، القاهرة.
14 ـ **تعليقات على الكامل لابن الأثير**، عبد الوهاب النجّار، معاصر، مصر، 1356هـ.
15 ـ **تعليقات العواصم من القواصم**، محبّ الدين الخطيب، 1390هـ، القاهرة، 1375هـ





كتاب «الشهيد الخالد الحسين بن عليّ عليه السلام» الذي صدرت أول طبعه له في إيران عام 1951م، ثم أعيدت طباعته ثماني عشرة مرَّرة، واعْتُبِرَ من أهم الكتب التي تناولت حركة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام وواقعة كربلاء بصورة علميّة وتحليل استدلاليّ ناقش فيه مؤلّفه آية الله الشيخ نعمة الله صالحي نجف آبادي - من علماء الشيعة الإمامية المجتهدين في إيران والمدرِّسين البارزين في الحوزة الدينية في قم - أسباب الحركة الحسينيّة ودوافعها وماهيّتها ومراحلها وأهدافها ونتائجها وآثارها، مقدِّماً قراءةً جديدةً تتعارض كلِّيًّا مع القراءة التي تقدِّمها الرواية الشيعية المغالية والعاطفية الرائجة من قرون.

اعتبر أغلب الباحثين الإيرانيين كتاب «الشهيد الخالد» من أهم الكتب التي ناقشت قضية الحسين عليه السلام بِبُعْدَيْهَا السياسيّ والاجتماعيّ، ومن أكثر الكتب المثيرة للجدل في تاريخ إيران المعاصر.

آثار نشره ردود أفعال مختلفة ومعركةً من الآراء بين مخالف وموافق، وبدأت الكتابات في الردّ عليه حتى وصل مجموع ما كتب في نقده أو الردِّ عليه إلى ثلاثة عشر كتاباً.

ومن البديهي أن لا يقبل علماء الدين التقليديون المحافظون مثل هذا النقد الحرّ لأحاديث مشهورة ولكتب الرواية والتراث التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من التراث الشيعي، ومن الواضح أنهم يخشون أن يؤدي فتح هذا الباب إلى الإتيان على قسم كبير من التراث الروائيّ الإماميّ الذي يفتقر في مجمله إلى الثقة العلمية بصدوره كونه في مجمله أخبار معظمها يفتقر إلى الأسانيد الصحيحة المتصلة القويمة، مما يقدِّم دعماً للناقدين العصريين الذين يرون أن التراث الروائي والأخباري - يحتاج إلى غربلة شاملة وإعادة نظر كونه امتلأ عبر القرون بالوضع والدسّ والخرافات والقصص الأسطورية والرومانسية والأحاديث التي أملتها الصراعات السياسية والأهواء المذهبية في قرون الإسلام الأولى.



ISBN 978-614-404-346-2
9 786144 043462